



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الثقافة الشعبية

تخصص أدب شعبي

رسالة دكتوراه

السلوك الاجتماعي والقيم الأخلاقية
في الحكاية الشعبية في الغرب الجزائري
"دراسة اجتماعية أدبية"

إشراف الدكتور:

سعيد محمد

إعداد الطالبة:

سنوسي صليحة

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيساً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د: عبد الحق زريوح:
مشرفاً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د: محمد سعيد:
عضوا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د: مصطفى أوشاطر:
عضوا	جامعة وهران	أستاذ التعليم العالي	أ.د: الزاوي الحسين:
عضوا	جامعة وهران	أستاذ محاضر	د: محمد بن سعيد:
عضوا	المركز الجامعي غليزان	أستاذ محاضر	د: بن عودة عطايفة:

جوان 2012

إهداء

إلى أمي وأبي

إلى إخوتي

إلى أهلي

إلى زملائي وزميلاتي

أهدي هذا البحث راجية من المولى عز وجل

أن يجد القبول والنجاح

كلمة شكر

أشكر الأستاذ القدير الدكتور "سعيد محمد"
المشرف على رسالتي على صبره وتحمله لنا طيلة فترة البحث.
أشكر أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة رسالتي
وأخص بالذكر الأستاذين
"أوشاطر مصطفى و زريوع عبد الحق".
وإلى كل من مدّ لنا يدّ العون.

مقدمة

تشغل الحكاية الشعبية باعتبارها فنا شعبيا مشعبا بالقيم الإنسانية والاجتماعية مساحة واسعة في الذاكرة الجماعية لدى شعوب العالم منذ القديم، بحيث ارتبطت معهم ارتباطا وثيقا لمالها من أهمية بالغة في إمكانية تحقيق الرغبات والخروج من عالم مملوء بالمشاكل إلى عالم مفعم بتحقيق الأحلام والأمال، ومن أهم خصوصياتها هي الكلمة التي تجعل منها أدبا شفويا جماعيا أعطاها ميزة الاستمرارية والتلقائية في التعبير.

فهي تراث وفن وشكل من أشكال التعبيرات الشفهية التي تحمل في مضامينها مخزون ثقافي مكثف من نتائج جمعي يتسم بمهارات اكتسبها جزاء التراكمات التاريخية التي أضفت صبغة الخصوصية والمحلية عليها. ولذلك نعتبرها ظاهرة اجتماعية وأدبية مرتبطة بالذاكرة الفردية والجماعية للمجتمع، و نعتبرها أيضا منظومة متداخلة ومتقاطعة من القيم الأخلاقية والثقافية والاجتماعية، فهي مسألة مرتبطة بجوهر الإنسان.

إنّ الحكاية الشعبية هذا الجزء المنسي من تراثنا يعدّ عنصرا مهما من عناصر التعبيرات الشفهية، التي تحتاج إلى عناية كبيرة وذلك بجمعها وتدوينها ودراستها وإحياء ذاكرتها وتثمين ما تمثله من رموز ثقافية وقيم إنسانية، هذا الأمر الذي جعل الدارسين يهتمون بها وبأشكال مختلفة من أنماط الأدب الشعبي الذي يعتبر جزءا لا يتجزأ من "الفولكلور" هذا الأخير المحصور بين الأقوال والمآثر والأغاني والأمثال والحكايات.

وانطلاقا من ذلك يمكن أن ننظر إليه وإلى الحكاية باعتبارهما إنتاجا فنياً إبداعياً يدرسان في إطارهما الاجتماعي ولا يحق لنا أن نخرجهما من هذا السياق وهذا ما يؤكدده العديد من الدارسين وعلى رأسهم أحمد مرسي في قوله « لا يمكننا الفصل بين المادة الشعبية وسياقها وأصحابها والبيئة التي تتداولها، وعلى ذلك فلا بد من أن ننتبه إلى أن ما يصلح في النظر إلى الأدب الخاص أو الفن الخاص من مناهج ونظريات، قد لا يصلح بالضرورة لمجال اهتمامنا»¹.

1: أحمد مرسي : الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، دار مصر المحروسة، القاهرة، 2008، ص 25

وعليه وضع تعريفاً للأدب الشعبي على أنه "أسلوب التعبير الفني المأثور عن الفكر والعادات والتقاليد الجمعية والذي يتوسل بالكلمة" ومن هذا المنطلق يتضح لنا أن الأدب الشعبي بأنواعه يميزه التعبير الوجداني الشعبي بحيث يعبر عن نفسية المجتمع ويمس الحياة الاجتماعية من جميع جوانبها فهو التعبير عن خلد القطاع الاجتماعي الغفير، مما يعتريه من مؤثرات اجتماعية أو هزات سياسية أو طبقية وما إلى ذلك مما ينتاب الشعوب من تغيير في السلوك"¹.

فالأدب الشعبي عموماً هو أسلوب التعبير الفني المأثور عن الفكر والعادات والتقاليد الجمعية، يميزه التعبير الوجداني الذي يعبر عن نفسية المجتمع وثقافته، ويمس الحياة الاجتماعية من جميع جوانبها.

وعلى ضوء ما تقدم يتضح لنا أن الأدب الشعبي عامة والحكاية خاصة يمثلان حقلاً واسعاً للدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية والنفسية كما أجمع عليه جل الدارسين في التراث الشعبي، إلا أن الدراسات في ضوء تلك المناهج ظلت قليلة ما عدا بعض الدراسات هنا وهناك. ومن أقدم الدراسات الرائدة في الأدب الشعبي ما جمعه الأخوان "جريم" بألمانيا و"مكسيم جوركي" "بروسيا" من حكايات شعبية، إلى جانب بعض المحاولات الأخرى في مختلف أرجاء العالم أهمها: دراسة "الفولكلور: قضايا وتاريخه" للباحث الروسي "يوري سوكولوف" الذي يعدّ من الأوائل في العالم الذين انتبهوا إلى أهمية الثقافة الشعبية ما أدى به إلى إثارة قضايا عديدة أهمها التنويه بترتيب الحكايات إقليمياً كما أكد على قيمتها الاجتماعية وأهميتها العلمية.

ونجد الأمر نفسه في دراسة "فلاديمير بروب" مورفولوجية الحكاية" الذي تناول فيها دراسة حوالي مائة حكاية خرافية روسية حدّد بها العناصر الثابتة والمتغيرة، وخلص إلى إمكانية تغيير شخوص الحكاية إلا أن وظائفها تبقى ثابتة وحددّها بثلاثين وظيفة.

¹ : المرجع السابق، ص 17

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هاتين الدراستين تبقى من أهم الدراسات في هذا المجال في فهم شخصيات الشعوب فهما دقيقا، ما أكدّه كذلك العديد من الدارسين أمثال "لفي ستروس" في دراسته لأساطير العالم وكذلك العالم الألماني "يوهان".

أما الحقل العربي فقد تراكمت فيه أيضا مجموعة من الدراسات وعلى رأسها ما توصلت إليه "نبيلة إبراهيم" حينما تطرقت إلى إمكانية تناول الحكاية لحضارة الشعب ووصف بيئته ومجتمعه.

ولم تقتصر دراسة الحكاية على بعض دول العالم وإنما حذت حذوهم أيضاً الجزائر وخطت خطوات متقدمة في هذا البحث أمثال "عبد الحميد بورايو" و"ليلي قريش روزلين"، حيث تعدّ هذه الدراسات فتح لورشات اشتغال على الحكاية في بنيتها العميقة.

ومهما يكن من أمر فإنّ جلّ الدراسات العالمية والعربية جميعها تجمع على أنّ الحكاية الشعبية تبقى من أهمّ الأشكال التعبيرية الشفهية التي تصوّر لنا أحداث المجتمع وتعكس مواقفه وتحقق توازنه، ولعلّ ذلك من أهمّ الأسباب التي دفعتنا إلى اللوج إلى عالم الحكاية الشعبية.

الدوافع الشخصية والموضوعية:

من أهمّ الدوافع الموضوعية التي أدت بنا إلى اختيار الموضوع هي محاولة الكشف عن الظواهر الاجتماعية والثقافية التي مرّرتها لنا الحكاية الشعبية ونقلت عن طريقها أهمّ السلوكات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لأفراد المجتمع. وهذا محاولة منا إلى تفكيك بناءها والقيام برحلة كاشفة للنظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وما تحمله من سلوكات متعدّدة. ومن بين الأسباب الموضوعية أيضاً محاولة الخوض في المنهج الأنثروبولوجي الاجتماعي لدراسة الحكاية الشعبية مستبعدة بذلك اللوج في الوصف الأدبي المحض للحكاية، ليأتي دورنا في محاولة دراسة الحكاية من هذا المنظور والتعرض لها في حقول معرفية أخرى لأنّ الحكاية الشعبية تحتاج الكثير من الدراسات الاجتماعية والإنسانية التي تهدف إلى الكشف عن مضامين القيم الأخلاقية والسلوكات الاجتماعية التي تتضمنها، إضافة إلى العمل على تفكيك بنيتها.

أما الجوانب الشخصية منها: فيعود إلى طبيعة تكويني داخل الأسرة، حيث أخذت الحكاية الشعبية حيزاً واسعاً من ذاكرتي. وأصبحت من الذين يهتمون بمجال التراث الشعبي من أجل اثره والمحافظة عليه بالجمع والتدوين لما يمثله من روح الأمة. كما يعود سبب تركيزي على الحكاية الشعبية إلى أنها أكثر الفنون الشعبية شيوعاً واستعمالاً بين جميع شعوب العالم، وحضورها يحقق عمقاً حضارياً وثقافياً وإنسانياً.

الإشكالية:

وفي غياب تصور واضح أمام هذا الإشكال يجربنا الأمر إلى طرح عدد من التساؤلات لعل أهمها: - ما هي مضامين المنظومة القيمة والسلوكية التي تتضمنها الحكاية؟. ويتفرع عنها مجموعة أسئلة مكننتنا من توجيه بحثنا وهي: هل تعكس الحكاية الشعبية ثمرات الجماعة وممارستها داخل البناء المجتمعي؟ هل تحمل الحكاية قيماً إنسانية تدفع باتجاه توجيه السلوك وضبطه؟.

إن موضوع الحكاية الشعبية واسع ومتشعب يدور في معظمه حول ما يشغل روح الشعب وفكره سواء في نطاق الأسرة أو المجتمع، وذلك بالتمسك بوحدتهما والمحافظة على بناءهما الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من أجل بناء مجتمع مثالي خال من المفارقات الاجتماعية والصراعات الطبقية. ومن هذا المنطلق فإن الحكاية لا يمكن أن تشكل في محتواها سوى نظرة الشعب الروحية في تحقيق العدل والمساواة والتمسك بالوحدة من أجل تعميم السلام حتى ولو كان ذلك في شكل أحلام وطموحات تحققها أحداث الحكاية.

استطاعت الحكاية الشعبية أن تثير قضايا عديدة من خلال سلوكيات أفرادها التي عبرت بها عن واقعهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وثبتت من خلالها قيماً أخلاقية، ونحن الآن لسنا بصدد استعراض جميع السلوكيات الاجتماعية والقيم الأخلاقية التي حملتها نصوص الحكاية وإنما يمكننا أن نشير إلى قدرة هذا الجنس الشعبي الأدبي على حمل الواقع الاجتماعي بمختلف أنظمتها وتوجهاته. وكيف أن هذا الشكل الفني التعبيري الشفهي عبر عن الواقع المعيشي والحياة اليومية للفرد، واستطاع المقاومة في سبيل نقل تصور حقيقي للواقع الاجتماعي بأنظمتها وحمولاته الثقافية.

المنهج المتبع:

تقتضي طبيعة الموضوع الاعتماد على المقاربة الأنثروبولوجيا والاجتماعية لأننا أمام جنس من أهم الأجناس التعبيرية الشعبية، ولا بدّ من الكشف عن المعنى الذي يحمله هذا الجنس من خلال القيم والسلوكات. وذلك بدراسة الحالة الاجتماعية والأسرية داخل الحكاية وما تحتويه من نظم القرابة والأسرة والزواج، إلى جانب النظام الاقتصادي والسياسي، وتحديد القيم الإيجابية والسلبية. ولذلك فإنّ المقاربة الاجتماعية الأنثروبولوجية للحكاية الشعبية هي انتقال معرفي مهمّ من الأدبي إلى الاجتماعي الذي يأخذ بعين الاعتبار الفاعلين في إنتاج وإعادة إنتاج القيم، وترسيخ لسلوكات تنسجم والمخيل الشعبي.

وقد يساعد هذا المنهج في الدراسات الفولكلورية على دراسة العلاقات الأسرية والاجتماعية إلى جانب نظام المعيشة والأسرة والسلطة وتحديد الظواهر والسلوكات التي يراد دراستها. ومن بين أهم الأساليب المستعملة في هذا البحث هو الجمع والتصنيف ثم التحليل حتى يتسنى لنا الإلمام بكل الجوانب الهامة للحكاية.

ومهما يكن من أمر تبقى المنهجية من أهم وأصعب الإشكاليات التي تعترض سبيل الباحث، كما تعدّ أساس وسرّ نجاح بحثه ومن هذا المنطلق بدا لنا ضروريًا تحديد منهجية نعتمد عليها في مقاربتنا لموضوع البحث .

تحديد الدراسة والمادة المبحوثة:

إنّ الحديث عن تحديد الموضوع وكذا الطرح المنهجي يقودنا إلى الحديث عن المادة أو متن الدراسة الذي اعتمدها في بحثنا وما يطرحه من إشكاليات، فالحكاية الشعبية يميّزها الطابع الشفهي وقلّة النصوص المدونة يعرض على الباحث النزول إلى الميدان لتكوين مادته الأمر الذي صعب علينا لظروف شخصية و اكتفينا بالعودة الى مخطوطات وبعض الحكايات الشعبية المدونة الخاصة بمنطقة الغرب الجزائري. وقد تمّ هذا الجمع على مراحل:

المرحلة الأولى: مخطوط مدونة "محمد بلحفاوي" وتحتوي على أربع عشرة حكاية شعبية لأهمّ الحكايات الشعبيّة التي لها انتشار واسع في الغرب الجزائري والتي روتها له أمّه وقد تمّ العثور على هذا المخطوط عند حفيده "بن ستي هوارية" القاطنة بوهران.

ولد "محمد بلحفاوي" سنة 1912 بالمدينة الجديدة بوهران من عائلة متواضعة توفي بفرنسا سنة 1993، ورث عن والديه "بلقاسم" و"زهرة" مجموعة من الحكايات الشعبية والشعر والغناء، اهتمّ بالمسرح سنة 1950، صدرت له أعمال أهمّها: La poésie orale maghrébine d'expression populaire, et La poésie arabe populaire de l'Algérie : Éditions Maspero, 1973.

المرحلة الثانية: تحتوي هذه المجموعة على تسعة عشر حكاية، منها بعض الحكايات التي جمعت سنة 2005 في رسالة ماجستير حول "القص الشعبي بمنطقة غليزان"، لوضح عائشة، ورسالة دكتوراه حول "صورة المرأة في الحكاية الشعبية" لمهاجي رحمونة، جامعة وهران 2005. مع الإشارة لبعض الحكايات الشعبية التي استعنت بها في دراستي تمّ جمعها من طرف فريق بحث وتم تدوينها في كتاب "قاموس الأساطير الجزائرية"، تحت إشراف عبد الرحمان بوزيدة، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، 2005. فاستطعت بذلك أن أكون متنا للثلاث وثلثين حكاية شعبية خاصة بمنطقة الغرب الجزائري لتكون موضوع هذه الدراسة.

لقد أثار اهتمامنا ونحن نقوم بجمع المادة التي نشتغل عليها عينّة من الحكايات الشعبية التي تتوفر على عناصر تؤهل هذه الحكايات لتكون من سبل التنشئة الاجتماعية التي اعتمد عليها المجتمع الجزائري خلال قرون متواصلة إذ صورت في مختلف أدوارها الاجتماعية.

تقسيم البحث:

قسمت مشروع البحث المعنون ب «السلوك الاجتماعي والقيم الأخلاقية في الحكاية الشعبية بالغرب الجزائري، دراسة اجتماعية أدبية» إلى ثلاثة أقسام، ثم قسمتها إلى فصول، فبدأت بذكر: المقدمة: وتحدثت فيها عن الموضوع وإشكالاته، وذكر الدوافع المؤدية إلى اختياره، والمنهج المتبع في الدراسة وخطة الموضوع، ثم انتقلت إلى المدخل بتحديد منطقة الغرب الجزائري ومنه إلى:

القسم الأول المعنون ب: "أنماط الحكاية وأصناف القص الشعبي" ثم قسمته إلى ثلاثة فصول أولها: تحاور الأجناس القصصية وتداخلها مع الحكاية حيث حاولت أن أبرز

سمات القص الشعبي بجميع أشكاله: الأسطورة والسير والملاحم والحكاية ومن خلال تحليلي لهذا الجزء أبرزت أهمية القص العالمي الذي تشكل فيه الحكاية عصاره تلك الأنواع.

أمّا الفصل الثاني فتعرضت فيه إلى مفهوم الحكاية مع تحديد المصطلح ثم الحكاية الشعبية ومسألة الشفاهية، ثم انتقلت إلى التعريف بالحكاية الشعبية الجزائرية والاهتمام بها في المنظور الغربي والدراسات العربية وأهم الدراسات والمناهج التي درستها.

أمّا الفصل الثالث فتطرق في فيه إلى إشكالية تصنيف الحكاية، مع التركيز على مشكلة الحدود التي ترجع أساساً إلى تداخل الموضوعات.

أمّا القسم الثاني المعنون ب: "السلوك الاجتماعي في الحكاية الشعبية" قسمته إلى ثلاثة فصول فبدأته بمقدمة: تحديد المقصود بالسلوك الاجتماعي ومكوناته ومظاهره، ثم انتقلت إلى الفصل الأول: الحياة الاجتماعية والأسرية: فتحدثت فيه عن سلوكات الزواج والأسرة والعلاقات الاجتماعية والأنظمة القرابية في الحكاية الشعبية.

أمّا الفصل الثاني: تناولت فيه الدينامية الاجتماعية والاقتصادية وأهمية العلاقات الاجتماعية في تقوية النمو الاقتصادي، كما تناولت التحولات الاجتماعية وعلاقة الإنتاج وخصائصها.

أمّا الفصل الثالث اعتمدت فيه على أهم المضامين والقضايا السياسية التي استنبطتها من السلطة الاجتماعية والسياسية التي ينتج عنها الصراع الطبقي ومحاولة الحكاية الشعبية القضاء على هذا الصراع.

أمّا القسم الثالث: المعنون ب: "القيم الأخلاقية في الحكاية الشعبية" قسمته إلى ثلاثة فصول، فبدأته بمقدمة: مفهوم القيم ومكوناتها ثم انتقلت إلى الفصل الأول المعنون: بنماذج من القيم الأخلاقية الإيجابية: الأسرة والمجتمع، وحاولت فيه أن استنبط بعض القيم الأخلاقية الإيجابية التي نجدها في الزواج والعلاقات الأسرية والقرابية: كقيمة الأمومة قيمة التفاهم والتماسك الأسري وقيمة الصبر والتسامح.

أمّا الفصل الثاني فخصصته لاستخراج نماذج من القيم الأخلاقية الايجابية: الاقتصاد والسياسة التي نجدتها في السلوكات الاقتصادية والسياسية وهي: قيم الحث على العمل قيم التشارك والتكافل، قيم بين الحاكم والمحكوم، قيمة العدالة الاجتماعية وقيمة المساواة.

أمّا الفصل الثالث المعنون ب: نماذج من القيم السلبية فتطرق فيه إلى النماذج السلبية في الحكاية الشعبية منها القيم الساخرة والناقدة للمجتمع وأهمية القيمة التربوية في الحكاية الشعبية وأخيرا اختتمته بملخص عام.

رغم أنني لم أتطرق إلى معظم حكايات الغرب الجزائري واكتفيت ببعضها لتشابهها إلا أنّ أهمّها يبقى جزءاً لا يتجزأ من الكيان الثقافي الشعبي المغاربي عامة والجزائري خاصة، كما يعد وثيقة اجتماعية تؤهل الباحثين والدارسين لمعرفة طبيعة البنية الاجتماعية لكيان المجتمع، ولأجل ذلك أشاد الدارسون والمهتمون بالتراث الشعبي بضرورة الاهتمام بها تدوينا ودراسة.

لا يتسع المقام هنا بتحليل كل الأحداث وتحديد كل السلوكات وهذا لما تزخر به نصوص الحكاية من تناقضات وتغيرات اجتماعية، إلا أننا حاولنا دراسة البعض منها لعنا نصل إلى ضبط وفهم أهم الميكانيزمات المعرفية والاجتماعية التي تتحكم في النمط الفكري الشعبي. فهل بمقدورنا أن نعيد حكاياتنا الشعبية في عصر العولمة والتكنولوجيا المسارعة؟ وهل مازال للحكاية الشعبية مكانتها داخل المجتمع وهل باستطاعتها تعزيز وتثبيت تلك القيم داخل نفسية الفرد؟ وما هي السبل والطرق التي نعيدها بها؟ كلها أسئلة تنتظر من يجيب عنها في مواصلة البحث والدراسة والمحافظة على التراث.

تم ضبط الخطة كالتالي:مقدمة:

المدخل: المعطيات التاريخية والمكونات الثقافية للمنطقة.

الباب الأول: أنماط الحكاية وأصناف القص الشعبي

الفصل الأول: الأجناس القصصية

1. تحاور الأجناس القصصية

2. تواصل الأجناس القصصية

3. حدود الأجناس القصصية

4. مضمون الأجناس القصصية

الفصل الثاني: مفهوم الحكاية الشعبية

1. تحديد المفهوم

2. الحكاية الشعبية ومسألة الشفاهية

3. الحكاية الشعبية في المنظور الغربي والدراسات العربية

4. الحكاية الشعبية الجزائرية وامتدادها العربي والعالمي

الفصل الثالث: اشكالية التصنيف

1. الحكاية الخرافية

2. حكاية الحيوان

3. حكاية الواقع الاجتماعي

الباب الثاني: السلوك الاجتماعي في الحكاية الشعبية

مقدمة: مفهوم السلوك ومكوناته ومظاهره

الفصل الأول: الحياة الاجتماعية والأسرية

1. الزواج

2. العلاقات الأسرية

3. نظام القرابة

الفصل الثاني: الدينامية الاجتماعية والاقتصادية

1. الحياة الاجتماعية

2. التحولات الاجتماعية

3. علاقة الإنتاج وخصائصها

الفصل الثالث: المضامين السياسية

1. السلطة الاجتماعية

2. السلطة السياسية

3. التراتب الاجتماعي

الباب الثالث: القيم الأخلاقية في الحكاية الشعبية

مقدمة: مفهوم القيم ومكوناتها

الفصل الأول: نماذج من القيم الأخلاقية الايجابية: الأسرة والمجتمع

1. قيمة التفاهم بين الزوجين

2. قيمة الأمومة

3. قيمة التماسك الأسري

4. قيمة الكرم والضيافة

5. قيمة الصبر والتسامح

الفصل الثاني: نماذج من القيم الأخلاقية الايجابية: الاقتصاد والسياسة

1. قيمة الحث على العمل

2. قيمة التشارك والتكافل

3. قيم بين الحاكم والمحكوم

4. قيمة العدالة الاجتماعية

الفصل الثالث: نماذج من القيم السلبية

1. قيم ساخرة

2. نقد المجتمع

3. قيم تربية

الخاتمة : أهم النتائج

الملحق: مدونة الحكايات الشعبية

المصادر والمراجع

المدخل : المعطيات التاريخية والمكونات الثقافية للمنطقة

أ: الخصائص الجغرافية للمنطقة:

إن الارتباط الموجود بين الزمان والمكان، وأثر كل واحد في الآخر يلزمنا استقراء المراحل التاريخية محاولة منا تحديد جغرافية المكان. فالجزائر يمكن تحديدها في ثلاثة أقاليم رئيسية من الشمال إلى الجنوب: إقليم الشمال، إقليم الهضاب ثم الإقليم الصحراوي ويضم هذا الإقليم 85 % من المساحة الكلية للجزائر وبعد هذا التقسيم هو تقسيم أفقي على الخريطة، أما إذا قسمناها تقسيما عموديا، فإننا نحصل على خمس مناطق: الجزائر الشمالية الشرقية، الجزائر الشمالية الوسطى، الجزائر الشمالية الغربية، الجنوب الشرقي والجنوب الغربي.

الجزائر الشمالية الغربية تمتد ابتداء من التل الوهراني، ترارا بني بوشقران الظهرة الغربية حتى السهول المرتفعة متضمنة بذلك كلا من منطقة سارسو والونشريس. وهي منطقة تمثل خلال مرحلة تاريخية إقليميا توسط الشرق والغرب، ولكن بعد رسم الحدود ظهرت أسماء جديدة للمناطق، فأصبح الغرب هو تلك المنطقة الواقعة غربا يحدها غربا المملكة المغربية، ومن الشرق ولايات الوسط ومن الشمال البحر المتوسط ومن الجنوب الولايات الجنوبية. كما يسهم التقسيم الطبيعي الذي تفرضه الطبيعة في تحديد عدة خصائص منها: الخصائص التضاريسية: المناخية، النباتية والحيوانية. والخصائص الاقتصادية: الزراعية، الصناعية والتجارية. والخصائص البشرية: السكان، الكثافة والتوزيع ويلاحظ تفاوت كبير في توزيع السكان من منطقة لأخرى بحيث تشتد الكثافة السكانية في المناطق الساحلية، وتقل كلما اتجهنا جنوبا لذلك تعد مدينة وهران وضواحيها الساحلية من أكثر المناطق ازدحاما بالسكان.

كما تتميز الولايات الغربية بحسن التنظيم والتخطيط وذلك راجع للظروف التاريخية التي عرفتتها المنطقة، حيث كانت محطّ أطماع المعمرين طوال التواجد الاستعماري لملائمة ظروفها الطبيعية والاقتصادية، مما جعلها تتميز بالطابع الاستعماري واستغلال خصائصها الزراعية لخدمة الاقتصاد الفرنسي (الكروم مثلا) وطغيان العمران الاوروبي مثل، سيدي بلعباس، عين تموشنت، تلمسان، تيارت، مستغانم، وهران.....

ب: معطيات تاريخية عن المنطقة:

من الصعب علينا تحديد المنطقة وإسقاطها على جميع المراحل التاريخية لأن جغرافية المكان قد خضعت لتغيّر الأزمنة، فتارة تتوسع وأخرى تضيق وأحيانا تتصل بمناطق أخرى وأحيانا تتفصل عنها، وقد اختلفت أسماؤها باختلاف شعوبها وسكانها. فكلمة الغرب الجزائري، هو آخر سلسلة من السلسلات التاريخية التي خضعت لها المنطقة بكل تغيراتها. ولأن الثورة تفرض نظاما خاصا ومصطلحات خاصة، فقد سميت المنطقة أو الغرب الجزائري بالنّاحية العسكرية الثانية أو الولاية الثانية. حيث ظهرت فيها أسماء أهم المناطق العسكرية الحساسة، والمناطق الجبلية والحدودية: كجبل فلاوسن، جبل ورقلة، وواد الشولي، عسّاس، الحدود المغربية كمغنية.

و هذا لا يعني أن المنطقة قد انفصلت عن المناطق الأخرى في عملها التحرري، لأن مجرد التفكير في فصل كفافها عن الولايات الأخرى محاولة لتمزيق كفاح أمة موحدة، بل أن هذا التقسيم وضع كتتظيم حربي ذي رؤية شمولية. وموضوعنا هذا عندما يتناول منطقة محدّدة، فإنما هو استقراء أو دراسة الكلّ من خلال دراسة الجزء.

و إذا رجعنا إلى الورا لمعرفة تاريخ المنطقة نلاحظ أنها قبل 1830 كانت منطقة تابعة للدولة العثمانية، وكان يطلق عليها اسم (بايلك الغرب)، وقبل هذه المرحلة كانت منطقة خاضعة للحكم الزياني أي من القرن 9 إلى القرن 15 ميلادي، وكانت تمتد من وجدة غربا إلى بجاية شرقا وعاصمتها تلمسان. أمّا في العهد الاستعماري الفرنسي ظلت تابعة كليا للإدارة الاستعمارية الفرنسية.

ج: المكونات الثقافية للمنطقة:

أهم ميزة تميز الإنسان عن باقي الثدييات والحيوانات جميعا هي قدرته على إنتاج الثقافة¹ وهي تشمل كل ما يصنعه الإنسان من عناصر المادة مثل : الملابس والآلات والأدوات إلى جانب العلاقات الاجتماعية الإنسانية فهي مرتبطة بظهور الإنسان على وجه الأرض، ومن أهمّ وأكثر التعاريف التي يجمع عليها العلماء لمفهوم الثقافة هو تعريف "دوار تايلر" في كتابه "الثقافة البدائية" 1851 "...هي ذلك الكل المركب الذي يشمل

¹ : عاطف وصفي : الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة بمصر، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 1975، ص 24.

المعرفة والمعتقدات والفن والاخلاق والقانون والاعراف والقدرات والعادات الاخرى التي يكتسبها الانسان باعتباره عضوا في المجتمع" و يعرفها أيضا الدكتور عاطف وصفي "بأنها الكل المتكامل لأنماط السلوك المكتسبة التي يأخذ بها معظم أفراد مجتمع معين"¹.

ومن خلال هذا التعريف نستخلص أن الثقافة هي جميع الأنماط والسلوكيات الاجتماعية التي تربط أفراد المجتمع من لباس وأكل وعلاقات إنسانية من عادات وتقاليد وفنون شعبية... أما الأشكال الثقافية الشعبية التي أفرزتها البيئة الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية على مرّ العصور توحى بوحدة عضوية بين هذه الأشكال في منطقة الغرب الجزائري، التي تعدّدت فيها أشكال ثقافية وافرة أهمها:

1. الأعراس:

تشكّل الأعراس في الغرب الجزائري الفضاء الذي تتجسّد فيه العادات والتقاليد وتنعكس فيه الموروثات الثقافية والاجتماعية وإن كان العرس في مفهومه البسيط العضوي التقاء رجل وامرأة إلا أنه يأخذ أشكالا متعددة حسب كل منطقة، بل حسب كل قبيلة وتمر الأعراس حسب الطّرق الشرعية المستوحاة من الشريعة الإسلامية وحسب التقاليد والأعراف المتداولة في المنطقة.

إلا أن الطريقة التي تُضبط بها هذه الطرق تتعدّد: فالخطوبة غالبا ما تكون زيارة أهل العريس لأهل العروسة، ويتم رؤيتها وتذوّق طبخها، ثم يتم عرض الغرض من هذه الزيارة، ليتم تأجيل الردّ إلى بضعة أيام. وغالبا ما تقوم النساء بهذه العملية ثم تنتقل إلى مستوى الرجال. بعد الردّ الإيجابي تتم الخطوبة الرسمية على شكل ما يعرف "بالملاك" إلا أننا نستطيع أن نقول أن "الملاك" هو تغطية فقط، حيث كانت السلطات الاستعمارية تمنع العقد الشرعي وقراءة الفاتحة وتجبرهم على العقد الإداري والمسيحي.

فكان "الملاك" يأخذ شكل العرس للتّمويه الخارجي، ويتم في الداخل إنجاز العقد الشرعي (قبول العروسين، تعيين الوليّ، الصيغة، تحديد المهر والصدّاق. لهذا يعدّ ما يسمى "بالملاك" خطوة أساسية في مراحل الزواج فأعطيت له الصّفة الرسمية في العادات والتقاليد.

¹ : المرجع السابق: ص25.

أمّا الزفاف: فهو المناسبة التي تقام فيها الوليمة، ويتم التحضير له على كلّ المستويات المادية والمعنوية. ولهذا تعتبر الأعراس الفرصة الوحيدة الأكثر تكرارا في حياة الناس للتعبير عن مكبوتاتهم بطرق فنية مختلفة، حيث ظل الغناء أبهى صور التعبير عن الفرح، لهذا كانت النسوة تؤلّفن الأغاني المختلفة التي تعبر عن حياتهنّ ومشاكلهنّ وعرضها في الأعراس والولائم كما يتمّ فيها عرض مختلف الألبسة التقليدية.

أمّا الرجال يؤهلون للرقص أحيانا والفروسية أحيانا أخرى، وكل ما نستطيع ذكره هو أن الأعراس في منطقة الغرب قد لا تختلف ضمناً عن باقي المناطق الأخرى، لكنها تختلف في شكلها، وهذا نظرا لاختلاف العادات والتقاليد التي تميّز كل منطقة حسب خصوصيتها الفنية والاجتماعية والمادية.

2. الرقص الشعبي:

الرقص سلوك حركي إثباتا للوجود قد مارسه سكان الغرب الجزائري بمختلف أشكاله إلا أنه يختلف في نوع طبقه الفني الحركي من منطقة لأخرى حسب تنوع البيئة نذكر على سبيل المثال: رقصة العلاوي، رقصة العرفة، رقصة النهارية ورقصة الصف إلى جانب رقصات خاصة تمارسها فرق الزوايا مثل: عيساوة ودرقاوة.....

وعليه تختلف رقصة العلاوي من منطقة إلى أخرى في الغرب الجزائري، وأهمّ ما يميّز العلاوي¹ عن النهاري والعباسي عن الوهراني طبيعة الإيقاع الصوتي لسانيا والحركي سلوكيا.

تعود رقصة النهارية في أصلها الانتسابي إلى قبيلة اولاد أنهار بنواحي سبدو (العريشة، سيدي الجيلالي) وهي رقصات عربية انطلقا من وحي إيقاعها الذي يتميز بإيقاعات منقطعة أهمها: "سبايسية ولعريشية" وهي ألفاظ تستعملها الجماعة في تنظيم الرّاقصين على مستوى واحد. كل هذه الرقصات هي في الأصل رقصات حربية تعتمد على العصيّ والبنادق المحمولة على الأكتاف أو بين الأيدي، وتعتبر رقصة "الصف" أشهر رقصة نسوية بالمنطقة خاصة المناطق الموجودة بأقصى الغرب الجزائري. والرقص الشعبي

¹ : رقصة العلاوي: تعتمد على تحريك الكتفين وربما أخذت كلمة العلاوي لأن الرقص يتم بالأطراف العلوية على خلاف الرقص بالبطن عند بعض الشعوب الأخرى.

بأنواعه الفردي والجماعي يعتبر رقصا فلكوريا تتبعث منه روح البداوة ويشكل بذلك إحدى الدّعاءم الفنية في الثقافة الجزائرية.

3. الوعدة :

عندما نتناول الكلمة من النّاحية اللغوية نجد أنها مشتقة من كلمة موعد وهو زمن ومكان محدّدان يتم الاتفاق للالتقاء على موقع ضبطهما وهذا ما نلاحظه في هذا اللون الثقافي، حيث يسهر المنظّمون على إقامته مرة واحدة في كل سنة. لكن إذا بحثنا عن الأسباب التّاريخية التي ولّدت لنا هذه الظّاهرة الاجتماعية، نجد أنها أسباب موضوعية ومعقولة فرضها نظام القبيلة أو الضّرورة الاجتماعية.

من أهم هذه المناسبات "وعدة سيدي يحي" التي تقام غرب مدينة سبدو بنواحي سيدي جيلالي أو وعدة "أولاد أنهار"، حسب حديث بعض الشيوخ يقال إن الجدّ الأكبر لهذه القبيلة كان يجمع كلّ أولاده بعد انتهاء موسم الحصاد والدّرس ويقوم مآدبة غداء من إنتاج تلك السنة، ويتمّ من خلالها الاستعداد للموسم الفلاحي القادم، وتقام أيضا فيها صلاة الاستسقاء لبدء عملية البذر¹، وهي تعد تكريما لسنة جدهم سيدي يحي وبعد وفاته تعود أبنائه على تنظيمها كلّ سنة إلى أن أصبحت عادة من عادات القبيلة يجتمعون فيها كلّ سنة حيث يقيمون الخيم ويحضرون الكسكس للضيوف من قبائلٍ أخرى.

لكن إذا تعرضنا إلى مثال آخر واقترينا من أحد شيوخ قبيلة "حميان" فإن الأسباب التاريخية تختلف، فوعدة "عين بن خليل" ووعدة "عسلة" حسب هذا الشيخ كانت تقام كلّ سنة، يجتمع كبار الشيوخ والاعيان من أهل الحل و الربط، ويأخذ كلّ منهم عمودا ويرفعون الخيمة دفعة واحدة ويتمّ الجلوس تحت تلك الخيمة لحلّ مشاكل القبيلة، ويتمّ فيها عرض كلّ القضايا كالطلاق والزّواج والبيع والشراء، ومسألة الأراضي والمواريث وكذلك ردّ المظالم إلى أهلها.

ومن جهة أخرى اقامة الفروسية وبعض العادات والتقاليد كالرقص. كما تتحول الوعدة إلى سوق سنوية لبيع المنتجات التقليديّة كالزربية والجلابة. وتبقى لكل منطقة

¹ : أحد شيوخ قبيلة "أولاد أنهار"

احتفاليته بوليها الصالح كوعدة "سيدي خالد" بتيارت، "سيدي بلال" بوهران، "سيدي لخضر" بمستغانم، "سيدي خليفة" ببلعباس..... الى غير ذلك من الامثلة.

خلاصة القول أنّ هذه الوعدة كانت شبه مؤتمرا شعبيا يتم فيه طرح المشاكل واقتراح الحلول، وتشريع قوانين تنظم القبيلة، هذا من الناحية السياسية والاجتماعية، أمّا من الناحية الاقتصادية، فكانت سوقا أو معرضا سنويا يتم فيه عرض المنتجات وبيعها. أمّا من الناحية الثقافية، كانت فرصة لإلقاء الشعر البدوي والاستمتاع بالرقص الشعبي والفروسية والمبارزة.

4. الحكم والأمثال:

تعد الأمثال والحكم الشعبية جواهر ثمينة قد حفظت من التآلف لرسوخها في ذاكرة الأجيال المتعاقبة، وهي كنز ثقافي ذو قيمة كبيرة. ففي كتاب الدكتور عبد المالك مرتاض الأمثال الشعبية الجزائرية¹ يتناول بالدراسة والتحليل هذه الأمثال معتمدا في ذلك محورين الزراعي والاقتصادي إضافة إلى المحور الاجتماعي، كماور تعكس الحياة الاجتماعية للفرد الجزائري.

يتميز المثل الشعبي بالإيجاز، فهو قليل اللفظ وكثير المعنى، ويساير الفرد في حياته اليومية لذلك نجده متعدّد المحاور والموضوعات والغرب الجزائري غنيّ بالأمثال الشعبية المتداولة بكثرة أثناء المعاملات بين أفراد المجتمع وقد قال الكاتب الفرنسي «ميسي» انه "ما من مثل إلاّ وله مثل آخر يناقضه"² وهذا دليل على تشابك وترابط الأمثال الشعبية في الغرب الجزائري، فلا يخلو حديث أو خلاف بين الناس أو بين الأسر إلاّ ورافقه مثل يساعد على التصالح بين المتنازعين، ويزيد الحديث متعة وفي الوقت نفسه يوضح ويؤكد المقصود مثلا : "الحمار ما يشم القرفة"، لأن الحمار عندما يريد أن يشم شيئا فإنه يخرج الهواء بقوة من أنفه لذا كانت القرفة تطير في الهواء عندما يريد أن يشمّها ويقال هذا المثل عندما نضع الشيء في غير موضعه أو نعطي الشيء لغير أهله أو لمن لا يستحقه.

¹ عبد المالك مرتاض: الأمثال الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982

² : قادة بوتارن: الأمثال الشعبية الجزائرية، ترجمة حاج صالح، دار الحضارة، الجزائر، ص 3.

ومن بين أهمّ الأمثال العديدة المعروفة في الغرب الجزائري كالاتي : "دَعْوَة بَلَا
ذُنُوبٌ، فِي رَأْسِ مُوَلَّاهَا تَذُوبٌ"....."الكَرْشُ كِتَشْبَعُ نَقُولُ لِرَأْسِ غَنِي"....."عِنْدِي جَدِي
بَصَحَ مَيْتٌ"....."قَلْتُ سَمًا عَلَي رَأْسِ الْقَوْبِعِ"....."بُوسَ الْكَلْبُ مَن فَمُو، تَقْضِي حَاجَتَكَ
مَنهُ؟"...."الْخَبْرُ يُجِيبُوهُ تَوَالًا"¹.....

5. الألباز الشعبية:

ألغز الكلام وألغز فيه: عمّ مراده وأضمره على خلاف ما أظهره²، ولغز لغزا الشيء :
أي مال به عن وجهه وفي يمينه³ يقال: ألغز اليربوع جحره: حفره ملتويا مشكلا على
داخله، هذا من جهة التعريف اللغوي للمصطلح أمّا من جهة التعريف العامي للمجتمع
الجزائري هي الأحجية أو الحجاية وهذا ما يصطلح عليه سكان الغرب الجزائري وهي
متنوعة و متعددة تكاد تنصبّ على كل شيء وعلى كل موضوع، وهو فن شعبي قديم شأنه
شأن الفنون الشعبية الأخرى.

اللغز أو الأحجية في الغرب مازالت محافظة بشكل أو بآخر على بعض الرموز
الثقافية الشعبوية، ولكن ليس بالشكل الكبير الذي كانت عليه، لتطور الوسائل الاعلامية
كالتلفزيون والاذاعة للذين حلا محلّ الشيوخ والسهرات الليلية والعائلية التي كانت تتميز
بطابع شعبي يجمع فيه الجد أو الجدة "الراوي" أفراد الأسرة خاصة في الليالي الباردة تحت
ضوء خافت كضوء الشموع أو ضوء النار.

كانت الغاية من وضع الأحاجي هي التسلية والتربية المباشرة في شكل ألباز معظم
ألفاظها على شكل استعارات وكنائيات ومجازات. تتميز بدلالات وقيم حضارية وتاريخية
 واجتماعية تعكس حالة الإنسان في مجتمع معين وفترة معينة. وإذا تحدثنا عن بداية نشأته
"نرى أن اللغز نشأ منذ قديم الزمان حين كان العقل البدائي يمرّن نفسه على التلاوم مع
الكون الذي يحيط به"⁴

¹: مجموعة من الأمثال الشعبية عن طريق السماع

²: ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، المجلد الخامس، ص 405.

³: فرد ينان توتل: المنجد في الأدب والعلوم، بيروت، 1956، ص 765.

⁴: نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1981 ص 154.

ومن خلال إطلاعي على مجموعات كبيرة من ألغاز الغرب الجزائري لاحظت ثراء هذا النوع الشعبي وتنوعه وضخامته. كما لاحظت تكراره وتشابه بعضه في العديد من مناطق الغرب إلى جانب عنايته بمعظم الموضوعات التي تشغل الإنسان وتتصل بحياته اليومية كالحيوانات والحشرات والطبيعة بوجه عام. فهناك محاور تحتوي على مجموعة كبرى من الاهتمامات الشعبية والمواضيع المختلفة مثل:

الإنسان وأعضاء جسمه: "القلب".

"مَهْمُومٌ مَّعْمُومٌ وَزَافِدٌ مِّنَ الْهَمُومِ الْكَثِيرَةِ، سَدَّأِي نِيَارٌ وَنِيَّرٌ عَلَى كُلِّ نِيرَةٍ؟"

الحيوان والطيور : " الحلزون "

"مَا وُلِدَتْ وَوُلِدَتْ مَا فَرَحَتْ بِيهِ، نَصٌّ فِي كَرَشِهَا وَنَصٌّ تَتَمَشَّى بِيهِ..؟"

النباتات : "الذري".

"هِيَ وَبِنِ هِيَ قُبَّةٌ وَشَاشِيَةٌ وَثُوبٌ حَرِيرٌ تَرَقُّدُ فِيهِ..؟"

الفواكه : "البرتقال".

"زِينَةٌ وَزِينُهَا يُلَالِي، جَدَرُهَا فِي الْمَاءِ وَرَأْسُهَا فِي الْعَلَالِي..؟"

ظواهر طبيعية : " البرق "

"طَقِ هَنَا وَطَقِ لِهِيهِ وَطَقِ شَقَ الْبَحْرِ مَنَ هِيهِ..؟"

أدوات البيت : " الخيمة "

"طَيِّهَا طَيِّ كِتَابٌ، وَلُونُهَا لُونُ غَرَابٍ..؟"¹

كل ذلك يدلّ على بساطة المنطقة وعلى حالتها الاجتماعية واهتمامها بالضروريات أكثر من الكماليات إلى جانب دقة الملاحظة ومن بين الموضوعات الأخرى التي تطرّق لها اللغز الشعبي هي اللباس، وسائل السفر، الطعام، الحرف، أدوات الزراعة، آلات السلاح، فيما يخصّ العلم، الآلات الموسيقية.....

¹ : مجموعة من الألغاز الشعبية الخاصة بالغرب الجزائري عن طريق السماع.

الباب الأول

أنماط الحكاية وأصناف القص الشعبي

الفصل الأول: الأجناس القصصية

1. تحاور الأجناس القصصية
2. تواصل الأجناس القصصية
3. حدود الأجناس القصصية
4. مضمون الأجناس القصصية

الفصل الثاني: مفهوم الحكاية الشعبية

1. تحديد المفهوم
2. الحكاية الشعبية ومسألة الشفاهية
3. الحكاية الشعبية في المنظور الغربي والدراسات العربية
4. الحكاية الشعبية الجزائرية وامتدادها العربي والعالمي

الفصل الثالث: إشكالية التصنيف

1. الحكاية الخرافية
2. حكاية الحيوان
3. حكايات الواقع الاجتماعي

الفصل الأول: الأجناس القصصية

1. تحاور الأجناس القصصية:

منذ وعي الإنسان بما يدور حوله من تحولات وتأثيرات طبيعية واجتماعية، راح ينسج أفكاراً من وحي خياله في شكل مرويات شفوية بسيطة في شكلها وعميقة في أفكارها أهمها القصّ الشعبي هذا الابداع الفني الذي يمثل رؤية كاشفة عن الكون بكامل ما يحتويه من صراعات وتناقضات، تداولته جميع الشعوب والقبائل باختلاف ألسنتها وأمكناتها. فهو يعتبر من أعرق الأجناس الأدبية الشعبية والفنية وأكثرها تطوراً وتكيفاً من باقي الموروثات التعبيرية الأخرى. ولهذا السبب انصبت الدراسات الفولكلورية في دراسته بمختلف أشكاله وكشفت عن نشأته وأصوله.

ومن هذا المنطلق نتطرق إلى القصّ الشعبي على امتداده الزمني والمكاني الطويل وما يحمله من أجناس تعبيرية يختلف تقسيمها من باحث لآخر والتصنيف العالمي عموماً هو كالتالي: الأساطير، الملامح، السير والحكايات الشعبية بأنواعها، "فإنّما أن يعبر الشعب عن ارتباطه بالحياة العليا والقوى الإلهية، وحينئذ يخرج ذلك في شكل أسطورة، وإنّما أن يعيش الإنسان في الواقع التراجيدي ويحسّ بقسوته وحينئذ يخرج ذلك في صورة القصص الشعبي الواقعي.... أمّا القصص الخرافي فمبعثه الخيال الرومانسي الذي يعيش فيه هؤلاء الذين نصبوا حياتهم الفقيرة نحو الأبهة والعيش الطيب"¹.

الأسطورة..

تعد الأسطورة جنس قصصي ببدء تفكير الإنسان الذي ظل حائراً في طبيعة الكون وظواهره المختلفة، ليلجأ إلى السحر والطقوس الدينية من أجل تحديد مكوناتها وفهم طبيعتها في قالب مشوّق بشخصيات خارقة وكائنات غريبة وآلهة مسيطرة وبالتالي تبقى الأسطورة هي لبّ التفكير الإنساني القديم تجمع بين الحقيقة والخيال لحل بعض الرموز الغامضة في عصر من العصور.

¹ : نبيلة إبراهيم: سيرة الأميرة ذات الهمة، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ

ولعل هذا ما جعل الأسطورة تحظى باهتمام الباحثين لتشملت اتجاهات متعددة في البحث من مدرسة إلى أخرى ومن عالم لآخر كما كس مولر، أندرلانج، وجيمس جورج فريزر، وتعريفها لغويا يدلّ على كل ما يخط ويسطرّ من أباطيل وأحاديث عجيبة... وقد ورد في المعاجم العربية "السطرّ والسطرّ: الصّف من الكتاب والشجر والنخل ونحوها. يقال بنى سطرا وغرس سطرا، والسطرّ الخط والكتابة"¹. كما ورد لفظ أساطير في القرآن الكريم في تسعة مواضع في سياق تكذيب المشركين لرسالة النبي "محمد" صلى الله عليه وسلم عامة والقرآن خاصة فكانوا يصفون القرآن بأنه أساطير الأولين أي أباطيل وخرافات الأولين. "وقالوا أساطيرُ الأولين اكتتبها فهي تُملى عليه بُكرةً وأصيلاً"²، وقوله تعالى: "إِذَا تُنْتَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ"³. أما اصطلاحاً: "فهي محاولة لفهم أعماق الكون بظواهره الغريبة ومحاولة الجواب على أسئلة ظلت شائكة في فكر الإنسان فنسج أجوبة يختلط فيها الخيال مع الواقع بعد تأمل عجيب وخوف رهيب".

والملاحظ أن الأسطورة كما يؤكد بعض الدارسين مازالت لم ترسّ على تعريف موحد وشامل، ولكنّ المتفق عليها هو مجالها الموحد "الذي يدور حول الدّين وشعائره والتاريخ وحوادثه والفلسفة ومجالاتها والكون...."⁴، وفي خضمّ هذا التنوع نجدتها تنتفرّع إلى أنواع هي: الأسطورة الكونية "الطقوسية": تحكي عن ظواهر الطبيعة والكون وعمليات الخلق والعبادة مثل ظاهرة الخصب والجذب أهمّها أسطورة زواج الأرض والسماء، أدونيس وعشتروت، والأسطورة التعليلية: التي تحاول الإجابة عن تساؤلات كظهور الشمس بالنهار وظهور القمر بالليل وتواجد النجوم... والأسطورة الحضارية التي تؤكد على إثبات الذات وصراع الإنسان مع الطبيعة والبحث عن الاستقرار، مثل أسطورة "أسيديوال"⁵، التي يذكرها

¹ : مرسى الصباغ: القصص الشعبي العربي في كتب التراث، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة

الأولى، 2002، ص15

² : سورة الفرقان، الآية 05.

³ : سورة القلم، الآية 15.

⁴ : مرسى الصباغ: القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص17.

⁵ : أسطورة أسيديوال: الذي بحث عن ذاته من خلال تكرار زواجه الذي يفشل فيه كل مرة لعدم تلقيه الراحة ووجوده للمتعة فلم تسعه السماء ولا الأرض وظلت حياته تنتقل من مرحلة إلى أخرى ومن زوجة إلى أخرى ومن مكان إلى آخر إلى أن بلغ محتواه الأخير وهو الموت.

لفي ستروس والتي تحدثنا عن عدم رضا الإنسان عن نفسه مهما بلغ من المراتب العليا. وأسطورة الرموز الشخصية: التي تعبر بطريقة مجازية عن فكرة دينية أو كونية. وأخيرا الأسطورة الاجتماعية التي تلقي الضوء على حياة الأقدمين وما تحمله من عادات وتقاليد بدائية..

وفي ضوء ذلك التقسيم نجد أنّ الباحثين يختلفون في تعريفهم للأسطورة مثلما يختلفون في تشابهها بالسيرة والحكايات الخرافية، وهذا ما يؤكد الباحثون العرب ك:نبيلة إبراهيم في كتابها "سيرة الأميرة ذات الهمة، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت. وعبد الحميد يونس الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1995، وشوقي عبد الحميد السيرة والملاح الشعبية العربية، دار الحدّثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1984....على أنّ الأسطورة العربية غير موجودة في السير الشعبية عكس بعض الباحثين الذين يؤكدون وجودها عند العرب منذ القدم، معلّين ذلك أنّ الأسطورة كما أكدت عليه المدرسة الأنثروبولوجية: "سيرجيمس جورج فريزر" مرتبطة بالطقوس والآلهة وبالتالي فهي تختلف عن السير الشعبية التي تعد عملا قصصيا متماسكا ومتسلسل الأحداث.

واختلاف العلماء في تعريفاتهم للأسطورة اصطلاحا ومعنى أدى إلى الخلط بين الأسطورة والسيرة والحكاية الخرافية، فبعضهم جعل من الأسطورة حكاية خرافية ما أشار إليه أحمد كمال زكي عن الحكايات الخرافية "لأننا نعجز حقيقة أن نجد فروقا دقيقة بينهما وكثيرا ما تحكي الأسطورة عن أعمال تسندها بتفصيلاتها الحكاية الخرافية وإلا فهل ثمة فرق كبير بين رحلة "اوليس" و"رحلة جلجامش" أو السندباد، وما الفرق بين تتين الأساطير وتتين القديس أندرياس الخرافي"¹ مدعما فكرته بقول أرسطو في أنّ القدماء لم يفصلوا بين الأسطورة والحكاية الخرافية.

وعلى رغم اختلاف الدارسين في تحديد تعريفات موحّدة بين الأسطورة وخطهم بين الحكاية الخرافية والسيرة إلا أنّ بعضهم يؤكّد حضور الأسطورة عند العرب وينفي فكرة عدم قدرة الشعب العربي على التخيل والتأمّل والإبداع، معلّين ذلك بوجودها في ثنايا التراث

¹ : أحمد كمال زكي: الأساطير، دراسة حضارية مقارنة، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، 1979، ص 62

المنقوش رغم اختفاء بعضها لعدم تدوينه والعناية به لما عانتها هذه الشعوب من استعمار وتخريب.

وعليه نجد الأسطورة بين ثنايا كل المجتمعات " ثابتة عند جميع الأمم بدون استثناء وبغير شذوذ، فلا غرو إذا قلنا أنها توجد عند العرب أيضا..."¹، فما تحمله أشعار المعلّقات في العصر الجاهلي من تصوّرات وتجارب لحكايات تمتزج بين الحقيقة والخيال لدليل على قدرة الشعوب العربية على التخيّل والإبداع. "فوجود الحكايات الأسطورية والقصص الشعبية التي تشير إلى حياة معقدة تبدو موحشة أحيانا ومليئة بالمردة والعاريت والكائنات الممسوخة أحيانا أخرى ومفعمة بالأسرار والسحر، وقد تردّد كلّ هذا في بعض الشعر الجاهلي الذي وصل إلينا ومثل الأخبار التي رصدها المسعودي عن الهوائف والجنّ والغيلان"².

والملاحظ أنّ الطبقات الأولى من العرب القدامى وما وصلنا عنهم من قصص وحكايات شفهية ومكتوبة ومنها المنقوشة، دليل على وجود مادة أسطورية قائمة بذاتها كحضارات عاد وثمود، ومن أشهر النماذج الأسطورية العربية التي ذكرها التراث العربي وعلى رأسه الشعر الجاهلي هي الغول والعنقاء، وقد ذكرت حكايات الغول في ألف ليلة وليلة وفي الآيات السماوية حيث كان العرب يعتقدون أنّ الغيلان تتغول فتضل الناس وتأكلهم.

عموما يبقى القص الشعبي أسطورة كانت أو حكاية شعبية يسرد تفاصيل أحداث وقعت في زمن ما يختلط فيها الخيال بالواقع أبطالها أشخاص خارقة للعادة أو قوّة إلهية أو أشخاص عاديين تميّزوا بالشجاعة في مواجهة الظلم والقهر والقضاء على الشرّ والبحث عن الخلود مثل أبطال الأساطير المشهورة.

فبعد إفساح الآلهة الأسطورة الطريق عن شجاعة الأبطال الواقعيين تغيّر مسار التفكير الشعبي في شخصية البطل حسب الظروف الزمنية والمكانية وأصبح البطل شخصا واقعيًا يعبر بفكره وقوته عما يدور حوله وحول مجتمعه من أنظمة جائرة وظلم سائد بإرادة

¹ : المرجع السابق، ص 22.

² : المرجع نفسه، ص 24.

لا تقهر وشجاعة لا تخمدّ وصبر لا يفنى ولذلك ظلّ هؤلاء الأبطال متآلقين في سماء الخلود عبر حكايات توارثتها الأجيال مشافهة ومكتوبة تروى من خلالها بطولات ومآثر تسمّى بالسير والملاحم الشعبية فما العلاقة بينهما؟.

تعدّ السيرة الشعبية حلقة من حلقات الوصل بين الماضي والحاضر تسرد لنا وقائع تاريخية وبطولية لإحدى الشخصيات المرموقة والتي وضعت بصمتها عبر التاريخ لما لها من قيم بطولية في الدفاع عن القبيلة. تصوّر لنا أيضا السير الشعبية هؤلاء الأبطال التاريخيين تصويرا تسلسليا من الولادة إلى الوفاة عبر محطات حياتهم الحافلة بالأحداث الغريبة أحيانا والمشوقة أحيانا أخرى، أحداث بطولية للفارس الشجاع المدافع عن القبيلة وعن شرفها وشرف نساءها.

والسيرة لغويا يعني بها "السنة والهيئة والطريقة ويقال سار بهم سيرة حسنة".¹ وهي نوعان: نوع مدون مثل سيرة عنتر بن شداد ونوع شفهي مثل السيرة الهلالية التي مازالت حية تغنى في مصر وبعض مناطق المغرب العربي منها الجزائر، وهي تعدّ محطة وصل بين المشرق والمغرب.

حظيت السير والملاحم الشعبية عموما باهتمامات عديدة من الباحثين فتداخلت المفاهيم فيما بينها واختلطت التعاريف، قسم منهم يفصل السيرة عن الملحمة تماما وقسم آخر يجعلهما في مرتبة واحدة مثل شوقي عبد الحكيم الذي "يلاحظ مدى التداخلات بين السيرة والملحمة، فكلاهما في معظم الأحوال موضوعها الجوهرى هو الحروب والأحداث الجلية من حصارات وهجرات وسبي وخوارق وبطولات وفروسية"²، هذا إلى جانب طلال حرب وعبد الحميد يونس الذي يفضل تسمية السير باسم الملاحم لما وجده من تقارب وتشابه بينهما خاصة السيرة الهلالية وما يعتمده الشاعر من انشاد في روايتها³.

: ابن منظور: لسان العرب، مادة سير، ص 390¹

² : عبد الحكيم شوقي: السيرة والملاحم الشعبية العربية، دار الحدائث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1984، ص 06

³ : عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1995،

والملمحة عموماً كما يعرفها الدارسون هي "جنس أدبي يقوم على مطولة من الشعر تحكي عجائب الأحداث التي تتجاوز الواقع إلى الخيال الممغن في الغرابة وتتركز حول شخصية البطل"¹ مثل ملحمة "هوميروس" "الإلياذة" وقد اعتبرها مرسى الصباغ "أنها الجسد الذي يربط بين الأسطورة والحكاية الشعبية"².

ورغم هذا التشابه بين السير والملاحم في المبالغة والشعر إلا أن المفارقة تكمن في أن الملحمة صراع البشر ضد الآلهة عكس السيرة التي تجسد العلاقة بين البشر والخالق، فيما تتضمن الملحمة مضموناً أسطورياً: فالأوهام والخرافات الشعبية ما ينقص إلى حد كبير في السيرة التي تدور أحداثها حول شخصية معروفة تاريخياً. ومن أقدم الملاحم التي ذكرها التاريخ "ملحمة جلجامش" التي تروي أسطورة بطل يبحث عن الخلود.

"تجمع السيرة الشعبية مجموعة من الحكايات المشوقة لأخبار كانت تروى في زمن الجاهلية والعصر الإسلامي وعصر بني أمية وعصر بني عباس في خلق حكاية مكتملة تمثل أحوال الدولة الإسلامية في فترة زمنية محددة"³، ومن أهم السير العربية سيرة النبي محمد عليه السلام التي جهد في كتابتها مؤلفون كثيرون قديماً وحديثاً إلى جانب سير أخرى يحملها التراث الشعبي العربي وهي سيرة عنتر بن شداد وتعد من "أولوية السير من حيث زمن كتابتها بما تعكسه من آثار في الأعمال الأخرى ليتضح سبقها في التأليف ومكانها في مقدمة السير من حيث زمن كتابتها"⁴، تعكس لنا صراع العرب أمام الجاليتين الفارسية والرومية في العصر الجاهلي، ثم سيرة ذات الهمة وسيرة الظاهر بيبرس اللتان تعكسان لنا صراع الأمة العربية اتجاه الغزو الأجنبي وظلم الحكام، وسيرة علي الزئبق وسيف بن ذي يزن التي تروي أحداثاً وقعت في ظل الصراع الديني والعنصري.

¹: مرسى الصباغ: القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 27

²: المرجع نفسه، ص 27

³: يوسف إسماعيل: الرؤيا الشعبية في الخطاب الملحمي عند العرب، من منشورات اتحاد الكتاب العربي دمشق، 2004، ص 20.

⁴: فاروق خورشيد: أضواء على السيرة الشعبية، منشورات اقرأ بيروت، لبنان، بدون الطبعة والسنة، ص 30

فهي اذن ذخيرة كبيرة حاملة لمضامين مختلفة لم تصل إلينا كلها وإنما وصلنا منها مجموعة قليلة، ما أكدّه بعض الدارسين للسير والملاحم الشعبية حيث أشاروا إلى بعض السير التي لم نضع أيدينا على مخطوطاتها¹.

وانطلاقاً من هذا كله يمكن القول أنها مجموعة من الأخبار كانت تروى في هذه العصور وانتهت بنهاية حكم المعتصم بالله وبعد ذلك ظلت تروى فردياً، أما من حيث زمنها التاريخي فقد جرت أساساً بشبه الجزيرة العربية شمالها وجنوبها ومصر وبلاد الشام والعراق² ومعظمها لا ينحصر في زمنها الرئيسي بل تتقدمه أحياناً وتتأخر أحياناً أخرى، فالرواة لم يتقيدوا بالتاريخ بل تصرفوا على هواهم فكانوا يتناولون الشخصية التاريخية أو الحادثة الواقعية ويضيفون إليها أو يحذفون منها أو يعدلون فيها وفق هدفهم الفني³ ومن الأمثلة على ذلك سيرة عنتر بن شداد التي كان أثرها واضحاً في باقي السير خاصة " في طريقة رسم الأبطال ووصفهم في تقليد الأحداث التي يجريها المؤلف ليبرز من خلالها ملامح شخصية البطل"⁴.

ومن أهم السير المعروفة بانفراد شخصية البطل عن باقي السير الأخرى، سير عصر المماليك هذا العصر الذي التقى فيه الشعب العربي بالغرب فازدهرت فيه السير التي كانت تدفع بالشعب العربي إلى التشبث بالروح البطولية. تميز فيها البطل بشخصية منفردة عن باقي السير الأخرى خاصة من ناحية رسم الأحداث وشخصية البطل الحافلة بالخيال والخوارق والخرافات والسحر.

وفي ظل هذه المواجهة للقوى الصليبية والحروب السائدة ضد الغزاة تدهورت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للطبقات الشعبية وأصبح الفساد قائماً والظلم ظاهر تحت غطسة الحكام والأمراء لتعمّ الفوضى ويكثر الفساد.

¹: المرجع السابق، ص 28.

²: طلال حرب: بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، الطبعة الأولى، ص 346

³: المرجع نفسه، ص 66

⁴: فاروق خورشيد: أضواء على السيرة الشعبية، ص 18.

وعلى هذا الأساس أصبحت المواجهة الشعبية على مستويين مستوى داخلي ضد ظلم الحكام، ومستوى خارجي في مواجهة الروم الأمر الذي انعكس على حياتهم اليومية. وبهذين المستويين نستطيع أن نحدّد وجهة صراع السير الشعبية التي تميزت بصراعين "صراع ضد العدو الخارجي وصراع ضد عناصر في السلطة وليس ضد السلطة بكاملها"¹. "ولا شك في أن هذه الطبقات الشعبية كانت تنتظر من السلاطين والمماليك أن يتصرفوا في حكمهم وفق تعاليم الإسلام السمحاء والعادلة، إلا أن السلاطين والمماليك حجروا على الخليفة وحلوه إلى موظف لديهم"²، ولعل ذلك ما أدى بهم إلى اللجوء إلى معتقداتهم وتقاليدهم الشعبية التي تساعدهم على التأقلم مع مشاكلهم وتفسر لهم ظواهرهم الغامضة وتقربهم من الله عز وجل من أجل الخروج من أزماتهم اليومية .

2. تواصل الأجناس القصصية :

حضيت السير والملاحم الشعبية خاصة في عصر المماليك بالعديد من الحملات ذات المعتقدات الشعبية منها ما نتج في الإسلام ومنها ما نتج قبله وبعضها يعود إلى الأزمنة الغابرة يحمل مجموعة من الأفكار والمواضيع الخيالية والخرافة للعادة والتي من شأنها أن تجمع بين جميع الأجناس القصصية على مر الأزمنة.

فالقصاص الشعبي عموماً جاء من أجل خلاص الأمة من بؤسها جراء الانحلال والتفسخ الخلقي منه والسياسي وبالتالي لا يمكن للواقعية أن تحقق المحال وتبلغ المراد، ليحل محله نسا آخر هو النص العجائبي أو الخيالي الذي يملؤه السحر والجان والرؤى والخرافات مثل الكائنات والهدايا العجيبة.

ولما كانت قدرة الجانب الخرافي أو الأسطوري في تحقيق المحال ظل ملتصقا بالقصاص الشعبي لم يفارقه منذ بداية الحكى مرورا بسيرنا الشعبية خاصة عصر المماليك إلى الحكاية الخرافية وحتى الحكاية الشعبية لم تسلم في بعض ثناياها من تواجد هذا الخيال وداخلها. ومن أهم السير التي يمتزج فيها الواقع بالخيال سيرة سيف بن ذي يزن حيث

¹ : طلال حرب: السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، ص33

² : المرجع نفسه، ص31.

يستعين بالجن والكهنة في تحقيق مراده، وصورة عنتره بن شداد التي يظهر فيها بملاح البطل الأسطوري بتعامله مع الجن واستعمال قدراته الخارقة.

فالسحر يبقى منذ القديم إلى يومنا هذا المنفذ الوحيد للعديد من الناس وإيمان الطبقات الشعبية به لا يزال يلاحقهم لتحقيق المراد وبلوغ الأماني إلى جانب تصديق المنجمين والفلكيين. أمّا الجان مثله مثل السحر له ارتباط بالعصر الجاهلي وما قبله يحتلّ مكانة في السير الشعبية يشبه الآلهة الأسطورية. فارتباط الناس بالقصص الخيالية والغريبة المنافية للعقل يضلّ مرتبطين بأبعاد دينية كأولياء الصالحين والأسطورية كالجنّ والسحرة...

ومن خلال بعض هذه المعتقدات التي سادت الطبقات الشعبية في السير والملاح الشعبية على العموم نلمس تواصل الأجناس القصصية فيما بينها بين الأسطورة والسيرة وبين الحكاية الشعبية بمختلف أنواعها وهذا ما يدلّ على وحدة التفكير الشعبي.

فالجانب الأسطوري ظلّ جنباً إلى جنب ملازماً الفكر الشعبي مختبئاً في ثناياه، تلجأ إليه عامّة الشعوب وفي مختلف العصور، توظّفه في مروياتها الحكائية سيرا كانت أو حكايات ممّا أدى بالدارسين والباحثين أهمهم "فيس ستروس" إلى العناية البالغة بالأسطورة وتحليل بعض مظاهرها الثقافية والإنسانية.

ظلّ الإنسان يبحث لنفسه عن عالم سحري يخرج من مأزقه ويبعث الحياة فيه وهذا ما نلمسه في المضامين الموحّدة التي تناولتها جميع الأجناس التعبيرية من أسطورة وسيرة وحكاية، ذات الحمولة الثقيلة لمجموعة من المواقف المتشابهة فيما بينها ولهذا نلاحظ أن الحكاية الشعبية تحمل أشلاء بعض السير والملاحم الشعبية ونفودا لبعض الأساطير الخيالية التي تدلّ على وحدانية الوعي الجماعي في تحقيق الانسجام بين الواقع والطموح.

ومن خلال تمعننا في بعض الحكايات الشعبية نلاحظ تأثرها ببعض السير الشعبية المتناثرة هنا وهناك في مرحلة من مراحل تفككها أو نسيانها أو تحولها من مرحلة إلى أخرى أو من زمن إلى آخر، ويبرز هذا في التأثير القويّ الذي نحسّه ونشعر بوجوده في سرد بعض الحكايات الشعبية مثل: استعارة أسماء أبطال السيرة مثل: دياب، شاطر حسن، هارون رشيد ... كما أنّ الحكاية الخرافية لا تقلّ تأثراً ببعض الأجناس القصصية الأخرى

كأف ليلة وليلة، ويكفي أن نشير إلى حكاية علاء الدين والمصباح السحري وحكاية علي بابا والصوص الأربعين.. وحكاية الطير المغني... إلى جانب حكايات الجنّ والعفاريت كخاتم سليمان، الحصان الطائر.....

وليس هذا دليل على أنّ السيرة الشعبية أقدم من الحكاية الشعبية ولكن دليل على وحدانية الفكر الجماعي، فهما دوماً في تداخل وتبادل بين الأمم والشعوب وبين الزيادة والنقصان حسب مكانة وخصوصية كل مجتمع. وما احتوته من طابع خرافي يذهب بها إلى عالم الخيال في تفسير الظواهر الغريبة حسب المخيلة الشعبية و فكّ بعض رموز الكون.

3. حدود الأجناس القصصية:

تدور أحداث الأسطورة حول الظواهر الكونية وتبرير وجودها من أجل الحصول على توافق بين ما هو موجود وبين ما هو غير موجود، وكذا تحقيق الانسجام بين المحبوب والمكشوف ومنها أساطير أنساب الآلهة وأساطير نشأة الكون. أمّا الحكاية الخرافية فلا علاقة لها بأنساب الآلهة وإنما تحظى بمشاكل الإنسان وهمومه وإبراز موقف من مواقف الحياة، فهي تصوّر صراعاً بين الخير والشر بأحداث فيها من الخرافة والخيال ما تتجاوز به العالم الواقعي إلى عالم الروح والغيب والجن... فهي إذن "حكاية طويلة مملوءة بوقائع خيالية قد تكون حقيقية في الأصل، يرسل الحاكي فيها الكلام كما يواتيه طبعه، غير ملتزم بقواعد دقيقة بل على حسب ما أوحاه له خياله"¹.

وقد ينقص الخيال والخرافة بالحكاية الشعبية التي تتميز بهاجسها الاجتماعي وموضوعاتها الأسرية. فهي واقعية إلى أبعد الحدود تخلو تماماً من التأمّلات الفلسفية ولا يعني ذلك غياب العنصر الخيالي منها بل تستعمله للتشويق من جهة والخروج من مآزق الحكاية من جهة ثانية.

فالخيال لا يكسر واقعية الحكاية الشعبية مثلما لا يفقدها طابع الواقعية على الخرافة وعلى العموم فالحكاية الشعبية تسير في خط بسيط ومتسلسل في زمان ومكان حقيقيين،

¹: ليلي روزلين قريش: القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 104.

تعبّر عن حقائق ملموسة "كما تحمل من الرموز الإشارية ما يمكن أن يستوعب حركة الفرد والمجتمع أو لنقل حركة الفرد في إطار الحركة الديناميكية للمجتمع"¹.

تختلف الحكاية عن السيرة الشعبية التي تعد من أنواع "الحكى" فتتبلور حمولة الحكاية التاريخية التي يشق طريقها بطل عربي مسلم واقعي يستمد جذوره من بقايا بعض الأساطير والملاحم من أجل تحقيق هدف أو معالجة وضع، فيؤكّد مواقفه البطولية التي تمتزج بالعجائبية والغرائبية بغرض تعديل الواقع وتثبيت القيم.

وتبقى مضامين السير نفسها في الملحمة تتاجي الوجدان الشعبي من حروب وبطولات، وهي أكثر واقعية من الملحمة التي تركز على الخرافات والأوهام في قالب قصصي شعري مطول أبطالها أسطوريون مثل أخيل والإلياذة ولهذا يرجع الدارسون تطور الأساطير إلى ملاحم بعد أن تفرقت إلى أشلاء من الحكايات يشيع فيها السحر والخيال، ورغم إجمالنا لبعض العناصر الحدودية للأجناس القصصية إلا أنّ هذا لا ينفي تفاعل وتداخل بعضها مع بعض.

وداخل هذا الإطار تبقى الخرافة والخيال من الركائز الأساسية التي يعتمد عليها القصة الشعبي باختلاف أنواعه، بدأت بالنقصان تدريجياً منذ بداية الحكي "الأسطورة" فالمحمة والسيرة ثم الحكاية الشعبية. ومن هذا المنطلق يشير فاروق خورشيد² إلى الخلط في التسمية بين السيرة والملحمة حيث يقول: "وقد فضل البعض تسميتها "الأسطورة" كما أطلق عليها البعض اسم "الملحمة".. فهل السيرة الشعبية أسطورة أم ملحمة؟"

وبناء على ذلك يتبادر لنا الخلط الكائن فيما بينهما كعدم التحكم في الضوابط الكافية للترقية مع وضع حدود واقية تقي كلّ جنس عن الآخر. فالأسطورة مثلاً يوجد فيها من أوجه الشبه الكبير لعناصر الملحمة ما يخرجها عن حدودها مثل: سر الخلود، محور الأساطير كما ذكرنا سابقاً، وبالتالي فالأجناس القصصية تتلاقى في نقاط وتختلف وتتفرّق

¹: نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص44.

²: فاروق خورشيد، محمود ذهني: فن كتابة السيرة الشعبية، دراسة فنية نقدية للسيرة الشعبية، عنتر بن شداد، منشورات اقرأ، الطبعة الثانية، 1980

في أخرى، وما نستشفه في التطور الذي حدث من الأسطورة إلى الملحمة سمح بظهور فن جديد هو "السيرة الشعبية ومنه بداية العمل الروائي العربي"¹.

ولهذا السبب انقسم الدارسون إلى فريقين، فريق يجزم أنّ السيرة تختلف عن الملحمة من حيث الشكل والمضمون مثل: مرسى الصباغ، محمود ذهني، فاروق خورشيد... وأوضحوا أنّ الفرق يكمن "في صورة الملحمة التي تدور حول فكرة أولية عميقة هي صراع البشر ضدّ الآلهة، أمّا السيرة فإنّها تبعد تماما عن هذه الفكرة العقائدية التي تجسد العلاقة بين البشر والخالق في شكل صراع وقاتل". ورغم التضارب والاختلاف نحو تأكيد أو نفي التوافق بين الأجناس القصصية وصعوبة وضع جدار واق إلا أنّ ذلك يجسدّ وحدة نفسية الإنسان الشعبي وفكره الجماعي وهي ما تعرف بالأفكار أو المواقف الإنسانية العامة، أو الأفكار الأساسية وهي في رأي Bastiau شكل من أشكال الفكر الشائع بين الناس، أو يمكن أن ينشأ أليا وبشكل مستقل عن أفكار أخرى متشابهة في بيئات ثقافية مختلفة وذلك بسبب الوحدة النفسية بين البشر"².

وفي خضم هذا التراكم في حياة القص الشعبي نلتمس التعبير عن الذات الجمعية الموحدة زيادة على عملية التبادل والتماثل التي من خلالها يقبل النص للحذف والإضافة لما يتلاءم والوعي الاجتماعي"³، كلّ ذلك لا يعني أنّه يميّز جنسا عن الآخر أو ينقص من أصوله وعراقته، وإنّما يزيده تألقا يضيف عليه لمسة جمالية واستقلالية نوعية. ولما كانت لهذه الأجناس القصصية من قيمة بين الناس ظلّت تتداول من جيل لجيل ومن مكان إلى آخر ليتولد عنها فن جديد هو "الحكاية الشعبية".

"وهذا ما يميّز عبد الله البردوني في دراساته للتراث الشعبي التي خصّها بعدد كبير من الدراسات منها كتاب "فنون الأدب الشعبي في اليمن و"الثقافة الشعبية... تجارب وأفانيل"، بحيث ألغى الحدود بين الأجناس التعبيرية الشعبية، معلّلا ذلك بين الأسطورة والخرافة، بحيث لا يبدو مقتتعا لأنّ الأساطير التي نسبها اليونان إلى الآلهة كانت من

¹: فاروق خورشيد، محمود ذهني : فن كتابة السيرة الشعبية، دراسة فنية نقدية للسيرة الشعبية، عنتره بن شداد، ص252

²: محمد الجوهري : علم الفولكلور، دراسة المعتقدات الشعبية، الجزء الثاني، ص 22.

³: يوسف اسماعيل : الرؤيا الشعبية في الخطاب الملحمي، ص120.

صنع البشر ومن تصور الإنسان وعلى هذا لا فرق بين الخرافة والأسطورة والحكاية الشعبية ... وبعض الآراء الأخرى ترى أن كلَّ خرافة مكتوبة "أسطورة" لأنها انتقلت من الشفوية إلى سطور مكتوبة على حين أن التي لا تنتقل من الشفوية إلى الكتابة تظلَّ خرافة وهذا لا يشير إلى فرق بين صورة الخرافة وصور الأسطورة ولا يشير إلى التفاوت في الدلالة بينهما"¹.

4. مضمون الأجناس القصصية :

تلتقي مضامين الأجناس القصصية الشعبية بجميع ألوانها في محاور متشابهة تداولتها على مرّ الزمان، تدور حول ما آل إليه الإنسان من مشاق من أجل تحقيق المراد، أهمّها: الصراع من أجل البقاء بالقتل أو الحرب أو الهجرة والدفاع عن النفس والعرض والنسب والتمسك بالأرض والعرق ومحاربة الشر بأنواعه كلّ ذلك بالتوازي مع مشاركة المرأة التي كانت بمثابة الخيط المسير لمسار القص الشعبي والمغير لأحداثه.

أ: رغبة البقاء

تحدثت أعرق الأساطير والسّير والحكايات عن الخوف من الموت والتشبث بالحياة بطرق وأساليب مختلفة فظل أبطالها يقاومون الأهوال والمخاطر رغبة في البقاء و البحث عن الخلود.

كشفت السير والملاحم الشعبية عمّا عانته المجتمعات العربية من اعتداءات خارجية وداخلية أدّت بها إلى الهجرات المتتالية الغرض منها البحث عن الاستقرار مثل السيرة الهلالية التي بدأت هجرتها من الجزيرة العربية إلى أن وصلت الأندلس تحت راية الهلال. وإلى أبعد من ذلك ومنذ فجر التاريخ توالى الهجرات جماعية كانت أو فردية بحثاً عن الحياة وكان الماء المنفذ الأساسي لها وللاستقرارها.

تحدثت الملاحم والأساطير القديمة عن حب الحياة والبحث عن الخلود، وكانت ملحمة "جلجماش" من أقدم الملاحم التي تحدثت في هذا الموضوع من خلال ما سردته لنا عن دورة حياة "جلجماش" في قالب شعري مشوق يعتمد على المبالغة والتصوير هذه

¹: عبد الله البردوني: الثقافة الشعبية تجارب وأقوال يمنية، دار المأمون، القاهرة، 1988، ص 147.

الملحمة التي إتمدت على تساؤلات جلجماش الذي جال برا وبحرا ولم يجد لها جوابا فهو القائل: "...كانت عودة على بدء ... حيث خلق من التراب وسيرد إلى التراب ... وطعامه الطين والتراب ... حتى يوم كان في عزّ جبروته، وعلى الرغم من أنّ تثنيه إلاه ... لم يكن سوى ملك بشري أدمي لصيق بالتراب"¹. وهو الذي قال بعد استسلام وحزن: "لمن شقيت؟ لمن تعذبت وتعبت؟ لمن نزفت دم قلبي ولم أجد لنفسني مغنما ما؟! ترى أكل ما جنيت.... كان من أجل حية التراب"²...سؤال حيّر جلجماش "بعد أن اكتشف أنّه فان لا محالة، مصيره مصير صديقه "أنكيدو" ونهايته التراب نهاية البشر جميعا.

لازمت الإنسان منذ زمن بعيد محاولات عديدة للإجابة عن بعض القضايا الإنسانية كالخلود والبقاء، ولهذا ما زالت أصداء ملحمة "جلجماش" تدوي في السير والحكايات الشعبية ما يدل على الصراع الأزلي بين الموت والحياة. وأشلاء السيرة الهلالية التي ظلّ بطلها يبحث عن المأوى من ماء وكأ وهجرتهم المعروفة من المشرق إلى المغرب شاهدة على حب الحياة والبحث عن الأمان.

ب: المرأة

منذ البداية الكونية فقدت المرأة امتياز وجودها المختلف والمكمل للوجود الذكري وفقدت التعاطف الاجتماعي إلا أنّ القصّ الشعبي لا يمكن أن يخلو من ذكر المرأة كيف ما كانت صفاتها شريرة أو خيرة، ملكة أو خادمة، فهي حاضرة بداخله منذ حضور الأساطير الأولى بأشكال وصور مختلفة.

إنّ القصّ الشعبي في معظمه ينظر إلى المرأة بعيون مختلفة فقد يرفعها إلى منزلة سامية يعلي من شأنها كنساء الأساطير القديمة التي لعبت فيهم المرأة الدور الكبير بذكائها وشجاعتها في تخليص قومها من قبضة العدو مثل "أيوديت" أو "إليين" وجمالها الفاتن، كما كانت سببا في نزاعات القبائل ووقع الحروب "كأسطورة طراودة".

¹: مصطفى صمودي: من جلجماش ... إلى نيتشه، بحث في الثقافة العالمية، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر

والتوزيع، سوريا، الطبعة الأولى، 2008، ص 16.

²: المرجع نفسه، ص 16.

وضعت الأساطير المرأة في مجال البطولة ومهدت لها الطريق من أجل الوصول إلى مكان العدو بطرق سهلة وسريعة وبهذا "برأتها من المعاييب التي ألحقتها بها الأدبيات الثقافية الكهنونية، بل إنها قد نمذجت المرأة وقدمتها بعد التقشير، في أفضل صورها، وذلك انطلاقاً من (وطنية) الأسطورة، ومديحها العام لرموزها كافة..."¹

لم تبق وظيفة المرأة على حالها بل تغيرت وتبدلت منزلتها مع تحوّل مراحل التاريخ القصصي والأسطوري، فالسيرة الشعبية لم تغفل جانبها العاطفي من عشق وحبّ من قبل البطل، والسعي من أجل الزواج بها والكفاح من أجلها. وعلى غرار ذلك نلتمس حبّ بنات ونساء الملوك إلى عشق رجال أقلّ شأنًا منهم لكنهم أبطال مثل: حبّ عبلة لعنتر بن شداد، وتاج بحت للظاهر بيبرس، وشامة لسيف بن ذي يزن، ومهر دكار لحمزة البهلوان، ودياب لجازية. وبالتالي كانت لها مكانة عالية الى جانب البطل، تحبّه وتدافع عنه بكلّ ما أوتيت من قوّة وشجاعة وإخلاص ووفاء.

ج: النزعة القبلية والعصبية

ارتباط الإنسان بأرضه وانتمائه إلى قبيلته أو الفضاء الذي يعيش فيه جعل منه إنساناً محباً لوطنه ذا نزعة قبلية، فرغم ترحاله وتجوّاله تجده يعود إلى موطنه الأصلي لاعتزازه به وبنسبه. وسيرنا الشعبية تجسد لنا ذلك أحسن تجسيدا في الدفاع عن الأرض والدين والقبيلة مثل سيرة الأميرة ذات الهمّة.. "ويمكننا أن نقول إنّ حركة المجتمع العربي تجاه الغزو الصليبي يمثّل الهدف الاجتماعي لسيرة ظاهر بيبرس وتعكس بهذا عناصر التوحد بين أبناء المنطقة العربية رغم اختلاف الأصول والأجناس"².

ومن أبرز العوامل في تماسك البنية الاجتماعية للقبيلة، الافتخار بالنسب والفروسية والدفاع عن القبيلة وفي ظلّ تماسك الأفراد بانتمائهم إلا أنّ التفرقة الاجتماعية والعنصرية لا تخلو في معظم النصوص الشعبية منها العبودية واللون والجنس ما ترويه سيرة عنتر بن شداد والأميرة ذات الهمّة.

¹ : كاظم الحجاج: المرأة والجنس بين الأساطير والأديان، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، الطبعة الأولى، 202، ص 67

² : فاروق خورشيد: أضواء على السيرة الشعبية، ص 78.

طرحت مضامين الأجناس القصصية قضايا مختلفة لازمت الإنسان منذ القديم، فاختلقت في الشكل والتقت في المضمون. فعندما تتجول في رحاب هذه الأجناس القصصية يتبادر إليك ذلك التشابه القائم والتداخل الواضح فيما بينها إلى حدّ أنّ بعض الدراسيين للثقافة العالمية أكدوا أن بعض الأساطير انتحلت من بعض افكار ملحمة جلجامش ... كما انتحلت شخصيته تحت أسماء مختلفة، ونسبت أعماله أيضا إلى أحد أبطالها¹. "وقد يصل في بعض الأحيان هذا التشابه إلى درجة التطابق، فتضطرّ على الرّغم من إقرارك بعالمية الثقافة الى إدراك أنّ صانعي الأسطورة قد مروا بمراحل متشابهة مع مراحل الأسطورة الأخرى و تضطرّ إلى أن تقرّ بالفضل- شئت أم أبيت- إلى الأسطورة الأسبق في الوجود زمنا"²، وعليه "يمكن القول بأنّ الأسطورة هي المادّة الخام التي سطرّها القدامى كما جاءت في طيات أمهات الكتب والتي غدّت القصص الشعبي على مرّ الزمان إذ تكونت منها أغلب القصص المعروفة في يومنا هذا"³....

وفي الأخير نقرّ بأنّ معالم التمايز بين هذه الأجناس التعبيرية يدفع بنا إلى الخلط بين الأجناس القصصية من الأسطورة والسيرة التاريخية ثمّ الحكاية الخرافية، التي تقوم موادها الدلالية على اختلاق حكاية شعبية، هذه الأخيرة التي تتميز عن باقي الأجناس القصصية الأخرى التي ذكرناها بحسبها الاجتماعي الواقعي، الى جانب موضوعاتها التي تكاد تقتصر على العلاقات الاجتماعية والأسرية، فهي واقعية تخلو من التأمّلات الفلسفية، مركزة على أدقّ تفاصيل الحياة اليومية وهمومها، ولا يعني ذلك أنّها تخلو من عناصر التشويق والخيال في بعض أجزائها كالغول والجن والسحر.

¹ : المرجع السابق: ص 47

² : المرجع نفسه: ص 47

³ : ليلي روزلين فريش: القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 101.

الفصل الثاني: مفهوم الحكاية الشعبية

1. تحديد المفهوم:

يتميز القصص الشعبي برؤيته الإنسانية الموحدة التي تعبر عن الحالة النفسية والاجتماعية والثقافية للفرد، تلك الحالة التي تشترك فيها جميع الشعوب بصورة من الصور، ما يجعلنا نقرّ بالتداخل والانسجام الذي آل إليه القص الشعبي منذ بداية التفكير الإنساني، أي منذ بداية الأساطير الأولى إلى الحكايات الشعبية التي حطمت الحدود السياسية والإقليمية والقومية، ووحّدت التفكير الشعبي البشري، تداولتها الشعوب على مر الزمان فتطورت بتطورهم، وتغيرت مع تغير زمانهم. ولهذا السبب أو ذلك سار الدارسون والباحثون في درب البحث عن هذا الجنس التعبيري الشعبي الذي لم تقف أمامه السياسات العصرية ولا التفرقة بين الشعوب، ليظل يعبر في شكله ومضمونه عن كيان الوحدة الشعبية.

اختلفت المفاهيم والتعريفات بين المصطلحات مما أدى إلى انتشار مصطلح الحكاية في القطر العربي تحت مسميات مختلفة بخصوصيات اللهجة المحلية للمنطقة وهي متقاربة في مضامينها ففي مصر تسمى "الحدوثة الشعبية" وفي بلاد الشام تسمى "الحتوتة" أما في الجزيرة العربية "السالفة" وفي قطر "الحزايي" وفي الكويت "الحزليات" وفي الإمارات "الحزوفة والسالفة" وفي تونس "حَرْفُ لِي خروفة" وفي العراق "السالفة والحجاية" وفي السودان "الحجوه"¹.

أما في الجزائر "الخُرَيْفَة"، "مُخَارِفَة" ويقال "حَارَفْتَكْ أَمْخَارِفَة الشَّيْطَان على الاوطان" والملاحظ أن أغلب حكاية أجدادنا هي حكاية ذات طابع خرافي، ولهذا السبب يطلق على الحكاية الشعبية الجزائرية خُرَيْفَة أو مُخَارِفَة " خُرَيْفٌ". كما يطلق عليها كذلك "الحجاية" أو "مَحَاجِيَة"، والذي لا شك فيه أن اسم "محاجية" لا يعكس المضمون الحقيقي للحكاية إذ لا علاقة للحكاية بالألغاز والأحاجي"². فمصطلح "حَجَى" يُحَاجِي" مقصور على العقل

¹ : مرسى الصباغ: القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص55.

²: بوخالفة عزى: الحكاية الشعبية في بيئتها الاجتماعية، رسالة ماجستير، إشراف ليلي روزلين قريش، معهد اللغة والأدب العربي، الجزائر، 1994، ص 44

والفطنة والجمع أحجاء، وكلمة محجية : مخالفة المعنى للفظ وهي الأحجية والأحجوة، وقد حاجيته فاطنته، وقال الأزهري حاجيته فحجوته، إذا ألقبت عليه كلمة محجية مخالفة المعنى للفظ¹.

تختلف التسمية كذلك حسب اللهجات والمناطق الجزائرية كالمناطق الأمازيغية: فبالقبائلية تطلق عليها اسم " تيموشوها " والمناطق التارقية باسم " تنقتست " أو " تنقاس " والحسانية² باسم "المراد". ورغم الاختلاف في التسمية إلا أنها تتحد في الشكل والمضمون والهدف، يحدد عنوانها بأهم العناصر البارزة في الحكاية كاسم البطل أو حادث من حوادثها. ويسمي المجتمع الجزائري عمله "حكيا" أو "قصا" و"تخريفا" فيقال يحكى و"يقصص" و"يُخَرِّفُ" و"يُحَاجِي"³ فالترابط الملحوظ بين "القص" و"الحكي" جلي في التعريفات المختلفة لهما لتأديتهما الوظيفة نفسها وهي وصف الخبر ونقله ومشابهته.

عموما ثمة إشكاليات بصدد تعريف مصطلح "الحكاية الشعبية" وقبل الخوض في تحديد مدلولاتها نعرض على الاختلاف بين "القص" و"المحاكاة" والتداخل بينهما. فالحكاية فرع من القصص الذي نجمه في الأجناس التعبيرية كما يقرّ به معظم الدارسين للتراث الشعبي ولكن إذا أمعنا في ذلك نجد أنّ الحكي موجود في جميع الأجناس القصصية فما العلاقة بينهما ؟.

تداخلت مفاهيم الحكاية مع المحاكاة والخبر والسرد والقصّ فانقسم الدارسون لها في تحديد معانيها، وتجدر الإشارة هنا إلى أن القص الشعبي يعدّ أحد أشكال التعبير الشعبي يضم مجموعة من الفروع التعبيرية أهمها الحكاية الشعبية و"الحكي"، "حكي" حكاية أو المحاكاة أو التقليد " كقولك حكيت فلانا وحاكيتته فعلت مثل فعله، وحكوت عنه حديثا في معنى حكيتته، وفي الحديث: ماسرني أني حكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا، أي فعلت مثل فعله، والمحاكاة المشابهة، يقال حكاه وحاكاه..⁴

¹: ابن منظور: لسان العرب، (و- ي) ص 165

²: الحسانية: لهجة تستعمل بتندوف

³: عبد الحميد بورايو : البطل الملحمي والبطلّة الضحية، في الأدب الشفوي الجزائري، دراسات حول خطاب المرويات

الشفوية الأداء، الشكل، الدلالة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 12

⁴: ابن منظور: لسان العرب، ص 246

أما في معجم اللغة العربية المعاصرة "حكى" "يحكي"، احك حكاية، فهو حاك. حكى الأمر: رواه وقصه "حكى القصة - حكى ما حدث، حكى مع فلان": تكلم معه. حكى حركات رفيقه..حكاه في سلوكه، حكى الشيء: شابهه، وجهها يحكي القمر إشراقاً¹. فالحكي إذن هو نقل الكلام عنه أي شابهه وقلده هذا ما تشير إليه معظم المعاجم العربية. ويوضح أرسطو على أن المحاكاة غريزة في الإنسان تظهر فيه منذ الطفولة...ويجد فيها الناس لذة، تلك اللذة التي ترى فيها "نبيلة إبراهيم" أنها المتعة الحاصلة عن تلقي أو إلقاء الحكايات الشعبية وهي تلبية لخياله المتدفق من ناحية وتلبية لاحتياجاته النفسية من ناحية أخرى².

واللذة هنا لذة معرفية لرواية القصة وأحداثها المتسلسلة إما حكي عن الإنسان نفسه أو نقلا عن إنسان آخر وعليه تبقى الحكاية الشعبية ذات متعة لمستمعها ولملتقيها لما تحمله من أخبار تاريخية جديدة تكشف عن صورة المجتمع وسلوكاته، فهي " لفظ عام يدل على الحكاية السردية أو التي تنتشر بعد أو على حدث تاريخي خاص يمكن أن يلقي ضوءاً على خفايا الأمور أو على نفسية البشر كما يدل على أي سرد منسوب"³.

أما "المعاجم الأجنبية منها الألمانية تعرفها بأنها الخبر الذي يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لآخر أو هي خلق حر للخيال الشعبي ينسجه حول حوادث مهمة وشخص ومواقع تاريخية." أما المعاجم الانجليزية فتعرفها بأنها حكاية يصدقها الشعب بوصفها حقيقة، وهي تتطور مع العصور، وتتداول شفها كما أنها قد تختص بالحوادث التاريخية الصرفة أو الأبطال الذين يضعون التاريخ"⁴.

عموماً هي الجزء المتراكم والمترسب من التاريخ والثقافة الإنسانية عبر الأجيال نجدها في جميع الأجناس القصصية المختلفة تطلعنا على ميادين ومجالات وسلوكات مختلفة من الحياة القديمة، وتخبئنا عن بطولات تاريخية بحبكة خيالية يتداولها الناس

¹ : عمر أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، عالم الكتب، 2008، ص 540

²: نبيلة إبراهيم: الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة القاهرة الحديثة، بدون تاريخ، ص 236، 237

³: ياسين النصير: المساحات المخفية، قراءات في الحكاية الشعبية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة

الأولى، 1995، ص 35

⁴ : نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص134

مشافهة، هذه الأخيرة التي أضفت عليها سمات الاستمرارية والمرونة والتلقائية في التعبير وأكسبتها لذة لمعرفة أحوال الناس واختراق عالم مجهول، ممزوج بين الحقيقة والخيال.

أما القصة فهي الحكاية التي تتعلق بمكان واقعي أو بأشخاص حقيقيين نقلت بالتوارث من جيل إلى جيل مثل، قصة "سد مأرب" أو "قصة الزباء" أو قصة "داحس والغبراء" أو قصة "حرب البسوس" فهي تسجل الواقع والعمل على تعقبه. ثم تتسع الكلمة في مدلولها على استيعاب فنون السرد جميعاً¹. ومنها الحكاية الشعبية التي تعتبر قصة شعبية تحمل نفس معاني القصة التي تُفص كل ما كان مكتوباً أو مروياً. ولذلك وضعت ليلي روزلين قريش مصطلح القصة الشعبية في دراستها لبعض الحكايات الجزائرية التي تدور مواضيعها حول محاكاة الواقع واختلاطه بالخيال والخرافة.

"ويقال قصصت الشيء إذ تتبعت أثره شيئاً بعد شيء، والقصة الخبر، وهو القصص وقصّ عليّ خبره ... أورده"²، فهو مصطلح قديم قدم التراث العربي تداولته العصور الجاهلية بشكل كبير فمن "يرجع إلى العصر الجاهلي وأخباره يجد النثر يلعب دوراً مهماً في حياة العرب، إذ كان عرب الجاهلية مشغوفين بالتاريخ والقصص عن فرسانهم وواقعهم وملوكهم ويقطعون لذلك أوقات سمرهم في الليل وحول خيامهم"³. وقد ذكر القصص في القرآن الكريم في عدة آيات قرآنية أهمها سورة "القصص".

والملاحظ أنّ القصّ يسرد ويتبع تفاصيل الأحداث شيئاً فشيئاً، بشكل مطابق، ووجه حقيقي، فهذه ينتبع الأحداث والحكاية تقليد لها، وهذا يمكن تعليقه بالتغيير والتبديل الذي يصاحب الحكاية الشعبية ما يفسر قلتها عبر العالم إذا ما قورنت بعدد رواياتها ليتأكد لنا مرونتها وعراقتها.

والجدير بالذكر أن الحكاية الشعبية تقليد لمجموعة من القصص التعبيرية الشعبية المختلفة التي سبق وأن ذكرنا جزءاً منها أو محاكاة للحياة الاجتماعية العامة، ومن الملاحظ جداً أنّ ما يجمع بين الحكاية والقصة مصطلح "الشعبية" هته الكلمة المشتقة من

¹ : ليلي روزلين قريش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 101.

² : ابن منظور: لسان العرب، ص 341.

³ : شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة، ص 15.

كلمة "شعب" والتي تعني عند ابن منصور ما تشعب عن قبائل العرب، والشعب: القبائل....وحكى ابن الكلبي عن أبيه ... الشعب أكبر من القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ... قال أبو أسامة هذه الطبقات على ترتيب خلق الإنسان، فالشعب أعظمها مشتق من شعب الرأس، ثم القبيلة قبيلة الرأس لاجتماعها، ثم العمارة وهي الصدر، ثم البطن، ثم الفخذ ثم الفصيلة، وهي الساق¹. ومن ثمّ فإنّ كلمة "شعب" حدّدها صاحب لسان العرب بالقبيلة العظيمة أو مجموعة من القبائل. ويبقى الغموض يصاحب هذه الكلمة في تحديد معناها خاصة عندما تصطدم بكلمة "عامي" فأين تقع حدود هاتين الكلمتين في الثقافة الشعبية؟.

وحتى لا نصطدم بتداخلات المفاهيم والتعاريف، نلتزم بتفسير كلمة شعبي خاصة وأنّ ما يهمنا هنا هو تحديد مفهوم الشعب، فالشعب في ضوء هته التعريفات "هو مجموعة من الناس.... مجتمعين أو مفترقين. وبما أنّ الشعب هو القبيلة العظيمة أو مجموعة من القبائل وبما أنه أكبر هذه الأقسام السابقة إذن فهو كما في مدلول كلمة "شعب" أي تفرق وتباعد وانتشر"².

لا يزال مصطلح "شعبي" يعاني غموضا والتباسا دلاليا، فالمختصون لا يعطون جميعا الدلالة نفسها، فكلمة شعبي تجمع معاني ومضامين كثيرة أهمّها: الشعب، الانتشار، الخلود وعليه فإنّ ما يؤسس عليه تحديد معلم الشعب عموما هو: الانتشار والخلود أو التراثية والتداول³، وهكذا يمكن ضبط الحكاية الشعبية كنمط من أنماط الأدب الشعبي الذي يعدّ جزءاً لا يتجزأ من الفولكلور أو المأثور الشعبي، اتسم بالتداول والمرونة والانتشار بين الشعوب عن طريق الرواية الشفوية التي تحاكي أحوالهم الاجتماعية وتصور مظاهر حياتهم.

¹ : ابن منظور: لسان العرب، مادة شعب، ص 498

² : مرسى الصباغ: القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 8.

³ : أحمد مرسى: الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، دار مصر المحروسة، القاهرة، 2008، ص 13.

ونشير أخيرا إلى أنّ من أهم الأسباب الرئيسية في صمود هذا الجنس التعبيري عبر الزمن وانتشاره عبر البشر اعتماده على الشفهي الذي كان سببا في استمراره. فما علاقة الحكاية الشعبية بظاهرة الشفهي؟.

2. الحكاية الشعبية ومسألة الشفاهية:

الأدب ليس كل ما هو مكتوب كما هو متعارف عليه عند معظم الدارسين وقد نجد الأدب الشفهي هو أيضا أدب حامل لفنيات وجماليات تجعل منه أدبا قائما بذاته والدراسات برهنت على أن آداب الشعوب هي آداب شفوية أي منطوقة ذات جماليات وفنيات تعبر فيها الجماعة عن نفسها.

اعتمدت الشعوب البدائية الشفهي واعتبرتها تواسلا بينهم، تعتمد على المباشرة اللغوية في إنتاج وتلقي خطاباتهم وتتميز بالعفوية والتلقائية، وعليه أصبحت الكلمة المنطوقة هي المسيطر الوحيد والقوة الفعالة في تجسيد أفعالهم وأعمالهم لما لها من قدرة في تحقيق التواصل والترابط الاجتماعي " فالصوت له الدور في الحفاظ على المجتمعات البشرية والذي غدا اليوم أمرا ثابتا لا جدال فيه، ذلك لأن مجموع ما يسمى بالمأثورات الشفهية لمجتمع ما يشكل فيه شبكة من المبادلات الصوتية التي تمثل أعرافا وتقاليد سلوكية ثابتة بدرجة أو بأخرى وتتمثل وظيفتها الأولى في تأمين استمرار إدراك الحياة.."¹.

تنخرط الحكاية الشعبية إذن في ظاهرة الشفهي التي لم تكن كثيرا بنظريات الأدب فكان هدفها التعبير بشفوية عن الشعب والمحافظة على سروده المتوارثة "وإذا تمعنا في الاهتمام بهذه الظاهرة نلاحظ أنها توسعت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في أوروبا من أجل نظرة تاريخية... وتمت عمليات الجمع الكبرى في فرنسا من قبل انتولوجيين... أو مهتمين محليين"²، ومن أعظم الحكايات التي كانت تروى مشافهة

¹ : محمد حسن عبد الحافظ: سيرة بني هلال، الشفهية ودرس الاختلاف، مجلة الفنون الشعبية، القاهرة، العدد 79، 80،

ديسمبر 2008، ص 62

² : بياربونت ميشال ايزار : معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة وإشراف : مصباح العمدة، بيروت، الطبعة الأولى،

2006، ص 46

حكايات "الاسكندر الأكبر في الشرق الأدنى، وجمع بعضها إلى بعض في مخطوطة إغريقية في الإسكندرية على وجه الاحتمال"¹.

وعلى ضوء هذه العلاقة يمكن لنا أن نُقرّ بتلك المواهب القولية والصوتية التي تبنّاها الإنسان الشعبي منذ القديم في بناء حواراته وحكاياته، مستعينا بوسائل الأداء الشفهي "و ما وصلنا من الأقاليم الشعبية المصرية القديمة يدلنا على عراقة الأدب الشعبي الشفاهي عندنا، فقد وصلتنا نماذج من الأقاليم المصرية ترجع إلى القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد"².

ومما لا شك فيه أيضاً أن الرواة هم من ساهموا في تطوير واستمرار الحكاية الشعبية و"بالغوا في إرضاء جمهورهم وكسب رضاه وتأييده ويمكن القول إن هذه المبالغة على نوعين: الأول مقبول والثاني مرفوض أو ضعيف أو غير معقول"³، ورغم ذلك جعل منه المجتمع حكيمًا يحظى بالتبجيل والاحترام داخل الجماعة لما كان يتمتع به من مسحة قداسية تطبع كلامه وتربطه بماضي الأجداد المقدس...". ولا يحصل الراوي على صفة الراوي statut إلا إذا اطمأنت الجماعة بأنه استكمل الشروط الضرورية لذلك كالتحكم في الأدوات الفنية في عملية القصّ، وقوة الذاكرة والقدرة على التجديد والفصاحة وسعة الإطلاع..."⁴، وبهذا تمنحه الجماعة التوكيل أو "السلطة الرمزية". ويمكن أن نصنّف هؤلاء الرواة إلى قسمين: رواة محترّفين ورواة غير محترّفين والمقصود بالاحتراف هو اتخاذ الرواية كمهنة، والرواة غير المحترّفين فهم لا يحترّفون الرواية بالمعنى المذكور في الاحتراف"⁵.

¹: أ.ل. رانيللا: الماضي المشترك بين العرب والغرب، أصول الآداب الشعبية الغربية، ترجمة: نبيلة إبراهيم : مراجعة فاطمة موسى، عالم المعرفة، سلسلة ثقافية شهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1999، ص 68

² : أحمد صالح رشدي: الأدب الشعبي، ص 25

³ : طلال حرب :بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، ص105

⁴ : حميد بوحبيب : مدخل إلى الأدب الشعبي، مقارنة أنثروبولوجية، ص102

⁵: عبد الحميد بورايو :القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص34

يساهم هؤلاء الرواة في نشر الحكاية الشعبية على نطاق أوسع خاصة الرواة المتجولين الذين أكدوا على تواصل الأجيال بالكلمة المنطوقة بأمانة في التبليغ، ولكن المشكلة الأساسية التي اعترضت طريقهم هي مشكلة الاحتفاظ ومقاومة النسيان مما اعترضهم إلى تغيير النصوص والتداخل فيما بينها. "وعليه صنّف الدارسون الرواة إلى فاعلين ومتقبلين أو سلبيين وهو تقسيم مبنٍ على مدى قدرة الراوي على النقل والتوصيل والتطوير، وعلى مدى المحافظة على النص الشفهي وتقديسه"¹.

فالإبداع الشفاهي الذي لا شكل خارجي ثابت له، كان عليه -على مر القرون- أن يخلق لنفسه وسائل تقليدية تساعده على أن يحفظ بالذاكرة موضوعات شديدة التعقيد، وكانت هذه الوسائل التقليدية في الأسلوب والبلاغة تساعد على تذكر النصوص من جهة، وتساهم في إعادة تشكيل وخلق نصوص جديدة عن طريق الارتجال من جهة ثانية"².

وعلى ضوء ذلك يحاول الراوي جاهدا ترسيخ وتقوية ذاكرته عن طريق مجموعة من الوسائل كاستعادة الحكاية باستمرار وتوفير طقوس إلقائها وإيقاع موسيقي وتعبير جسدي. وانطلاقا من هذا كله تتمحور قدرة الشفهي في الحفاظ على الذاكرة الجماعية والتواصل الشعبي دون وسائط.

وعليه فالتعبير الشفهي هو حوار حقيقي بطريقة مباشرة وبشكل مستمر يظهر جليا في الحكاية الشعبية التي نقلت من قبل رواة بطريقة تشمل التسلية والمتعة والمعرفة والحكمة على مر الأجيال بعفوية في الإلقاء وأمانة في الأداء. وعلى صعيد آخر إهتم الرواة بمسألة المحافظة على الموروث الشفهي واتخذوا منها طابعا مقدسا يحفظ إرث أجدادهم، حيث اجتاز كل القيود وظل صامدا، لأجل ذلك تؤكد نبيلة إبراهيم " عن أهمية الدور الذي تلعبه الرواية الشفوية في تشابه التراث الشعبي في جميع أنحاء العالم بسبب

¹: بوخالفه عزي: الحكاية الشعبية في بيئتها الاجتماعية، رسالة ماجستير، ص 50، انظر أحمد مرسي: مقدمة في

الفولكلور، ص 141 ويوري سوكولوف: الفولكلور قضاياه وتاريخه، ص 22

²: يوري سوكولوف: الفولكلور، قضاياه وتاريخه، ترجمة حلمي شعراوي، عبد الحميد حواس، الهيئة المصرية العامة

للتأليف والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة، 1971، ص 29

التأثير والتأثر، التغيير والتبديل"¹، الذي انجّر عنه تمازج الحكاية الشعبية بالأساطير والسير كقصة "الاسكندر الأكبر" التي تتواجد شظاياها في أغلب حكايات العالم.

ومما لاشك فيه أن الرواة هم من ساعدوا على صمود الحكاية الشعبية ووصولها إلينا عبر عصور مختلفة من مناطق العالم بحيث لعبوا دورا بارزا في بقاء الحكاية حية، وباختنائهم اختفت الحكاية الشعبية. وتعد سيرة بني هلال السيرة العربية الوحيدة التي لا تزال تروى شفاهيا في المجتمع العربي وبالخصوص في المجتمع المصري، سواء على مستوى الهواية أو الاحتراف، وهذا ما أكدته إحدى الدراسات الميدانية في عدد من محافظات مصر " قنا وسوهاج"الوجه القبلي"والمحافظة الغربية"الوجه البحري"². أما رواية الحكاية الشعبية الجزائرية التي مازالت ذاكرتهم حاضرة لرواية الحكاية الشعبية هي الرواية NORA ACEVAL من منطقة أولاد سيدي خالد " تيارت" تهتم بالحكاية الشعبية الجزائرية أداء ودراسة³.

عرف المجتمع الجزائري منذ قرون ظاهرة احترافية رواية الحكاية في فضاء اجتماعي معين كالأسواق الشعبية، والمناسبات العامة والمقاهي، ويطلق عليه اسم "المداح" أو راوي الحكاية تلك الحرفة التقليدية التي سادت المجتمع الجزائري يقوم من خلالها المداح بسرر أجمل وأغرب القصص التي يستأنس بها المستمع من جهة ويأخذ منها العبر والحكم من جهة أخرى.

وقد سمي "بالمداح" لحمله العديد من الحكايات الشعبية التي تتعلق بمدح الرسول عليه الصلاة والسلام والأنبياء والأولياء الصالحين وبطولات الفتوحات الإسلامية وهو يختلف في قدراته المتفاوتة عن باقي الرواة الآخرين حسب قوة ذاكرتهم وجرأتهم في الأداء وتقتصر هذه الفئة على الرجال نظرا لطبيعة الفضاءات التي تقدم فيها الحكاية، فيما تبرز الرواية النسائية للحكاية الشعبية داخل الأسر وبين الأفراد. و تعود رواية الحكاية الشعبية

¹: نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 166

²: خالد أبو الليل: تاريخ السيرة الهلالية في محافظة قنا : دراسة للراوي والرواية، رسالة دكتوراه، جزآن، مكتبة جامعة

القاهرة، 2007

³: Nora aceval : Conte du Maghreb : Site : zauzi Bart. Com / NORA ACEVAL / accueil.

Htm depuis 1997

لهذه للعنصر النسوي إلى العصور القديمة حيث تركز على حكايات أغلبها خرافي يجمع المرأة بأفراد العائلة في فضاء طقوس معين.

ويمكن أن يقال أيضا عن الحكاية الخرافية باعتبار روايتها أنها تمثل بقايا طقوس سحرية كانت تؤديها الساحرات، وظلت ممارسة روايتها ونقلها منذ أقدم الحقب التاريخية مرتبطة بالجدّة العجوز أو الأم أو بالأخت الكبرى¹، وعليه تبقى المرأة هي واضعة الحكاية منذ القديم اعتمادا على أن السحرة الأقدمين كان أبرزهم من النساء².

إن الحكاية مرتبطة بالسحر وبالمرأة المسنة التي لاتحكي حكايتها إلا في الليل تلك الحكايات الممزوجة بين الخيال والواقع المحلي والعالمي خاصة في المناطق الريفية ومازالت ذاكرتنا تحتفظ ببعض الأجزاء أهمها:

"بُمِ دِرْتِهَآ بِيَّ قُدَامَ لِأَنْدِيرَهَا بِيكُ"... "مِلِي رَاحِتْ عَشْبَةَ خَضَارَ مَا صَبِتْ أَمْطَارَ، مَا لَقَاتِ النَّاقَةَ بَاهُ تَرْبِيِ الْإِحْوَارَ"... "حَرَكَوْنِي بَعُوَيْدَ نَطِيبَ"... "وَكَانَ مَا بَزُولَةَ عَيْسَى وَمُوسَى نُدِيرَ لَحْمَكُ فِي لُفْمَةَ وَدَمَكُ فِي جُعْمَةَ وَعِظَامَكُ بَيْنَ سَنَانِي بِطَرَطُفُوا"... "سَلَكْنِي مِنْ رَاسِي نَعِطِيكَ وَحَدَةَ مِنْ خِرَاصِي"، "رِيحْتِ الْقَصْرِي وَالْمِصْرِي"... "لُعُودُ لِتَحَقَرَهُ بِعَمِيكَ"... الخ. عبارات احتوت على صيغ ذات إيقاع موسيقي مما يرسخها في الذاكرة لتوظيفها كلما دعت الحاجة إليها، لذلك قلما تخلو حكاية من حكاياتنا مثل هذه الصيغ وقد يتم أحيانا تكرارها بأصوات معينة.

ومن الطبيعي جدا أن المحافظة على النصوص الحكائية لا يكون إلا بلهجتها الطبيعية حتى لا تتدنثر، لأننا سنخرجها من نسقها الطبيعي إلى نسق غريب عنها وبالتالي سوف تموت وتتدنثر، فحياتها مرتبطة بطبيعة نسقها اللغوي الشعبي والشفهي الذي حافظ عليها من الزوال وسهل من إعادة استحضارها. هذا ما أكدته نبيلة إبراهيم "بأن يبقى

¹ :Camille Lacoste –Dujardin : le conte kabyle, étude ethnologique, François Maspero, paris, 1970.p 23

²: عمر عبد الرحمان السارسي: الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1980، ص 145

الدارس نص الحكاية على حاله دون تغيير تماما كما يحافظ على الدين الذي هو توثيق من عند الله¹.

فتجريد الحكاية من لغتها، حالها حال تجريد الجسد من الروح الذي يمثل المجموعة الشعبية الجماعية، فلا يحق لنا تبديلها أو تحويلها حتى لا نطمس تلك الروح النابضة بها "فلذة القص تقتضي ألا تقطع النص حاشية من حواشي التصحيف، أو خطأ طباعي أو إملائي هنا أو هناك، وإلا فما معنى تحقيق نص قصصي، هو في روحه نص شفاهي، برغم كونه نصا مكتوبا"².

وعليه ليس الكلام الشفهي وحده الأداة التعبيرية الأساسية لهذا الفن وإنما اصطحابه للعديد من التعابير الجسدية التي فيها قدر من التمثيل والتقليد، منحه قدرة كبيرة على التأثير واللذة والمتعة بتلك الإشارات الجسدية كاليدنين والعينين والرأس ما أكسبها سحرا خياليا مكنها من الانتشار والخلود عبر العصور.

3. الحكاية الشعبية في المنظور الغربي والدراسات العربية :

جاء الاهتمام بالحكاية الشعبية في القرن الثامن عشر أي سنة 1812 على يدّ "الأخوان جريم" التي كانت تحركهما فكرة أساسية تتلخص في الكشف والبرهنة على عراقة الثقافة الألمانية وغناها³، فقاما بتصنيف وشرح الأساطير الألمانية. يبقى المنتبغ للدراسات الشعبية ينظر إلى تلك النقلة النوعية لهذه الدراسات والتي شهدت تطورا واهتماما في مجالات البحث، مما أدى بمعظم الباحثين في الدراسات الشعبية إلى تغيير بعض من طبيعة دراستهم ومن المنهجية المعتمدة، ومن أهم بواكير هذا الاهتمام تلك النهضة التي نشأت مع نشأة الرومانسية وتبيان الشعوب لأصالتهم وقوميتهم وإثبات خصائصهم الشعبية،

: نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 69¹

²: هشام عبد العزيز: محمد رجب النجار تحقيق التراث بين الشفاهي والمكتوب، مجلة الفنون الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد 71- سبتمبر 2006 ص36. منقول عن : أحمد بن محمد بن عرب شاه : فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، تقديم وتحقيق وشرح : محمد رجب النجار، سلسلة الذخائر، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2003، ص 36

3: يوري سوكولوف: الفولكلور، قضايا وتاريخه، ص36

بداية من غرب أوروبا، فكان لجمع الأغاني والحكايات والأساطير أكبر الأثر في التراث. ومن أقدم جامعي هذه الحكايات حكاية "بيلو اوزيرو" بالاشتراك مع أخيه "بورس" سنة 1915، إلى جانب "تيودور بنفي" أول من رمى بسهم لتفسير... التشابه (في الموضوعات) في مقدمة مطولة شهيرة لمجموعة الحكايات الهندية "بنتشاتنترا" (الكتب الخمسة) لما ترجمها إلى الألمانية، فأرجع تشابه موضوعات الحكايات الهندية مع الحكايات الأوروبية وغير الأوروبية إلى الصلات الحضارية بين الشعوب¹.

كما لانستهيّن بمساهمة "هاردر" في العناية بالأدب الشعبي بعدما وجّه الأنظار إلى مواد الخام لأدب قومي ألماني². ومن أهم العوامل التي أدّت به إلى الاهتمام بالتعبير الشعبية ما كان يخلج في نفسه من ميول شديدة نحو الطبيعة ومن اشتمزاز من تكلف القرن الثامن عشر الذي كان يمثل عصر الإفراط في الدقة³.

وقد دعت هذه الجهود إلى بذل جهود أخرى في الدراسات النقدية للعديد من المدارس والمناهج المختلفة التي تطرقت إلى الحكاية الشعبية وأهمها: منهج "فلاديمير بروب" ووظائفه الإحدى والثلاثين أو المنهج المورفولوجي والذي يعتبر من أقدم المناهج التي لقيت صدق كبيراً لحد الآن في تناولها الحكاية... ثم المنهج النفسي للعالم الأمريكي "و. وندت" الذي اهتم بمبدأ التقسيم النفسي ومنهج الموضوعات للعالم الروسي "ر.م. فولكوف". وبعد الانفتاح الملاحظ على العديد من ثقافات العالم والتأثير فيما بينها تمكنت بعض الدراسات الأخرى من تثبيت فرضيات واستنتاجات أهمها نظرية: "كلود لفي ستروس" في دراسة الأسطورة ومقارنتها والتي نتجت عنها المدرسة البنوية بحيث وحدت هذه المدرسة العقل الإنساني، مستدلة بتشابه أساطير العالم التي ولدت من أفكار وحاجات إنسانية. والملاحظ أن "لفي ستروس" يشتغل على الأساطير أساساً بينما يشتغل بروب على الحكايات... وهما يقران بالتشابه بين الأسطورة والحكاية⁴.

¹ : المرجع السابق: ص 43.

² : ليلي روزلين قريش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 19.

³ : المرجع نفسه: ص 19

⁴ : كلود لفي ستروس وفلاديمير بروب: مساجلة بصدد: "علم تشكل الحكاية"، ترجمة: محمد معتصم، دار قرطبة

للطباعة والنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1988، ص 14-15

وتجدر الإشارة هنا إلى ذكر دراسات الباحث الانكليزي "تايلور" في كتابه: "الثقافة البدائية" حيث يؤكد على التشابه بين التصورات أو الأساطير أو غيرها من المأثورات الشعبية....

وعلى هذا النحو سار العديد من الباحثين أمثال "اندولانج" والفرنسي "بدييه" bedier في إعلانهما أن الحكايات الخرافية يمكن أن تظهر في شكل متماثل في جميع أنحاء العالم". ولقد كان كذلك للمدرسة التاريخية- الجغرافية الاسكندنافية واهتمامها بنماذج الحكايات أثر كبير على علماء الفولكور الدارسين عن أوربا والمهتمين بتاريخ النصوص ومصادرها وانتشارها¹.

أما العناية بالحكاية الشعبية في الساحة العربية فقد تراكت مجموعة من الدراسات التي تناولتها بالدراسة والتدوين، والحكاية كفن تعبيرى شفهي حضّي بمكانة هامة، وتمّ تناوله في شتى المناهج التاريخية والاجتماعية والأنثروبولوجية والنفسية أهمها "منهج فلاديمير يروب" الذي أولت له الدراسات العربية الكثير من الأهمية لما حققه من نجاح في تأكيد وتثبيت تطابق تلك الوظائف الإحدى والثلاثين على معظم حكايات العالم. ومن أهم الرواد العرب لهذا المنهج "نبيلة إبراهيم" التي وظفته في العديد من الحكايات العربية فوفقت فيها وأصبحت رائدة الأدب الشعبي العربي-خاصة في كتابها «الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق» و«قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية» منذ منتصف الستينيات من هذا القرن حيث سبقت فيهما إلى تطبيق المنهج الشعبي التحليلي عن طريق تفسير الحكايات الخرافية.

هذا إلى جانب دراسة "سهير القلماوي" "ألف ليلة وليلة" والتي تعد من أفضل الدراسات التي جمعت المنهج التاريخي إلى المنهج التحليلي وقد أنتج هذا الكتاب عدة كتب مهمة أخرى تناولت هذا الجانب أو ذاك، ككتاب "أحمد محمد الشحاذ".

أما في العراق حاول "كاظم سعد الدين" استخراج موتيفات عراقية خاصة بالحكاية الشعبية تعتمد هي أيضا طريقة يروب، أما "أروى عبده عثمان" فقد تناولت "الحكاية الشعبية

¹: بيار نوت ميشال ايزار: معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة وإشراف: مصباح العمدة، الطبعة الأولى، بيروت،

بين التوثيق والدراسة باليمن" و"عبد الله البردوني" في دراساته "فنون الأدب الشعبي والثقافة الشعبية"، و"علي محمد عبده" في كتابه "حكايات وأساطير يمنية"، و"المياء باعشن" في "الحكاية الشعبية الحجازية". "أما إذا أمعنا النظر في تاريخ الأدب الشعبي العربي والعوامل التي أدت إلى القيام بالأبحاث والدراسات حوله فنلاحظ أن الأول الذي رجع إليها هو عبد الرحمن بن خلدون ... الذي قد جمع مقتطفات من أشعار السير الشعبية، خاصة السيرة الهلالية"¹.

أما في المغرب فلم يقل الاهتمام عن باقي الدول بما أولاه الباحثون من أهمية لهذا الجنس بحيث تعددت البحوث والدراسات، متأثرة مثلها مثل الشعوب الأخرى بالنتائج التي توصلت إليها الدراسات في غرب أوروبا وأصبحت للحكاية الشعبية المكانة أو الصورة التي نعرفها اليوم، ومن أهم المهتمين بهذه الدراسات "مصطفى الشاذلي" في دراسته "تحليل سيميائي للحكاية الشعبية" و"الحكاية الشفاهية أوليات تمهيدية ومنهجية" و"محمد فخر الدين" "الحكاية الشعبية المغربية" و"مصطفى يعلا" القص الشعبي المغاربي و"محمد بن شريفة" "الحكاية الشعبية في التراث المغاربي" ...

إنّ الكم الهائل للموروث الشعبي العربي وما يتميز به من خصوصيات قد أفضل تلك المحاولات هنا وهناك لإرساء الدراسات العربية على منهج متخصص يتلاءم وطبيعة الحكاية العربية التي تجمعها خصوصيات بطبيعة هذا المجتمع ووحده الموضوعية، ولهذه الأسباب انتهى معظم الدارسين إلى منهج "فلاذيمير بروب" المنهج الذي ما زالت إرهاباته عند الدارسين العرب لملاعمته مع دراسة الحكاية العربية.

أما في الجزائر فقد أخذت المآثرات الشعبية حيزا لا بأس به من حيث الاهتمام والدراسة وذلك منذ النصف الأول من القرن العشرين على يد "محمد بن شنب" في كتابه "الأمثال الشعبية الجزائرية" تلك الشخصية العلمية والثقافية التي حققت انجازات في فترة صراع ثقافي "فرنسي، عربي" بحيث يعتبر من المؤسسين للدراسات الشعبية الجزائرية، إلى جانب بعض المستشرقين في الفترة الاستعمارية الذين ساهموا ولو بشكل محدود في تأصيل الموروث الشعبي وتدوينه

: ليلي روزلين قريش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 19¹

لانبهارهم بالثقافة الشعبية العربية، فراحوا يؤسسون لما توصلوا اليه من إرث خلال رحلاتهم عبر الوطن ومن أبرزهم: "ألفريد بال"، "جوزيف ديسبارمي"، "روني باسي"

و رغم المواقف المتناقضة بين مؤيد ورافض لهذه الدراسات إلا أنها تبقى المدونة الوحيدة التي استطاعت أن تلم بالتراث الشعبي الجزائري حيث توجه عسكريون وضباط أمثال ¹Commandant Malingoud للقرى والبيوادي، وراحوا يسجلون ما تيسر لهم من أشكال تعبيرية شعبية كالأغاني والأشعار والحكايات والأمثال... والتي امتازت بالعفوية والسطحية وابتعدت عن الدراسة العلمية الأكاديمية وأهم هته الدراسات كانت تنشر في مجلات أهمها: "المجلة الإفريقية" و"المجلة الآسيوية" وذلك إبان المرحلة الاستعمارية. "يرى بعض الباحثين أن هؤلاء كانوا يقفون عند حدوث ترجمة النصوص والتعليق عليها تعليقا سطحيا مع التركيز على مضامينها الاعتقادية"²، ومنهم من اعتبرها سياسات استعمارية في فهم ثقافة الشعوب وكيانها الروحي.

ومهما يكن من أمر فإنها تظل مدونات أساسية حافظت على استرجاع الذاكرة الشعبية الجزائرية وساعدت الدارسين للثقافة الشعبية الجزائرية بالعودة إليها ودراستها دراسة علمية ومن أهم تلك الدراسات في الحكاية الشعبية دراسة "روني باسي"³ بنت الخص ودراسة "الجزائرية لألفريد بال"⁴، ثم "هارتمن" لحكايات بني هلال 1898⁵. أما مرحلة مابعد الاستقلال فقد بدأ البحث الأكاديمي الجاد فيها ينتج تراكمات معرفية للمأثورات الشعبية ويستقطب الكثير من المهتمين به، فاختلقت الآراء وتعددت الدراسات، باختلاف طبيعة المجتمعات لثقافتهم وتاريخهم خاصة وأن الجزائر تتميز بخصوصيات محلية وترسبات ثقافية عديدة نتجت عبر مراحل تاريخية هامة.

ومن أهم هته الدراسات دراسة "ليلي روزلين قريش" "للسيرة الهيلالية" إلى جانب دراستها "للقصّة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي" والتي اولتها اهتماما بالغا معتمدة على مدونات

¹ Commandant Malingoud :Contes, Bédouins, revue Africaine, N° 65, Année 1925, p 54

²: عبد الحميد بورايو : القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص 30

³ René Basset : La légende de bent el khass, Revue Africaine, N°49 année 1905, p 18

⁴ :Alfred bel : la Djazia ,journal asiatique ,XIX et XX, année1902-1903.P192

⁵ A.vaissière : les Ouled-rechaich(cycle héroïque des ouled-hillal),Revue africaine, N°36,année1892,p312et209

شرقية، إلى جانب دراسة "عبد الحميد بورايو" للقصة الشعبية في منطقة بسكرة و" الحكايات الخرافية للمغرب العربي". هذان الأخيران انكبا في البحث حول الحكاية الشعبية الجزائرية متحدين كل النعوت والأوصاف السلبية التي ألصقت بالثقافة الشعبية، حيث ظلا مرجعين أساسيين لدراسة الحكاية الشعبية الجزائرية. ومن أهم هذه الأوصاف السلبية الاعتقاد الراسخ بأن الاهتمام بالثقافة الشعبية يعدّ من الأديولوجية الإستعمارية التي كانت تشجع الثقافات المحلية التي تكسر الوحدة الوطنية وتسيء للغة العربية الفصحى وعليه لم تلق الثقافة الشعبية حظها الكبير من الدراسة.

كما يجدر بنا أن ننوّه بالدراسات الخاصة بالتراث الأمازيغي الذي ظل حكرا على المستشرقين لسنوات الاستعمار قبل أن تتحرر البحوث إلى ما يخدم الثقافة الجزائرية ويوحد الهوية الوطنية، سواء تعلق الأمر بالجمع والتدوين والتوثيق أو بالدراسة والتحليل الأكاديمي، فأخذت الحكاية الأمازيغية بذلك حيزا لا بأس به من الدراسات الشعبية الجزائرية على غرار اللهجات الأخرى، وظلت جهود الباحثين راسخة في الجمع والتدوين كيوسف نسيب¹ "حكايات جزائرية من جرجرة"، زينب علي بن علي "الحكايات القبائلية"، طاوس عمروش "الحبة السحرية"، رباح بلعمري "الوردة الحمراء" قصص شعبية من شرق الجزائر²....

4. الحكاية الشعبية الجزائرية وامتدادها العربي والعالمي :

يعود أصل الحكايات الشعبية العربية إلى منتوجات الجزيرة العربية أين تحدث العرب عن أيامهم وحروبهم وعلاقاتهم الاجتماعية والسياسية كالقصص التي تحدثت عن الحروب مثل "قصة داحس والغبراء" وقصة "يوم ذي قار بين العرب والعجم" و"حروب الفجار بين قريش وكنانة". وبعد مجيء الإسلام انعكس محور القص نحو العنصر الديني الذي ظل الناس يناشدون به قصصهم ويذكرون بطولاتهم التاريخية، التي حاربت ضد الكفر كحروب الفتوحات الإسلامية والحروب ضد الصليبيين. ففي ظروف الدعوة الإسلامية لم يقتصر القصص القرآني على الوظيفة التذكيرية والوعظية وحدهما في عصر الخلفاء

¹: Nacib Yousef : contes Algériens de Djurdjura contes populaire. Ed publisud Paris 1982.

²: رباح بلعمري: الوردة الحمراء " قصص شعبية من شرق الجزائر"، المنشورات الجزائرية والعلمية، باريس 1980

الراشدين، بل خرج من حلقات الوعظ والتذكير في المسجد، ليرافق الجيوش في فتوحاتها الإسلامية ... لتثبيت القلوب وحشد الهمم ...¹.

والراجح أن علاقة العرب بعباداتهم وأديانهم تعود إلى أزمنة الجاهلية الأولى التي نستشفها من خلال أساطير العرب التي صورت لنا مشاهد عديدة تدور أحداثها حول تعظيم الآلهة وعبادة الأصنام والأشجار، الماء والنار وبعض الأساطير التي ذكرها القرآن الكريم كأساطير قبائل عاد وتمود.

ومنه يتراءى لنا أن القصص العربي بعد ظهور الإسلام لم يتوقف وإنما زاد تطورا عما كان عليه عرب الجاهلية، فقد شهد نوعا آخر للقص أين تنبه رجال السياسة إلى هذا الفن بما يخدم مصالحهم بعد إدراكهم تأثيره على عقولهم وقوته في التوجيه، فاتخذوا منه وظيفة للدعاية تخدم مصالحهم، واستعملوا المساجد وساحات الحرب من أجل تحفيز الناس والمحاربين على الولاء لسياستهم، قبل أن يتوجهوا إلى عامة الناس ليحكوا لهم قصصا وأخبارا عن أيام العرب والعجم، خاصة في العصر العباسي أين استقبلت ظاهرة القصص في البلاد العربية وأصبحت له مكانة خاصة لدى عامة الناس لما تلبيه من حاجات نفسية واجتماعية خاصة في الظروف المستعصية. وقد ذكر ابن عون " المتوفي عام 151 هـ " أنه في مساجد البصرة كان لعلماء الفقه حلقة واحدة على حين كان للقصص حلقات لا تحصى، حتى كانت المساجد مملوءة بهم².

ونظرا لأهمية هذا اللون الفني في العقلية الشعبية العربية والإسلامية بمختلف عصورها وما صوره من أمور اجتماعية وسياسية وعاطفية، تأثرت الدول المغاربية به ومنها الجزائر عبر محطات ساعدت على التواصل والتمازج بين المشرق والمغرب أهمها الفتوحات الإسلامية لمنطقة المغرب العربي والتي كان لها الأثر الكبير في نشر الحكى الشعبي المتعلق بالمرؤيات العربية، بدءا بمواضيع المجال الديني التي كانت تذكر مآثر الأبطال في المساجد وساحات الحرب. ثم من خلال رحلاتهم التي قام بها الحجاج المغاربة

¹: عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبية الجزائرية، التاريخ والقضايا والتجليات؟ دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع،

منشورات رابطة الأدب الشعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2006، ص 64

²: طلال حرب: أولية النص، نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية، لبنان، الطبعة

الأولى، 1999، ص 121

لأداء فريضة الحج بحيث قاموا بدور هام في نقل صور مختلفة عن جميع المناطق التي مروا بها إلى جانب الدور البارز الذي لعبته حركة الطلاب المغاربة الذين هجروا أوطانهم من أجل طلب العلم، فكان لهم الفضل في تقريب وتدعيم التراث المغاربي بالتراث المشرقي.

ومما لا شك فيه أن هجرة بني هلال المشهورة كان لها الفضل في تقريب بلاد المغرب من المشرق حيث حملوا معهم أدبا شعبيا عربيا أصيلا¹ يعبر عن حياتهم وتقاليدهم وافتخارهم ببطولاتهم، ومن أهم نتائج تلك الهجرات التي تركت أثرها الواضح في تحريك الحياة الثقافية والفكرية والأدبية بمنطقة المغرب العربي السيرة الشعبية التي تصف نمط معيشة قبيلة بني هلال القائم على عدم الاستقرار والبحث عن الكلا.

أخذت رواية وقصص السيرة الشعبية المغاربية طابعا مخالفا و"يرجع سبب هذا الاختلاف.....في المشرق العربي عن نظائرها في المغرب العربي إلى اختلاف الظروف الاجتماعية والثقافية"².

كما تعد السيرة الشفهية الوحيدة التي تكشف لنا عن مرحلة الاندماج بين المشرق والمغرب أو بين قبيلة بني هلال العربية البدوية "قبيلة زغبة" وبين سكان الجزائر "البربر". ويذكر "عبد الحميد بورايو" أن بعض الدراسات الميدانية تثبت الإختلاف فيما بينهما، فزياد الهلالي في المشرق هو بطل من أصل عربي أما زياد الهلالي في المغرب من أم بربرية وأب هلالي، كما أن أبوزيد الهلالي المشرقي ذي حكم مركزي وأبو زيد الهلالي الجزائري يغيب عنده هذا الحكم، ويؤكد بورايو أيضا على أنها ليست أخطاء تاريخية وإنما تمسكا بطبيعة وخصوصية المجتمع الجزائري في توظيف السيرة الهلالية.

عموما فزيد الهلالي هو تلك الشخصية الخيالية التي تعبر عن اندماج وتقارب المجتمعين الشرقي والغربي لينتج عنه مجتمع جديد يتلاءم وخصوصيات المنطقة. ومما لا شك فيه أيضا أن بعض الحكايات الشعبية الجزائرية مثلها مثل باقي حكايات المغرب العربي تشكل وحدة شعبية تتجمع فيها العديد من الأشكال المختلفة للإنسان المغاربي

: ليلي روزلين قريش: القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 78¹

: عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبية الجزائرية، التاريخ والقضايا والتجليات، ص 149²

وملامحه الشرقية "كقصة جازية" رمز المرأة البدوية بجمالها الفتان وذكائها الحاد وشجاعته الفائقة. وتجدر الإشارة إلى أن هناك العديد من الروايات المختلفة لقصة "جازية" تتفق على الأقل في كونها أختا لحسان بن سرحان سلطان الهلاليين وحببية دياب بن غانم.

كما ارتوى الحكى الشعبي الجزائري أيضا من روافد ثقافية إنسانية أخرى كالأساطير التي أسسها الإنسان البدائي بعدما عجز عن تفسير مختلف الظواهر الطبيعية والكونية. ولعل هذا التفكير المجسد في الأساطير العالمية يتجسد جزءا منه في حكاياتنا الشعبية الجزائرية، كحكايات الغيلان التي تلتهم الإنسان، والحيوانات التي تستجيب لمتطلبات الإنسان، والعظام التي تحي بعد حرقها....

إن تجربة الإنسان الطويلة مع مختلف الظواهر مازالت مجسدة كإشارات للفكر الأسطوري داخل ثنايا الحكايات الشعبية الجزائرية كقوة الكائنات والطبيعة، ما تجسده لنا قصة " أنزار"¹ أسطورة المطر التي تحكى في مختلف مناطق الجزائر، أين قدمت الفتاة الجميلة جسدها قربانا لملك المطر من أجل إنقاذ قبيلتها من الجفاف، وكذلك قصة "يناير"² التي تحدثنا عن لعنة العجوز لشهر يناير مما أدى إلى غضب يناير وعقابه للعجوز.

تعدّ إذن روافد القص العربي والأسطوري من أهم العوامل المساعدة على إحداث فضاء ثقافي واجتماعي، ساعد على انتشار الحكاية داخل الأوساط الشعبية المحرومة فكانت ملاذهم الوحيد للتسلية والترفيه من جهة، والحث على القيم الاجتماعية والإنسانية من جهة أخرى.

¹: عبد الرحمان بوزيدة : قاموس الأساطير الجزائرية، منشورات مركز البحث في الأنتروبولوجية الاجتماعية والثقافية،

وهران، 2005، ص 63

² Edmond destaing : Lennayer chez les beni snous (texte berbère, dialecte des beni snous) , revue Africaine, N° 49. Année 1905, p51.

الفصل الثالث: إشكالية التصنيف:

تعتبر الحكاية الشعبية جنسا مستقلا بذاته عن الأجناس التعبيرية الأخرى التي تطرقت لها بنوع من التفصيل في الفصل الأول وهي الأسطورة، السيرة، الملاحم والحكاية الخرافية، وكيف تداخلت فيما بينها رغم تحديد حدودها من قبل بعض الباحثين المهتمين بالأدب الشعبي الشفهي، رغم أنه يبقى من يلغي تلك الحدود لقتاعته بتفاعل الأجناس فيما بينها انطلاقا من طمس معالم التمييز التي تدفع إلى الخلط بينهم.

تعامل بعض الدارسون مع الأجناس من منظور واحد واعتبروها بقايا لاعتقادات الماضي البعيد، وهذه المعرفة لا تستبعد قط منهج "ماكس ميلر" و"جاستون باري" الذي يجد في الحكايات الخرافية موروثات باقية من الأساطير¹ وحذا حذوه الكثيرون أمثال-البردوني في دراسته للتراث الشعبي اليميني أين ألغى الحدود بين الأسطورة والحكاية الخرافية.

والجدير بالذكر أنّ معظم الدارسين رغم مجهوداتهم الجبارة في عملية تقسيم وتصنيف القصص الشعبي إلا أنهم يخلطون بين المصطلحات، خاصة الأسطورة والحكاية الخرافية التي مازالت تلقى بعض الإشكاليات لتشابه موضوعاتها ومجالاتها، ولم تسلم الحكاية الشعبية من عدم قدرة الباحثين على وضع حدود صارمة لأنواع الحكاية الشعبية رغم المجهودات القائمة، وهذا ما تبينه التقسيمات التي وضعها المختصون في دراسة الحكاية الشعبية. "ومن المحاولات الأولى في تصنيف الحكاية الشعبية محاولة ANTTI EARME سنة 1910 ثم محاولة STITH THOMPSON التي أضاف فيها إلى محاولة "آرني" السابقة أنماطا أخرى وأصبحت محاولته تعرف بفهرس "آرني طومسون" اعتمادا فيها على شخصيات الحكاية لا على الحدث"².

كما نجد الصنافة الفرنسية THENESE تبني أيضا هذا التصنيف العالمي "لآرني تومسون" وهو حكايات عجيبة، حكايات واقعية، حكايات دينية، حكايات الغول البليد،

: أحمد كمال زكي: الأساطير، دراسة حضارية مقارنة، ص 40¹

: بوخلفة عزي: الحكاية الشعبية في بيئتها الاجتماعية، ص 67²

حكايات الحيوانات، حكايات ساخرة وتتبعه تصنيفات VLADIMIR PROPP¹ التي تجعل من الحكاية خرافة كالخرافات الأسطورية، خرافات عجيبة خالصة، وخرافات الحيوان، والخرافات الهزلية...

وعلى ضوء هذا التقسيم أنجزت تقسيمات أخرى اعتمدت فيها معايير مختلفة في تقسيمات الحكاية الشعبية أدت بها الى تقارب وتباين فيما بينها أهمها: تقسيمات "الكسندر هجرتي كراب" وهي: حكايات الجان، حكايات مرحة، حكايات الحيوان، الخرافة، السيرة النثرية. أما تقسيمات "نبيلة إبراهيم" فنجدها تعتمد في تقسيمها على: الحكاية الهزلية، حكاية المعتقدات، حكاية الواقع الاجتماعي، حكاية الواقع الأخلاقي. أما "محمد مرزوقي" فكان تقسيمه: الأسطورة الاجتماعية، الأسطورة، السياسة، الأسطورة البطولية، الأسطورة العقائدية، التاريخية، أساطير الأطفال. ولم يختلف تقسيم "عبد الحميد يونس" عن تقسيم "الكسندر هجرتي كراب" بحيث قسم هو أيضا الحكاية إلى حكايات الجان، حكايات مرحة، حكاية الحيوان، حكاية الشطار، السيرة الشعبية، الحكاية الاجتماعية. ولم يبتعد "عمر عبد الرحمان السارسي" كثيرا في تقسيمه عن هؤلاء بحيث قسم الحكاية إلى حكاية الواقع الاجتماعي، الحكاية الخرافية، الحكاية المرحة، حكاية الحيوان، حكاية المعتقدات الشعبية، حكاية الشطار.

أما "روزلين قريش" انفردت بتقسيم الحكاية إلى قسمين هما: أولا قصة البطولة ومنها البطولة الدينية، الوعظية، البدوية، الحديثة. ثانيا قصة الخرافة الشعبية ومنها الخرافة الشعبية الدينية، الخرافات حول الجن، الخرافة المحلية، الخرافة حول شخصيات غير دينية. وعليه فهي جمعت بين الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية عكس "عبد الحميد بورايو" الذي فصل بين الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية وحكاية الحيوان.

فيما قسم "مرسى الصباغ" الحكاية من ناحية الموضوع كالتالي: حكايات الحيوان الخرافية، حكايات الجان، الخوارق، التنبؤية، القصص الشعبي الديني الاجتماعي، حكايات

¹ : فلاديمير بروب: مورفولوجية الخرافة، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الدار

الكيد والمجون، حكايات البطولة والتاريخ، حكايات الأمثال، أما من ناحية الهدف فقسّمه كالتالي: حكايات للتسلية، حكايات المعرفة، حكايات ترفيهية¹.

والذي استوقفني بالنسبة لتقسيمات هؤلاء هو عدم الاستقرار على منهج واحد من أجل تصنيف هذا الجنس الأدبي الشعبي ممّا أدى إلى تضارب واختلاف في التقسيم ابتداء من تسمية الحكاية قصّة عند "روزلين ليلي قريش" والحكاية أسطورة عند "محمد المرزوقي"، ما يبرّر استعصاء وضع حدود جادة لتلك الأجناس.

رغم أن التصنيف يبقى خطوة إجرائية ضرورية لكل وصف علمي إلا أنه يبقى مسألة متشابكة يصعب الحسم فيها، وذلك لتداخل أنواعه إلى جانب وحدة السرد الشعبي داخل الجماعة الواحدة. ورغم هذا الاختلاف الواضح إلا أن مجمله غير مقنع عند بعض الباحثين الذين أكدوا صعوبة تقسيم الحكاية، "في حين لم يعرّها بعضهم أدنى اهتمام لقناعاته بأن تلك الأشكال تمثل تفرّعا للحكاية الشعبية"².

وهناك جهود قائمة في وضع تصنيفات للحكاية الشعبية من خلال دراستهم أمثال دراسة "مصطفى يعلا" للقصص الشعبي المغربي وإشكالية التصنيف والتجنيس" فهو يؤكد أن الحكاية يختلف جنسها من حيث موضوعها، فنجد الحكاية العجيبة والخرافة الشعبية تتداخل فيما بينها وقد يشكل هذا صعوبة في التصنيف.

ولما لهذه التصنيفات من هشاشة في حدودها ظلت تتضارب الآراء حولها وتختلف التقسيمات حسب منهج كلّ واحد منهم حيث انتقد الأستاذ "عبد الحميد بورايو" المنهجية التي اتخذتها "ليلي روزلين قريش" في تصنيفها للحكاية الشعبية الجزائرية خاصة في مبدأ التمييز بين قصّة البطولة والخرافة الشعبية، وأسّس لنفسه طريقة تصنيفية مستمدّة من منهجية "فلاديمير بروب".

وإن دلّ هذا الاختلاف على شيء فإنما يدلّ على شمولية الحكاية وما تتضمنه من تشابه في مواقفها الإنسانية وفي نشأتها وكيفية انتشارها عبر الزمان والمكان، ولهذا يتعذر

¹ : مرسى الصباغ: القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص، 11

² : عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986

على الدارسين عدم قدرتهم على وضع تصنيفات دقيقة، إذ أن كلّ الحكايات الشعبية متشابهة بدرجة كبيرة من كل النواحي البنائية المهمة، فهي تتضمن معتقدات شعبية، وسلوكات اجتماعية وسياسية

وبالرغم من المحاولات العديدة للتمييز بين أنواع الحكاية إلا أنها تبقى تكشف فشلهم في عدم القدرة على الوقوف على منهجية محدّدة في تمييز الحكاية، فاخلطوا بين السيرة والحكاية ما عمد إليه "عبد الحميد يونس" حين عدّها شكلاً من أشكال الحكاية وأشارت "نبيلة إبراهيم" على "أن كلا من الملحمة والسيرة تعد حكاية شعبية ذات شكل معيّن"¹. كما أعربت عن أن الملحمة تتفق في موضوعها كل الاتفاق مع الحكاية الشعبية وكذلك الأسطورة عند "المرزوقي" حين صنفها كحكاية، والقصة عند "روزلين قريش" حين صنفها كحكاية شعبية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه بدا جلياً في التقسيمات السابقة أنّ الحكاية الخرافية لم ترسّ على أسس موحدة في تصنيفها، فقد اعتبرها "عبد الحميد يونس" و"عمر الساريسي" بأنها شكل من أشكال الحكاية الشعبية في حين خالفتهما "نبيلة إبراهيم" في أنها شكل آخر غير الحكاية الشعبية حين "جعلت الحكاية الخرافية وريثة الأسطورة مباشرة أما الحكاية الشعبية فهي تمثل مرحلة لاحقة للحكاية الخرافية"². "ويذهب إلى أكثر من ذلك العالم الأنثروبولوجي "ليفي ستروس" الذي اشتغل على الأسطورة، والفولكلوري "فلاديمير بروب" الذي اهتمّ بالحكاية الى "اقرارهما بالتشابه بين الأسطورة والحكاية، فبروب ينعت الحكاية العجيبة بأنّها "أسطورية" (بقدر ما تقوم الحكاية، في تكوّنها، على الأسطورة)؛ ويتبيّن ليفي ستروس في الحكاية أسطورة "مُضَعَّفَةً" قليلاً،...."³ وهذا ما تشير إليه حكاية "مُلُوكَة" والثعبان" أو "الفتاة والإخوة السبعة" المتداولة بمناطق الغرب الجزائري والتي تحكي عن الغيرة التي أدّت بزوجات الإخوة إلى تدبير مؤامرة للفتاة ليجلبوا لها العار بوضعهم لها بيضة ثعبان بالطعام فحملت ثعباناً وبعد اكتشاف المؤامرة قاموا بإخراجه.

¹: نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 170

: مسلم صبري: الحكاية الشعبية العراقية وجهود الباحثين فيها، مجلة التراث الشعبي: العدد 6، 7، 1981، ص 302

³: كلود ليفي ستروس وفلاديمير بروب مساجلة بصدد: "علم تشكل الحكاية" ترجمة: محمد معتصم، ص 15

والمتعارف عليه أن "الحكاية الشعبية حريصة على أن تشعر القارئ أو السامع بجوها الواقعي حينها تبدأ حوادث القصة بتحديد زمانها ومكانها مخالفة في ذلك الحكاية الخرافية التي يعد انعزالها عن الزمان والمكان من سماتها الأولى"¹.

انطلاقاً من هذا التعريف يظهر الفرق بين الحكاية الشعبية والخرافية هذا الفرق الذي يخرج الحكاية الشعبية من جوها المشوق والخيالي إلى عالم مجهول مملوء بأنواع السحر والجن، وهذا ما يضفي على الحكاية الشعبية فنيات جمالية، الهدف منها إبراز المغزى الحقيقي للحكاية. " إلا أن الجانب المهم من التنوع هو تنوع مرتبط بتجارب الإنسان في الحياة، وتشارك جميعها في إعادة النظام والتوازن في حياة الإنسان وفي أنها ترد على تساؤلات الإنسان إزاء كل ما يحتاج إليه من تفسير وفلسفة سواء في عالمه المرئي أو في العالم غير المرئي"².

وفي الأخير تعتبر الحكاية الشعبية صورة تعكس طبيعة الإنسان أو "الشعب" ومواجهته للأخطار الطبيعية وغير الطبيعية تحدد موقفه باختلاف مواقعه وأفكاره، ولذا فالتداخل بينها في الحقيقة ما هو إلا حياة واحدة، حياة الشعب المترابطة أحيانا والمتشابهة أحيانا أخرى. ولعلنا نتساءل بعد ذلك ألا تتضمن الخرافات عن الحيوان عنصراً عجبياً؟ ألا تقوم الحيوانات بدور بالغ الأهمية في الخرافات العجيبة؟ ما هو الفرق بين الحكايات الخالصة عن الحيوان والحكايات الأخلاقية؟ ألا يوظف الحيوان في الحكاية لإبراز سلوك اجتماعي أو أخلاقي أو نقد موقف سياسي؟ وهل يمكن فصل ما هو سياسي عن الاجتماعي وعمّا هو أخلاقي ووعظي؟.

إن مجموعة هذه الأنماط توجد في حكاية واحدة ما يطلق عليها حكاية شعبية، وهذا ما أكدته "نبيلة إبراهيم" في مقدمتها للحكاية الشعبية حيث نوهت بصعوبة التقسيم وذكرت أنه "قد يعترض معترض بأن أي نتاج قصصي شعبي مكتمل يطلق عليه حكاية شعبية ونحن وإن كنا نرى هذا صحيحاً إلى حد ما، إلا أننا نرى وجوب تحديد كل نوع شعبي"³

: نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 140¹

: المرجع نفسه: ص 144²

: المرجع نفسه: ص 133³

ويجب أن يكون هذا التحديد هدفه الحقيقي معرفة خبرة الإنسان الشعبية في التعامل مع محيطه والتقرب أكثر من قضاياها التي تشغل فكره ومعرفة سلوكياته الاجتماعية وتحديد قيمها الإنسانية.

إننا ننطلق من هذه الأطروحة باعتبار أن الحكاية الشعبية هي كل ما تنتجه الأوساط الشعبية وتتداوله في أمكنة وأوقات معينة، وإن كل ما هو شعبي يبقى من إنتاج الشعب يشمل الأسطوري والخرافي والاجتماعي والهزلي والواقعي.....، "وربما كان سبب الخلط هو فيما تعنيه تلك الكلمة " شعبي" من معان خاصة وأن استعمال هذه الكلمة في اللغة العربية للدلالة على المأثورات الفولكلورية حديث العمر، لم يواكبه بعد ما يكفي من الدراسات التي قد تحدد المعنى المقصود بهذه الكلمة".¹

والحقيقة أننا لا يمكن عزل الظواهر الإنسانية عن أبعادها المختلفة ومكوناتها، وبهذا الشكل تزول الفواصل داخل الحكاية الشعبية ما تحدث عنه "ديرلاين" في كتابه الحكاية الخرافية " حيث ربط الحكاية الهزلية بالحكاية الخرافية ارتباطا وثيقا".²

وإذا أردنا أن نتحدث عن أنواع الحكاية الشعبية الجزائرية يمكن أن نجسد هذا التصادم والتداخل كما سبق وأن ذكرت في حدودها وفي زخم موضوعاتها المتنوعة في الحكاية الواحدة، فمعظمها لا يخلو من الخرافات والأساطير والجن والسحرة والواقع الاجتماعي والسياسي والديني والبطولي.....، وعليه يمكن أن نعلل ذلك بالوحدة المتلاحمة والمتكاملة للحكاية الجزائرية.

لم تكن الحكاية الجزائرية تروى على أنها أنواع مختلفة وإنما على أنها نوع واحد خاصة لما حققه من تسكين آلام الشعب الجزائري وما تعرض له من ضغوطات نفسية واجتماعية على مراحل متباينة من التاريخ، فكانت له ملاذا يحتمي به من واقعه الاجتماعي العسير، وتحقيق بعض من آماله وأحلامه، فكانت إذن الحكاية الشعبية مدرسة

: أحمد رشدي صالح: الادب الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002، ص 20¹

²: فرديش فون دير لاين : الحكاية الخرافية، نشأتها، مناهج دراستها، فنيته، ترجمة نبيلة إبراهيم، دار القلم، بيروت،

الطبعة الأولى، 1973، ص 145

رمزية تخرجت منها الأجيال الشعبية، واكتست بمعالم إنسانية تدعو إلى الخير والسلام والعدالة ونبذ الشر والعداء واللامساواة.

وعلى ضوء ما تقدم يمكننا أن نضع الحكاية الشعبية الجزائرية في إطار واقع الإنسان الاجتماعي والنفسي ويمكننا على هذا الأساس أن نقسم الحكاية الشعبية إن جاز هذا التقسيم إلى: أولاً الحكاية الخرافية، ثانياً حكاية الحيوان، ثالثاً حكاية الواقع الاجتماعي.

1. الحكاية الخرافية:

حكاية تميّز بها المخيال الشعبي الجزائري تحت مفهوم جديد "الخُرَيْفَة أو مُخَارَفَة" والخرافة هي "الحديث المستملح المكذوب، وخرف خرفاً: فسد عقله من الكبر فهو خرف وخرافة رجل من عذرة استهوته الجن، فكان يحدث بما رأى فكذبوه وقالوا حديث خرافة"¹ وهناك من الباحثين من لا يرجح هذا المصطلح في الحكاية لعدم تماثيه مع هدف الحكاية الخرافية، إذ يرى علماء النفس أنها ذات قدرات بالغة في تلبية الحاجات النفسية للإنسان لأن "كلمة الخرافة تتضمن الكذب والفساد وهما أمران بعيدان كل البعد عن هذا النوع من الحكايات"².

تضمنت الحكاية الأسطورية الجزائرية عناصر متشابهة من الحكايات العالمية، تلك العناصر التي أدرجت عند بعض الدارسين إلى فروع أو أشكال للحكاية الشعبية منها الجن، الخوارق، السحر، الأحلام، الأرواح، العفاريت..... فهي تصور لنا عالماً مليئاً بالمظاهر الخارقة والأدوات العجيبة التي استعملت من أجل الخروج من المآزق والدخول إلى برّ الأمان.

يرى "فردريتش فون ديرلاين" أن "الحكاية الخرافية تتفق جميعها في كونها بقايا معتقدات، تصل في تاريخها إلى أقدم العصور وتتيح له الفرصة للظهور من خلال تلك التأليفات التي تصور سلوكات غير حسيّة، وهذه المعتقدات الأسطورية شبيهة بقطع صغيرة من أحجار متناثرة بين زهور تنبت في أرض خصبة لا يكتشفها إلا الذي بصر حاد"³. وإذا

¹ : الفيروز الأبادي: القاموس المحيط : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977 : مادة خرف

² : طلال حرب: أولية النص، نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، ص 126

³ : فردريتش فون ديرلاين : الحكاية الخرافية، ص 03

تأملنا في الحكايات الشعبية الجزائرية فإننا سنصطدم بما تحمله من فوارق وعجائب ومعتقدات أهمّها: حكايات الغول والغولة، قصص الأولياء الخارقة كتحقيق المعجزات والرؤى، حكايات قبور الأولياء وأسرارها، قصص السحر والجن والأرواح..

يحمل "الغول" صفات الجن والشياطين كما عرفه ابن منظور في لسان العرب على أنه "جنس من الشياطين والجن...تتكون في صور شتى... «¹. " والحكايات تمتاز بالقصص حول الجن والغيلان على العموم متأثرة بجميع المعالم والصفات التي أخذت من فكرة الجن عند تكوينها ثم أثناء تطویرها"²، ويبقى الغول يمتاز بقوى خارقة للعادة ترتفع أحيانا إلى مستوى الآلهة ففي "المعتقد البابلّي والآشوري يعتبر الجن والأرواح كائنات وسيطة بين مستوى الآلهة الرفيع ومستوى البشر"³.

والجدیر بالذكر أن الغيلان بصفة الجن والشياطين حاضرة وبقوة داخل الحكايات الجزائرية والتي تعرضها ككائنات غريبة الأطوار بدون أن تحدّد صفاتها الجسدية، تمتاز بحبها وتعطشها لأكل لحم البشر، ولها من الوظائف والأدوار ما يجعلها محورا رئيسيا داخل نص الحكاية حيث تصور كقوى شريرة دائمة الصراع مع الإنسان مثل حكاية "لُونجَة بنت الغول" وكذلك حكاية "عُشْبَة خَصَّاز" التي وضعتها الأقدار بين أيادي الغولة رغم تخوفها من مصادفتها فكانت تقول «لَكُنْتِي نَارًا مَّا وَبًا قَرِيْبِي قَرِيْبِي ... وَلَكُنْتِي نَارَ الْغُولَةِ وَالْغُولُ بَعْدِي بَعْدِي»، إلا أنها تمكنت من الهرب بعد قتلها لابن الغولة بطريقة بشعة مما جعل الغولة تتوعدّها بالانتقام ليتحقق وعدّها بعد حرقها حيث أصاب "عُشْبَة خَصَّاز" عظم من بقايا عظام الغولة المحروقة في عينها. وأصبح بعد ذلك مثالا شعبياً سائرا: «الْعُوْدُ لِتِحْرَقَهُ يَعْميكَ». ظلت صور الغولة عالقة في المخيلة الشعبية الجزائرية تمتلأ بها الحكايات الشعبية باختلاف أنواعها تنتحل صفات المرأة أحيانا لتحقيق أغراضها

: ابن منظور : لسان العرب ، ص 50¹

² : ليلي روزلين قريش: القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 169

³ : محمد الجوهري: علم الفولكلور، دراسة المعتقدات الشعبية، الجزء الثاني، دار المعرفة الجامع، الاسكندرية، 1988،

كحكاية "عشق الغولة"¹ التي تزوجت بإنسان إلا أنها لم تستطع أن تتصف بصفات البشر بعدما أكلت نصف ولدها لما أحست بالجوع.

إلى جانب الغولة الكائن الغريب ومظاهره الشريرة، تتمتع الحكاية الجزائرية كذلك بنماذج أسطورية أثرت في ملامح الحكاية الخرافية حتى أصبح من الصعب وضع حدود فاصلة بينهما وبين الحكاية الشعبية نظرا لارتباطهما الوثيق، فكيف يكون الحال إذن ونحن نبحث في أنواع الحكاية الشعبية؟

من النماذج الأسطورية المتناثرة في الحكاية الشعبية تلك القوى الإلهية التي كانت تتمثل في المطر والشمس كحكاية " أنزار " إله المطر الذي قدمت له الفتاة الجميلة جسدها قربانا لإنقاذ أبناء قبيلتها من الجفاف، ليصبح بعد ذلك يوما يحتفل به من أجل نزول المطر أو ما يسمى في حكايات أخرى "بغنجة". هذا إلى جانب حكاية "إلياس" و" وأملن " حكايات تتداول بمنطقة الأهفار "تمنراست" تروي مغامرة الأخوين في البحث عن الكلاب واصطدامهما بجبل " أدريان " الذي شقه " إلياس" بسيفه من أجل الوصول إلى مركز الكلاب، وما زال الجبل قائما تحكى حوله الأساطير المختلفة بين أبناء المنطقة.

تحفل الحكايات الشعبية بالعديد من العناصر الخرافية كالسحر والتحول والمسح والكثير من القدرات الخارقة في التغيير وتحقيق المعجزات مثلما ترويه لنا حكاية " بقرة " اليتامى " حيث مسخ فيها الطفل إلى غزال، هذا إلى جانب بعض الأدوات السحرية التي تساعد البطل على التغلب على العقبات ومساعدة الآخرين مثل حكاية "جَارِيَّة"² التي تم اختطافها من ساحر يهودي وأعادها إلى مخيم "دياب بني غانم" بعد انتصاره على الساحر.

والراجع هنا أن الحكايات الخارقة والعجيبة والممارسات السحرية تؤدي وظيفة محددة هي التحول والتغيير لتحقيق رغبات الإنسان الشعبي، ففكرة التحول والمسح تواجدت بكثرة داخل الحكايات السحرية التي كان البطل فيها يتحول إلى كلب أو تتحول فيها المرأة إلى بغلة...مثلا. ولذلك يتحتم علينا أن نقر بأن وجود تلك الظواهر غير الطبيعية لدليل

: عبد الرحمان بوزيدة : قاموس الأساطير الجزائرية، ص 54¹

² : المرجع نفسه، ص 84

على أسطورية الحكاية وما تحمله من معتقدات كالأرواح الخيرة والشريرة والقوى الغيبية التي تحقق المعجزات وترمز إلى القوة..

كما سار هذا الاعتقاد كثيرا في حكايات الأولياء التي تداولها الحكيم الشعبي بحيث حملت آثارا جلية للحلم والرؤى والتنبؤات التي أثرت في نفسية الإنسان منذ القديم إلى يومنا هذا، فما إن أصابتهم معضلة إلا وذهبوا للأولياء والأضرحة من أجل تفسير أحلامهم ليضعوا حدًا لآلامهم وخلصًا لمشكلاتهم. والملاحظ أن جَل القبائل تنسب لولي صالح يتصل نسبه بالنبي (ص)، فكلمها وصل أجدادها المؤسسّون إلى منطقة إقامتهم الحالية قادمين من المشرق مرورًا بالساقية الحمراء¹.

ومن الواضح أن كل ذلك ناتج عن "ذاكرة جماعية لا تغير واقعها ولكن تهرب إلى عالم الأولياء والبركة لتتنصر على الفقر والجوع والظلم، والخوف من قوة الطبيعة التي تهددها دائما. كما أن هذه الإجابات لا تختلف عمّا نجده في الأساطير القديمة وفي سيرة الأنبياء. فالكرامة محاكاة للأسطورة والمعجزة، والولي نموذج لنمط الساحر والنبى والتجاوز الأليف بين الواقع والعالم الخارق.... وربطها بالأحلام والرموز"² وهذا ما نلاحظه في الحكايات الجزائرية كحكاية "سيدي موسى بوقبرين"، حكاية "النخلة المباركة" "سيدي عبد القادر الجيلاني"، "البودالي" "حكاية سبعة رجال".....³.

يتمتع أبطال هته الحكايات بقدرات خيالية وخارقة للواقع، كما هو الحال أيضا لقبورهم التي تمثل مكانا مقدسا يلجأ إليه الزوار، قناعة منهم بقدراته العجيبة وأثرها القوي عليهم، كحكاية "الولي بوقبرين" و"سبعة رجال" والذين تتضارب حولهم الروايات من منطقة لأخرى وبحضون من الاحترام والتقدير ما يجعلهم في مرتبة القداسة. ففي حكاية "مجمع

¹: خالد محمد: القداسة والأسطورة في التجربة الطرقية الإسلامية بمنطقة شمال شرق الصحراء، مجلة الجزائري وأسطوره، المخيال الاجتماعي وآليات التماهي، العدد الأول، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ، الجزائر، 2003، ص 79

²: ميلود حكيم: الكرامة الصوفية مقارنة أنثروبولوجية لمدونة ابن مريم: (البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان)، مجلة القصص والتاريخ، التمثيل الرمزي لحقب من التاريخ الاجتماعي الجزائري، العدد الثاني، أعمال المركز للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان، الجزائر، 2005، ص 46

: عبد الرحمان بوزيدة: قاموس الأساطير الجزائرية، ص 67، 74، 78، 26³

الصالحين¹ يعتقد أهل منطقة بشار من خلال حكاياتهم أن هناك مقبرة عتيقة بها شجرة "الطلح" تعطي ثمارا غليظة يزورها الأولياء الصالحون الأموات منهم والأحياء لتنالهم بركتهم. ويلاحظ أن أهل المنطقة يقدسون تلك الشجرة "بمجمع الصالحين" ويقام لها ما يسمونه "موسم"، أين تذبح القرابين وتعرض بعض الطقوس، التي تعود إلى زمن الأساطير خاصة في تقديس النبات، الذي كان يعد رمزا لكل "قبيلة" يؤمنون به ويقدمونه، ولعل هذا ما يبرر في الحكاية الشعبية أهمية الأعشاب في الشفاء من الأمراض والنجاة من الموت.

أما "الملحمة تكسب" العشب الشافية" بعدا أسطوريا وسحريا وهذا عندما سحرت "سيرسة" رفاق "أوديس" خنازير، عندما جاء هذا الأخير لمجابهتها، فأعطاه "هرمس" عشب سوداء الجذر بيضاء الزهر في لون الحليب....وفي السيرة الشعبية يصاب الملك سيف بجروح بليغة ويقع أرضا بين الحياة والموت، وفجأة تحط على الشجرة طائران، وقال الأول للثاني: "اعلم يا أخي أن ورق هذه الشجرة إذا أخذ الإنسان منه ومضغه بأسنانه فإنه يصير مثل العجين فيضعه على الجرح فإنه يقطب من وقته وساعته...."².

"ويلاحظ أن كثيرا من أضرحة الأولياء في كثير من بلاد العالم الإسلامي تحتوي على بعض الأشجار المقدسة التي تحظى بمكانة خاصة"³ ومن أهم هذه الأشجار التي اكتسبت صفة التقديس في الجزائر "النخلة" كحكاية: "النخلة المباركة"⁴ التي يتبركون بها بإقامة بعض الطقوس كالبخور والذبائح وإقامة الولائم بالولي الصالح وفي طريقهم يعلقون خيطا أو ألبسة على الشجرة في اعتقادهم أنها تحقق لهم الأمنيات. وعلى ضوء ذلك نلاحظ أن الاعتقاد والإيمان بالله لم يكن إلا بواسطة تلك الأشجار والكائنات.

من خلال تتبعنا لحكايات الأولياء السائدة في المجتمع الجزائري لاحظنا عدم اقتصارها على الذكور وإنما هناك طائفة كثيرة للأولياء الإناث مثل "لالا تركية"، "لالا غالية"، "لالا ستي" "لالا عائشة"، اللواتي لا تقل أدوارهن عن أدوار الأولياء الذكور في

¹: المرجع السابق: ص 33

²: طلال حرب: أولية النص، نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، ص 212

محمد الجوهري: علم الفولكلور، دراسة المعتقدات الشعبية، الجزء الثاني، ص 71³

: المرجع نفسه: ص 67⁴

المخيلة الشعبية، فهن يتصفن بصفات عديدة كتتحقيق المعجزات ومخاطبة الموتى والحيوانات، والتنبؤات بالغيب، والشفاء من الأمراض...¹.

وقد لاحظنا تشابها بين الحكايات المغاربية التي تحكي عن كرامات الأولياء ومناقب رجال الدين مثل حكاية "الشيخ البودالي"، "عبد القادر الجيلاني"، "سبعة رجال"... وهذا الصنف من الحكايات له الأثر البليغ في نفسية الأوساط الشعبية المغاربية رغم تحديها منطق الطبيعة. إلا أن إسناد شخصيات مقدسة لها أضفى عليها طابع الاحترام والتقديس "وتلك التأكيدات تجعل الخرافة في منزلة المعتقد الذي يسرى في الأوساط الشعبية بسرعة عجيبة، أو بمنزلة العقيدة التي لا تقبل الجدل"².

2. حكاية الحيوان:

تشكل الكائنات الحيوانية جزءا هاما داخل الحكاية الشعبية لما لها من روابط وثيقة بينها وبين الإنسان منذ القديم، فالإنسان البدائي كان يعيش مع الحيوانات جنبا إلى جنب "في اعتقاده أنها عرضة لتأثير القوى الخفية وأن لها عواطف وإدراكا ويقال إن عادة معاشره الفلاح للحيوان قديمة للغاية، "فمصر كانت إحدى المناطق الأولى التي استأنس فيها الإنسان بالحيوان وسخره في الزراعة. يقول هيرودت عن تلك العادة أيام الفراعنة: "يقضي الناس الآخرون حياتهم في معزل عن الحاشية وأمّا المصريون فتسكانهم دوابهم"³. ولهذا السبب أطلق الإنسان الشعبي العنان لإبداعاته التي صورت لنا مغامرات خيالية لحيوانات مختلفة وحشية كانت أو أليفة، تتقاسم معه الحياة في تصرفاته وأفعاله، ولعل هذا جاء نتيجة تواصل بقايا اعتقاد علاقة الإنسان بالحيوان، تلك العلاقة التي عرفت العصور القديمة بعلاقة النسب أو "الطوطمية" التي يعتبر فيها الحيوان جدّ القبيلة يعبدونه ويقدسونه لقوته الخارقة التي حرم منها الإنسان في اعتقادهم. ويشير "لفي ستروس بأن الحيوان والنبات يمدّان الإنسان بطعامه، كما أن الحيوانات والطيور والنباتات في بعض الحالات تبدو أكثر

¹ : المرجع السابق: ص 47

² : ليلي روزلين قريش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 164

³ : أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي، ص 309

قوة من الإنسان، فالحيوانات قوية والطيور - "على رأسه ريشة" - تطير محلقة في السماء، والسماك والحيوانات البحرية تعوم في أعماق البحار والمحيطات¹.

حافل التاريخ العربي بآثار الطوطمية كقبيلة بني كليب وبني أسد وهدهد سليمان.... الخ من الحيوانات التي ظلت راسخة في الذاكرة الشعبية. ولعل هذا ما جعل الباحثين يذهبون إلى أن "الحكايات الشعبية وحكايات الحيوان بالتحديد هي بداية الأساطير وأنها أكثر قدما وبدائية منها، إذ أنها كانت وعاء لشرح وتقديم الأفكار والمعتقدات، أي أن أكثر هذه المعتقدات كان يتجسد في شكل حيوانات وطيور. فالإله "زيوس" كان نسرا، والإله "ألينا" كان بومة وهيرا كانت بقرة....². وعلى ضوء هذه التفسيرات الأسطورية تطورت الأفكار ووصلت إلى الأجيال فانتشرت في الأوساط الشعبية على شكل حكايات للحيوان تسرد وكأنها شخصيات حقيقة تفرق بين الشر والخير.

لم يخل قصصنا الشعبي العربي من ذكر حكايات تتحدث بلسان الحيوان أهمها حكايات الجاحظ والدميري، حكايات السير والملاحم خاصة سيرة الزير السالم والسيرة الهلالية.... ومن أهم تلك الحيوانات، الضبع، كليب، اليمامة، الحمامة، الغراب، الذباب النمل.... أما القصص الشعبي الجزائري لعب فيه الحيوان أيضا دورا بارزا بحيث يقوم بنفس أدوار الإنسان في الحياة من معاملات وصراعات وعادات....، وتصوير هذه الأدوار غالبا ما يكون مبالغا فيها لأجل تحقيق قيم وأهداف تربوية بطريقة غير مباشرة لأن الحيوان هنا غير مقصود لذاته وإنما رمز لسلوك ما.

فالحكاية الحيوانية المشهورة في المغرب العربي باختلاف تسميتها "الشاه والضبع" أو "المعزة صنابية لي فزونها ذهبيّة" أو "عزة ومعزوزة"، تجمع بين الخرافة والحيوان من جهة ومن جهة أخرى بين الوعظ والمرح والهزل. "تروي الحكاية أن هناك شاه جميلة بمائة قرن لها أربع بنات أو عنزات: "عزة ومعزوزة وداقة وأمدقيق" أوصت الأبناء ألا يفتحوا الباب لأحد، إلا أنهم خالفوا أوامرهم وفتحوا الباب بعدما انتحل الضبع شخصية أمهم وخدع

: عبد الحكيم شوقي: دراسات في التراث الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005، ص 12. ¹

: المرجع نفسه: ص 263 ²

أطفالها والتهمهم، فخرجت كالمجنونة تبحث عنهم وتدوس كل من تجده أمامها إلى أن وجدت الضبع فمزقت بطنه بقرونها لتخرج أبنائها سالمين.

اتسمت حكاية "عزة ومَعزُوزة" بروح الخرافة والخيال الواسع للإنسان الشعبي تحمل في مضامينها أهدافا معينة تكمن في عدم الائتمان للعدو مهما اقتضى الأمر. فالحكاية تحاول إبلاغ حكمة أو نصيحة، والملاحظ أن كل الحيوانات واردة في حكايتنا الشعبية وليست غريبة عن بيئته ذات صلة بالإنسان أهمها : البقرة " بَقْرَةُ الْيَتَامَى " العنزة "عزة ومَعزُوزة"، "مَلُوكَة وَالثَّعْبَانُ" الثعبان " الحية "، "الغزالة" قرن الغزال"، " الحرياء" "البغلة" "الخروف"، "الأسد"، "الذئب"، "الغراب"، "القرد"، "الناقة"، "الكلب".....

استفادت الحكاية الجزائرية من هذا النوع الحكائي في نقد سلبيات المجتمع وتعزيز إيجابياته، وفي تعلم الأخلاق والحكمة ونشر الفضيلة بين الناس لتحافظ على التوازن الاجتماعي بطريقة مسلية، فيها من الخيال ما يجعلها في مرتبة الخرافة.

ولما كانت الحيوانات تحتل مكانة خاصة في المخيال الشعبي فقد ظلت قريحة الإنسان الشعبي تبذل حكايات تدور بين حيوان وآخر أو بين الحيوان والإنسان، مراعية بذلك خصوصيات تمتاز بها طباع الحيوانات كالأسد الذي يرمز إلى القوة أو الحاكم المستبد، والثعلب الذي يمتاز بالخداع والمكر، والحمامة التي ترمز إلى الصبر والعفة والاحترام وغير ذلك بحيث يقول "ستيث طومسون": " إن الملاحظ في بعض الأحيان أن التراث الشعبي شديد الحرص في اختياره للحيوانات، لكي يجعل الأفعال الإنسانية مناسبة بقدر الإمكان"¹.

عموما القصص الشعبي الجزائري مثله مثل باقي المأثورات العالمية والعربية يحتل فيه الحيوان مكانة هامة لما يحمله من دلالات عميقة اعتقادية طوطمية كما سبق وأن ذكرت، ولو أن هناك من "حذروا من الإرجاع إليها" الطوطمية" خاصة في منطقتنا المغربية، فقد تساءل بعض الدارسين عما إذا كانت الطوطمية قد وجدت في المنطقة، واعترف أحدهم بأن مسألة الطوطمية لم تحل بعد"²، والراجح هنا أننا لايمكن أن نلغي

¹: مرسى الصباغ: القصص الشعبي العربي، ص 61

: ألفريد بل : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بيروت، 1981، ص 55²

وحدة هذا التراث الشعبي العالمي الذي تجتمع فيه بقايا تفكير الانسان البدائي ويتوحد فيه الوعي الجماعي "فالبلاد المغاربية عرفت مثل هذا النوع من العلاقات الميتافيزيقية الغامضة بين الإنسان والحيوان في الأزمنة الغابرة"¹.

وقد تشير بعض الحكايات الشعبية إلى وجود العديد من المعتقدات التي مازالت شظاياها شاهدة على التفكير البدائي الذي استعمله الإنسان في تفسير بعض الظواهر الطبيعية وتفكيك رموزها، وهذا أقرب إلى الأسطورة التي تحيل أصول ظهور الحيوانات البرية المتوحشة كلها إلى الثور الوحشي buffle (والذي كان دون شك وراء نشأة عقيدة عبادة الثور وتقديسه في شمال إفريقيا، كما دلّت على ذلك الحفريات الكثيرة في عدة مناطق)²، " فالبقرة ذات شأن في سائر الأساطير العالمية فهي في الأساطير المصرية القديمة أم الآلهة جميعاً"³.

وإذا تمعنا في معظم حيوانات الحكاية نجد أن هناك نوعين من الحيوانات، حيوانات مسيطرة وحيوانات مساعدة، أو الأليفة مثل "الأرنب" في حكاية "عشبة خضار الفتاة التي وجدت نفسها مربوطة في جذع شجرة وحيدة تستغيث ولا أحد يجيب فمر بها الذئب ولم يبال، ثم الغراب.... ولم يساعدها، إلى أن أتت الأرنب وعجلت بمساعدتها وأخذت تفك رباطها وتقول «بشْفِيرَاتِي بِظْفِيرَاتِي نَسَلْكَ بِنْتُ النَّاسِ وَنُدِيرُ خُرَاصُ»⁴.

أما الحيوانات المسيطرة نجدها في الحيوانات المتوحشة "كالشعبان" و"الأسد" و"الذئب" او "ابن آوى" هذا الأخير الذي "يعتبر حقا بطل الخرافات القبائلية والأمازيغية على العموم"⁵. ونشير هنا إلى أهمية حكايات الذئب في الحكاية الشعبية وما أوله له الدارسون للحكاية الشعبية من اهتمام، فقد جمع له العديد من الحكايات، ويذكر أن ابن آوى يجمع في شخصيته بين الذئب والثعلب المعروف في الحكايات الأوروبية⁶، وأهم هذه المدونات

: حميد بوحبيب : مدخل إلى الأدب الشعبي، مقارنة أنثروبولوجية، ص 112¹

:المرجع نفسه، ص 128²

:مصطفى صمودي : من جلماش .. إلى نيتشه، ص 39³

: عبد الرحمان بوزيدة : قاموس الأساطير الجزائرية، ص 163⁴

: حميد بوحبيب : مدخل إلى الأدب الشعبي، مقارنة أنثروبولوجية، ص 125⁵

⁶ E-Laoust : contes berbères du Maroc : Edition LAROSE : 1.2T Paris v, 1949, P12

هي مدونة: "LES CONTES KABYLES:LEO- FROBENIUS" ومدونة CONTES LAOUST BERBERES DU MAROC مابين 1906-1931¹. وأهم هذه الحكايات "الذئب والقنفذ" المشهورة التي تدل على قوة التحايل مع جميع الحيوانات ومع الإنسان أحيانا وذلك من أجل إشباع غرائزه دون أن يفكر في عواقبها، بعدما استسلم إلى الأكل داخل الحقل إلى أن انتفخ بطنه ولم يستطع الخروج، عكس القنفذ الذي كان كل مرة يقيس بطنه إن كان بإمكانه الخروج، ولم ينجح الذئب في ذلك إلا بعد ما استعمل حيلة من حيله الناجحة. وفي حكاية "المعزة والذئب" التي حاول فيها الذئب التهام أبناء المعزة من فوق الشجرة وهو يهددها «نَلَوِي حَلَاطِي فِي زَلَاطِي وَنُطِيحُ شَجْرَةَ وَنَأْكَلُكَ».

كما نجد في حكاية "هداري"² التي اختلقت بين الحقيقة والخيال وهي من عمق الثقافة التندوفية، حكاية الطفل الرضيع الذي اختفى في جوف العاصفة عن أنظار أسرته لترمي به الأقدار إلى مجتمع حيواني أين تبنته "النعام" قبل أن تكتشفه عائلته ليعود إلى المجتمع البشري بصفات قلما نجدها في غيره، وهي صفات نبيلة من جهة وأخرى خارقة للعادة، ليصبح ولياً من أولياء الله الصالحين يتبرك به. فالمجتمع الحيواني جعل من الطفل "هداري" إنسانا ذا قوة خارقة اكتسبها من حيوانات الغابة التي ترمز إلى القوة.

ظلت الاعتقادات الأسطورية راسخة في المخيلة الشعبية التي ترمز إلى قوة وسيطرة الحيوان، والكائنات الحية مثل: الحية أو الثعبان أو الطامة أو الحنش أو الأفعى... فالثعبان في الميثولوجيا العالمية هو القوة الخارقة، حيث يرجع هذا الاعتقاد إلى قدماء الطومبيين يعبدون العجل والثعبان لاعتقادهم بأن لهما قوة إلهية³. وظل الصراع بين الثعبان والإنسان في الأساطير العالمية قائما بحيث "تخبرنا .. عن صراع (مزدوج للحية لايو) و(زيوس صارع الحية طيفون) و(أبولو صارع الحية بيثون) ..."⁴.

والجدير بالذكر أن المرأة ترتبط بالحية ارتباطا وثيقا في العديد من الحكايات الشعبية وهذا راجع إلى الاعتقادات ذات المرجعية الأسطورية التي تربط بين المرأة والأفعى

: حميد بوحبيب : مدخل إلى الأدب الشعبي، مقارنة انثروبولوجية، ص 126 - 127¹

: عبد الرحمان بوزيدة : قاموس الأساطير الجزائرية، ص 60²

: مصطفى صمودي : من جلماش .. إلى نيتشه، ص 37³

: المرجع نفسه: ص، 39⁴

معتقدين أن المرأة في أصلها كانت أفعى والأفعى كانت امرأة¹. كما ربطوا الأفعى بالخلود والشفاء، ما تذكره لنا الأساطير القديمة، فاسم الحيّة مشتق من الحياة "كما يوضح ذلك "رينيه غينون" الذي يضيف في إطار تأويله الباطني، أن صفة "الحيّة" التي هي من أسماء الله الحسنی ينبغي أن تفسر على أنه "المحيّة" الذي يمنح الحياة لكونه مبدأ الحياة²، ولهذا نجد "رمز الحيّة الملتفة يدل على الطب بعامة" وهي التي علمت "اسكليبيوس" إله الطب أسرار النباتات والأعشاب وخصائصها في الأساطير القديمة³.

ففي حكاية "ملوكّة والثعبان" نجد أن المرأة تحمل من بيض الثعبان الذي تضعه الزوجة لأخت زوجها في الأكل، فيصر أخوتها على قتلها حتى لاتجلب لهم العار، إلا أن زوجة الأخ الأصغر تبلغ عن المؤامرة التي دبرت لها، فيقوموا أخوتها بإخراج الثعبان من بطنها ويقتلوه إلا أنهم يتفاجئوا بعودة الحياة له ثانية. وهذا ما يفسر ما أكده "مؤرخي الأديان والأناسيين ورواة الأساطير الذين يلحون على الترابط بين المرأة والخصوبة والثعبان، في تقاليد الشعوب ومعتقداتها"⁴.

3. حكايات الواقع الاجتماعي:

تشمل الحكاية الشعبية الواقعية موضوعات من الواقع الاجتماعي والنفسي الذي يعيشه الشعب معتمدة في ذلك الحقيقة في الأحداث والواقعية للأشخاص وغالبا ما يكون أبطالها واقعيين، يُحسُّ المستمع بمعاناتهم وآلامهم. ويلاحظ أن هذه النصوص هي حكايات اجتماعية، أخلاقية وتاريخية، هزلية ومرحة تحثه على الصبر والمقاومة والتحلي بالأخلاق الكريمة من جهة ومن جهة ثانية تبعث على التخفيف من المتاعب النفسية للإنسان، ومن أهمّ الحكايات الجزائرية الشعبية التي تحمل واقعا تاريخيا وبطوليا حكاية "بُورِيَانُ الْقَلْعِي" الشهيرة في الجنوب الغربي والتي تحكى عن بطولاته وأحداثه.

: المرجع السابق: ص 37¹

²: أحمد ديب شعبو : في نقد الفكر الأسطوري والرمزي، أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، الطبعة الأولى، 2006، ص 267

: مصطفى صمودي : من جلماش .. إلى نيتشه، ص 36³

⁴: أحمد ديب شعبو : في نقد الفكر الأسطوري والرمزي، أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني، ص 277

ومن الواضح أن الحكايات الشعبية الشفهية المروية بين الناس تلم ببعض آثار التراث العربي القديم خاصة كتاب " ألف ليلة وليلة " الذي شكّلت بعض عناصره الأدبية والعجائبية مادة حيّة لنصوص الحكاية كحكاية الشاطر حسن وكذلك "السيرة الهلالية" مثل حكاية "جَازِيَة ودياب"، حكاية "جبل عنتر" وحكاية "جا" و"مفيدش".....

في الحقيقة لم نعثر على الكثير من الحكايات الشعبية الخالصة تماما من العناصر الخيالية والخرافية والعجائبية التي تبقى الغاية من استخدامها هي تحقيق الرغبات والوصول بالبطل إلى حلول لمشاكله.

وعليه مهما تفرعت الحكاية إلى أشكال وأنواع، فإنّها تبقى منحدره من كيان الوحدة الشعبية تعكس طبيعة الإنسان وصراعاته مع الزمن وتحمل في ثناياها آثار التراث العالمي كالأسطورة والتراث العربي كالسير والملاحم. فالحكاية الشعبية إذن تؤسس مشروعية خطابها على مستويين¹: مستوى الواقع والحقيقة: زمن وأشخاص حقيقيون ومستوى الرمز والأسطورة: قدرة على التحويل والتأثير(السحر..القوى الطبيعية)، وعلى ضوء هذين المستويين للحكاية الشعبية نستطيع أن نذكر بأن الحكاية الشعبية عموما تشمل الواقع الشعبي بما تحتويه من مأس في قالب خيالي يجمعه الجدّ والهزل والمرح والمتعة. ولذلك رغم محاولتنا لتصنيف الحكاية الشعبية وجدنا أنفسنا عاجزين أمام ذلك التداخل بين مضامينها التي تتصل بعمق بالمعارف الشعبية والمعتقدات الأسطورية التي أكّدت أبعادا حضارية قديمة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه لا يمكن أن نضع حدود واضحة تفصل بين الأشكال الحكائية، ولكن يمكن أن نذكر هيمنة شكل من الأشكال خاصة منها حكاية الحيوان أوالخرافة ولهذا نتساءل: أليست حكاية الحيوان حكاية خرافية؟ أولا تتضمن الحكاية الخرافية بعض الحيوانات؟ هل حكاية الحيوان التي تعود أصولها الإعتقادية إلى بقايا النزعة الطوطمية هي حكاية أسطورية؟ وهل حكايات الحيوان أسبق من الأسطورة؟.

رغم أسطورية الحكاية وخرافتها إلا أنّها لم ينظر إليها يوما على أنها أمور خرافية ولا تعجبية إلا حديثا، فقد كان الرواة والمستمعون على السواء يؤمنون بكل ما يرد فيها إذن

: حميد بوحبيب : مدخل إلى الأدب الشعبي، مقارنة أنثروبولوجية، ص 100¹

يرجح أن تكون هذه الحكايات من نتاج العصور القديمة التي سادت فيها النظرات الإحيائية والطوطمية، وآمن الناس فيها إيماناً عميقاً بقدرة السحرة والجان الخارقة، وإمكان مسخ الناس و"سحرم" وتبديل صورهم¹. فحكايات الجن والأساطير هي أيضاً حكايات واقعية بما أنهم كانوا يؤمنون بها يوماً. ولهذا السبب أو ذاك فإن "جميع المحاولات التي بذلت لتحديد هذه الأنواع لم توفق في اكتساب رضى جميع الباحثين، بل نجد انتقادات تطال كل هذه المحاولات معبرة عن عدم دقتها"².

ففي الواقع لم تكن سمة التداخل بارزة في الحكاية الشعبية إلا لتؤكد لنا أن الحكاية وليدة مجموعة من تراكمات وترسبات القصص الشعبي العالمي والعربي الذي تداولته الذاكرة الجماعية عبر الأزمنة والأمكنة والتي لا يمكننا فصلها "فأصبحنا نملك نماذج تجمع بين ملامح الأسطورة ولامح الحكاية الخرافية في وقت واحد"³، تلك النماذج التي تشترك في الأحداث والأفكار والأشخاص المستمدة - كما ذكرت - أحياناً من الأساطير وأحياناً أخرى من الواقع.

ولعل عدم توفيق الدارسين في تصنيف الحكاية أيضاً لأنهم "يقيسونها بمقياس آداب الفصحيات وبالتالي يعيرون ذلك التداخل، لأن ميزانهم قائم على وجود نظام الأقسام في المجتمع الحديث وفي أدب الفصحى الحديث"⁴. فالأدب الفصيح أو الرسمي أدب تطبعه سمات الفردية أي يعبر عن فكرة وموقف فرد واحد قد يختلف مع مجموعة من الأفراد، عكس الأدب الشعبي الذي يحمل فكرة جماعية فيصبح ضميرها الحي ووجدانها المعبر عن تجربتها وموروثاتها وآمالها وآلامها... " فهو إذن يمثل تراث أمة بأكملها يصعب علينا تقسيمه واختزل مواقفه وتجاربه في حكاية أصبحت ملكاً للشعب تحمل نفس القضايا التي شغلت بال الإنسان منذ القديم. وتشابه الحكايات في العالم دليل على ذلك حيث أكدت ذلك "المدرسة الأنثروبولوجية التي جعلت الحكاية قديمة جداً لدى الشعوب

: طلال حرب: أولية النص، نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، ص 127¹

: المرجع نفسه : ص 126²

: نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 167³

: صالح رشدي: الأدب الشعبي، ص 31⁴

البدائية"¹، واستدلت بالكثير من الموضوعات المتشابهة داخل الحكاية في جميع أنحاء العالم: كالمراة الحقود، وزوجة الأب الشريرة.....

ونشير أخيرا أنه لم يكن في نظرنا إذن هذا التداخل عيبا بل دلالة على ميزة الحكاية الشعبية التي تتمثل في وحدة النفس البشرية وشموليتها، كما أنه ليس بلازم في رأينا ولا هو ممكن أن ننجح في تقسيم الحكاية الشعبية حتى ولو حاولنا بعدما توصلنا إليه من حقيقة التداخل، ولكن لا يعني ذلك ألا نعطي رأينا في التقسيمات الواردة في بعض الدراسات وأهمها دراسة عبد الحميد بورايو التي رأينا أنها أقرب إلى تقسيم يخدم الحكاية الشعبية التي تستمد مادتها من الواقع الممزوج بالخيال ما يضيف عليها فنيات جمالية ويرجع ليؤكد أن نصوص الحكاية بالرغم من تفرعها إلى حكايات الحيوان والحكايات الاجتماعية والحكايات الهزلية والحكايات الأخلاقية وحكايات الأغاز... فإنها في حقيقة الأمر تفرعات انحدرت من شكل حكائي واحد وهو الحكاية الشعبية².

فالحكاية الشعبية بفروعها وأشكالها تبحث عن إجابات ظلت عالقة بفكر الإنسان الشعبي مثل: الخير والشر، الحزن والسعادة، الألم والأمل...، كما تهدف إلى إبراز مواقف الغاية منها التغيير والمواجهة، فهي إذن تعكس صورة الواقع الاجتماعي أو بصورة عامة كل ما يتعلق بالواقع الاجتماعي والنفسي والسياسي والاقتصادي.

ونخلص في الأخير أن الحكاية الشعبية تعد جنسا من أجناس التعبير الشعبي الشفهي ولعلها أكثر حضورا وبقاء من الأجناس القصصية الأخرى، وقد ذهب الإنسان إلى روايتها منذ القديم بحيث بالغ في سبيل إرضاء مستمعيه ورغم تلك المبالغة في السرد إلا أن جموع الناس أكسبته قيمة واحتراما، فأصبح صوت الشعب المدوي، يقدم من خلال ما يرويه مجموعة من المعارف والتقاليد والمعتقدات الشعبية.

ولما للحكاية من أهمية بالغة بين الشعوب وُلّيت باهتمام الباحثين والدارسين باعتبارها أيضا أقدم الفنون الشعبية على وجه الأرض وأكثرها ترحالا وأشدّها بقاءً، الأمر الذي أدّى الى ظهور دراسات مختلفة كان أهمها إشكالية التصنيف لتختلف المفاهيم وتتعدد

: يوري سوكولوف : الفولكلور، قضاياها وتاريخه، ص 105¹

: عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص 118²

المواضيع. فالحكاية الشعبية إذن هي اختزال للقصاص الشعبي العالمي والعربي، تتأثر بطبيعة وخصوصية كل مجتمع تتواجد فيه، محملة بتجارب وحكم الأجيال، ومن هنا نؤكد قدرتها على تصوير الأحداث والمغامرات، الواقعية منها والخيالية بشخصيات بشرية أو غير بشرية، الغرض منها الوعظ والتعليم من جهة والتسلية والإمتاع من جهة أخرى.

الباب الثاني

السلوك الاجتماعي في الحكاية الشعبية

مقدمة: مفهوم السلوك ومكوناته ومظاهره

الفصل الأول: الحياة الاجتماعية والأسرية

1. الزواج

2. العلاقات الأسرية

3. نظام القرابة

الفصل الثاني: الدينامية الاجتماعية والاقتصادية

1. الحياة الاجتماعية

2. التحولات الاجتماعية

3. علاقة الإنتاج وخصائصها

الفصل الثالث: المضامين السياسية

1. السلطة الاجتماعية

2. السلطة السياسية

3. التراتب الاجتماعي

مقدمة: مفهوم السلوك ومكوناته ومظاهره

منذ أن خلق الإنسان وهو يمعن نظره وفكره في وجوده، وفهمه للكون والطبيعة المحيطة به، محاولا الإجابة عن أسرارها، وتفسير أحداثها، ولذلك واجهته العديد من الأفكار في تفسير تلك الظواهر والأحداث. ولعل أهم هذه الظواهر ما تعلق بالجوانب الاجتماعية التي عمل الإنسان على تطوير معرفته بها، لتتعاظم جهود الدارسين والباحثين في تحليل تلك الظواهر.

عموما فإن تاريخ الفكر الاجتماعي حافل بمحطات مملوءة بالمسيرات التي كانت بدايتها الأفكار التأملية والفلسفية والأساطير التي اهتمت بطبيعة الإنسان وما يحمله من خصائص وتسمى هذه المرحلة بمرحلة الفلسفة الاجتماعية وهي نواة الدراسات الاجتماعية والإنسانية التي طرحت العديد من القضايا والكثير من التساؤلات والعديد من الأفكار ثم ما لبثت هذه المعرفة الفلسفية أن تطورت وأصبحت الأساس الذي بني عليه " علم الاجتماع" وبعدها ظهرت مرحلة الامبريقية الاجتماعية والتي اعتمدت على التركيز على تطور الإنسان وخصائصه وظلت زمنا طويلا تقتصر على الدراسات الوصفية والإحصائية لحياة الشعوب.

وانطلاقا من تأثير تلك الدراسات الفلسفية والوصفية لظواهر الإنسان الاجتماعية تم الخوض في مسارات التحليل إلى ما وراء الوصف السطحي والتأمل الفلسفي لينتهي بهم المقام إلى التحليل الاجتماعي والذي يعدّ مظهرا من مظاهر العلوم السلوكية هذا المصطلح الحديث الذي ظهر في القرن العشرين "ويشمل علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية وإلى حد ما علم السياسة والاقتصاد"¹.

أ: تعريفه :

اجتمعت المعاجم العربية على تعريفات وشروحات متقاربة لمصطلحي "السلوك" و"المجتمع"، ففي لسان العرب تعني كلمة سلك: السلوك، مصدر سلك طريقا وسلك المكان

¹:سعد جلال : علم النفس الاجتماعي، الاتجاهات التطبيقية المعاصرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، الطبعة الثانية

بسلوكه وسلوكا وسلوكه غيره وفيه واسلكه إياه وفيه : يقول الله تعالى "ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه بينابيع في الأرض" أي أدخله بينابيع في الأرض، كما يقول سلكت الخيط في المخيط أي أدخلته فيه"¹ أما مصطلح اجتمع : جمع الشيء واستجمع : مكان الاجتماع، ويطلق مجازا على جماعة من الناس خاضعين لقوانين ونظم عامة"².

فالسلك الاجتماعي هو تلك الأحداث والأفعال التي تجرى في حياة الإنسان وما يقوم به من أعمال وأنشطة مع مجموعة من الأفراد حيث يتفاعلون مع بعضهم البعض في إطار نظم عامة، وينقسم إلى قسمين:

سلوك ظاهري: ما يعبر به الفرد باللفظ أو الحركة، أما السلوك الداخلي وهو ما يشعر به الإنسان كالتفكير والتخيل ولا يمكن ملاحظته. ووفق تلك التصرفات الظاهرية والعمليات العقلية يصدر ما يسمى بالسلوك الاجتماعي، هذا السلوك الذي يعكس سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، يقال فلان حسن السلوك أو سيئ السلوك، وفي علم النفس هو الاستجابة الكلية التي يبديها كائن حيّ إزاء أيّ موقف يواجهه"³.

عموما هو كل تصرف يبديه الإنسان ظاهريا أو باطنيا، تحدّد به مواقفه واتجاهاته السلبية والإيجابية. ويعتبر السلوك الإيجابي تلك النظرة الإيجابية بين أفراد المجتمع ميزته تفضيل المصلحة العامة على الخاصة أو تطبيق كلّ ما هو متعارف عليه. أما السلوك السلبيّ هو كلّ التصرفات التي تخرج عن الأنظمة المتفق عليها في المجتمع كالقوانين والمبادئ والأديان والأعراف التي تضبطها المنظومة الاجتماعية.

ومما لا شك فيه أن السلوك الاجتماعي يبقى من أهمّ السلوكات الإنسانية فهو يعدّ أكثر قدما من الثقافة، إذ تمتد ظاهرة "المجتمع" إلى أزمنة عظيمة في القدم في تاريخ الحياة على الأرض أما "الثقافة" فهي ترتبط بظهور الإنسان على وجه الأرض"⁴.

¹: ابن منظور : لسان العرب، ص442

²: المنجد في اللغة والإعلام: دار المشرق، لبنان، الطبعة الثانية والعشرون، 1986، ص101

³: معجم الوسيط: الجزء الثاني ، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1973

⁴: عاطف وصفي : الأنثروبولوجيا الثقافية، ص24

فالظاهرة الاجتماعية لما تحمله من عراقة تاريخية يجعلها ذات أهمية بالغة لاستمرار المنظومة الاجتماعية وتأسيس هيئة اجتماعية ذات ضوابط وأنظمة تساعد على بعث التوازن والاستقرار داخل المجتمع وعليه جاء الاهتمام من أغلب الباحثين بمختلف تخصصاتهم "بتحليل البناء الاجتماعي للمجتمعات الإنسانية ... تتميز بالدراسة المركزة لنظام اجتماعي وتوضيح الترابط والتأثير المتبادل بين النظم الاجتماعية"¹.

ب: عناصره:

وإذا حاولنا أن نحدّد العناصر الأساسية التي تشمل السلوك الاجتماعي فإننا نجد أنها تحتوي على ثلاثة عناصر هامة:

أولاً: شخصية الأفراد وما يصدر عنهم من مواقف تحدّد شخصيتهم من خلال ما يؤثر فيهم من ميولات وعوامل بيولوجية وثقافية واجتماعية، فتأثير هذه العوامل في شخصية الفرد تنعكس في تصرفاته ومواقفه لتختلف من شخص لآخر باختلاف ثقافتهم وطبيعة بيئتهم الاجتماعية.

ثانياً: الحاجة: ف وراء كلّ سلوك اجتماعي حاجة تدفعه إلى القيام بتصرف معين أو موقف خاص، لأنّ واقع السلوك الاجتماعي تحدّه مسارات نفسية واجتماعية، فلا وجود لسلوك اجتماعي بدون حاجة نفسية أو دافع اجتماعي وعليه فالسلوك الاجتماعي يتأثر بالحاجات الإنسانية والدوافع الاجتماعية، فحاجة الرغبة الجنسية مثلاً يمكن أن تتحقق من خلال الزواج، وحاجة الاستقرار يمكن أن تتحقق بالتماسك الأسري، وحاجة الانتماء يمكن أن تتحقق داخل مجموعة مترابطة كرابطة الدّم أو الوطن أو العقيدة، ونشير إلى مفهوم "الاحتياجات" في النظرية الوظيفية وخاصة عند عالم الأنثروبولوجيا مالمينوفسكي في " كتابه الأسطورة في السيكولوجيا البدائية" والذي يعرف " الوظيفة بأنها دائماً إشباع احتياج معين ... فالوظيفة في جوهرها هي نظرية تحوّل الاحتياجات العضوية أي الفردية إلى ضرورات وحوافز ثقافية مصنوعة"².

¹: المرجع السابق: ص 30

²: سرحان نمر: الحكاية الشعبية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1974، ص 42

ثالثاً: التفاعل: يتميز الإنسان بطبعه الاجتماعي لما له من أساليب خاصّة التفاعل مع الناس حسب شخصية كلّ واحد منهم، وهو يطوق من وراء ذلك تكوين علاقات أسرية واجتماعية.

تبقى أهمية هذا التفاعل هي القدرة على الاندماج الاجتماعي مع الآخرين ونسج تعاملات معهم، تمكّن من تعلم سلوكات جديدة وتبني اتجاهات مختلفة، كما تمكّن الفرد من تنظيم حياته الاجتماعية وعلاقاته في إطار ما يتعارف عليه المجتمع من " قيم " وعادات وتقاليد. فجميع " أنماط السلوك الاجتماعي تمثل علاقة الإنسان بأخيه الإنسان في النظم الاجتماعية مثل اللغة والاقتصاد والعائلة والسياسة والدين والأخلاق ونظم القرابة والعادات والتقاليد والآداب العامة والفنون ... وعلاقة الإنسان بعالم الأفكار مثل المبادئ والمثل العليا التي يؤمن بها المجتمع"¹.

يمتاز كل مجتمع من المجتمعات بسلوكات تميّزه عن باقي المجتمعات الأخرى وتحدّد ميزات أفرادها وذلك حسب ما يصدر عنها من قيم وأخلاق، فكل مجتمع تحكمه أعرافه وأديانه، وتحدده عاداته وتقاليد.

د: عوامله:

كما يحدّد السلوك وفق عاملين أساسيين يؤثران في نفسية الأفراد وهي: طبيعة النفس البشرية: تتوحد النفس البشرية في العديد من المكونات النفسية كالغرائز واللذة والألم والخير والشّر وعليه يبقى الإنسان قريباً من الحيوان لاشتراكه معه في بعض السلوكات أو ما تسمى بالسلوكات الفطرية.

طبيعة المجتمع: وهي طبيعة الإنسان التي تنتقل من الحياة البدائية والسلوكات الفطرية إلى طبيعة الحياة الاجتماعية المعدّلة، تحكمه نظم وقوانين كانتقال الإنسان من المغارة إلى الحضارة عبر مراحل تطورية، وبناء على هذا التطور الاجتماعي سلك الإنسان لنفسه تجمعات خاصة مكنته من الحفاظ على حياته واستمرار نسله.

¹: عاطف وصفي : الأنثروبولوجيا الثقافية، ص24

وقد يكون هذا ما يفصل الإنسان عن الحيوان بحيث يتفوق الإنسان على الحيوان بقدراته العقلية التي جعلت منه كائنا اجتماعيا يتأثر ويؤثر فأطلق عليه الدارسون بالحيوان الاجتماعي وعلى أساس هذا التطور الاجتماعي الذي لا يمكن إغفاله راح الإنسان يبحث عن سبل تمكنه من ضبط سلوكاته وتنظيم علاقاته، فسلك مسلكا مبدأه الثواب والعقاب يحدّد حسب الذم والمدح، فمن مبدأ اللذة والألم إلى مبدأ الثواب والعقاب.

وعليه أصبح الإنسان يتحكم في سلوكاته ويحرص على أفعاله وأعماله ويصغى إلى مبادئ مجتمعه وما يمليه من مثل اجتماعية ومبادئ أخلاقية. "ولاشك أنه من المقرر أنّ ثقافة المجتمع تخلق حوافز معينة للسلوك المرغوب فيه فالسلوك الذي يحبذه المجتمع يجب أن يكافأ بشكل أو بآخر وإلا فإن الأمور ستختلط على الفرد ولا يستطيع المجتمع حينئذ أن يقوم بدوره الذي يضطلع به في تنظيم السلوك"¹.

فموضوع السلوك الاجتماعي إذن هو موضوع تجتمع فيه مجموعة من التعميمات التي تدور حول حياة الإنسان أي كل ما يتعلق بالمجتمع من الناحية الإنسانية فما علاقة السلوك الإنساني بالمجتمع ؟

إذا نظرنا إلى أصل كلمة "مجتمع" نجد أنها تعني عند قدماء الفلاسفة "الإنسانية" وبعد تطور الدراسات اقتضت كلمة المجتمع على مجموعة من الناس التي تجمعهم وحدة ثقافية. وبعدها أصبح تُعرّف على أنها مجموعة من الناس تربط بينها صلات ومصالح دائمة، فالأسرة مجتمع والقرية مجتمع والطائفة الدينية مجتمع " وقد حدّد Ellwood هذه الصلات بأنها ذات طابع نفسي أو عقلي، فعرف المجتمع بأنه جماعة من الأفراد تجمعهم روابط نفسية"².

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الروابط النفسية هي العلاقات المتبادلة التي يتم عن طريقها تبادل المنفعة، والوحدة في المزاج والعقلية والتطلع نحو آمال مشتركة³ ويحصرها

¹: أحمد مرسى : الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 42

²: فاتن محمد شريف، يحي مرسى عيد بدر: مقدمة في علم اجتماع الأدب، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر،

الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2008، ص 12

³: المرجع نفسه، ص 12

العلماء في ثلاث تجمعات ذات أهمية: وهي الجماعات البيولوجية وتتمثل في علاقة القرابة الدموية والجماعات الجغرافية: في وحدة المكان والجماعات الاجتماعية وتشارك في الأعمال والوظائف والأفكار. ولهذا السبب تقوم جميع الدراسات الاجتماعية والإنسانية بدراسة السلوك، حيث ذكر أرسطو أن العلوم الاجتماعية هي " تعميم لكلّ العلاقات الاجتماعية للإنسان، موضوعه الأساسي الإنسان وباعتباره حيوانا سياسيا- اجتماعيا"¹.

ومما سبق يتضح أن دراسة السلوك الاجتماعي يشارك العلوم الأخرى أهدافها من حيث كونه دراسة أكاديمية تسعى إلى التعرف والوصف والتفسير والتنبؤ بالظواهر في حدود طبيعة هذه الظواهر"²، فهو إذن دراسة المجتمع كوحدة إنسانية متكاملة تمثل الحياة الاجتماعية للإنسان.

ولهذا كان لزاما علينا الإستعانة بمنهج الأنثروبولوجيا الاجتماعية في دراسة السلوك الاجتماعي لكونه أقرب في معظم مجالاته إلى السلوكات الاجتماعية والإنسانية أو " بكل ما يتعلق بالإنسان من الناحية الاجتماعية وكلّ ما يتعلق بالمجتمع من الناحية الإنسانية"³ وعلى هذا التداخل" كتب Chester barnard سنة 1938 " يبدو أنني على حق إذا تمسكت برأيي في أن دراسة السلوك الإنساني في المجتمع، تُعتبر أكثر الدراسات التي تتعرض لها عقولنا تعقيدا"⁴.

ج: منهج دراسته :

استُخدم مصطلح الأنثروبولوجيا الاجتماعية في العقد الأخير من القرن 18 م في أوربا على يد "جيمس فريدر" أولّ أستاذ للأنثروبولوجيا الاجتماعية في جامعة ليفربول بانجلترا، وبعدها تفاقمت الدراسات حولها من خلال عدد هامّ من الدراسات مثل : تايلور، ماكلينان سبنسر، ودوركايم أحد المؤسسين للأنثروبولوجيا الاجتماعية.

¹:حسين عبد الحميد أحمد رشوان : علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، المكتب الجامعي الحديث،

الإسكندرية، 2009، ص 07

²: فاتن محمد شريف، يحي مرسى عيد بدر: مقدمة في علم اجتماع الأدب، ص 14

³: حسين عبد الحميد أحمد رشوان : علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، ص 07

⁴:سعد جلال : علم النفس الاجتماعي، الاتجاهات التطبيقية المعاصرة، ص 355

يُعتبر معظم هؤلاء الدارسين أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية هي فرع من فروع علم الاجتماع يستهدف كلاهما عمليات السلوك الإنساني "وترى "لوسي ميد" أن علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية أقرب العلوم الاجتماعية لبعضها البعض حيث أن كلاً منها يدرس المجتمع ككل"¹. إلا أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية " تركز على الدراسة التكاملية المقارنة القائمة على الملاحظة للسلوك الإنساني في مضمونه الاجتماعي دراسة تكاملية أي أنها تدرس الظاهرة من كافة جوانبها في إطارها الاجتماعي"².

تهتم الأنثروبولوجيا الاجتماعية في دراستها بالبناء الاجتماعي لأي مجتمع بدائي بسيط وما تحمله من علاقات وأنظمة تتصل مع بعضها البعض بقواعد وأعراف وقوانين وأخلاق تضبط سلوكيات الأفراد. ويشمل هذا البناء على أنظمة وهي القرابة وما تشمله من نظم للزواج والأسرة والمصاهرة والعلاقات المتبادلة، ونظام الاقتصاد وما يشمله من نشاطات اقتصادية وتبادلات تجارية ونظام السياسة وما يشمله من نظم القوة وتوزيعها (الحاكم والمحكوم) ونظم الضبط الاجتماعي وما يتصل به من معايير سياسية ودينية وعرفية تحافظ على القيم والأخلاق.

ومن خلال هذه الشبكة الاجتماعية من النظم يتشكل " المجتمع " المنقسم إلى أجزاء تحدها مجموعة القواعد المتعارف عليها بين الأفراد، ولهذا يعرف البناء الاجتماعي على أنه "تنظيم متميز لنظم اجتماعية متخصصة ومعتمد بعضها على بعض اعتمادا متبادلا.. فالبناء الاجتماعي عبارة عن اتصال تلك النظم الاجتماعية التي تنظم الحياة الاجتماعية"³ كما يرى " في ستروس الظاهرة الاجتماعية ..عبارة عن بناء يتألف من مجموعة عناصر مترابطة تجمعها صفات مشتركة وهذه العناصر تشكل كلاً متكاملًا"⁴.

¹: فانتن محمد شريف: الرؤية المجتمعية للمرأة والأسرة، دراسات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2007، ص 12

²: المرجع نفسه: ص 13

³: نويل تايمز : علم الاجتماع ودراسة المشكلات الاجتماعية، ترجمة غريب محمد سيد أحمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987، ص 31

⁴: فانتن محمد شريف، يحي مرسى عيد بدر : مقدمة في علم اجتماع الأدب، ص 104

ومن الطبيعي أن تتفاعل تلك الأجزاء فيما بينها لتكوّن وحدة أساسية في الحياة الاجتماعية والتي في مجملها تتّصل بالسلوك الاجتماعي، " فكلما ازدادت معرفتنا بالسلوك الإنساني كلما أمكن التنبؤ بهذا السلوك في مختلف المواقف"¹.

ومن اهتمامات الأنثروبولوجية الاجتماعية دراسة الشعوب البدائية أو البسيطة التي سجّلها التاريخ غير المكتوب والمنقول شفهيًا، وعليه يعتبر الأدب الشعبيّ عامة والحكاية الشعبية خاصّة من أهمّ التعبيرات الشعبية التي رصدت لنا الحياة الاجتماعية للإنسان الشعبي شفهيًا.

فالحكاية الشعبية إذن تعدّ حقلاً واسعاً للدراسات الاجتماعية والثقافية ودراستنا لها هي وسيلة من وسائل الكشف عن مقوّمات الشعب الفكرية وسلوكاته الاجتماعية والتي رصدناها من خلال البناء العام للحكاية كالآتي:

أولاً: الحياة الاجتماعية : كان طبيعياً أن يحتلّ النّسق القرابي أو الأسري مكانة هامة لدى الأفراد لينتج عنه نظام العلاقات الذي تحكمه أنظمة وتضبطه قوانين، ومن أهمّ العلاقات الاجتماعية التي احتلت حيزاً هاماً في الحكاية هو الزواج الذي يُعدّ من أهمّ الحوافز الرئيسية في تحريك شخصيات الحكاية، كما كانت للأسرة أهمية بالغة في البناء العامّ لما تمثّله من ترابط في العلاقات.

ثانياً: الحياة الإقتصادية: إن الحياة الاجتماعية تتحرك بدافع الحاجة الإقتصادية وتوفير الأمن والغذاء، ولا يمكن لهذه الحاجة أن تتحقق بدون التعاون وتبادل العلاقات، والحكاية الشعبية تعترف بهذا النوع من العلاقات وتنوّعها.

ثالثاً: الحياة السياسية: الواضح أنه في أيّ شكل من أشكال الحياة الاجتماعية والاقتصادية لابد من وجود سلطة توجّه الأفراد صوب أهداف معينة، وتكون لها القدرة على التوجيه والتأثير، ولا يقتصر هذا على السلطة السياسية فحسب وإنما كذلك على السلطة الاجتماعية.

¹: المرجع السابق: ص 10

الفصل الأول: الحياة الاجتماعية والأسرية

1. الزواج:

تجمع كل العلوم الاجتماعية والثقافية على أن الأسرة هي النواة الأولى واللبننة الأساسية لبناء المجتمع، وإذا كانت الأسرة هي الأساس لبناء المجتمع " فالزواج هو بالفعل الوسيلة الثقافية الأساسية لضمان استمرار الأسرة والجماعة الأخرى القائمة على القرابة"¹ فعن طريقه تتكون الأسرة وينشأ أفرادها، ولهذا يبقى للزواج الأهمية الفاعلة في المجتمعات الإنسانية.

ومن الطبيعي أن نقوم بدراسة الزواج قبل الأسرة باعتباره بداية كل تركيبة اجتماعية" حيث إنه في رأي بعض الباحثين أعرق التقاليد الاجتماعية في أية بيئة تتخذ موضوعا للدراسة، ويمثل التطور التاريخي للقرية بعائلاتها وحمائلها... ومنه يتم الوصول إلى البناء الاجتماعي وقواعد الأسرة"².

ويعرف الزواج بأنه "علاقة مستمرة مقبولة اجتماعيا بين رجل وامرأة أو أكثر، وهي تسمح بالعلاقات الجنسية بينهما بغرض الأبوة"³، ولما له من أهمية في بناء مجتمع بجميع هياكله فقد أولته جميع الأديان السموية مكانة خاصة، فالقرآن الكريم حفلت آياته بما يمجّد ضرورة الزواج، ليس لأهميته الاجتماعية وإنما كذلك لأهميته النفسية وما تملّيه الفطرة عند الإنسان، فالقرآن الكريم نادى بالزواج وحث عليه لضرورته من الجانبين الجمعي والفردي، كقوله تعالى " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "⁴.

¹: فاتن محمد شريف، يحي مرسى عيد بدر: مقدمة في علم اجتماع الأدب، ص 197

²: سرحان نمر : الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني، ص 147

³: فاتن محمد شريف، يحي مرسى عيد بدر : مقدمة في علم اجتماع الأدب، ص 198

⁴: سورة الروم، الآية 21

ولهذا فإن علاقة المعاشرة بين الرجل والمرأة من أعظم الدلائل على قدرة الله عز وجل في الرغبة التي يشعر بها كلّ منهما نحو الآخر، وليس الدين وحده من حثّ على أهمية الزواج بل عكست أيضا ثقافتنا الشعبية ذلك من خلال الحكايات والأمثال الشعبية المتداولة في الأوساط الشعبية، فمعظم الحكايات الشعبية تتحدث عن الزواج وعلاقة الرجل بالمرأة وأهميته في حياة الإنسان، وما يقوم به العاشق من مخاطر وأهوال لأجل الوصول إلى معشوقته، كحكاية "حَدّ الزين" التي تتحدث عن بطل الحكاية الذي هام على وجه الأرض بحثا عن المرأة التي اختارها أن تكون زوجة له.

أما حكاية "الجَوْهَرُ فِي خَيْوُطِهَا" هي أيضا تحدثنا عن العجوز التي حاولت إبعاد ابن السلطان عن الديار مما عانوه منه من ظلم وتذمر من معاملاته المستبدة، فلجأت إلى حيلة من حيلها وأخبرته أن هناك امرأة جميلة في مكان بعيد لا يستطيع الوصول إليها، وبهذا قرر ابن السلطان التحدي والمواجهة في البحث عنها والزواج بها.

إن ترابط الرجل والمرأة تجربة عرفتها الإنسانية منذ وجودها، لأنها ليست مجردّ التقاء عشوائي وإنما طبيعة تفرضها الفطرة الإنسانية أي الجنس " ...و إذا كانت غريزة الجنس هي غريزة إنسانية، فهي منتجة للغريزة الأولى وهي غريزة البقاء لأنها تحافظ على بقاء النوع الإنساني"¹. وكلّ الحضارات والثقافات القديمة تحفل بوجود شواهد تعبر عن الجنس في إطاره الشرعي أو غير الشرعي" فعرب الجاهلية كما يقول الكاتب اللاتيني Annian Marcellinus "لم تكن تعرف الزواج المستمر الذي ترتبط فيه المرأة بالرجل لأجل مبين وإنما كانوا يُؤثرون الزواج المؤقت (أو العائلة المفككة) الذي يشوبه نوع من المشاعية الجنسية"². ومن خلال الجنس والزواج يمكن أن نلغي مبدأ اللامساواة بين الجنسين، لأنها أمور حساسة تجعل كلاً منهما في حاجة إلى مودّة ورحمة بالتساوي، ويجب أن تكون المعاشرة العاطفية متبادلةً بالتساوي، فحاجة كلّ منهما للآخر ضرورية ليست في العاطفة فقط وإنما حتى في الأدوار الاجتماعية أي في المجتمع لأنه يبقى الأصل في ميلاد مجتمع بشري والحفاظ على استمراره، ففي حكاية "حَدّ الزين" وحكاية "خَنِيفَسَةَ لآلَةَ

¹: كاظم الحجاج: المرأة والجنس بين الأساطير والأديان، ص 32

²: أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي، ص 229

النساء" وحكاية "هَارُونُ الرَّشِيدُ" تأكيد على ضرورة الزواج لما له من أهمية في الحياة الإنسانية هذه الأهمية التي يستمدّها "الزواج من وظائفه العديدة التي يقدمها للزوجين، فهو وسيلة منظمة لسدّ الحاجات المختلفة سواء كانت عاطفية أو جنسية أو اقتصادية"¹.

اشتغل العديد من علماء الفولكلور على الزواج « فقد قام ماك لينان Mac. Lenan بدراسة الزواج من خارج العشيرة، وجاء مورجان عام 1871 فنشر نقده لنظرية ماك لينان وطور رأي باشوفن عن مرحلة العلاقة الجنسية المشاعة فيما قبل وجود أي نظام للأسرة"². أما الزواج في المناطق العربية قبل الإسلام وبعده فلدينا دراسة «الأمومة عند العرب» لولكن Welkin و« القرابة والزواج في بلاد العرب " لروبر ستون سميت"³.

ولأول وهلة يظهر لنا بجلاء من خلال مجموعتنا الحكائية أهمية الزواج والحرص عليه بعد عملية الاختيار الزوجي للزوجة أو الانتقاء التي تقوم بها الأسرة في اختيار زوجة الابن أو البنت و" تختلف تلك العملية تبعا للثقافة الموجودة في المجتمع الذي ينتمي إليه وللمعايير والقيم السائدة فيه"⁴. ومجتمعاتنا الشعبية لها خصوصياتها في اختيار الزوجة، ذلك الاختيار الذي يكون مقرا ومقيدا أحيانا أو حرا أحيانا أخرى.

"يرى ليفي ستروس في ذلك أن قاعدة الزواج المقرر توجد في الأبنية الأولية للقرابة وهي ترتبط بتفضيل الزواج من أشخاص تقوم بينهما روابط الدم مثل الزواج من الأقارب، وخاصة أبناء العمومة والخوولة المتقاطعة أي الزواج بين أبناء العمات والأخوال بينما القاعدة الأخرى هي الزواج الاختياري وهي أكثر انتشارا في الأبنية الاجتماعية المعقدة حيث يتم الاختيار الزوجي وفقا لاعتبارات اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو غيرها"⁵.

¹: أحمد مرسى: الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 46

²: المرجع نفسه: ص 224

³: المرجع نفسه: ص 224

⁴: فانتن محمد شريف، يحي مرسى عيد بدر : مقدمة في علم اجتماع الأدب، ص205

⁵: المرجع نفسه، ص206

وقد غطت الحكاية الشعبية نماذج عديدة للزواج الاختياري الحرّ وما نتج عنه من منعرجات في حياة حكاية "لُونَجَة مُوَلَاة سَبْعُ سَوَالِفٍ" التي نلمس فيها حبّ لُونَجَة للفارس الذي بحثت عنه طويلاً وبعد اللقاء به تعجب به وبطريقة كلامه ووسامته، فتقرر مساعدته بإخفائه عن أنظار الغولة حتى لا تكشف أمره وتفرّ معه وتتزوج به. أما حكاية "عَانِمٌ وُلْدُ الرَّاعِي" تحدّثنا أيضاً عن اختيار بطل الحكاية "غانم" لزوجته من قرية أخرى بعدما لاحظ كرم وشرف والدها، فقرّر الزواج بإحدى بناته.

إن هذا الزواج، زواج اختياري يحدّد فيه نسب وأصل قبيلة الزوجة أما الزواج المقيد هو ما تحدّثنا به حكاية "حَدُّ الزَيْنِ" التي هجرت موطنها حتى لا يتحقق زواجها من أخيها. ونحاول أن نسير مع الحكاية لاستقراء رحلة الزواج منها وأهم السلوكات التي يتم اختيار الزوجة بها وهي:

أولاً: الزواج بالأقارب ويكشف لنا تفضيل بنت العمّ على غيرها من النساء ويبيّن صوراً عديدة ونماذج مختلفة لحقيقة المجتمع المتمثلة في عدم استقرار القبيلة وكثرة ترحالها بحثاً عن الكلا. وقد تكون لهذه الأسباب الدور المحقّر للزواج من ابنة العم هذا إلى جانب عدم الاطمئنان للارتباط بأجنبية أو خوفاً من تسريب معلومات لعدوّ القبيلة، ولهذا جاء الزواج بالأقرباء من أولويات شروط الزواج.

ففي حكاية " حَدُّ الزَيْنِ مُوَلَاة شَعْرُ الدَّهَبِ " تحدّثنا الحكاية عن ضرورة الزواج من ابن العم بحيث لا يمكن التخلّص من هذا الزواج مهما كانت الظروف وعادة ما يكون الوعد بالزواج من ابن العم منذ الصغر كما تشير إليه الحكاية « رَأَهُ وُلْدُ عَمِّكَ يَبْغِيكَ هَذَا شَحَالٌ مِنْ عَامٍ ». كما تخبرنا حكاية "عُشْبَةُ خَصَارٍ" عن ابن عمّ "عُشْبَةُ خَصَارٍ" الذي قام بمساعدتها من قبضة الغولة والفرار بها راغبا للزواج منها، لينجح في عملية الفرار ويتزوج بها في آخر الحكاية.

ونستنتج من ذلك أنّ التنافس الحاد بين نسب الولد من جهة الأم (النسب الأموي) ونسبه من جهة الأب (النسب الأبوي) يؤدي إلى تفضيل النسب الأبوي ووضوح انتماء الأبناء للآباء على حساب الأمهات¹.

وللوالدين الدور في اختيار الزوج أو الزوجة كاختيار الأب تقديم ابنته كمكافأة من أجل إبعاد الخطر عن الأسرة أو عن القبيلة كحكاية "رأجية" التي وافقت القبيلة على شرط "الشريف بني هاشم" قبول الزواج برأجية مقابل منحهم ما يريدون من القمح، ولسوء حالتهم وحال نسائهم وافقوا على شرط بني هاشم من أجل حماية القرية. وحكاية "الولد ومزّت باباه" الذي ابتعد عن أسرته هروبا من بغض زوجة أبيه له، وفي طريقه يلتقي بعجوز اشترطت عليه الزواج بابنتها، فوافق وتزوج ابنتها.

ثانيا: الزواج بالمرأة الولود : تبرز لنا الحكاية الشعبية لاعتبارات شخصية ولدوافع وظروف عديدة اختيار الرجل للمرأة ورغبة في الإنجاب، أي اختيار المرأة الولود خاصة بغرض "إنجاب الذكور وقد يرجع ذلك للهيبة والمكانة الاجتماعية أو المباهاة بالثروة"².

وتعدّد الزوجات غالبا ما يكون سببه إنجاب الذكور كحكاية "بقرّة اليتامى" التي حاولت فيها المرأة التي لا تتجب أولادا أن تنتقم من ضررتها بعدما حاولت قتلها وقتل أولادها. أما حكاية "عينّ الرّعفران" تحدثنا عن الرجل صاحب سبع بنات والذي ذهب إلى مكة داعيا الله عز وجل أن يرزقه بولد.

"ومهما يكن فإن الأسرة تظل بحاجة إلى مضاعفة عدد أفرادها، إما لخدمة الأرض أو للدفاع عنها في حالة الإغارة أثناء الإقامة في الأحياء أو أثناء الرحيل"³ كحكاية "هارون الرشيد" التي استعان فيها البطل بمساعدة أزواج بناته من أجل الدفاع عن قبيلته.

ولهذا يفضل الرجل المرأة الولود لما لها من قيمة اجتماعية داخل مجتمعها، فهي التي تحافظ على استمرار الحياة وعلى تواصل النسل وتطور القبيلة، وعليه فالسعادة تكون بوفرة الأبناء خاصة الذكور ولعل وجود مثل هذا السلوك في الحكاية له ما يبرره في الواقع

¹: عبد الحميد بورايو: البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ص، 54، 55.

²: فاتن محمد شريف، يحي مرسى عيد بدر : مقدمة في علم اجتماع الأدب، ص 203

³: بوخالفة عزي: الحكاية الشعبية في بيئتها الاجتماعية، رسالة ماجستير، ص 172

أي أن الرجل هو حامي القبيلة من أي عدوان خارجي ومؤمن حياة الأسرة من مأكَل ومشرب.

كما أنّ رغبة الإنجاب متداولة في معظم الحكايات لقيمتها في الحياة الاجتماعية، تدعّم مكانة الأسرة وتعزّز استمرار القبيلة، والزواج بأكثر من امرأة ضرورة تفرضها أسباب عديدة أهمّها الإنجاب، خاصة إن لم تكن المرأة الأولى ولودا أو لا تتجب إلا البنات. "في السيرة الهلالية نجد الرجل يبني بأكثر من زوجة، إلا أن واحدة منهن هي المخصوصة بالحظوة لإنجاب البنين وإن عدم الإنجاب وخاصة الذكور من أهم عوامل تعدّد الزوجات فقد تزوج "رزق" عشر نساء من أجل إنجاب الولد وتكون الزوجة الحادية عشرة وهي "خضرة الشريفة" التي تتجب له بركات الذي سمّي فيما بعد بأبي زيد الهلالي"¹. "عموما فالأفكار المرتبطة بالزواج كلّها تقريبا تدلّ على أن الرجل حين يتزوج يفقّي امرأة تأتيه بأولاد يرثونه، وترичه من عناء الحياة وتقضي له مطالبه"².

ثالثا: الزواج بصاحبة الجمال والشعر الطويل: يعكس طول الشعر للمرأة جمالها ورغبة الرجال في الزواج منها حيث يتحملون المشاقّ والمصاعب من أجل الفوز بها مثل حكاية "لُونَجَة مُوَلَاة سَبْع سُوَالِفْ" و "حَدُ الزَيْنِ مُوَلَاة الشَّعْرِ الذَّهَبِ" التي تبدأ سرد حكايتها بوصف جمال "حَدُ الزَيْنِ" « زَيْنَهَا فُوقَه مَاكَانَشْ، كَانِتْ طَوِيلَة وَبِيضَة، عَيْنِيهَا كِي نَتَاغُ العُزَالِ أَوْ كَانْ عَندهَا وَاحِدْ سَالِفِ طَوِيلْ، رُطْبْ وَصَفَرْ تحسبوه ذُهَبْ...».

تروي حكاية "حَدُ الزَيْنِ" قصة خصلة شعرها التي وجدها أخوها في البحيرة ولعدم علمه بأن صاحبة الشعرة هي أخته قرّر الزواج بها مهما كان الحال واقسم اليمين أن يبحث عنها حتى يجدها وألا يتزوج من غير صاحبة "الشَّعْرِ الذَّهَبِي" فقال: « يَا نَجْمَ اللَّيْلِ انْتَاغُ مِنْ هَذَا الشَّعْرِ؟ مُوَلَاتَهَا مِنَّا وَلَا مِنْ بِلَاصِ أَحْرَا؟ رَاكُمُ شَاهِدِينَ يَا نُجُومَ اللَّيْلِ! مُنِينُ هِي، نَحْلَفُ كَدَامَ رَبِّي مَانِدِي غَيْرِ مُوَلَاة هَذَا الشَّعْرِ وَلَا نَكْعُدُ عَازِبَ لِلْأَبْدِ! »

فصاحبة الشعر الطويل الجميل من أهم معايير الجمال في اختيار الزوجة، كحكاية "لُونَجَة مُوَلَاة سَبْع سُوَالِفْ" التي تصفها الحكاية في مقدمتها بأبهي الصفات « مَا كَانَ مَا

¹: فاتن محمد شريف، يحي مرسى عيد بدر : مقدمة في علم إجتماع الأدب، ص 204

²: أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص 237

أَزِينُ مِنْهَا، سُبْحَانَ اللَّهِ خُلِقَهَا وَأَنْشَأَهَا بِالزَيْنِ وَالْبَهَاءِ، وَالْحَاجِبُ وَالْعَيْنُ، وَالْحُرُوفُ وَالسَّالِفُ طَوِيلٌ وَأَكْحَلُ غَازِرٌ، بَحِيثٌ أُمُّهَا بَعْدَمَا تَمَشِطُهُ لَهَا تِظْفَرٌ مِنْهُ سَبْعُ أَظْفَائِرٍ» تلك الصفات التي جعلت الرجال يأملون في الزواج بها. فمعيار الجمال لدى أبطال الحكاية يكمن في الشعر الطويل.

نلتمس في الحكاية أيضا قضية المهر الذي يقدم بطابع خاص كتحقيق عمل عظيم أو قتل عدو كبير أو حيوان مفترس يهدد القبيلة، ما يعكس قوة الخاطب وبيّن رجولته في الحفاظ على الأسرة، كحكاية "لُونَجَة" بعد أن تسلّم أبوها هبة " خبزة محشوة بالذهب " هي عبارة عن مهر للونجة. « وقضية المهر قضية ضاربة في جذور الثقافات الإنسانية حيث نجد في أثر الساميين القدماء أن الرجل كان يشتري زوجته بأن يدفع مهرا " موهار بالعبرية" لأبيها أو لرأس عائلتها أو قبيلتها وعندما يؤدي ذلك الصداق يصبح سيدها"¹.

والذي استوقفني في جزئيات الحكاية الشعبية هو الزواج بالمحارم في حكاية "حَدّ الزين" التي قرّر فيها الأخ الزواج بأخته بعد معرفته بأنها صاحبة خصلة الشعر التي بحث عنها طويلا. وكذلك حكاية "المكتوب" التي تروي لنا محاولة السلطان الزواج بزوجة ابنه بعد موافقة الإمام رغم تحريمها له.

تقدم لنا الحكاية موضوع « الزواج الاغتصابي باعتباره يمثل أساسا من أسس النظام الاجتماعي الأبوي قبل أن تتعین حدود المحارم في الصلات القرابية»²، كبطلة الحكاية "لُونَجَة" التي لجأت إلى الهروب كحلّ ضروري حتى تتجنب الزواج بشقيقها. وقد يكون ذلك بقايا مما كان معمولا به قديما حيث إن « تحديد الزواج كان يظهر من أبناء الجيل الواحد فالآباء مثلا لم يكن لهم الحق في الزواج من بناتهم، بينما كان ذلك مباحا للإخوة بالنسبة لأخواتهم وقد بقي هذا الشكل إلى ما بعد بدء التاريخ المصري حيث نجد قدماء المصريين يتزوجون إخواتهن"³. كما أن معظم الأغاني الشعبية تعلّل ذلك بتسمية الحبيب " بالأخ " قُولُوا لُخُويَا " أو " رَاهُ خُويَا طَوَّلُ مَا جَاشُ... الخ. " فما من ريب في أن (زواج إيزيس من

¹: المرجع السابق: ص 237

²: عبد الحميد بورايو: البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ص 83

³: أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي، ص 225

ايزوريس في الأساطير الفرعونية ما هو إلا بقية من زواج أبناء الجيل الواحد بعضهم من بعض¹.

تؤكد لنا مسألة الزواج في الحكاية الشعبية أنه غير مرتبط برجل وامرأة وإنما مسألة مرتبطة بجميع أفراد العائلة ثم القبيلة. " فالزواج هو مسألة نظام كامل يقوم على مجموعة كبيرة من العلاقات، وليس مجرد علاقة ثنائية مثلما يفهم في بعض المجتمعات اليوم"² ولهذا كان الاختيار ضروريا للزوجة من قبل الأب ثم من الأسرة ثم من القبيلة.

وقد حاولنا رصد سلوكيات عديدة للزواج في حكاياتنا إلا أننا لم نعثر على صور وسلوكيات واضحة ترصد لنا تفاصيل الزواج كالخطوبة، العرس أو الحفل ... فلم نجد أشكالاً واضحة تحدّد طرق وكيفيات الزواج إلا بعض الإشارات فقط، فجّلّ الحكايات يتم الزواج فيها بسرعة كقول الحكاية "لَوْنَجَة مُوَلَاة سَبْعُ سَوَالِفَ" في آخر الحكاية « وتزوج مع لَوْنَجَة الزينة مِلاَة سَبْعُ أَسْوَالِفَ " ... وَعَاشُوا فِي الْهَنَاءِ وَالرَّاحَةِ حَتَّى جَاهُمْ هَازِمُ اللَّذَاتِ مَفَرَّقُ الْجَمَاعَاتِ وَهَذَا مِنَ الْأَخْبَارِ وَلِي عَلَيْهِ شَيْ دَنْبٌ يَكْتَرُ الْاسْتِغْفَارُ ». أما حكاية " الولدُ وَمَرَّتْ بَابَاهُ " تقول في آخر الحكاية « ... وَخُطِبْتَلَهُ وَرَوَّجْتَهُ وَعَاشُوا مَعَاهَا هَذَا حَدَّهَا وَالْحَالُ أَصْبَحَ » أما حكاية " حَدُّ الزَيْنِ مُوَلَاةَ شَعْرٍ دَهَبٍ " تقول في نهاية الحكاية « أَيُّ وَفَاتِ أَيْمَاتٍ وَدَارُوا لَهَا الْعَرْسُ مَعَ وِلْدٍ عَمَّهَا، عُرْسُ سَلَاطِينِ انْتَأَعَ رُبْعِينَ يَوْمًا ».

تكتفي الحكاية بذكر معلومة العرس والزواج بدون الاقتحام في تفاصيله، وفي بعض الحكايات يقوم الرجل بخطبة المرأة شخصياً كقوله في حكاية " بَقْرَةَ لَيْتَامَى " : تَتْرُوجِي بِيَا" أو حكاية " عَشْبَةُ خَضَارٍ " عندما طلب ابن السلطان الزواج منها : « أَنَا بَاغِي نَتْرُوجُ بِيكَ ... ومثلها حكاية "لَوْنَجَة مُوَلَاة سَبْعُ سَوَالِفَ" التي أعجب بها الفارس وطلب الزواج منها بعدما أخبرها بمغامرة البحث عنها : تقول الحكاية : « ... مِنْذَاكَ الْوَقْتُ وَأَنَا عَلَى عَوْدِي نَحْوَسُ عَلَيْكَ هَذِي يَوْمِينَ وَلَيْتَيْنِ لَا مَأْكَلَةَ لِأَشْرَابٍ وَغَيْرِ شِفْتِكَ قَلْبِي خَبَرْنِي ... الحمد لله عَلَى نَهَارِ الْيَوْمِ، أَنَا رَبِّي وَفَى لِي الْمُرَادُ وَلِقَائِي بِيكَ...». وقد يعود هذا الاختصار وعدم ذكر التفاصيل إلى مايرره عند الراوي ولذلك اكتفت الحكاية بذكر الضروريات، إلا أن ما

¹ : المرجع السابق: ص 227

² : عبد الحميد بورايو: البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ص 83

يجدر الإشارة إليه هو أن الحكاية الشعبية في عمومها " تعطينا رسماً يتألف من عناصر مختلفة، بعضها يرجع إلى آلاف السنين وبعضها إلى مئات الأعوام، ومنها ما يفوح بالأفكار الوثنية"¹.

2. العلاقات الأسرية:

مثلما سارت الحكاية الشعبية في إعطاء صور واضحة عن الزواج كما تقدّم، فإنها استمرت في ذلك مع موضوع الأسرة لما لها من مكانة في الحياة الشعبية خاصة في البلاد العربية، حيث أنها تشكل وحدة اجتماعية أساسية² وتمثل اللبنة الأولى في المجتمع، تشمل الأب والأم والإخوة. وقد تمتد في غالبية الأحيان لتشمل الجدّ والجدة وبعض الأقارب من الأعمام والعمات أو الأخوال والخالات. وقد أجمع العلماء أن نظام الأسرة مرّ بمراحل مختلفة بدأت بالعلاقة الجنسية المشاعة، وتلك مرحلة طفولة البشرية. وبلي ذلك الزواج بالجملة أو ما يسميه العلماء بشكل العائلة القائمة على علاقة الدم³.

وما تعكسه حكاياتنا الشعبية والتي لا تعطينا في أغلب الأحيان تفاصيل دقيقة عن الأسرة وإنما تشير إلى تألف وتماسك المجموعة الأسرية التي قد تتكون من زوج وزوجة وأولاد كحكاية "بَقْرَةَ لَيْتَامَى" التي تتكون من الأب والزوجة وطفلين أو زوج وزوجتين مثل حكاية "الوَلْدُ وَمَرْتُ بَابَاهُ" أما حكاية " لِلْكَبَارِ وَالصُّغَارِ " وحكاية " الْخَيْرُ مَرًا وَالشَّرُّ مَرًا " التي يشمل أفراد أسرتها الزوجين فقط. أو زوج وزوجة وسبع إخوة "ذكور" مثل حكاية "خُرَيْصٌ وَبُوخْرَيْصَةٌ" وسبعة إخوة إناث مثل حكاية " هَارُونُ الرَّشِيدِ " وحكاية " عَيْنُ الزَّعْفَرَانِ " التي سافر والدهنّ إلى مكة راجياً من الله تعالى أن يمنحه طفلاً.

ويتجلى الصراع بين أفراد الأسرة خاصة صراع الضرات والتميز بين الأبناء وهذا ما يدعو إلى نشوب النزاع الأسري أو التنافس بين الإخوة من الأب، وصراع الإخوة مع زوجة الأب مثل حكاية "بَقْرَةَ لَيْتَامَى" التي تعرّض فيها الأخوان "عيسى وعلي" إلى التفرقة

¹: أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص 230

²: عمر عبد الرحمن السارسي : الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني، ص 155

³: أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص 225

من قبل زوجة أبيهم، وتفضيل ابنتها عليهما ونشب الصراع بينهما ممّا أدى إلى هجرة الأخوين الأسرة والبحث عن الأمان بعيدا عنها. وحكاية "عُشْبَةُ خَصَارُ" التي أبعدها زوجها أبيها عن البيت أو صراع الإخوة مع بعضهم البعض لإبداء مهارة أو تفوق واعتلاء أمام الوالدين.

ترصد لنا الحكاية الشعبية إذن علاقات أسرية متعددة، بين الزوجين وبين الأبناء ثم بين الزوجين وأبنائهما. وعليه فالبيت الأسري للحكاية يشمل على علاقات متينة بين أفرادها تجمعهم روابط مختلفة وأدوار متعددة. فالابن الأكبر في الحكاية الشعبية عادة ما يكون عماد البيت بعد غياب الأب يكفّ بالحراسة، ويأخذ مكان أبيه ليصبح مسؤولا عن أسرته «فالعرف الشعبي يعطي الصدارة لرب البيت، فإذا مات احتل مكانه أكبر الأبناء وتلك عادة نجدها عند الفراعنة»¹.

وتتحدث الحكاية أيضا عن دور الابن الأصغر أو البنت الصغرى الذي يظهر جليا في أغلب الحكايات الشعبية وما يحظى به من مكانة وتقدير أمام والديه، كما تظل المودة سائدة بين الأخوة الأشقاء عكس الإخوة غير الأشقاء، أيضا فلأخت مكانتها الخاصة بين إخوتها تحظى بحب واحترام وهذا قبل أن يتزوج الإخوة وتنشب المشاكل بينهم. فتلاحم الأسرة مع جميع أفرادها ضمان للأمن والأمان وتعاون بعضهم مع بعض ضمان لحياة هادئة، تلك الحياة التي لم تسلم من نظرة الأعداء إليها فتفككهم وتباعدهم عن بعضهم البعض إما من داخل الأسرة أو من خارجها. والجدير بالذكر أن تغيّر الحياة الاجتماعية وما صادفته الأسرة من مشاكل هو ما سبّب هذا الصراع الذي امتد تأثيره إلى التفكك الأسري.

ففي مجموعة الأدوار التي يحركها أفراد الأسرة يكشف لنا عن بنية وسلوكات وعلاقات يتبين من خلالها تنوع وليونة المواقف بين ثوابت تقليدية مألوفة وأخرى غير مألوفة يمكن مشاهدتها في ممارسات العنف والتفكك الأسري من جهة والتماسك الأسري من جهة ثانية.

¹: أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي، ص 232

التفكك الأسري: يكون بين الزوجين أو بين الأبناء وآبائهم أو بين الإخوة، وغالبا ما يكون رفض مبدأ اللامساواة بين الذكور والإناث حيث تتمن الأسرة إنجاب الذكر على الأنثى ومن ثم تنشأ صور التفكك الأسري. هذا ما تصوره لنا الحكاية الشعبية من انفصال وهجرة بين أفراد الأسرة أو وجود عائق يمنع أحد الزوجين من القيام بدورها أو الوفاة "ويمكننا تعريف التفكك الأسري باعتباره انهيار الوحدة الأسرية وتحلل أو تمزق نسيج الأدوار الاجتماعية عندما يخفق فرد أو أكثر من أفرادها في القيام بالدور المنوط به على نحو سليم ومناسب"¹.

وقد تنسب الحكاية أيضا بعض أسباب التفكك الأسري إلى بعض العجائز التي تكون سببا في نشوب نار الفتنة في صدور الزوجات كما تروى لنا ذلك حكاية " غانم ولُدّ الراعي " وحكاية " الولد ومَرّت باباه " وحكاية " عَشْبَة خَصَاّر " التي كان سبب تفرقة أفراد أسرها هي العجوز أو "ستوت" التي تعمل دوما على خلق المكائد والحيل والمصائب لما تحمله في قلبها من حقد بغية تفرقة الأزواج أو الأبناء.

كما تشكل العجوز الساحرة طرفاً أساسياً في إحداث التحول أو التغيير داخل الأسرة وتساهم في بثّ الأفكار الخاطئة والقيام بالأعمال السحرية من أجل الوقوع بين الزوجين وإحداث الفتنة داخل البيت الأسري. ومن الملاحظ هنا أن المرأة العجوز في الحكاية الشعبية لم تحظ بترحيب وإنما باحتقار وذلك عند جميع الشعوب " فلم ينسب المجتمع الشعبي للعجائز فضلا، ولم يضيف عليهن مكرمة أو خصلة حميدة، بل إنهن دائماً مخادعات كاذبات، يورّدن الناس موارد التهلكة، يتحكمن تدبير الخطط، وحبك المكائد"².

كما يكون سبب الانفصال الأسري أيضا هو الزوجة الثانية أو الضرة المذكورة بكثرة في الحكايات الشعبية وما ينشعب عنها من مشاكل ومآزق أسرية ذات آثار سلبية تمتد إلى تفرقة الأبناء وتشردهم كما سبق وأن ذكرت.

ترتبط أغلب حكايات التفكك الأسري بين زوجة الأب الشريرة التي تدبر المكائد وتحبك الخدع لا لشيء إلا لأجل نشوب المصائب ووقوع التفرقة الزوجية أو التفرقة

¹: المرجع السابق: ص 248

²: أحمد مرسى: الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 54

الأخوية. وغالبا ما تكون هذه الزوجة عاقرا أو لا تلد غير الإناث ما يؤدي بها إلى الغيرة لأن "المرأة المنجبة للإناث منبوذة من المجتمع تجسدها لنا الحكايات كصورة عاكسة للأم النقيضة المنجبة للأنوثة المشوهة والحارمة من الغذاء"¹ ما تشير إليه حكاية "بُقْرَة لِيْتَامَى" التي جسدت لنا المرأة التي لم تتجب ولدا وكيف حاولت التخلص من ابن زوجها، أما حكاية "عُشْبَة خَصَّار" هي أيضا تحدثنا عن المرأة التي لم ترزق بأبناء فقررت إبعاد عُشْبَة خَصَّار عن أسرتها والتخلص منها، وكذلك حكاية "لُونَجَة" التي تخبرنا عن غيرة زوجة الأب من لُونَجَة ذات الجمال الفائق، وقد يصاحب سلوكات التفكك الأسري بعض السلوكات العنيفة التي تشد السامع إليها كالقتل والذبح وبتير الأعضاء والتعذيب

العنف الأسري: ارتبط العنف ارتباطا وثيقا بالحياة الاجتماعية فهو يعيش في أوساطها منذ البدايات الأولى للإنسان وتتجلى في سلوكاته وثقافته بصور واضحة، وهذا لأنها "وليدة الغريزة العدوانية التي تكمن في الإنسان، وكلّ الأديان السماوية قدمت آيات مختلفة عن كيفية تجنب الإنسان النزعات العدوانية الكامنة في الطبيعة البشرية، والنهي عن الخطيئة الكبرى التي تغوينا بالرغبة في إيذاء الآخرين"².

العنف هو عبارة عن صفة لكلّ سلوك، يعتمد صاحبه على القوة والشدة والخشونة، اقترن بالتفكك والتعامل بالعنف بكلّ أشكاله العدوانية بدون شرعية ولا قانون.

يتجلى العنف الأسري في الحكايات الشعبية على شكل صور تعتبر من أكثر الصور انتشارا، وذلك لأنه مرتبط ارتباطا وثيقا بمظاهر الحياة الاجتماعية، كقتل الأب لابنه، والابن لأبيه والأخت لأخيها والأخ لأخته، بأشبع أشكال القتل والتعذيب.

تجلت دلالات العنف الأسري في علاقات الأزواج أو بين الذكور والإناث التي استمدت عنفها من الثقافة الشعبية التي ورثتها، والتي تترجم خوف الرجل من سلطة المرأة وبالتالي ابعادها عنه باعتبارها مصدر عار، ولذلك تعامل الرجل مع المرأة تعامللا أساسه القوة والعنف من أجل تحقيق رجولته وسلطته وهذا ما تحدثنا به حكاية "المَكْتُوب" التي فضل فيها الرجل إنجاب ولد يقتله وليس بنتا تخرجه من البلاد عندما سئل في حلمه.

¹: عبد الحميد بورايو : البطل الملحمي والبطله الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ص 142

²: فاتن محمد شريف : الرواية المجتمعية للمرأة والأسرة، ص 197

وتشير هذه الحكاية إلى سلوكات عنيفة وهذا عندما حاول الأب قتل ابنه ويطلب من العبد أن يسافر به بعيدا وهذا قبل أن تتحقق نبوءته، أين قام العبد بفقء عينيه وتركه بعيدا، إلا أن العناية الإلهية ساعدته ليعود وينتقم من أبيه كما تشير إليه الحكاية.

كما يتجسد لنا صراع العنف الأسري بين نفس الجنس كصراع الضرتين أو صراع الأختين من أجل تحقيق رغبة من الرغبات كحكاية " خريصٌ وبُؤخريصةٌ " التي حملت سلوكات متعددة لمظاهر العنف الجسدي كالقتل والتعذيب حيث قامت الأخت الكبرى بتواطئ مع العبد بقتل جميع أفراد أسرتها واتخاذ أختها الصغرى خادمة لها تقوم بضربها وتعذيبها إلى حين عودة إختها وإنقاذها من قبضة أختها. وحكاية " عَيْنُ الرَّعْفَرَانِ " التي تحدثنا عن غيرة الأخوات من أختهم الصغرى التي حاولن الإنتقام منها، وتعرضن للقتل من قبل الأم وأخت زوجها. هذا الى جانب محاولة تدمير الزوجة حياة أخت زوجها في حكاية " مُلُوكَةٌ وَثَعْبَانٌ " تحدثنا الحكاية عن غيرة زوجات الأخ حيث شاركن جميعهن في تدبير مؤامرة " مُلُوكَةٌ " بعد أن أكلت بيضة ثعبان، فحملت وأصرَّ إختها على قتلها والتخلص من العار الذي سببته لهم، إلا أن زوجة الأصغر أبلغت عن المؤامرة وقاموا بإخراج الثعبان وطلبوا منها السماح.

غالبا ما تنشأ جرائم العدوان الأسري من قتل واعتداء ومشاجرات، يكون سببه الغيرة والحسد أو الصراع حول المال أو الملك، ومن خلال هذا العنف يتجلى لنا كذلك التماسك والترابط الأسري، فالصراعات القائمة بين أفراد الأسرة، هي سلوكات عنيفة من أجل الحفاظ على العائلة والأبناء والتشديد على الترابط الأسري. وعليه نستطيع أن نكشف أن عداا الأطراف الأسرية واختلاف الأقارب وتدمير بعضهم البعض حول قضايا اجتماعية مختلفة قد يكون أكثر عنفا وشراسة، بحيث نرى كيف دخل أفراد الأسرة الواحدة في صراع وتدمير عنيف يفوق في كثير عدائهم للأجنبي. وليس من الصدفة أن تكون أول جريمة أرتكبت في التاريخ الإنساني هي جريمة قتل "قبيل" لأخيه "هابييل".

تروي لنا العديد من الحكايات الشعبية فضاعة وجرم أفراد الأسرة الواحدة كحكاية البطل الذي قتلت أمه أباه حتى تبقى ملكة على العرش، ولم يعرف الإبن سبب موت

والده، ونام في حجرته حزينا بعد أن دفنه، فإذا بشبح أبيه يرمقه ويقول "إن أمك أعطتني السم وقتلتني - وقد أصبحت الآن ملكة من بعدي، فانتقم لي"¹ فانتقم الإبن لأبيه بقتل أمه.

فأغلب جرائم العنف في الحكاية لها علاقة حميمة بين مرتكب الجريمة وضحيته فهي عادة تتّم بين الأقارب والأسرة الواحدة، "فالعنف الإقصائي التدميري ليس بالضرورة موجّهًا للبعيد عن العائلة وعن القرابة الدموية، فيمكن للأنا الفارقة في نرجسيتها وماجوسيتها أن تدمّر أقاربها وأبناء دمها أي أن تدمّر كل ما يختلف عنها أو يخالفها في تحقيق رغبتها الشخصية"².

إنّ ظاهرة العنف الأسري حسب الدراسات تعتبر من أخطر الظواهر الاجتماعية "تكمّن خطورته في أنه ليس كغيره من أشكال العنف ذات نتائج مباشرة بل أن نتائجه غير المباشرة المترتبة على علاقات القوة غير المتكافئة داخل الأسرة. وفي المجتمع عامّة غالبا ما تُحدث خلا في القيم، واهتزازا لنمط الشخصية وخاصة عند المرأة والأطفال ممّا يؤدي إلى خلق أشكال مشوهة من العلاقات والسلوك"³.

ومن أكثر ما يشوه العلاقات الأسرية تلك الأزمات الأخلاقية التي ينجر عنها العديد من المشاكل بداية من أزمة الإحساس بالفقر من جهة أو الإحساس بالتهميش كاليتيم أو فقدان أحد الإخوة ما يدفع البطل إلى تجاوزه عن طريق الهجرة، هذا السلوك الذي بدا بشكل واضح في الحكايات الشعبية، حيث تعرّض معظم أبطال الحكايات إلى الهجرة هروبا من الإضطهاد الأسري أو البحث عن قريب أو البحث عن المال أو مساعدة صديق.

وعلى ضوء ما تقدم يتبيّن لنا عدم استقرار هياكل وأدوار الأسرة القائمة على التوزيع غير العادل للأدوار الأسرية. فمضامين وسلوكات الحياة الأسرية تؤكد بدورها على التمييز الأسري والتحقير الأنثوي. ومهما يكن فإنّ وضعية الحكاية الأسرية غير ثابتة نشاهد من خلالها التنوع والتعقيد الأسري عبر مراحل الحياة الأسرية.

¹: نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 169

²: محمد سعدي: المثل الشعبي الجزائري، مقارنة بنويوية، رسالة دكتوراة دولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، 2000، ص 182

³: فانت محمد شريف: الرؤية المجتمعية للمرأة والأسرة، ص 198

ومما لا شك فيه أن تأثير التفكك الأسري والبيئة الأسرية غير السوية يؤدي إلى إرتكاب العنف بأشكاله "أو ما اسماه البعض بالتدريب الاجتماعي الخاطئ أو الناقص الذي يظهر بصورة جلية من المجتمعات التي تتناقض فيها القيم والأهداف التربوية العامة وتنفك فيها الأسرة بصور ملحوظة وتعلو المواجهات الفردية على المواجهات الجماعية"¹.

ومهما يكن من أمر تبقى الأسرة أساس عملية التنشئة الاجتماعية تلك العملية الأطول التي تتدرج تحت مستويات عديدة، فلا يمكن لسوء ترابط العلاقات الزوجية أو تدهور حالة أفراد الأسرة أن تنتج تلك العملية، ونذكر هنا أن الوظيفة الأساسية للزواج والأسرة تبقى الركيزة المتينة في تحقيق مجتمع حامل لأسس ثقافية واجتماعية يمررها أفراد الأسرة عبر قيم متداولة نتيجة سلوكيات متعددة من أجل المحافظة على ثقافة المجتمع وهذا ما سنتطرق إليه في الباب الثاني الخاص بالقيم.

3. نظام القرابة :

تقوم علاقة القرابة على ارتباط مجموعة من العناصر التي تتشكل نتيجة النواة الأولى للمجتمع وهي "الأسرة" فتكون بذلك بنية قرابية محددة بيولوجياً واجتماعياً وثقافياً، أو كما يطلق عليها العائلة الأولية المتكونة من الزوج والزوجة والأبناء، ولهذا اهتم العديد من الدارسين والباحثين الأنثروبولوجيين بموضوع القرابة وألوه الاهتمام البالغ في فهم وتحديد مكونات المجتمع، لما رأوه من قيمة وأهمية في تحديد الأصول العائلية وذلك على المستويين الواقعي والأدبي بحيث درسوا مفهوم القرابة وعناصرها البنيوية وما تؤديه من مكانة مركزية في بنية الحكاية الشعبية والأسطورة.

وفي هذا الصدد نشير لأهمية دراسة لفي ستروس في تحليل مكونات البناء الاجتماعي والبحث في الأصول البيولوجية والاجتماعية والثقافية والأسطورية للنظام القرابي الذي يتحكم في تحديد بنية العائلات في « كتابه الضخم "الأبنية الأولية للقرابة"² و"دراسة

¹: المرجع السابق: ص 248

²: فاتن محمد شريف، يحي مرسى عيد بدر : مقدمة في علم إجتماع الأدب، ص 101

لويس مورجان في كتابه الرائد عن "أنساق روابط الدّم والمصاهرة في العائلة الإنسانية عام 1871 وساهمت هذه الدراسة في وضع أسس الدراسات الأنثروبولوجية والقريبة".

تعود أهمية هذه الدراسة لعلماء الأنثروبولوجيا لما لها من أهمية في تحليل البناء الاجتماعي والتغيرات الطارئة عليه "كنشأة الأسرة وتطورها من حيث الإباحية الجنسية وتعدّد الزوجات وصولاً إلى أحادية الزوجة وكذلك الانتساب إلى الأم ومن ثمّ للأب"¹.

وقد جاء في لسان العرب أن القرابة والقربى: الدنو في النسب والقربى في الرحم وهي في الأصل مصدر وما بينهما مَقْرَبَةٌ، ومَقْرَبَةٌ ومَقْرَبَةٌ أي قَرَابَةٌ، وأقارب الرجال واقربوه عشيرته الأدنون"². فالقرابة إذن هي تلك العلاقة الرابطة بين أعضاء الأسرة الناتجة عن زواج والتي تكوّن مجموعة متشابكة من العلاقات المنحدرة من الآباء والأبناء والأخوة، ومهما تكن نوعية العلاقات التي تحكم نظام القرابة إلا أنها تعتبر قوانين محكمة تؤمن الإتصال بين أفراد العائلة التي تجمعهم علاقتين أساسيتين هما: رابطة الدم ورباطة المصاهرة وسنحاول إبراز أهم سلوكيات الأقرباء المصاحبة لأطوار الحياة وما تحمله من تحديد طبيعة هذا النظام القرابي في الحكاية.

رابطة الدم : تتمثل علاقة القرابة بالدمّ أو كما يسميها دوركايم "تجمعات الدّم" من تلك الروابط التي تنشأ عن الزواج والأبوة والأخوة والتي يكون مبدأها الأسرة الأولية أو مثلث العائلة الخالد: الزوج والزوجة والإبن"³.

تجسد لنا الحكاية الشعبية مبدأ الأسرة الأولية التي تبنى روابطها على علاقة الدم تلك العلاقة الأخوية والأبوية المبنية أساساً على الحب والتعاون والاحترام كما تشير إليه معظم الحكايات في بدايتها. ونشير هنا إلى أهمية الأسرة الأولية في تحديد النظام القرابي والانتماء الاجتماعي لأن "أهمية دراسة السلوك داخل النسق القرابي، كما يقول (لوي) ما يشير ويكشف عن جوهر النسيج الاجتماعي"⁴.

¹: عيسى الشماس : مدخل إلى علم الإنسان(الأنثروبولوجيا)،إتحاد الكتاب العرب، دمشق،2004، ص 103

²: ابن منظور: لسان العرب . باب قرب، ص 565

³: عبد الحكيم شوقي: السيرة والملاحم الشعبية، ص 10

⁴: المرجع نفسه : ص 24

تحدثنا معظم الحكايات عن تلاحم أفراد الأسرة الواحدة، إلا أن هذه العلاقة لم تستمر في بعض الحكايات الأخرى، كمحاولة الأخ قتل أخيه أو الأخت قتل أختها وأمها في حكاية "خريص وبوخريصة" وحكاية "عين الزعفران" ومحاولة الأب قتل ابنه في حكاية "المكتوب" إلى جانب صراعات الغيرة بين الإخوة والأخوات كحكاية "هَارُونُ الرَّشِيدِ" وحكاية "عين الزعفران".

ورغم تلك الصراعات القائمة بين أفراد الأسرة الواحدة، ظلت القرابة الدموية هي التي تتحكم في سيرورة العائلة مثل حكاية "لُونَجَة" التي تربت في فضاء غير فضاء أسرتها فلم يؤثر عليها مكان إقامتها ولا حتى رابطة الرضاعة التي تعتبر في مجتمعنا من أهم الروابط القرابية، وعليه فإن الأمر يصبح أكثر وضوحاً «كما يقول وارتر، فإنه من المستحيل في بعض الحالات أن ينتمي أي فرد تلقائياً لطبقة معينة»¹.

ولعل ما يمكن أن نسجله من سلوكيات صراعية بين أفراد الأسرة الواحدة هو تلك الصراعات التي تزيد حدتها في الأسرة المفككة أو المعقدة، وما ينتج عنها من سلوكيات سلبية فاقت الأسرة النواة (أو الأولية)، فقد كان التأثير قويا في المزيد من العلاقات والصراعات التوتيرية بسبب حضور شخصيات أخرى كزوجة الأب (الضرة) أو زوجة الأخ أو زوجة الإبن... من الشخصيات الجديدة على الأسرة النواة، وعليه نستطيع أن نميز نوعين من العلاقات القرابية: علاقات إيجابية تصور لنا التقارب بين عناصر الأسرة الأولية وعلاقات سلبية تصور لنا صراعات بين أفراد الأسرة المعقدة وما يصيبها من تعقيدات وصراعات بين أفرادها كزوجة الأخ التي تدفع بزوجها إلى إلحاق الأذى بأخته، في حكاية "مُلُوكَة وثعبان" وزوجة الأب التي تززع هدوء العائلة واستقرارها وتدفع بأبناء زوجها إلى الفرار من معاملتها القاسية.

ومن الملاحظ هنا أن "الملح الأكثر أصالة للجسد الفولكلوري العالمي بأكمله من حيث الاحتفاء بمأثورات مثلث العائلة الخالد، الزوج، الزوجة والابن، وصراع الضرتين،...

¹: المرجع السابق: ص 25

واضطهادات زوجة الأب، التي تدفع بالأم إلى الخروج من قبرها لتتقذ طفلها القديري المضطهد من زوج أبيه¹ وهذا ماتحدثنا به حكاية "بَقْرَةَ لَيْتَامَى".

وانطلاقاً من فكرة العودة إلى الأسرة الأصلية أو البلد الأصلي في معظم الحكايات الشعبية سببها رابطة الدم التي تؤسسها مجموعة عناصر الأسرة الأولية، ففي معظم الحكايات "لُوْنَجَّة، بَقْرَةَ لَيْتَامَى، عَشْبَةَ خَصَارَ، المَكْتُوب" عَيْنُ الزَّعْفَرَانِ".....نلاحظ أن هجرة أبطالها إما هروباً من الظلم أو بحثاً عن زوجة، أو مساعدة قريب لم تمنعهم من العودة إلى أسرهم التي تربطهم بها رابطة الدم فهي إذن "وسيلة اجتماعية معدة للقيام بوظيفة اجتماعية وهي تأمين التوازن الاجتماعي وتأسيس السلم وتمتين التلاحم بين أعضاء المجموعة"².

والجدير بالذكر أن علاقة الدم تعترف بها كل المجتمعات القديمة والحديثة عرفاً وقانوناً سواء من الأقارب المنحدرين من خط ذكوري أو خط أنثوي والملاحظ أن الحكاية اتجهت نظام قرابي ينحدر وفقاً لنظام (أبوي) فهو الذي يمثل السلطة المتمثلة في الدفاع عن الأسرة والمحافظة على النسب، وذلك في غياب السلطة الأمومية التي لم تستطع الصمود أمام سلطة الأب. فمن خلال الدراسات التي قام بها مالينوفسكي لبعض المجتمعات "في أن الرجل لا علاقة له بإنجاب الأطفال، ولا يعتبر أباً بل مجرد زوج... ومن هنا لا يرث الابن أباه، بل أن وريث الأب هنا يشترط أن يكون ابن أخته..³".

وربما أبرز ما يميز ذلك النظام الأبوي هو فشل المرأة في فرض إرادتها وردّ الأمور إلى مسارها الطبيعي لينهزم نظامها أمام حرص وسيطرة ذلك النظام الذي عمل على القضاء على النظام الأسري الأمومي وتكفيل الابن الأكبر أو العم بمواصلة السلطة العائلية الذي يعتبر امتداداً للخط القرابي الذكوري، وامتناع الحكاية عن ذكر شخصية الأم والخال في سرودها والإكتفاء بالأب والعم والأبناء أمر يفسر إقصاء الجنس الأنثوي من السلطة أو محاولة إقصائها لأنه كما "يرى مالينوفسكي أن الخال يؤدي دور الأب في المجتمع

¹: المرجع السابق: ص 10

²: محمد بن حمودة: الأنثروبولوجيا البنوية أو حق الإختلاف، ص 70

³: عبد الحكيم شوقي: السيرة والملاحم الشعبية، ص 26

التروبيندي... فالأولاد يرثون عنه، وبه يناط أمر تربيتهم القبلية، الأب وحرثه ليسوا حتى نموذجاً يحتذى للإبن والصراع يحصل هنا مع الخال وليس مع الأب الذي يعيش بعيداً عن أبنائه¹. وعليه تحدثنا مصادر عديدة عن قداسة الخال أو بقايا النظام الأمومي الذي كان سائداً ومازلت آثاره بادية في تراثنا الشعبي.

فأقارب الأم لهم مكانتهم الخاصة عند الأبناء، إلا أن حكاياتنا الشعبية نلاحظ إقصاء الأم وأقاربها كحكاية "هَارُونَ الرَّشِيدُ" التي تحدثنا عن البنات اللواتي قررن الزواج ولم يستطعن إخبار والدهن فذهبن عند المدير ليجد لهن طريقة يخبرانه بها. ونلاحظ هنا أن الحكاية كانت بحاجة ماسة إلى شخصية الأم الأقرب إلى بناتها إلا أنها أقصيت بشكل عمدي أو غير عمدي. "ولذلك فإن الحكاية الشعبية تحرص على إبراز سلسلة نسب الأسرة أو القبيلة فهي تبتدئ بذكر الجد الأكبر الذي سلّم مقاليد الأمور إلى أولاده، ومنهم إلى أولادهم"².

تحدثنا حكاية "سَعِيدٌ وَدِيَابٌ" عن تهيئة الأبناء لإستلام السلطة بعد والدهم وحكاية "حَدُّ الزَيْنِ مُوَلَاةَ شَعْرَ الذَّهَبِ" التي يصطحب فيها السلطان ابنه إلى معركة القتال ليديره على فنون الحرب لمواجهة أعداء القبيلة. كما تحرص الحكاية على أهمية مكانة ابن العمّ وما يمثله من بطولة في اختياره كزوج مفضل للفتاة مهما كلف الأمر كما حدثتنا به أغلب الحكايات.

وصلة الدّم على أية حال تحضى بعناية كبيرة من خلال سلوكيات اجتماعية تتادي بالمحافظة على علاقات الدم كما يحفظها لنا التراث الشعبيّ عامة، وبالخصوص في الأمثال الشعبية "عَمْرُ الدَّمِ مَا يُؤَلِّي مَا" و كذلك "خُوكُ خُوكُ لَا يُغْرِكُ صَاحِبِكُ".

فمهما كانت الصراعات القائمة بين أفراد الأسرة الواحدة إلا أن العلاقة الدموية تبقى الركيزة الوحيدة التي تجمع بين الإخوة مهما نشب بينهم من عداوة، تحدثنا حكاية "حَدُّ الزَيْنِ" التي حاول أخوها الزواج منها بعدما اكتشف أنها صاحبة خصلة الشّعْر إلا أنها هربت من البيت بعد سماعها الخبر وطلبت من الله أن ينتقم لها من أخيها حين قالت:

¹: أحمد ديب شعبو : في نقد الفكر الأسطوري والرمزي، أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني، ص 263

²: نبيلة إبراهيم : أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 134

"يَا حُويَا يَا وُلْدَ مَا وَأُبُويَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَزْشَ وَمَا يَدَاوِيكَ لَا طَالِبُ وَلَا طَبِيبٌ" ولكنها عندما سمعت بمرضه لم تطاوعها "القراية الدموية" وهمت إليه طالبة منه السماح ومن الله الشفاء، كما طلبه هو أيضا.

إن صلة الدم يعمل أصحابها على الحفاظ على نظامها وإستمرار وجودها كما يتعاونون ويتعاطفون مع بعضهم البعض. ومنهم من يفتخر بنسبه الذي يعود إلى الجدّ الأول "وقد لاحظ الفولكلوريون أن عادة الانتساب إلى جدّ واحد وهمي يصل خيوط العشيرة أو العائلة، تبقى قائمة لدى المجتمعات البدائية، ومنها تذيب عادات مختلفة كالحلف بذلك الجدّ وأحيانا تقدسه وتعبده"¹. وهذا ما تذكره لنا حكايات الأولياء التي يقُدّس أصحابها الوليّ الصالح باعتباره جدّ القبيلة الذي ينبغي احترامه وطاعته لما يحمله من سمات قداسية وهو الحافظ لنسبهم ونشير هنا أيضا إلى تلك المعتقدات التي مازالت تحتفظ بها الذاكرة الشعبية الجزائرية كالامتناع عن أكل نوع من أنواع الحيوانات التي يعتقد في ذهن القبيلة أنّها تحرم على سلالتهم، لأنها كانت السبب في نجات جدّهم الأول من الموت.

ومن أبرز أنواع الحيوانات التي يحرم أكلها عند بعض الناس الذين حاورتهم هي "الأبقار" «فالبقرة ذات شأن في سائر الأساطير العالمية، فهي في الأساطير المصرية القديمة أمّ الآلهة جميعا... ولا غرابة في أن تكون الإلهة البقرة (نيسون) أمّا لجلماش"². وقد يعود هذا الاعتقاد أيضا إلى النظام الطوطمي الذي كان سائدا في المجتمعات البدائية خاصة وأن أهمية "الثور" بارزة في شمال إفريقيا وحاضرة على رسومات صخور الطاسيلي.

كما نشير أيضا إلى القراية بالمصاهرة التي تتم عن لقاء عنصرين من أسرتين مختلفتين عن طريق الزواج مما يؤدي إلى قيام أسرة جديدة ليتوسع النظام القراي ويشمل فضاءات بيولوجية واجتماعية جديدة.

فالحكاية الشعبية لم تحدّ من نظام القراية بالمصاهرة وعملت على الزواج من خارج التجمعات القراية كحكاية "غانم وُلْدَ الرَّاعِي" التي قرّر فيها بطل الحكاية "غانم" الزواج

¹: أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي، ص 220

²: مصطفى صمودي: من جلماش ... إلى نيتشه، ص 39

ليستقرّ اختياره على امرأة خارج تجمع القرابي (قرية أخرى)، ونلاحظ هنا أن الافتخار بالنسب باديًا في سلوكات البطل التي تتميز بالذكاء الحادّ، وعن طريقه تمكّن من التعرف على ابنه الذي كان يجيد حلّ الألغاز. ومن الواضح أن نسبة الذكاء هي العامل الأساسي في تحديد نسب البطل ووضع الطبقّي. ما تشير إليه الحكاية من سذاجة ابن غانم حتى أنّه كان يسخر منه والده وينسبه إلى أمه ... يذكر راوي الحكاية أن «عَانِمِ انْخُلَعُ مِينُ لَقِي وُلْدِهِ مَا يَعْرِفْشُ يَجَاوِبُ، حَتَّى وَلَى يُعَايِرُهُ بِأَمِّهِ».

أما حكاية "الولد ومزّت باباه" تحدثنا عن الزواج خارج النسق القرابي حينما التقى البطل بعجوز خارج مدينته لتزوجه ابنتها مقابل المكوث عندها. كما تحدثنا حكاية "هارون الرشيد" عن شخصية السلطان التي تجلّت في البحث عن أزواج لبناته السبع، فقام باستدعاء شباب المدينة حتى تختار بناته أزواجا لهن. ولم تقف الحكاية عند هذا الحدّ بل امتدت إلى تسليمه السلطة لزوج البنت الصغرى لشهامته وكفاءته. وبهذا تستمر السلطة الذكورية عن طريق زوج البنت الذي أوكلت إليه مهامّ الحكم، وبهذا فالقوة والحضور يخضعان لمنطق الذكورة.

لا تقتصر القرابة في الحكاية الشعبية على القرابة الدموية والقرابة بالمصاهرة، وإنما اتجهت اتجاها آخر وهو منظومة قرابية من عالم آخر تتشكل فيها عائلة جديدة نصفها إنساني والنصف الآخر غير إنساني.

تحدثنا حكاية هذا النظام القرابي عن دخول أبطالها ضمن منظومة قرابية من عالم آخر حيث يتجه أغلب أبطالها إلى البحث عن الزوجة أو المرأة الجميلة، كحكاية "جوهز في خيوطها" التي تبتدئ بحيلة العجوز التي حاولت من خلالها إبعاد "ابن السلطان" عن المدينة بعدما أخبرته بوجود امرأة جميلة (عالم غير إنساني)، ولا يمكنه الوصول إليها. إلا أن "ابن السلطان" قرّر التحدي رغم معارضة والده على السفر وصعوبة الوصول إليها. وبعد مغامرات الطريق التي تحدثت عنها الحكاية يصل البطل إلى "الجوهز في خيوطها" ويعود بها زوجة له.

تقوم هذه الحكاية على حركية عائلتين من جنسين مختلفين، بداية علاقتهم تصارعية علاقة ابن السلطان (عالم الإنسان) مع أب المرأة (عالم غير إنساني) لتنتهي

هذه العلاقة بالمصاهرة . أما حكاية "عَيْنُ الزَّعْفَرَانِ" هي أيضا تجمع بين عالمين، عالم إنساني تمثله "عَيْنُ الزَّعْفَرَانِ" وعالم آخر يمثله كائن غير انساني "لسان العصفور" الذي اشترط على والدها الزواج منها حتى يعيد له هدية ابنته التي وعددها بها، وخوفا من عودته إلى البيت بدون هدية لأعز بناته وافق على طلبه ووعدته بالزواج بها لتتم علاقة المصاهرة.

ولعل ما يميز هذه العلاقات هو العودة إلى العالم الإنساني (البلد الأصلي) وفشل العالم الآخر. فانتصار "ابن السلطان" على والد "جَوْهَرٌ فِي خَيْوُطِهَا" هو انتصار للعالم الإنساني وانقاذ "لسان العصفور" "عَيْنُ الزَّعْفَرَانِ" من أمه وأخته (عالم غير إنساني) والزواج بها هو انتصار للعالم البشري.

لم تصمد عائلة العالم الآخر أمام عائلة العالم الإنساني، لأن الحكاية وظفته ليساعد أبطال العالم الإنساني حتى تكتمل ذواتهم ويصان ما قد ضاع منهم بفعل السلوك البشري. ومن الملاحظ أيضا أن الزواج الخارجي من أهم نظم البناء القرابي التي تعمل على الربط بين علاقات الدم وعلاقات المصاهرة، بل ومن أهدافها إخراج النساء من العائلات التي ينتمين إليها بروابط الدم، وإعادة توزيعهن على جماعات أخرى¹.

كشفت لنا طبيعة النظام القرابي السائد في الحكاية الشعبية أنه نظام ذكوري مسيطر، تعود فيه السلطة إلى الأب أو الابن الأكبر أو العم وتغيب فيه سلطة الأم والخال والبنات. ومما يؤكد ضعف السلطة الأموية هو إبراز شخصية العم بشكل واضح ويمتد إلى الخط الذكوري الأبوي.

وبالرغم من ابتعاد الابن عن أسرته أو قبيلته إلا أنه لا ينفصل عن شعوره بالعودة إلى وطنه الأصلي ما يبرر لنا انتصار النظام الأبوي، إلى جانب قيمة الأسرة الأولية في تحديد الهوية البيولوجية والاجتماعية. ومن الواضح في الحكاية الشعبية أن النسق القرابي لا ينتهي عند حدود الأسرة بل يمتد إلى ما هو أبعد حيث يشمل فئات اجتماعية.

: عبد الحكيم شوقي: السيرة والملاحم الشعبية، ص 25¹

وعليه فإن الفرد لا يعيش إلا داخل ما تفرضه عليه تلك المجموعات القرابية .. من حقوق وواجبات ويكون وجوده مرتبطا بوجوده داخل الجماعة التي تسودها ثقافات ونظم مشتركة.

الفصل الثاني: الدينامية الاجتماعية والاقتصادية

1. الحياة الاجتماعية :

تضع الحكاية الشعبية بين أيدينا مجموعة من النماذج السلوكية الواقعية منها وغير الواقعية التي تساعدنا على معرفة الحياة الاجتماعية وما يبرز عنها من ملامح العيش وتبادل العلاقات الاجتماعية، كما يعرض لنا بالإضافة إلى تلك النماذج عملية الحراك الاجتماعي وما ينتجه من تغيير وتبدل للأوضاع الاجتماعية. ونقصد بالحراك الاجتماعي تلك الظاهرة الاجتماعية المرتبطة بظاهرة التغيير الاجتماعي حيث يتعرض لها الأفراد أو الجماعات أو الموضوعات الاجتماعية أو القيم أو السمات الثقافية. ويشير هذا المصطلح إلى الانتقال أو التحول مع وضع اجتماعي معين إلى وضع آخر ومن مكانة اجتماعية إلى أخرى¹.

يمثل الحراك الاجتماعي في الحكاية الشعبية تلك التحولات والتغيرات التي تصيب الأفراد والأسر والمجتمعات التي تعتمد على معايير وأسس واتجاهات يشترك فيها مجموع الأفراد والتي من شأنها أن تؤسس قوانين خاصة تقوى من شعور الانتماء للطبقة الاجتماعية.

والراجع هنا أن "الطبقة الاجتماعية كما يعرفها Bernard barber بأنها مجموعة من الأسر حيث تعد الأسرة وحدة متماسكة داخل الطبقة الاجتماعية لأنها تمجد في كل مجتمع بصرف النظر عن اختلاف الأبنية الداخلية. وهذه الأسر متماثلة في أسلوب الحياة ومستوى المعيشة ومقاربة في مقدار الثروة أو الوضع المهني أو المستوى التعليمي"².

عرف ابن خلدون "الطبقة الاجتماعية الواحدة تنطوي عادة على فئات اجتماعية مختلفة، ونراه يجمع بين فئات القائمين بأمور الدين من القضاة، والفتاوي، والتدريس

¹: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع : دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 1975، ص202.

²: فائق محمد شريف : الرؤية المجتمعية للمرأة والأسرة، ص 382

والأذان، تحت مقولة القائمين بشؤون الدين أو طبقة رجال الدين ... وصنف ابن خلدون الطبقات الاجتماعية حسب معيار المهنة¹. ولا شك أن طبقات مجتمع الحكاية هي تلك الطبقات التي تستلهم تقاليدها وقوانينها من عرف الجماعة السائر في تلك المجتمعات، التي تميزها البساطة والحدود المعيشية الميسرة.

فالبحث في الحياة الاجتماعية عن سبل العيش والاستقرار وكسب الرزق تطلعا على سلوكات وملامح عديدة لتلك الحياة الريفية البسيطة، غالبا ما تدور أحداثها في بيئة متواضعة يسودها الأمن والسلام إلى حين تغييرها إلى بيئة غير مستقرة تبحث عن مخرج لمآزقها ومشاكلها، كمساعدة قبيلة من قبضة عدو أو مغامرة البحث عن المحبوبة أو الأخت أو هروبا من متاعب زوجة الأب وغيرها أبنائها .. أو من فقر بيئة يسودها الظلم والاستبداد.

وغالبا ما تدور أحداث الحياة الاجتماعية حول بطل الحكاية إما أن يكون شيخا أو امرأة أو طفلا يتيما أو شابا عاشقا يحاول مساعدة معشوقته من قبضة العدو المتمثل في عدو إنساني أو زوجها المقيد أو زوجها من الغول كحكاية "الونجة" ليتحول ذلك إلى صراع اجتماعي يتعرض له البطل في الدفاع عن فتاته وإنقاذها من العدو.

يختلف أشخاص الحكاية الشعبية الى ذوي المراتب الرفيعة كالملك أو السلطان أو الجّد أو الأب، أو العكس هم أناس بسطاء مثل الفلاح، الخادم، الحرفي، العامل ... ولكن لا تبقى الحالة الاجتماعية على طبيعتها في معظم الحكايات لتتغير أو تتحول كتبدل حال السلطان إلى فقير أو الفقير إلى سلطان.

هذا التحول الاجتماعي تناولته الحكاية لترصد من ورائه قيما يرتكز عليها المجتمع فصورت لنا "حركية المجتمع كانتقال عضو من طبقة دنيا إلى قمة الهرم الاجتماعي"²، وعادة ما يظهر هذا التحول نتيجة ظلم المجتمع واستبداد السلطة ولكن في مقابل ما تفوح به هذه الحياة الاجتماعية من رائحة الظلم والاستبداد الدائم فهي تفوح أيضا برائحة الوفاء والكرم والعدل والمساواة.

¹: حسين عبد الحميد أحمد رشوان : علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، ص 157.

²: نبيلة إبراهيم: قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، دار العودة، بيروت، 1974، ص 184

ولهذا نجد الحكاية بمختلف سلوكاتها الاجتماعية تدور حول صراعين (صراع الشر وصراع الخير) أو قوتين: قوة مدمرة تستلهم قوتها من عناصر مختلفة ترصدها الحكاية(كأفعال السحر، والكائنات الموحشة أو الظواهر الطبيعية) وقوة مساعدة تقوم بمساعدة الناس وإخراجهم من المآزق التي تعترض أبطال الحكاية.

ولا شك أن مجتمع الحكاية مجتمع بدوي بشكل خاص تكوّن عبر قرون عديدة وكون أنماطاً اجتماعية واقتصادية وأشكالاً ثقافية، حاولت التعبير عن خصوصية هذا المجتمع، وقد عبرت الحكاية عن طبيعة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية.

فإننا نجد في مجتمع الحكاية البدو مجتمع قرية فلاحية أو مجتمع متمدن تدريجياً بأسباب التجارة والصناعة وبعض الأشكال الحرفية والمهنية وأهم ما يميز الحكاية الجزائرية هو انتمائها إلى طبقات متوسطة أو الطبقات الفقيرة التي تتعرض إلى التهميش والسلب. فهي تصوّر لنا الحالة الاجتماعية المزرية التي تعيشها الأسر وتجسد لنا السلوكات التي يستعملها الأفراد للحصول على قوتهم، ومن الملاحظ أن معظم الحكايات نلمس فيها الحالة المعيشية المزرية والبحث عن لقمة العيش، كحكاية " لِلْكَبَارِ وَالصَّغَارِ " التي تبدأ حكايتها بوصف حالة الزوجين الفقيرة "رَاجِلٌ مِسْكِينٌ هُوَ وَزُوجَتُهُ ... " حيث وصل بهما الأمر إلى القيام بالحيلة من أجل الحصول من جيرانهم على العشاء. فتخاصما أمام بيت الجار حتى يسمعها ويدخلهما لحضور الوليمة المقامة ببيته تقول الحكاية " يَدِيرُوا أَرْوَاحَهُمْ كَالِي مَدَابِزِينَ عَلَى خَاطِرِ مُسَاكِينٍ جِيَاعٍ بِلَا عَشَا وَجِيرَانَهُمْ مُوجِدِينَ وَاحِدٌ كُسْكُوسِي سُلْطَانِي بِالْجَاجِ ... «.

كما نذكر لنا حكاية " كِشْمِيَتِ كِي كُلِيَتِ " حالة الجوع التي سادت المجتمع القروي واستهزاء البائعين بالزبائن خاصة الغرباء عن المدينة، حيث تمكن الشاب الفقير الذي حاول بائع الشواء التلاعب بأفكاره من الإنفلات من مكره بجوابه المقنع.

وهذا السلوك الاجتماعي اعتاده الشباب من أجل التسلية أو معرفة أفكار الناس خاصة منهم الغرباء عن المنطقة، إلا أن الشاب استخدم ذكائه الذي مكّنه من الرد على بائع الشواء دون شجار فالحكاية تبيّن فصاحة اللسان وفطنة الذكاء اللذين يخرجان صاحبهما بلا شك من المواقف الصعبة عندما ردّ بقوله « كِسْمِعَتِ كِخْلَصْتِ ».

عموماً فالحياة البائسة التي ترسمها لنا الحكاية ليست مقتصرة على أفراد الأسرة وأبناء المجتمع وإنما أيضاً على القبائل والقرى. ومجتمع الحكاية كأى مجتمع إنساني آخر، عرف مختلف المهن والحرف، عرف الفلاحة والزراعة والرعي والإحتطاب والصيد وهي مهن تُكون طبقة الفلاحين كما سماها ابن خلدون " مهن بسيطة أقرب إلى الطبيعة لذلك ينتحلها البدو البسطاء وهي مهن سبقت الصناعة والتجارة... و تدني المكانة الاجتماعية سمة ظاهرة في القائمين بهذه المهنة ¹ وظهور هذه المهن والحرف طبيعي في المجتمع الجزائري، خاصة الإحتطاب لما تملكه المنطقة من ثروة غابية في مختلف الأوساط، فالحطاب يكسب قوت يومه من جمع الحطب وبيعه، وهكذا يتمكن من سد حاجات أسرته. وليست مهنة التحطيب مقتصرة على الرجال بل حتى على النساء كما تشير لنا حكاية "كُلُّ شَيْءٍ يَبْرَأُ... وَكَلَامٌ سُوءٌ مَا يَبْرَأُ" فالخادمة " هبرة " كانت تذهب يومياً إلى الغابة لجلب الحطب، كما تذكره لنا الحكاية : " نَجِي تَحْطَبُ فِي الْغَابَةِ..".

ومن النماذج العملية الأخرى الأكثر انتشاراً في الحكاية مهنة الرعي المتداولة بكثرة في المجتمع الريفي والقروي كحكاية : "المِعْرَةَ الصَّنِيَّةَ" وحكاية "عَانِمِ وِوَلْدِ الرَّاعِي" التي تروي لنا عمل الفلاح الذي يملك أربعين معزة ويقوم على عنايتهم وسلامتهم، فتصفه لنا الحكاية وهو في طريقه إلى عمله، حاملاً معه زاده المتكون من القربة (الماء) وكيس الخبز (زرع) والعصا وهو يُرَدِّدُ « هِشْ هِشْ، مُعِيرَاتِي خِيَاتِي قُدَامِي، حَتَّى لِلْغَابَةِ».

كما تذكر لنا الحكاية تفاصيل ثنائية لعملية الرعي ونوعية الأكل الذي تأكله الماشية، هذا إلى جانب مهنة الرعي المنتشرة في تلك المناطق الريفية، هناك مهنة الصيد المتواجدة بكثرة كحكاية «لُونَجَةَ مَوْلَاةَ سَبْعِ سَوَالِفِ» التي تذكر لنا تفاصيل إلتقاء الفارس الصياد "بلُونَجَةَ" حينما كان يمارس عملية الصيد مع أصدقائه في الغابة. فسقطت الحجلة على الثلج وحينها قرّر الزواج من فتاة ناصعة البياض، محمرة الخدين مثل بياض الثلج الذي سقطت عليه الحجلة وسال دمها عليه فقال لأصدقائه : « يَا أَلِي أَخَذَ طِفْلَةَ خُدُودَهَا بُوَضِينَ كِي هَذَا التَّلْجُ وَحُمْرِينَ كِي هَذَا الدَّمُ، أَلَا نَقُولُ رَبِي نَعَمَ عَلَيْهِ ».

¹: حسين عبد الحميد أحمد رشوان : علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، ص 159

وحكاية " الولدُ ومَرَّتْ بَابَاهُ " الذي هجر فيها الولد أسرته بعد اضطهاده من قبل زوجة أبيه، ليلتقي بعجوز تقوم بتربيته إلى أن يأتي أخوه باحثاً عنه، وكان الولد ماهراً في الصيد، لا ينقضي يوماً بدونها، تقول الحكاية « كَانُ كُلُّ يَوْمٍ اِصْيَدُ، قَالَتْ لَهُ الْعَجُوزُ: قَاعُ الْجِبَالِ صَيْدٌ فِيهِمْ غَيْرُ هَذَا الْجِبَلِ لَأَ ». .

تتحدث الحكاية عن سلوكيات متعددة لعملية الصيد البري وما يصطادونه من طيور مختلفة، وقد يكون هذا الشكل العملي محبباً لدى أبناء المجتمع الريفي لما يجدون فيه من المتعة والتسلية من جهة وتلبية حاجات الأسرة من جهة أخرى.

وقد تطلعتنا الحكاية على مهن أخرى كالتجارة في المواشي، من أغنام وأبقار ... ما تذكره لنا حكاية "بقرة اليتامى" حينما توجه الأب المكسور إلى سوق الجمعة لبيع "بقرة اليتامى" التي قطع وعداً مع زوجته المتوفية بالألّا يبيعهها ويتركها لأطفاله، ولكن زوجته الثانية من شدة كرهها لأبنائه وغيرتها منهما بعدما اكتسبوا بنية ووسامة من شرب حليب تلك البقرة، أرغمتها على بيعها والتخلص منها. وقلّما ذكرت لنا الحكاية الشعبية تلك المهن المتمدنة كالطبيب والمعلم، والمهندس ...

أما النماذج العملية التي تتعلق بالمرأة فقد ذكرت لنا الحكاية بعض السلوكيات العملية النسائية، تتعلق معظمها في الأعمال الحرفية كحرفة غزل الصوف في حكاية "لؤلؤة مؤلاة سبغ سؤالف" التي ذكرت لنا عملية صنع البرنوس بعدما طلبت زوجة أبيها أن تساعدتها في صنع برنوس لأبيها بنية التخلص منها حيث قالت لها : « يَا لَوْلُؤَةَ بِنْتِي أَيَا نَسِدُو بَرْنُوسُ لُبُوكُ كِنَكْمَلُوهُ وَبِلْبَسَهُ يَفْرَحُ بِيكَ ». .

كما تشير الحكاية إلى أعمال نسائية أخرى، كغسل الملابس في الوادي إما عملاً لتتقاضى به أجراً أو لقضاء حاجات أفراد أسرتها والعناية بنظافتهم.

ما تحدثنا به حكاية "بابا قرماز" عندما كان الزوجان يخرجان كل يوم للعمل فالرجل يخرج لكسب رزقه مثله مثل المرأة التي اكتسبت من غسل ملابس الناس عملاً يساعدها على تلبية حاجات أسرتها المعسرة حيث تقول الحكاية : « وَهِيَ مَشَاتُ لُقْشَهَا، يَعْني قَشُ النَّاسِ وَغَسِبْلَهَا فِي الْوَادِ كَالْعَادِ ». أما حكاية " المعزة الصنبية " تذكر لنا هي أيضاً غسل

الملابس في الوادي حيث تقول « وطول النهار وهي تغسل في قشها في الواد وحنا الذيب يحاوز فينا ...»

ولأول وهلة تظهر لنا بجلاء أنواع الأطعمة البسيطة التي كانت تستهلكها الطبقة المتوسطة في الحكاية كأنواع الخبز من شعير وكسرى وخبز الزرع إلى جانب العسل والسمن والحليب والكسكس، والشواء والدجاج... الخ.

وانطلاقاً مما سبق نستطيع أن نلاحظ ذلك الجانب الهام من الجوانب الاجتماعية للعمل البسيط الذي تحفل به المجتمعات القروية والتي تدفع بهم الظروف القاسية والحالة الاقتصادية الصعبة إلى العمل من أجل الحياة.

وعليه نستطيع أن نلمس المشاركة الاجتماعية والعلاقات المتبادلة بين أفراد المجتمع في الحياة الاجتماعية للحكاية الشعبية أهمها : العلاقات الاجتماعية والأسرية وما تحمله من سلوكيات مختلفة كالتعاون والتسامح والعلاقات العدوانية كالكراهة والانتقام وحب الذات...

لم تقتصر العلاقات الأسرية والاجتماعية على الإخوة والأخوات أو على الأصدقاء وإنما كذلك على الأزواج، وما تمثله حكايات يبين لنا علاقتهم المتينة مع بعضهم البعض في الحفاظ على العلاقة الأسرية، وتلاحمهم على اجتياز المخاطر والمشاكل الاجتماعية من أجل رعاية أبنائهم وتوفير الأمن والأمان لهم.

فالتبادل والتعاون الاجتماعي من أهم السلوكيات التي تشيد به الحكاية الشعبية في جميع أطوارها فهي التي تعلن أن « الوحدة ليست هي الفرد بل هي الجماعة القرابية، والفرد ليس إلا جزءاً من مجموعة أقارب، وهذا لا يكون صحيحاً إلا إذا اعتبرنا أن الفرد أو الجزء يسهم في عملية التبادل مع جماعته»¹. وهذا ما يراه علماء الأنثروبولوجيا وعلماء الاجتماع أن الجماعات التي تكونت منذ بدأ الخلافة تكونت على أساس التعاون بين أفراد الجماعة وكانت الأسرة دائماً هي النواة الأولى للجماعات»².

¹: سامية محمد جابر : علم الإنسان، مدخل إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ص 47

²: سعد جلال : علم النفس الاجتماعي الاتجاهات التطبيقية المعاصرة، ص 134

امتد تأثير العلاقات الأسرية إلى العلاقات بين باقي أفراد المجتمع كالعلاقات التجارية، وعلاقات الأصدقاء وعلاقة المصاهرة وقد تظهر هذه العلاقات جلية في الحكاية وما تبرزه من ارتباط كل واحد بالآخر ارتباطا اجتماعيا لتحقيق مصلحة مشتركة، ولعل هذا التلازم يؤكد نجاعة العلاقة الاجتماعية القائمة على تبادل المصالح رغم أن هذا التواجد لا يعني بطبيعته الإنسجام بل يعني في الغالب التعايش لتحقيق المصالح المشتركة. "فالإنسان بطبعه يحتاج إلى المعاونة في جميع حاجاته، وتلك المعاونة لا بد فيها من المفاوضة أولاً، ثم المشاركة وما بعدها، وربما تفضي المعاونة عند اتحاد الأغراض إلى المنازعة، فتنشأ المناقشة والموافقة، والصداقة والعداوة ويؤول إلى الحرب والسلم بين الأمم والقبائل"¹.

وبناء على ذلك نسجل أهمية العلاقات الاجتماعية في البناء والتفاعل الإنساني حيث تذكر لنا الحكاية مجموعة من العلاقات بين أفراد المجتمع، منها علاقة الأب أو شيخ القبيلة أو السلطان برعيته أو أبنائه، فشيخ القبيلة هو الذي يشرف على تطبيق القوانين وتسيير أمور القبيلة، وأفرادها يسرون طوع مشاورته في أمورهم خاصة.

لم تقتصر الحكاية الشعبية على العلاقات الاجتماعية بين القائد ورعيته وإنما امتدت إلى علاقات الحب والهيام بعدما عرضت لنا مجموعة من السلوكات بين الأحبة كحكاية لونجة". وحكاية "حدّ الزين مولاة الشعّر الذهب" التي وقع في حبها ابن عمها وتزوج منها بعدما عانى قرحة الفراق.

والملاحظ أن العلاقات الاجتماعية التي ميزت الحكاية هي علاقة المصاهرة بين أبناء السلاطين ونساء أدنى مستوى منهن لتعكس الحكاية لنا تغير الأوضاع الاجتماعية والأسرية.

2. التحولات الاجتماعية:

تبقى الحكاية الشعبية ببساطتها تمثل لنا تلك السلوكات الاجتماعية المنحصرة بين العلاقات الاجتماعية وتحولات أفرادها، لأن من طبيعتها اختزال الحياة الحقيقية ومكوناتها الواقعية وتصويرها " لإنقلاب العلاقات الاجتماعية والقيم المرتبطة بها وتبشيرها بضرورة

¹: حسين عبد الحميد أحمد رشوان: علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، ص 157

إخلال نظام جديد على أنقاض النظام السابق، وهو ما يدل على أنّ نشأتها تعود إلى مراحل تغير جذري في العلاقات الاجتماعية عرفها المجتمع المغربي القديم¹.

فالسلكات التي يحارب فيها الظلم ويتم فيها الانتقام من المتعدي، ويتحول فيها الفقير إلى غني، متعددة في الحكاية الشعبية، تتغير فيها وضعية الضعيف والفقير والأمير والسلطان والغني، وقد تتخذ الحكاية سلوكات مختلفة للقيام بهذا الغرض.

والراجع هنا أن الحكاية مرتبطة بالإنسان الشعبي المحروم وملازمة له لتغيير أوضاعه الاجتماعية من خلال إجرائية تقوم في مكانه بتغيير هذه الأوضاع. وحينما نتأمل السلوكات التي احتوتها الحكاية نجدها لا تختلف كثيرا عن سلوكات الحكايات الشعبية في العالم إلا أنها تمتلك بعض المميزات الثقافية التي ورثتها عن قصص عالمية أخرى وطبعتها بطابع محلي خاص.

ومن الملاحظ أن أهم العناصر الأساسية المحركة للتحويل والتغير هي المبالغة التي تجسدها سلوكات مختلفة كالسحر والحيل والمسح.... التي تشكل إحدى أبهى صور الحكاية خاصة الحكاية الخرافية.

"إن مسخ شخص يعني خضوعه لتحويل يصيبه إما بالزيادة أو بالنقصان وهو أن تطرأ تحولات فيزيولوجية على شخص ما، كأن يتحول إلى حيوان أو جماد أو نبات"².
حكاية "بقرّة الينامي" تحدثنا على الأخوين اللذين فرّا من ظلم زوجة أبيهما، وفي طريقهما أحس الأخ بالعطش فشرب من إحدى العيون المتواجدة بالغابة، ليتحول إلى "غزال" تقول الحكاية «غَيْرَ اشْرَبَ مِنْ الْمِيِّ انْتَاعَ الْعَيْنِ، انْصَحَطَ وَلَا غَزَالَ».

والمسخ هنا هو الإنتقال من صورة إلى أخرى، يتحول فيها الإنسان من طبيعته الأدمية إلى طبيعة حيوانية ويرتبط أحيانا «بالسحر إذ بواسطته يحصل هذا التحويل، إضافة

¹: عبد الحميد بواريو : الحكايات الخرافية للمغرب العربي دراسة تحليلية في معنى المعنى لمجموعة من الحكايات، دار

الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1992، ص 122

²: المصطفى مويهن : بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الأولى، 2005،

إلى أنه بواسطته يمكن إعادة من صار حيوانا إلى طبيعته الأصلية»¹. وفي حكاية أخرى استعانت الحكاية بعملية السحر لتغيير الإنسان الممسوخ إلى إنسان طبيعي بعد شربه لماء مسحور تقول الحكاية « دَاهُمْ مَعَاهَ لِقَصْرٍ وَلَعَى لِلطَّالِبِ شَرِبُوْلَهُ وَاحِدَ الْمَاءِ .. وَلَا عَازِبٌ كِدَائِرٌ .. ». «

يُرد التحول السحري عادة للبطل بغية إيقاع الأذى به من قبل العدو، بغرض الانتقام أو الإبعاد وتارة بغرض المساعدة والنجاة . كحكاية "الوَلْدُ وَمَرَّتْ بَابَاةٌ" التي تذكر لنا الحكاية التحول من الموت إلى الحياة باستعمال "العشبة الشافية" التي كانت سبباً في عودته إلى الحياة. وحكاية " الفلاح والخماس" التي أمر فيها الخماس زوجة الفلاح بأن تستعمل العشب الشافي لزوجها عندما فقد الوعي.

وهذا يذكرنا بعشبة الخلود التي بحث عنها "جلماش" في أسطوره « البحث عن الخلود». وكذلك عشبة "الرعرع" أو "العرعر" الفرعونية التي حك بها أيوب جسمه فشفي. هذا النبات عميق الخضرة وأهم من هذا، أن في خضرته العميقة، ما يرمز إلى الخصوبة وتجدد الميلاد في الطبيعة»². وقد يدل هذا التشابه في الذهن الشعبي على شمولية الحكاية الشعبية وامتدادها الأسطوري.

ونشير أيضا إلى عمليات التحول والتغير بطرق " الحيلة " كحكاية "عَانِمٌ وَوَلْدٌ الرَّاعِي" التي غيرت فيها المرأة العجوز ابن الراعي بابن سيدتها، ولم ينكشف أمرها إلا بعد تفتن الأب لذكاء ابن الراعي وسذاجة ابنه.

كما تذكر لنا الحكاية حيل زوجة الأب التي تستعملها من أجل التخلص من ابنة زوجها كحكاية "عُشْبَةُ خَصَّارٌ " عندما طلبت من ابنة زوجها أن تساعد في حياكة برنوس لأبيها بحيث منحها كبة صوف كبيرة وأمرتها بتمديدتها إلى آخرها حتى تتخلص منها. كما تشير حكاية "زَاجِيَةٌ" ذات الفطنة والجمال إلى فرارها من الشريف هاشم باستعمال حيلها وفطنتها التي مكنتها من الرجوع إلى أحضان قبيلتها وديار زوجها.

¹:المرجع السابق: ص 242

²: أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص 13

أما الحكايات التي تتحول فيها الأوضاع الاجتماعية للأشخاص من حالة إلى أخرى عن طريق الزواج فهي عديدة كزواج "لُونَجَة" ابنة الغولة من ابن السلطان، بعدما عانت الظلم والتهميش من زوجة أبيها وتربت في بيت الغيلان لتتغير أوضاعها وتصبح زوجة سلطان وصاحبة جاه.

أما حكاية " بَقْرَة الْيَتَامَى " عانت فيها الأخت مع أخيها آلام ومرارة فراق أمهما والتعرض إلى قسوة زوجة الأب وظلمها لهما، حيث وصل بها الحد إلى تهديدهما بالموت ولأجل ذلك لم يستحمل الأخوين الصمود أمام شرستها، فاضطرا إلى الهروب وعانوا مشقة الهجرة إلى أن التقت الأخت بابن السلطان الذي أحبها وعرض عليها الزواج بعدما انبهر من جمالها ورقتها وذكائها وقال: « هَذِي هِيَ الْمَرَا لِتُلِيقُ بِي ... ».

تعتمد الحكاية الشعبية في سلوكات التحول الاجتماعي على "روح المبالغة التي هي سمة شعبية تفرضها طبيعة القاص نفسه... قد تكون (المبالغة) محفزة لاستنهاض بطل مظلوم"¹. " فالمبالغة في إضفاء صفات خاصة على مثل هؤلاء تنقلهم من وضع ما إلى وضع آخر"²، كالفقير الذي أصبح غنيا واليتيمة التي أصبحت زوجة سلطان، والراعي الذي أصبح سلطانا.. ونلاحظ أن فكرة التحول عندما انتقلت من الأسطورة إلى الحكاية بدأت تفقد انتماءها إلى الفضاء المقدس لتكتسب شكلا متدنيا كالتحول من الفقر إلى الغنى أو من الشيخوخة إلى الشباب.

وعموما فإن المبالغة في التحول والتغيير تعكس الحاجة الأساسية لأفراد المجتمع التي ترتبط أساسا بطموحات وأحلام الشعب في تحقيق أمنياتهم كالانتقال من الفقر إلى الغنى ومن الظلم إلى الحرية، لتظل مجموعة هذه الحكايات في دينامية اجتماعية تشكل في أبعادها طموحات القاص والمستمع في فترة معينة.

¹: ياسين النصير: المساحة المخفية، قراءات في الحكاية الشعبية، المركز الثقافي العرب، الطبعة الأولى، 195، ص 14

المرجع نفسه : ص 15²

3. علاقة الإنتاج وخصائصها:

مما لا شك فيه أن التحولات والعلاقات الاجتماعية ظاهرة طبيعية وضرورية عند الإنسان بمعنى أنه لا يستطيع أن يعيش منعزلاً عن الجماعات البشرية والتبادل الاجتماعي، فلا بد إذن من اجتماع الأفراد "فشعور الفرد برغبته في الحياة الاجتماعية شعور فطري يدفعه إلى الاستئناس بأخيه الإنسان وتتعكس الضرورة الاجتماعية في هذا من خلال حاجة الأفراد إلى التعاون لسد حاجاتهم الاقتصادية والدفاعية"¹. ولذلك فإن الحاجة الاقتصادية من أهم الضروريات التي ذكرها ابن خلدون في الحياة الاجتماعية التي تستلزم القدرة على تحصيل الحاجات الغذائية.

إن العلاقات الاجتماعية تتحرك بدافع الحصول على الأمن والغذاء وقد عبر ابن خلدون عن ذلك بحاجة الإنسان إلى "الاستعانة بأبناء جنسه، وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت وغذاء ولا تتم حياته... ولا يحصل له أيضا دفاع عن نفسه"².

فالحكاية تعترف بهذه العلاقات وتنوعها لمالها من أهمية في تقوية الدور الاجتماعي والنمو الاقتصادي، حيث ترتبط المكانة الاجتماعية والدور الاجتماعي للشخص بالمظاهر الاقتصادية للحياة الاجتماعية التي تعتمد على القيم والاتجاهات التي يشترك فيها الفرد مع الآخرين لدرجة كبيرة والتي من شأنها تقوية الشعور بالعضوية في طبقة اجتماعية خاصة³، وعلى هذا الأساس يمكن أن يمتد أثر الحراك الاقتصادي وشدته إلى الحراك الاجتماعي وتنوعه.

وإذا تأملنا في الحياة الاجتماعية نلمس ذلك الاختلاف والتنوع في مصادر القوى الإنتاجية والتي تظهر بوضوح في الحكاية "... فمنذ فجر التاريخ هناك صراع بين الحضارة الزراعية (الأنهار) وبين البداوة ومجتمعات الرعي والصيد والإغارة"⁴. والعديد من الأساطير تذكر ذلك الصراع كأسطورة "جلماش" ذلك "الفلاح المتحضر" وصديقه أكيدو

¹: حسين عبد الحميد أحمد رشوان : علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، ص 97

²: المرجع نفسه : ص 97

³: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع: دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، ص 201

⁴: عبد الحكيم شوقي: دراسات في التراث الشعبي، ص 196

"الراعي المتوحش"، هذا إلى جانب قتل الفلاح "قبيل" شقيقه "حام" صاحب الزرع، وبعدها صراع قبائل الاوس والخزرج من فلاحين ورعاة.

إن البدو والحضر هما التصنيف الأول الذي اكتشفه ابن خلدون في المجتمع العربي، وليس هو الأسرة مثلاً كما هو الشأن في المجتمع الغربي. وهذا التصنيف عنده أساسه الاقتصاد¹ والمجتمع البدوي هو المجتمع التي تقتصر حياته على ما هو ضروري متجاوزا بذلك الكماليات، لأن طبيعة السلوكات الاجتماعية تختلف تماما عن سلوكات الحضر، فهم يعتمدون على الدفاع عن أمنهم (الدفاع عن القبيلة والأسرة....) كما يعتمدون في معاشاتهم على التعاون الاجتماعي في تحصيل الغذاء مستعملين الفلاحة والغرس والزرع، وتربية المواشي ورعي الأغنام،.... وكان ذلك التعاون والاجتماع في تلبية حاجاتهم الضرورية ما هو إلا تحصيلاً لحاجاتهم وحفاظاً على حياتهم واستمرارها. " فالبداوة حالة اجتماعية اقتصادية تتسم بالبساطة-لا التعقيد- وذلك لقلة أفرادها والاقتصار على الضروري من الأقوات والملابس والمسكن وسائر الأحوال والعوائد، ومقصرون عما فوق ذلك من حاجي أو كمالي.."².

وما يهمنا الآن مجتمع الحكاية التقليدي الذي يجمع بين البداوة والزراعة لأن أهم ما يميزه هو انتمائه إلى مجتمعات ما قبل الرأسمالية أو ما يسمى بنمط: " الإنتاج الآسيوي وهو نمط قائم على الملكية الجماعية للأرض والتنظيم القبلي"³، فالتمسك بالأرض مثل التمسك بالعرض، وقد لمّحت لذلك الحكاية وأكدت على العلاقة المتينة بين الأرض ومالكها، إلى جانب مكانتها المقدسة في النفوس والتصاق أبطالها بها بصفتها "الأم" و"الوطن. كما ارتبطت الحياة الاقتصادية بالفلاحة (الأرض) إلى جانب تربية الحيوانات (الأغنام البقر، المعز،...) والانتفاع بمننتجاتها (كالحوم والصوف والحليب...).

قدمت لنا الحكاية أيضا الصيادين والقوافل التجارية وحركتهم الدائمة والأسواق والتبادل التجاري الذي كان يعتمد فيه على " الحمار " باعتباره الوسيلة الوحيدة المسخرة في

عبد الله شريط : نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 34¹

: حسين عبد الحميد أحمد رشوان : علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، ص 135²

: حميد بوحبيب : مدخل إلى الأدب الشعبي، مقارنة أنثروبولوجية، ص 193³

التبادل التجاري والقيام بالأعمال اليومية، فكان مساعدتهم في جميع الأعمال الشاقة. "وصلة الفلاح بدابته ليست قاصرة على مشاركته العمل، بل هي تعاشره وتساكنه كوخه أو منزله، يعتمد عليها في طعامه، ويعتبرها مصدرا للكسب"¹... وتعود هذه المعاشرة إلى زمن الفراغة حيث تعتبر مصر من المناطق الأولى التي عاش فيها الإنسان الحيوان، ولذلك تركت هذه العادة في الأدب الشعبي أثرها في تركيب الصور والمعاني في الأمثال والحكم والشعر، كما تركت أغاني العمل أساليب المناجاة التي يوجهها الفلاح إلى دابته.

ففي حكاية "عشبة خَصَار" تذكر لنا تلك العلاقة التبادلية للإنتاج عندما منحت أم "عشبة خَصَار" "صحن فضة" (مكان النقود) لابنتها من أجل شراء ما تحتاجه. وكان التاجر وسيطا بينهما وبين زوجة أبيها، وعليه نلاحظ ذلك السلوك التجاري الذي اختفت منه العملة وحلّت محله المقايضة التي كانت سائدة في المجتمعات البدائية "وقد يكون التبادل بين فرد وفرد، أو بين جماعة قرابية، أو بين قرية وأخرى. وبذلك نجد أنه في كل الترتيبات المتعلقة بالنظام الاقتصادي. يبني السلوك الاجتماعي للأهالي على مبدأ "الأخذ والعطاء"².

تحدثنا أيضا حكاية "الخَيْرُ مُرًا والشَّرُّ مُرًا" عن مؤانسة الإنسان بالحيوان ومشاركته العمل، بحيث كان الحمار سببا في غنى الرجل عندما اقترحت المرأة الذكية على زوجها بجمع المال وشراء حمار تستعمله في نقل حمولة الحطب وبيعها في الأسواق. فحركة الأسواق الدائمة والتبادل التجاري كانت حاضرة في السلوكات الاجتماعية لأهميتها في كسب الرزق والدفع بحركة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية.

أما حكاية "المعزة الصنبية" و"غانم ولذ الراعي"، "زاجية ودباب بغالم"... الخ من الحكايات التي يعتمد أصحابها على "الرعي" كمصدر رئيسي لتلبية حاجاتهم الاجتماعية وضمان استمرار حياة أسرهم. تقدم لنا نوعية من الرعاة، رعاة خواص أي مالكين للماشية، يستفيدون منها لتسديد حاجيات أسرهم والنوع الثاني هم رعاة الجماعة، وهم أجراء عند أصحاب المال أو ما يطلق عليهم باسم "العزري"، وعادة ما تكون شخصية الراعي في

: أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي، ص 309¹

²: سامية محمد جابر : علم الإنسان، مدخل إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ص43

الحكاية شخصية مساعدة لأبطال الحكاية. إلى جانب " الرعي " هناك وسائل إنتاجية هامة كالأرض والماء التي يُعتمد عليهما في كسب الرزق والقوت كحكاية " عَشْبَةُ خَصَّازٍ " التي عانى فيها أفراد المجتمع الجفاف وندرة الماء، مما أدى بهم إلى الفقر والمعاناة.

يعدُّ الماء من أهم الموارد الرئيسة في المجتمعات وذلك منذ بزوغ الإنسانية فكان على الدوام هدفا من أهداف الحروب الطاحنة والهجرات المتتالية، ولهذا تداوله تراثنا الشعبي بنوع من الأهمية، " ومنه فكرة ماء الحياة في الفولكلور وهو السائل السحري الذي يرد ويعيد الموتى إلى الحياة"¹.

تذكر لنا حكاية " بَقْرَةُ الْيَتَامَى " أهمية الماء في بعث الحياة من جديد وهذا عندما شرب البطل ماء مسحورا تحوّل بسببه إلى حيوان، وبعد شربه ماء آخر مسحورا رجع إلى طبيعته الآدمية، تقول الحكاية " اشْرَبْ مِنَ الْمَيِّ نَتَأَعُ الْعَيْنَ، نُسَخِّطُ ... " ثم تقول في الأخير « لُغَاو لَطَالِبُ شَرْبُوْلَهُ وَاحِدُ الْمَاءِ ثُمَّ وَلَى عَارِبٌ كِدَائِرُ. » فالحكاية تشير إلى أن الماء هو الحياة والموت معاً. وإذا رجعنا إلى الأساطير فإننا نجد أن سحر الماء في إعادة الحياة له رواجٌ بين الناس" فعشّرتوت أنزلت إلى العالم السفلي ابنها "تمو" وأعدت إليه الحياة عن طريق ماء الحياة"².

من الواضح أنّ الماء والأرض هما من أهم المصادر الاقتصادية التي اعتمد عليهما الإنسان قديما وحاضرا وفي" هذا الصدد يقول ابن خلدون : أما جلب المنافع والمرافق فيراعى فيه أمور منها الماء بأن يكون البلد على نهر أو بإزائها عيون عذبة ثره (أي غزيرة المياه) فإن وجود الماء قريبا من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورية"³ ولقوله تعالى « وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ».

وعليه فتنوع المصادر الإنتاجية والاقتصادية تظهر بوضوح ضمن السلوكات الاجتماعية على طول هذا الإرث الشعبي وهي مصادر طبيعية وحيوانية يعتمد عليها اقتصاد الحكاية الشعبية. فهو إذن مجتمع قروي أساسا، ترتبط علاقاته بين السيد والعامل

عبد الحكيم شوقي: دراسات في التراث الشعبي، ص 237¹

: المرجع نفسه، ص 40²

: حسين عبد الحميد أحمد رشوان : علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، ص 100³

تلك العلاقة التي تتشكل المنبع الرئيسي لتنظيم المجتمع ولهذا " يرى ابن خلدون أن الأوضاع الاقتصادية لها صداها الذي يتردد في بقية أنساق المجتمع ونظمه"¹.

عموما تصور لنا الحكاية المجتمع الفلاحي تصويرا دقيقا لما يقوم به من أعمال جماعية، فتراه يعيش حياة بسيطة يسودها التعاون والعمل المشترك (كالحصاد والرعي... وغيره) من الأعمال الفلاحية. ومن الحكايات التي خدّدت لنا علاقات الإنتاج بين الفلاح وأصحاب الملك، تلك الحكايات الرمزية "الذئب والقنفذ" أو "النعجة والثعلب". فلم تقتصر الحكاية على وصف الأوضاع الاجتماعية بل اتسعت لقصص أخرى تصف الحياة التي يقوم الحيوان فيها مقام الإنسان وتتسم هذه القصص بالقصر من حيث الشكل وبتصوير التعسف وتغلب الأقوى على الأضعف برغم الحق والعدالة من حيث المضمون"².

استعملت الحكاية هذا السلوك الرمزي من أجل التعبير عن مواقفها اتجاه الظروف الاجتماعية والاقتصادية خاصة تلك العلاقات بين الفلاح المقهور وأسياد الملك لتختزل ذلك الصراع في رمزين متناقضين هما " الذئب والقنفذ ". والملاحظ هنا أن "الإنسان انفرد عن جميع المخلوقات بالسلوك الرمزي وبالقدرة على استعمال الرموز والتعامل بها، وإن الرمز بتعبير آخر هو الذي يُحول الإنسان من مجرد حيوان فحسب إلى حيوان آدمي"³.

اعتمدت الحكاية على سلوكات الشراكة في العمل الفلاحي كحكاية "الذئب والثعلب" اللذين اشتركا في إنتاج محصول القمح وحكاية " الذئب والقنفذ "في اشتراكهما في إنتاج "البطيخ" وحكاية " الحيلة والنية" في اشتراكهما في فلاحه القمح واللفت. " فالحياة الواقعية قائمة على مثل هذا التعاون، إذ يشترك الإنسان والحيوان في كل ما يتصل بالزراعة من أمور، ومن هنا كان للحيوان دوره المهم في الحياة والمجتمع مما يظهر في كثير من الحكايات الشعبية"⁴.

: المرجع السابق: ص 135¹

: ليلي روزلين قريش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 201²

: أحمد ديب شعبو : في نقد الفكر الأسطوري والرمزي، أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني، ص 37³

:أحمد مرسى:الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 58⁴

تحدثنا مجموع هذه الحكايات عن العمل الجماعي خاصة تلك السلوكات القائمة على الشراكة، وعملية قسمة المنتج التي غالبا ما تكون غير عادلة. فحكاية "الذئب والقنفذ" حاول فيها الذئب أن يستحوذ على كامل المنتج لولا فطنة القنفذ، حيث حاول الذئب استعمال حيله المتعددة التي لم تجد نفعاً أمام ذكاء القنفذ. أمّا حكاية "الذئب والثعلب" فجسدت لنا ذلك السلوك غير العادل لعملية قسمة المحصول وهذا عندما أراد "الذئب والثعلب" أن يقنّسما المنتج إلا أنّ الثعلب لم يرض بقسمة الذئب الظالمة، فاشتكاه إلى السلوقي-رمز العدل- الذي أنقذه من تلك القسمة الظالمة ليهرب الذئب خوفاً من السلوقي وهو يردد : « كُنْثِي رَاهُ لِيكَ بِالصَّافِي وَالكَرْفَةَ بِلِي تَحْتَ الطَّارِفَةَ، كُلُّ شَيْ رَاهُ لِيكَ ».

ولم تغفل حكاية " الفلاح والخماس " عن نموذج الإنتاج الإقطاعي الذي كان سائداً في المجتمع القروي في استغلال الأرض بواسطة " الخماسة ". فغالبا ما كان الفلاح يشتغل كخماس أي يأخذ الخمس من الإنتاج في السنة والباقي يأخذه صاحب الأرض أو المالك لوسائل الإنتاج.

ومما لا شك فيه أنّ الحكاية استعملت شخصيات كرموز لتعكس بهم الصراع القائم داخل الوسط الاجتماعي والاقتصادي الذي كان يزداد بؤسا بسبب الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في المغرب العربي عامة والجزائري خاصة. فإذا كان الذئب رمز القوة والسلطة فإن القنفذ والثعلب رمز الفلاح البسيط الذي يسترجع حقوقه المغتصبة عن طريق شخصية "السلوقي" رمز العدل والإنصاف.

والذي استوقفني هنا هو أهمية "الذئب" في الحكايات الشعبية التي يعتبر فيها بطلا لحكايات الحيوان، وقد جُمع له العديد من الحكايات كمدونة " تاسعديت ياسين" ومدونة "لاوست" وتبقى حكايته المشهورة التي تداولتها الأوساط الشعبية المغاربية هي "عرس الذئب" و"ديب بُونَوْرَة" وهي من أهم الحكايات الشعبية المتداولة في جميع المدن والقرى الجزائرية.

تشير حكايات الذئب في معظمها الى شراكة زراعية مع الحيوانات أو حتى مع الإنسان، وتبقى تلك النزعة السلطوية تبقى دائما علاقة صراعية قائمة على المكر والاحتيال ويمكن فهم تلك العلاقة بظهور "النموذج الفردي المرتبط باقتحام الليبرالية

التشكيلة الاجتماعية والاقتصادية التقليدية، وهو ما سمح بتحول قسط هام من طبقة الفلاحين إلى عمال في المصانع، ومن المعروف أن العمال أكثر تحرراً من وطأة الجماعة من زملائهم الفلاحين¹.

عموماً فإن تداول تلك الحكايات دليل على رفض ذلك السلوك الفردي المبني على التفكك الأسري والاجتماعي. وبكل بساطة هي " الوجه الحقيقي للصراعات الدفينة التي تعتمل في عمق الحركة الاجتماعية"². فإذا كان الذئب يستعمل سلوكيات المكر والخداع في الحصول على ما يريد، فإن القنفذ يتمكن من الخروج من تلك المآزق بذكائه الحاد وخفته. ماتحدثنا به حكاية " الذئب والقنفذ " التي لم يتمكن الذئب فيها من مخادعة القنفذ هذا الأخير الذي استغل طمع الذئب وأخبره بأن في البئر خيرات لا تحصى وأقنعه بالنزول إلى البئر حتى يتمكن هو من النجاة من قاع البئر وفي تقاطعهما يسأل الذئب القنفذ إلى أين أنت صاعد؟ فيجيب القنفذ بثقة في النفس « هَذَا حَالُ الدُّنْيَا وَاحِدٌ هَابِطٌ وَاحِدٌ طَالِعٌ ».

إن حكايات الذئب التي كانت متداولة بين الناس أغلبها يعبر عن طبيعة علاقات الإنتاج القائمة على الاستغلال الذي تعرض له الفلاح البسيط والذي لم تكن له أية ضمانات للعيش الآمن. فكان رزقه يسلب تحت أي ادعاء ولهذا فالحكاية الشعبية " ليست مجرد شكل تعبيرى يؤدي وظيفة معينة إنها أكثر من ذلك، إنها خطاب اجتماعي يسجل كل التوترات التي تشهدها البنية الاجتماعية والذهنية للمجتمع، كما تعكس حركة القيم الأخلاقية في اضطرابها وميلادها وزوالها"³.

تتجلى الحركة الاقتصادية في تلك النماذج السلوكية المجسدة في رمز " الذئب والقنفذ " والتي تعلن عن نوع التنظيم الاجتماعي الذي كان سائداً في الحياة الاجتماعية أهمه : العلاقات الاستغلالية، خاصة علاقة المستعمر الفرنسي مع أفراد الشعب الذي ساعد في إبراز طبقة ملاك الأرض، الأرض التي انتزعتها المستعمر من أصحابها ومنحها

: حميد بوحبيب: مدخل إلى الأدب الشعبي، مقارنة أنثروبولوجية، ص 136¹

: المرجع نفسه: ص 138²

: المرجع نفسه: ص 142³

لمن ساعده في وجوده وبقائه، ليخلق بذلك فجوة الصراع بين أصحاب سلطة الأرض وطبقة الأجراء (الخماسون، الحصادون، المؤجرون...).

والجدير بالذكر أن الحكاية الشعبية كانت دائما لبساطتها أكثر قدرة على التقاط الحياة الاجتماعية والاقتصادية وتحولاتها المتعددة، لأن من طبيعتها اختزال الحوادث والمكونات الواقعية في عناصرها المتلاحمة، وتقديم تلك الحوادث بشخصيات حقيقية أو رموز ممثلة في الحيوان الذي يعد في الفكر العقائدي الإنساني أقرب للإنسان" وربما كان ذلك امتدادا لعقائد طوطمية قديمة¹.

نشير أخيرا الى أنّ الحكاية الشعبية لا تقتصر على شراكة الإنسان الحيوان في الزراعة والفلاحة وإنما يتعدى ذلك إلى خروجه من صورته الأدمية إلى صورة حيوانية عن طريق المسخ أو السحر كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

لعلنا الآن نستطيع أن نرى بوضوح ذلك المجتمع الفردي البسيط الذي اعتمد نظاما اقتصاديا واجتماعيا بسيطا بساطة حياته الملتصقة بالأرض والطبيعة، معتمدا على جهده في الرعي والصيد، ثم سيطرته على الأرض وقد جاءت هذه السيطرة نتيجة اختراعه أدوات العمل الزراعي " وانتقال البشرية من الرعي إلى الزراعة كان أعظم ثورة اجتماعية في العالم القديم نتج عنها بدء التاريخ"²، غير أن اكتفائه الذاتي وفائضه الإنتاجي بعد سيطرته على الأرض ضمن له الحياة والاستقرار ومدّه بصلاحيه الملكية الفردية للأرض والاستعانة بأيادٍ عاملة تحت سلطته، هذه الملكية التي تولدت عنها السيطرة ثم السلطة.

: أحمد مرسى : الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 59¹

: أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص 225²

الفصل الثالث: المضامين السياسية

1. السلطة الاجتماعية :

عبرت الحكاية الشعبية عن الحياة الاجتماعية والأسرية التي عمل أبطالها على تأمين حياتهم من العدو وتحقيق الأمن والتعاون الاجتماعي، فالإنسان يتعاون مع أخيه الإنسان ويستأنس مع الحيوان لسد حاجياته الأساسية المتمثلة: في حاجة الأكل وحاجة الأمن. ومن أهم العلاقات التي جعلت أبطال الحكاية يتعاملون مع بعضهم البعض هي التبادلات الاجتماعية والاقتصادية التي تلبي حاجياتهم في أغلب الأحيان - المصلحة المشتركة - وبناء على ذلك نقر بأهمية العلاقات الاجتماعية مهما كانت أهدافها لأنها تعمل على مواصلة البناء الاجتماعي والاقتصادي وبالتالي مواصلة الحياة.

لم تقف الحكاية الشعبية على طبيعة اجتماعية أو اقتصادية واحدة بل تعدتها إلى تحول وتغيير تلك العلاقات، وهذا دليل على عدم الاستقرار في جميع مراحل الحياة الاجتماعية والاقتصادية. ومما لا شك فيه أن التحول الاقتصادي شهد صراعات متعددة ترك أثره على الحياة الأسرية والاجتماعية مما نتج عنه التفكك الأسري والاجتماعي.

وبما أن الإنسان خير بطبعه كما ذكر ابن خلدون، فهو يعمل جاهدا من أجل تنظيم تلك العلاقات وتمتينها وهذا ما تناولته الحكاية الشعبية في تقوية وتعزيز الانتماء الاجتماعي ونبذ الأنانية وحب النفس والحد من الصراعات والنزاعات.

ولا يمكن في أي حال من الأحوال أن يتحقق ذلك إلا بوجود عامل أساسي يرتكز عليه وهو السلطة السياسية والاجتماعية أو الضبط الاجتماعي"والذي يستخدم أحيانا على نطاق واسع ليشير إلى كل أنماط القسر والقيود التي تفرض الامتثال للمعايير والعادات في المجتمع البشري"¹.

¹: فاتن محمد شريف : الرؤية المجتمعية للمرأة والأسرة، ص 148

منذ بداية تكثف الإنسان في المجتمعات راح يؤسس لنفسه أنظمة وقوانين تجعله يحافظ على ذلك التجمع، وكان أول تجمع إنساني هو "الأسرة" النواة الأولى للمجتمع والتي تعتبر الميلاد الأول " للسلطة"، تلك القوة التي تفرض نفسها للقضاء على الاضطرابات وتحقيق الاستقرار والأمن داخل المجتمعات، فالأسرة منذ القديم عمدت الحفاظ على وحدتها ووحدة نظامها وتحديد سلوكيات أفرادها. وللحفاظ على سلطة بقائها لازمتها "سلطة" تتحكم في العلاقات الاجتماعية وتنظيماتها، وهي تختلف باختلاف المجتمعات والأنظمة والقوانين والأعراف ...

"والبداية المنطقية لأية دراسة للتنظيم السياسي، تكمن في تحديد وتعيين الوحدة السياسية من حيث الجماعة والمنطقة ويقدر ما يعرف مفهوم الوحدة السياسية باعتبار أنه يتضمن أفكار القوة والسلطة، يجب أن يعرف أيضا بوصفه جماعة من الناس تخضع خضوعا دائما ومستمرًا... لزعامة معينة بهدف المحافظة على نفسها كوحدة"¹.

وما تشير إليه الحكاية الشعبية من تنظيم سياسي وتعزيز لوحدها الجماعية، يكمن في سلطة القانون الحاكم والمتمثل في "السلطان"، وسلطة قانون الأعراف والمعتقدات الشعبية أو الضبط الاجتماعي الذي "يستخدم للإشارة إلى السلوك الاجتماعي الذي يقود الأفراد والجماعات نحو الامتثال للمعايير المقررة أو المرغوبة"².

والواقع أنّ السلطة ممارسة واجبة وحق على المجتمع إذ أن "ممارسيها ملزمون بالحفاظ على الجماعة، فالسلطة إذن مظهر من مظاهر المجتمع لا يمكننا فصلها عنه، لأنها نبعت منه وتعيش فيه، فلا يمكن فصل السلطة عن المجتمع ولا مجتمع بدون سلطة.

وتجدر الإشارة هنا أن الخضوع "للسلطة" ما هو إلا طاعة للعادات والقوانين الاجتماعية، "قدوركايم" يرى أن الخضوع للسلطة ما هو إلا خضوع للنظام، والخضوع للنظام له فائدة كبيرة من أجل صالح المجتمع والفرد"³.

¹: سامية محمد جابر : علم الإنسان، مدخل إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ص 97

² : نويل تايمز : علم الاجتماع ودراسة المشكلات الاجتماعية، ص 198

³: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع : دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، ص 308

إذا حاولنا أن نبحث عن أهم الأسباب والنقاط التي جعلت من مجتمع الحكاية في صراع دائم مع أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية ونزاعاته المتعددة، وفي الوقت نفسه يدعو بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى وحدة الجماعة وتكافل أفرادها، فإننا نجد من يقف وراء هذا كله وهي السلطة الاجتماعية والسياسية التي تسيطر على الجماعة باعتبارها هيكلًا سياسيًا ضابطًا للمجتمع، ونعني "بالسلطة الاجتماعية تلك القوة الضاغطة المتمثلة ظاهريًا في أحكام العرف الاجتماعي والمرتكز مادة وموضوعاً على امتلاك وسائل الإنتاج"¹.

تظهر السلطة في جميع التنظيمات الاجتماعية، ولكل تجمع سواء كان صغيراً أو كبيراً له سلطة يمثل لها، وعليه فالسلطة تعتبر ضرورة حتمية داخل المجتمعات، عرفتها الشعوب منذ القديم وكان أغلبها يستمد عناصر سلطته الاجتماعية من :

الغني : يعتبر الأغنياء من أهم الطبقات الاجتماعية خضوعاً لسلوكات القوة التي ينجر عنها خضوع الفقراء لهم ولأوامرهم لما يملكونه من قوة وجاه ومال، " والجماعة البشرية تحثي بأخبارهم أيما احتفاء وتهدر أقدار الآخرين فإذا مات غني لبسوا عليه السواد فأطالوا في ثيابهم وأما الفقير حين يموت فلا خبر.."².

تشير الحكاية الشعبية إلى فئة الأغنياء التي تضعهم في مرتبة الحكام والسلطين لما يملكونه من مكانة رفيعة لدى الجماعة، وهؤلاء لا يتعاطف معهم الراوي، غير أنه يمكن أن يبرز منهم بطل توازره الجماعة مؤقتاً. وهذا ما تشير إليه معظم الحكايات في سلوكات الزواج التي ترجح دائماً الزواج بابن السلطان أو الأمير، والبحث عن الغني والمال مهما كانت الصعوبات للرفع من شأنهم وإعلاء مكانتهم الاجتماعية. فالثروة في بعض المجتمعات الإفريقية " لا تعطي صاحبها حقاً في أن يعيش في مستوى أعلى من مستوى الأشخاص الذين يقلون عنه مادياً لكنها تنتج له سلطة يقود بها الأشخاص التابعين له ويسيطر على كثير ممن هم أقل منه"³.

¹: أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص 92

²: المرجع نفسه: ص 99

³: سامية محمد جابر : علم الإنسان مدخل إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ص 86

أصالة النسب: تلعب المنزلة الاجتماعية والمكانة القبلية الدور الكبير في السلطة الاجتماعية المتمثلة في القبيلة، باعتبارها السلطة العليا التي تسيطر على الجماعات. وقد تختلف القبائل حسب أصالة كل واحدة منها مرتكزة على شيخ القبيلة الذي غالبا ما يعتبر هرم البناء القبلي والمنظم لشؤونها.

فهي تعد "إحدى وسائل الدفاع عن الذات.. استمدت مشروعيتها وفعاليتها من خصوصية كل قبيلة وما تتمتع به من حسب ونسب ومال وشجاعة وكثرة الفرسان"¹. وفي حكاياتنا الشعبية نجد لهذه السلوكات ما يبرزها حين تحدثنا حكاية " غَانِمٌ وَلُدُ الرَّاعِي " وحكاية " رَاجِيَةٌ " عن مكانتهم العالية وافتخارهم بنسبهم الهلالي وعادةً ما يرتبط الذكاء والفتنة والقوة والشجاعة بأصل النسب.

تقدم السن أو الحكماء: يحتل كبار السن كالشيخ أو الحكيم أهمية وتقدير بالغين من قبل الفئات الشعبية المختلفة، يحضى فيها المسن بمكانة السلاطين لما يولونه له من احترام وتقدير، يعملون بنصائحهم وإرشاداتهم. واحترام المسن أو الشيخ يعود إلى أزمة بعيدة حيث يذكر "هيروديت" إن المصريين كانوا يخلون الطريق للمتقدمين في السن، وإذا أقبل رجل كبير القدر أو سامي المنزلة على من هم أدنى منه هموا واقفين"². ولذلك نجد معظم الحكايات ترد أصحاب المعرفة والدراية شؤون الحياة إلى الرجال المسنين والشيوخ (كالمدير) الذي يعود إليه أبطال الحكاية لحل ألغازهم ومشاكلهم، فيطلبون منه العون والمساعدة والمشورة لخلصهم.

فإذا اعتبرنا بأن السلطة الاجتماعية هي تلك القوة الضاغطة على الأفراد والتي تسيطر على الجماعة، فسلطة العرف والمعتقدات هي أيضا تمثل شكلا من أشكال الضبط الاجتماعي التي توجه الناس صوب هدف محدد، فهي تمتلك القدرة المؤثرة في إقناع الناس وإجبارهم على القيام بعمل مشترك والامتثال له من خلال تلك النماذج السلوكية التي يشترك فيها أبطال الحكاية، حيث تعتبرها الفئة الشعبية سلطة الأجداد، التي تُعرض أصحابها للعقاب الاجتماعي اذا انتهكوا مقدساتهم. وهي تتجلى عموماً في قوة وصرامة

¹: أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص 92

²: المرجع نفسه: ص 94

تطبيقها حيث ترجع أصولها إلى النشاط البدائي الذي حاول من خلاله الإنسان أن يفرض رغبته على الواقع الطبيعي من خلال السلوكيات التي تدعي القدرة على التحويل والتحكم في المصير وتغيير السيرورة خارج النظام المتعارف عليه ولهذا "يجوز أن نعتبر أن التقاليد والعادات ماهي إلا مظاهر ودلالات على السلطة ذات التاريخ القديم"¹.

تناولت الحكاية الشعبية الكثير من النماذج التي تلزم أعضاء المجتمع الواحد وتجبرانه على الامتثال لها. ومن أهم النماذج التي تكشف عنها الحكاية الشعبية هي المعتقد الديني الراسخ في الوعي الجماعي، حيث يرتبط أبطالها ارتباطا وثيقا بالتصورات الدينية، كالعناية الإلهية التي تساعد الأبطال على الانتصار والنجاح أو الفرار.... فحكاية "بَقْرَةُ الْيَنَامَى" تحدثنا عن تدخل تلك العناية الإلهية في إنقاذ الطفلين من الموت المحتوم بعدما حرمتها زوجة أبيهما من الأكل، فكان اقتناءهم حليب البقرة سببا في نجاتهم.

فالحكاية إذن تؤكد على إبراز الاعتقاد بالعناية الإلهية وهذا بانتصار المظلوم عاجلا أم آجلا وأن كل ظالم سيلقي جزاءه وسيجد من يقتص له من ظالميه. كما تحدثنا حكاية "خُرَيْصٌ وَبُوخْرُوصَةَ" أيضا عن العبد الخادم الذي عشق ابنة سيده وتجراً على الزواج منها بعد أن تواطأ معها في قتل أمها وأبيها وجعل أختها خادمة لهما، إلا أن القدرة الإلهية قلبت الأوضاع بعدما كانت الأم قد رزقت بطفلين "خُرَيْصٌ وَبُوخْرُوصَةَ" قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة، فتعتني بهما أختهما الصغرى إلى أن يكبرا وينتقما لوالديهما. أما حكاية "المَكْتُوبُ" هي أيضا تحدثنا عن الإعانة الإلهية التي جسدتها لنا الحكاية في إرجاع بصر ابن السلطان وهذا بفضل الحمامة التي طلبت منه أن يضع أوراق الشجرة الشافية على عينيه، ليعاد له بصره ويعود إلى وطنه وينتقم من والده الذي حاول التخلص منه.

أما حكايات الأولياء والأضرحة تعدّ من أهم الاعتقادات الشعبية التي مازالت حاضرة في ذهن الشعب الجزائري والمغربي، فهي محل اعتقاد من طرف الجماعة التي يظل أفرادها تحت سيطرتها وسلطتها. فهي تسند للأولياء الكثير من الأعمال الخارقة كحكاية "عرف سيدي معمر" التي تحدثنا عن أحد الأولياء الصالحين، وهو رجل يقتدى به في الغرب الجزائري، فقد كان كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال تطبق من قبل الناس حتى

¹ :المرجع السابق : ص 92

أصبحوا يتضرعون إليه بالأدعية ويطلبون رضاه وتقام له الولائم تقريبا منه. فقد كان كل من يخالف تعاليمه يبتلى بمصيبة فيقال « فَلَانْ خَرَجْتْ فِيْهِ دَعْوَةُ سِيْدِي مَعْمَرٌ »¹. ولهذا الولي تأثير واضح في الأوساط الشعبية يظهر ذلك في حرصهم الشديد على تطبيق التقاليد المتعارف عليها والتي أوصى بها هذا الولي، فمعظم أهل الغرب الجزائري يعتبرون أنفسهم أبناء له، وإذا ما شعروا أن أحدهم يبتعد عن هذه القيم يقولون بلهجة مليئة بالخوف والتذمر: «أَحْنَا مُسْلِمِينَ مَكْنُفِينَ» لاعتقادهم باللعنة التي سوف تصيبهم إن لم يمتثلوا لعاداته وتقاليدهم.

ومهما يكن من أمر فإنّ الإعتقاد بكرامات الأولياء وقدرتهم على توليد الفعل الخارق، ترجع إلى إيمان الناس بالبركة واللعنة، وبقدرة الوسطاء والمقربين على جلب المنفعة. ففي حكاية "هَارُونُ الرَّشِيدُ" تحدثنا عن "الولي عبد القادر الجيلاني" المتداولة في معظم الأقطار العربية، بحيث يقترن اسمه بالقدرة على تحقيق المعجزات وعددٍ من الأمور الهامة، نذكر منها العلاقة بين الولي والجن ... فقد رأى البعض أن الجن المؤمن يمكن أن يكونوا في خدمة الولي... وهذا هو سرّ القدرات الخارقة العجيبة التي يتمتع بها الأولياء»². وهكذا جسدت لنا حكاية "هَارُونُ الرَّشِيدُ" سلطة الاعتقاد ببركة الولي "عبد القادر الجيلاني" في مساعدته على تحقيق طلباتهم ورغباتهم،..... "هاو مَوْلَايَ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي لَقِينَاهُ يَا بَرَكْتَنَا بِفَضِيْنَا حَوَايَجْنَا".

ومما سبق نخلص الى أنّ الحكاية لم تتخلص من سلطة الأولياء والأضرحة فهي تجعل من الإنسان الشعبي راضيا لها والأعرافها، ويعتقد بسلطتهم. وما ينعنون به من أسماء لدليل على الامتثال لهم "كسيدي عبد الرحمن"، "المقام سيدي عبد الرحمن"، "سيدي عبد الرحمن شيلاه" ... الخ من التسميات التي تعظمهم وتجلهم.

إنّ الرضوخ لسلطة المعتقد الديني منتشرة منذ القديم سواء وافدة أم أصلية، تحكى عن كرامات الأولياء ومناقب رجال الصوفية الذين يتحدو المنطق الطبيعي، ولم يقتصر الأمر على تقديس أضرحتهم بل تتعداه لتقديس الأشجار المجاورة لأضرحتهم وسلطتها

¹: عبد الرحمان بوزيدة: قاموس الأساطير الجزائرية، ص 172

²: محمد الجوهري : علم الفولكلور، دراسة المعتقدات الشعبية، الجزء الثاني، ص 65

عليهم بحيث لا يجوز لأحدهم قطع أو قطف ثمارها حتى لا يصيبهم الأذى ولا يتعرضون للعقاب، كما أنهم يعلقون قطعا من ثيابهم عليها في اعتقادهم أنها تحميهم من كل ضرر أو تساعدهم على تحقيق عمل ما كالإنجاب مثلا...

تكشف لنا الحكاية في سلوكات أفرادها عن مظاهر سلطة معتقد الولي الراسخة في الفكر الجمعي عبر عصور طويلة، تلك السلطة التي تتغذى من الاعتقادات الشعبية المنتشرة داخل الأوساط الشعبية، إلى جانب المعتقد الديني في الحكاية هناك معتقد السحر والجان والحلم والنبوءة، تلك المعتقدات التي تعتبر من أقدم المعتقدات المرتبطة بالأساطير والتصور الروحاني للعالم الذي يعتبر أنّ كل شيء في الطبيعة يشتمل على أرواح ينبغي احترامها وخدمتها حتى تحقق رغباتهم وتتجح أعمالهم وتشفى مرضاهم. وقد أولت بعض الدراسات أهمية خاصة للسحر والمعتقد في شمال إفريقيا خاصة دراسة الباحث Edmond douuté "ادمون دوتيه" السحر والدين في شمال إفريقيا¹. وما نصادفه في حكاياتنا هي تلك الجزئيات المتجسدة في سلوكات سحرية عديدة كالتمسح والتحول والشفاء.....وتصور لنا الخوف منه والصراع من أجل اجتنابه.

فحكاية " بقرّة اليّنّامي" تحدثنا عن إمكانية تحويل كائنات انسانية إلى كائنات حيوانية كالغزال أو المعز أو الكلب ... فبمجرد تعرضها إلى عملية سحرية كشراب ماء مسحور يصاب بتغيير هيئته الإنسانية إلى هيئة حيوان "فالسحر في الحكاية يعمد إلى التدخل لتغيير مجرى الحياة وللتحكم في مصائر الشخوص"²، كحكاية " حدّ الزين مُولاة شَعْر الذَّهَب" التي تحدثنا عن ابن السلطان الذي أصيب بمرض خطير معتقدا أنه مصاب بسحر «كأنوا يُقولو سِحْرُوهْ وَلَا دُعَاوْ عَلَيْهِ». كما يعتبر السحر سلطة تطرد الأرواح الشريرة الناجمة عن أفعال الجن وتشفى من الأمراض.

وإذا كان تقديس الأولياء وتصديق كراماتهم ينتسب إلى الدين الإسلامي، فإن هناك الكثير من الأساطير والمعتقدات التي كانت سائدة قديما منها عبادة المغارات، ومنابع المياه

¹ Edmond douuté : magie et religion dans l'Afrique du nord .Alger 1909

²:المصطفى مويهن : بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة، ص 200

التي تعتبر كمنافذ خروج الجن القاطنين فيها. مثل حكاية " الخَيْرُ مُرًا وَشَرُّ مُرًا " التي يحرس فيها الجان المال والذهب الموجود تحت الأرض.

يعتقد الإنسان الشعبي منذ القديم بسلطة الجن التي تسكن الأرواح خاصة الحيوانات كالكلب الأسود، الثعبان، العنزة ... "وتعتبر هذه الأرواح في بعض الأحيان أبناء الإله... وفي الغالب أيًا كان نسبها أو قرابتها الروحية عبارة عن رسل الآلهة"¹. فحكايات الاعتقاد بسلطة الجان مترددة في الكثير من السرد الشعبية كحكاية " الجَوْهَرُ فِي خَيْوُطِهَا " التي تدور أحداثها حول حدوث الزواج بين الإنس والجن، تدلنا هذه الحكاية على رحلة ابن السلطان إلى مملكة الجان للبحث عن المرأة الجميلة في عالم مجهول، توصف كائناته غير البشرية بصفات غريبة كألوان بشرتهم الحمراء أو الزرقاء

ويجدر الأمر نفسه في معتقد سلطة الحلم والنبوءة التي تكشف لنا عن علم الغيب والامتنال له وتصديقه، وعليه فإنّ عملية التنبؤ والحلم في حكاياتنا الشعبية لها ما يميّزها داخل سلوكيات أفرادها. كحكاية "المَكْتُوبُ" التي تحدثنا عن السلطان الذي خير في حلمه بين إنجابه لولد يقتله أو بنت تخرجه من البلاد، فاختر الولد عن البنت. فأنجب ولدا وظلّ خائفاً منه الى أن قرّر قتله حتى لا يتحقق حلمه، وهذا ما حدث بعد رجوع الابن إلى وطنه وانتقامه من أبيه. وما يلفت النظر أنّ الأحلام والنبوءة ترجع إلى الأساطير الأولى كأسطورة "جلجماش" التي تحدثنا عن الأحلام السبعة للملحمة². أما القصص الشعبي العربي فهو يحمل الكثير من الحكايات التنبؤية والأحلام أهمّها السيرة الهلالية التي " نجد فيها كل حادثة خطيرة وكل واقعة عظيمة وكل عمل من الأعمال الكبيرة لا بد أن تسبقه رؤيا تنبئ به وتدلّ عليه"³.

و نشير أخيرا إلى أنّ سلطة العرف والمعتقدات تجبر أصحابها إلى الامتنال لها والتوافق لقوانينها والاعتراف بها وبسلطتها وسلطة الأشخاص الذين يملكون من الامتيازات الاجتماعية والعقائدية ما يرشحهم إلى مكانة هته السلطة. " ووظيفة انتقالها من جيل إلى

¹: محمد الجوهري : علم الفولكلور، دراسة المعتقدات الشعبية، الجزء الثاني، ص 364

²: هيثم هلال : ملحمة جلجماش، دار النهج للنشر والتوزيع، العراق، الطبعة الأولى، 2007، ص 45

³: مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 97

جيل لا تؤديها نظم حكومية ذات سلطة مركزية وإنما تقوم الجماعات الاجتماعية المختلفة ونماذج السلوك بهذه الوظيفة»¹.

2. السلطة السياسية:

ففي موضوع العلاقة بين الإنسان الشعبي ونظامه الاجتماعي، والاقتصادي والسياسي يكمن ما يصنعه الإنسان بفكره، وثقافته وأحلامه، والحكاية الشعبية هي جزء من هذا التراث الذي يحمل مساراً طويلاً لنضال الشعوب. وبما أن الأوساط الشعبية الجزائرية عانت حياة شاقّة نتيجة ظروفها المختلفة، ظلت تردد تلك الحكايات العاكسة لأوضاعها، حيث ضاقت مرارة التعسف والظلم مما أثار سلباً على حياتها الاجتماعية والاقتصادية.

إنّ الحكاية الشعبية الجزائرية كغيرها من الحكايات العالمية والعربية تعكس لنا طبيعة الأنظمة السياسية التي هي بالضرورة نظام الحكم ودور الحاكم في ترسيخ وجوده كقوة. "وطبقاً لذلك فإن كلمة سياسي يجب أن تستخدم كما يرى "وحيز" للتشير إلى أنّه صورة من صور السلوك الاجتماعي التي تقوي وتعزز بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وحدة الجماعة"².

وعليه نرى أن السياسة هي إحدى الركائز الأساسية في تنظيم وضبط المجتمع ووحدته، ولا يمكننا في أي حال من الأحوال أن نفصلها عنه فهي "ظاهرة اجتماعية ومن أبرز الظواهر الاجتماعية لأنها تنشأ فيه ولا يمكن تصوّر وجودها إلا فيه"³. فهي ظاهرة اجتماعية وسياسية معاً. ولهذا تعود نشأة السلطة السياسية إلى توفير الأمن والغذاء وهذا بعد "تحصيل الغذاء وحماية الإنسان نفسه من الحيوانات فصار بحاجة ماسة إلى سلطة تكون وازعا يدفع بعضهم عن بعض لما في طبيعتهم الحيوانية من ظلم وعدوان وخاصة

¹: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع : دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، ص 103

²: سامية محمد جابر : علم الإنسان، مدخل إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ص 101

³: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع : دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، ص 297

أنهم ملكوا السلاح"¹، وامتلكوا الأراضي كما سبق وأن ذكرت. فامتلاك الأرض والسلاح هما من أهم أسباب ظهور مظاهر السلطة والتي بظهورها ظهرت السياسة.

حفلت الحكاية الشعبية بمشاركة سياسة واضحة من خلال ما تبرزه لنا من سلوكيات سياسية تنظّم العلاقة بين الحاكم والمحكومين من أجل استقرار الحياة الاجتماعية "ويعتبر ابن خلدون ظاهرة السلطة هي ظاهرة حتمية في المجتمع، وأن كل مجتمع هو بالضرورة سياسي"². ومما لا شك فيه أن هته الظاهرة هي عامل أساسي في بناء المجتمع وتطوره خاصة إذا بُنيت على أسس متينة، وبما أن الإنسان بطبعه متعدد الحاجات وكثير النزاعات فإن ذلك يؤدي به الى صراع السلطة التي تكون فيها السيادة للأقوى.

تختزل الحكاية الشعبية السلطة السياسية في تلك السلوكيات التي تسيطر على أفراد المجتمع متمثلة في "السلطان" باعتباره الوحدة السياسية الوحيدة في التنظيم الاجتماعي، كونه الضامن للعدل والنظام بين الرعية. "وقد شغل السلطان جزءا كبيرا من كتاب" كليلة ودمنة " الذي يسجل أحواله في مختلف وجوه حياته"³. وعادة ما تبتدأ الحكاية بذكر السلطان لمكانته المعنوية وتسييره لدواليب الحكم حينما تقول: « كَانُ وَحْدُ السُّلْطَانُ، وَمَا هُوَ سُلْطَانٌ غَيْرَ رَبِّي » أو « وَحْدُ النُّهَارُ كَانُ سُلْطَانًا، مَا هُوَ سُلْطَانٌ غَيْرَ اللَّهِ » « مَا خَرَفْتُكُمْ وَمَا خَرَفْتُكُمْ، غَيْرَ عَلَيَّ وَاحِدُ السُّلْطَانِ »... « وَحْدُ النُّهَارُ، جَا وَعَدُ السُّلْطَانُ تَاعُ الْبِلَادِ »... « وَحْدُ النُّهَارُ، كَانُ وَحْدُ السُّلْطَانُ هُوَ وَمَرَّتَهُ قَاعِدِينَ ... » ثم « وَحْدُ نُهَارُ كَانَتْ هَذِي الزِينَةُ فِي لِبْنَاتٍ، بَغَاهَا وَدُ السُّلْطَانُ »... إلا أننا لا نجد حضورا كبيرا لأهم سلوكياته إلا من خلال بعض الإشارات وكأن منزلته في الحكاية لم تلق اهتمام الراوي ولا المستمع، كون الراوي مهتما بالطبقة المغلوبة على أمرها، والتعبير عن ظروفها المأساوية وحالتها المزرية والبحث عن مخرج ولو بخيالها، فمن الواضح أنّ الفولكلور هو تراث الفلاحين أو الطبقات الدنيا في المجتمع"⁴.

¹: مصطفى صمودي : من جلجماش ... إلى نيتشه، ص 205

²: حسين عبد الحميد أحمد رشوان : علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، ص 151

³: ليلي روزلين قريش: القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 212

⁴: محمد الجوهري : دراسات علم الفولكلور، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992، ص 24

صوّرت لنا الحكاية نوعين من السلاطين أو الحكام، نوع يقدمه لنا ظالما جبارا يملك من المال والنفوذ ما يجعله قوة تُعارض كل من وقف ضد مصالحه وعارض شؤونه. يستعمل التفرقة والتوزيع غير العادل للحقوق والواجبات مما يؤدي الى انعدام المساواة بين مختلف فئات المجتمع، كحكاية "الجَوْهَرُ فِي خَيْوُطِهَا" التي تحدثنا عن غطرسة وسلطة ابن السلطان. هذا النوع من السلطة الذي يتمثل في "سلطان الغابة الذي يحتفظ دائما لنفسه بحصة الأسد دون الاهتمام بالآخرين، فيتمتع بالاعتدال على جميع الأمور والعزّ والمجد والغنى"¹ أو ما تسمى بالسلطة القهرية. ونوع آخر يمثل العدل والمساواة في حكمه لما ينتج عنه من سلوكات عادلة تضمن التوازن الاجتماعي والتكامل الاقتصادي بين أفراد المجتمع. فهو ليس سلطانا عادلا يفصل في قضايا رعاياه فقط وإنما إنسان عادي من فئة الشعب. وهذا ما تحدثنا به مجموعة من الحكايات مثل حكاية "سَعِيدٌ وَدِيَابٌ"، "هَارُونَ الرَّشِيدُ"، "جازية ودياب" التي خضع حكامها إلى احكام السلطة العادلة. هذا السلطان العادل الذي يسعى دائما للحفاظ على نظام المجتمع والبحث عن الخليفة المقتدر الذي يمكنه أن يعمّم العدالة على الجميع.

ومن الطبيعي جدا أنّ الحكاية الشعبية عندما كانت تعجز عن تحقيق الوجه الحقيقي للسياسة العادلة والحكم الصحيح (السلطان) كانت تلجأ إلى منفذ جديد يعيد الأمور إلى نصابها ويحقق العدالة الاجتماعية التي طالما ناشدتها الشعوب العربية في تراثها الشعبي.

لم تقتصر الحكاية على ابراز السلوكات الصراعية في رسم العلاقات بين الحاكم والمحكوم وإنما نشدت بشدة الى دعوتها لتمجيد السلوكات الايجابية للحاكم، واعتناق المبادئ السامية، التي تخدم مصلحة الجماعة وتدعم بناءها الاجتماعي. فاذا نظرنا الى حكاية "سعيد ودياب" نجدها تصرح بما يبحث عنه الناس من سلوكات مميزة "للحاكم" المقتدر والعادل النزيه، ليتحقق العدل مع جميع الناس ويعمّ الخير كل البلاد.

¹: ليلي روزلين قريش: القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 213

في الواقع لا تعكس الحكاية الشعبية موقعا متناقضا، وإنما تمجد سلطة الحاكم العادل الذي تتضمن مواقفه ترسيخ العدل السياسي والاجتماعي. "وعليه فهي تهدف الى ترسيخ قيم أخلاقية ذات بعد سياسي كالمطالبة بانفتاح الأفق السياسي أمام الناس جميعا"¹.

والجدير بالذكر أن حلقة الوصل بين الحاكم والرعية لم ترق إلى ما يصبو إليه الفئة الشعبية، فلم يكن هناك نزاع حول السلطة مما يؤكد استبداد السلطان واحتكاره الحكم مع أبنائه أو إلى خوف الرعية في مواجهة الحكام والسلطين وإبداء رأيهم. والمتأمل في سلوكات السلطان يلاحظ جملة من الأفعال والمواقف أهمها مبدأ السيطرة الذي من خلاله تكبح القدرات الشعبية وتختفي المواجهة السياسية.

وعليه تتحصر السلطة السياسية في الحكاية بسيطرة معظم حكامها على الشعب واستعمالهم لوسائل الضغط وبذلك تتحرف السلطة السياسية عن مجراها الحقيقي في تسيير أمور المجتمع، وتتخذ أساليب أخرى لا لشيء إلا لتمسكها بزمام السلطة وتميرها إلى أبنائهم. لتفقد قيمتها الأساسية التي تلزم على كل حاكم أن يتصف بها وهي الأخلاق.

تحدثنا الحكاية الشعبية عن أهم صفات النبيل والعدل والمساواة التي يلتزم بها "السلطان" حتى يستطيع أن يكون حاكما مقعدرا، يفصل بين النزاعات ويحرص على النظام الاجتماعي، ومن أهم هذه الصفات هي مسؤولية حماية الشعب من أي ضرر داخلي وخارجي « ففي العصور القديمة كان له قائد حرب، وكاهن وساحر»². لحماية شعبه من العدو ومن السحر أيضا ولهذا كان يتطلب فيه امتلاك القدرات السحرية والمعرفة بالسحر تلك السلوكات التي مازالت أثارها حاضرة في ثنايا الحكاية. كحكاية "العبد كحل" التي تحدثنا عن أهمية المعرفة بالسحر للحاكم، الذي أحضر عبداً له دراية كبيرة بالسحر بغرض تعليمه كيفية القيام بالأعمال السحرية. تذكر الحكاية "كَانَ عِنْدَهُ وَحْدُ الْعَبْدِ كُحْلٌ يَخْدِمُ عِنْدَهُ، وَكَانَ يَعْرِفُ السِّحْرَ، عَلَّمَ سَيِّدَهُ كَيْفَاشْ يَدِيرُ سِحْرَهُ.. " قال له العبد : لُكَانُ تُورِيلِي يَا سَيِّدِي لَرَاكَ تَعْرِفُ تَسِحْرُ كَيْمَا عَلَّمْتَكُ".

¹ : بوخالفه عزى : الحكاية الشعبية في بيئتها الاجتماعية، رسالة ماجستير، ص 89

²: سامية محمد جابر : علم الإنسان، مدخل إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ص 88

تعتبر المعرفة بالسحر من أهم الميزات التي يمكن أن يتحلى بها الحكام لأجل حماية شعبيهم من أضراره والمشاكل التي يمكن أن تتجر عنه. " يستمد سلطته من الاعتقاد الشعبي بأنه ملهم ويتمتع بصفات خارقة للطبيعية يملك الإلهام والنظرة التنبؤية والغريزة السحرية"¹. إلى جانب السحر يتصف الحاكم بشهرته كمحارب، فالنجاح في الحرب يؤهل صاحبه إلى امتلاك السلطة وأحقية بها ما تحدثنا به حكاية "هارون الرشيد" التي تعرضت فيها القبيلة إلى هجوم أجنبي مما أدى بالسلطان إلى مواجهة هذا الغزو، وبما أنه ليس له أولاد يدافعون عن مملكته قام الحراس وأزواج بناته بمواجهة الجيش، الذي تصدى له زوج البنت الصغرى هارون الرشيد بشجاعته، عكس الأزواج الآخرين مما اضطر بالسلطان إلى إعلاء مرتبته حين قال له: «هُوَ لِيغَادِي يُولِي سُلْطَانَ فِي بِلَاصْتِي».... «خَرَجَ بِيهِ السُّلْطَانُ وَدَارَهُ سُلْطَانَ فِي بِلَاصْتَهُ». كما تشير هذه الحكاية إلى أهمية الجنس الذكوري في وراثة السلطة بحيث سارت في خط ذكوري، فعدم انجاب السلطان لابن يرثه في ملكه، نقل سلطته إلى زوج ابنته، الذي تميّز بمهارة حربية وشجاعة عالية. فامتيازات السلطان واضحة تتسم بالطهارة والقداسة من جهة، والقوة والشجاعة من جهة أخرى. فالقائم على السلطة إذن غالبا ما يكون مقتدرا يدفع بالناس إلى الامتثال والموافقة على آرائه لما يحمله في نظرهم من مكانة عالية واحترام وتقدير"فالعلاقة بين القائد وأتباعه تعتبر من أهم العلاقات الاجتماعية جميعا"².

أما ما حمله لنا القصة الشعبية العربي من شخصيات بطولية قائدة تأثرت بها شعوبنا المغربية هي شخصية "هارون الرشيد" والشاطر حسن أو "الحسن البصري" ... التي لقيت رواجاً داخل الحكايات الشعبية وظفها تراثنا لتأكيد على القيم الأخلاقية التي كان يتصف بها هؤلاء وما يلزم على الحاكم أن يتصف به من أخلاق. " فأفلاطون لم يفرق بين ما هو سياسي وما هو أخلاقي"³، إلا أننا نجد تضارب الصراعات والنزاعات نحو السلطة التي تكون فيها ولها الغلبة والسلطان واليد القاهرة عليهم (الشعب) حتى لا يصل أحد إلى غيره

¹: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع : دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، ص 305

²: المرجع نفسه: ص 306

³: مصطفى صمودي : من جلماش ... إلى نيتشه، ص 153

بالعدوان»¹. وعليه فبين "أفلاطون" و"ابن خلدون" تحققت معادلة الحكاية الشعبية في السلطة التي تطمح إليها الفئة الشعبية، تلك السلطة الضابطة للمجتمع والمسيرة لشؤونه الاجتماعية والاقتصادية والمحافظة على نظامه في إطار أخلاقي.

وعليه تبقى السلطة "ضرورية ولازمة لتحقيق التوازن والاستقرار داخل البناء الاجتماعي، فهي جزء لا يتجزأ من أي نظام اجتماعي... تلازمه ولا تنفصل عنه²، شريطة أن يتحلى أصحابها بالصفات الأخلاقية حتى يعود ذلك على الشعب بالخير وتحقيق التوازن الاجتماعي والاقتصادي. والسلطة في الحكاية الشعبية هي سلطة ذات أهمية تنحدر من رابطة القرابة أو (الوراثة) يرتبطون برابط قرابي فيمتزج السياسي بالقرابي امتزاجاً كاملاً. وهذا عندما يمنح السلطان حكمه لابنه في تسيير النظام الاجتماعي والحفاظ على الثروة، ما تحدثنا به معظم الحكايات الشعبية في توريث السلطة للابن الأكبر، وبهذا الشكل لا تخرج السلطة في الحكاية لا تخرج عن المحيط القرابي والذكوري، مما يؤدي إلى اللامساواة والطبقية.

3. التراتب الاجتماعي:

سارت الحكاية الشعبية بخطوات متشابهة نحو تفاعل وتحرك العلاقات الاجتماعية، تلك العلاقات التي تفاعلت مع محيطها وحددت أوجه الفوارق الاجتماعية بين فئتين مختلفتين، فئة الأغنياء والسياسيين وفئة الخدم والفقراء، وذلك من خلال النماذج التي عرضتها الحكاية، والمحددة بالمكانة الاجتماعية وفق الوضع الاقتصادي والاجتماعي للفرد وعائلته، "المكانة الاجتماعية مرتبطة بالدور الاجتماعي للشخص وبالمظاهر الاقتصادية للحياة الاجتماعية التي تعتمد على القيم والاتجاهات التي يشترك فيها الفرد مع الآخرين لدرجة كبيرة، والتي من شأنها تقوية الشعور بالعضوية في طبقة اجتماعية خاصة"³.

¹: المرجع السابق : ص 205

²: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع : دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، ص 298

³: المرجع نفسه: ص 201

ومن العوامل الحاسمة في تحديد ذلك هو الغني وما يملكه من ثروة أو جاه وعليه تظهر لنا الفوارق بظهور السادة والخدم والرعاة ... "وقد ميّز ابن خلدون بين مفهوم الطبقة ومفهوم الفئة وذلك على أساس المهنة فكتب يقول: إن الطبقة الاجتماعية الواحدة تتطوي عادة على فئات اجتماعية مختلفة"¹. وعليه قسم الطبقة الاجتماعية إلى أربع طبقات، طبقة العلماء والدين والقضاء، وطبقة الفلاحين وطبقة التجار وطبقة الصناع، أما "كونت" قسمها إلى ثلاثة أنواع طبقة العمال ورؤساء الصناعة وطبقة العلماء ورجال الدين والفلسفة وطبقة العمل العاطفي المتكونة من النساء والأمهات والزوجات"².

ولأول وهلة يظهر بجلاء نوعين من الطبقات في الحكاية الشعبية، طبقة الحكام أو السلاطين والأغنياء، وطبقة الشعب العاملة من فلاحين ورعاة وصيادين وخدم، وماعانته هته الطبقة من حياة صعبة وقاسية، تعددت فيها المعاناة والمآسي، حيث انعكست على سلوكياتهم الاجتماعية والاقتصادية. ومن أهمها معاناة الحروب والغزوات كحكاية "زاجل بلا مُخ" التي تخبرنا عن حياة أفراد القبيلة التي عانت من الحروب ومتاعبها وما توفره من لوازم الحروب.

أما حكاية "زاجية" تخبرنا عن الحالة المزرية للشعب حيث تعرضوا للفقر والجوع الذي كاد يقتلهم، وعليه توجهت قوافلهم تشق الصحراء باحثة عن مصدر رزق ينجيهم من الموت، هذا الوضع دفعهم إلى غزو قبائل أخرى أكثر ثراء. أما حكاية "حدّ الزين مؤلاة الشعّر ذهب" تروي لنا العمليات الحربية القائمة بين القبائل، وتأهب أبطالها خوض غمار الحرب، بعد أن حدّدت لنا الحكاية مدة غياب السلطان وابنه في موقع القتال ب "سبع سنين" تقول الحكاية "« مِنْ قُفْلِ الْوَلْدِ الرِّبَطَاعِشِ أَنْعَامٌ، مَشَى مَعَ بُوهُ مِنْ بِلَادٍ لِبِلَادٍ ائِحَارُبُوا الْعِدِيَانِ، فَعَدَّ غَايِبٌ سَبْعَ سَنِينَ»". أما المعاناة الاقتصادية هي تلك المعاناة التي يتعرض لها الفلاح الصغير من نهب واستغلال، حيث عاش حياة الذل والاستغلال ولم يكن أسعد حال تحت لواء الإقطاعية التي يفرض فيها تسديد قدر معين من المال للمالك، وعليه عاشت تلك الطبقة من الفلاحين نوعاً من البؤس والفقر انعكست في حكاياتهم.

¹: حسين عبد الحميد أحمد رشوان : علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، ص 157

²:المرجع نفسه : ص 163

أما المعاناة الاجتماعية، ليست أقل حالاً من المعاناة الحربية ولا الاقتصادية، فقد عانت الطبقة الشعبية الولايات لما تعرضت له من تهمة وأفات متعددة كالوباء والمجاعة والفقر وحتى الكوارث الطبيعية ... ففي حكاية "دياب بغالم" تحدثنا عن الحالة الاجتماعية المزرية بعد إصابة قبيلة بني هلال "بالجفاف" التي حتمت عليها الهجرة، تقول الحكاية «وَاحِدُ الْعَامِ أَيُّسُ وَالصَّابَةِ مَاكْفَاتِشُ الْخَلْقُ حَتَّى خَافَتْ النَّاسُ ثَمُوتَ بِالْجُوعِ». أما حكاية "كي شمييت كي كليت" تجمع لنا، سلوكات دالة على الجوع والفقر والسخرية من الطبقة الميسورة، وهذا عندما عرضت لنا حالة الطفل الجائع وهو ينظر إلى محل الشواء يستنشق رائحة اللحم الشهية، إلا أن صاحب المحل منعه من ذلك وطلب منه تسديد ثمن الشم وحاول السخرية منه والتلاعب بأفكاره عندما قال له "حَنَ فِي تَغْنِيفُ كِي شَمِيَّتْ كِي كَلِيَّتْ" قبل أن يتقطن له ويرد عليه بأكثر فطنة وذكاء «كِي تَغْنِيفُ كِي الْبُلْدَانُ الْآخَرَى».

والواضح في ذلك أن الحكاية الشعبية تبرز لنا السلوكات الشعبية التي تصوّر لنا الصراع من أجل البقاء والاستمرار، فالطبقات الشعبية من عمال، وفلاحين، وفقراء... عاشت في ضيق وفقير عسير، وعانت الجوع والحرمان، وعليه شددت الحكاية الشعبية في محتواها على العدالة الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية المشتركة، والترابط الأسري.

لم تجد هذه الطبقة مفراً من الحالة المزرية سوى الاعتقاد الشعبي السائد في الحكاية وهو الإيمان بالقضاء والقدر" فلم تعد الأمور الكبيرة كالحياة والموت وحدها المقدر، بل صارت أبسط الأمور مقدره أيضا"¹. فجّل المآزق التي يقع فيها أبطال الحكاية ترجعها إلى القضاء والقدر، كحكاية "الولد ومزت باباه" الذي يبحث فيها الأخ عن أخيه معللاً ذهابه في البحث عنه إلى ما كتب الله له ذلك. ولاشك أن هذا الاتساع في مفهوم القضاء والقدر له علاقة وثيقة بوضع الطبقات الشعبية التي لم تجد مبرراً آخر لأوضاعها الاجتماعية غير ردها إلى الاعتقاد بالقضاء والقدر.

وبناء على ذلك يتضح لنا أن الطبقة الاجتماعية للحكاية الشعبية تنقسم إلى قسمين هما الطبقة الحاكمة المتمثلة في "السلطان" وطبقة الرعية وهي الشعب، فالطبقة الغنية التي نلاحظها في الحكاية هي طبقة قليلة العدد بالمقارنة مع طبقة الفقراء التي تمثل أغلبية

¹: طلال حرب : بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، ص 350

الشعب. وعلى ضوء تلك الفوارق التي ظهرت في شكل السادة والخدم، قدمت لنا حكاية "كُلْشِي يَبْرًا .. وَكَلَامُ السُّوءِ مَا يَبْرًا" خادمة ترافق سيّدها في مشاويرها، وتنيرها بأفكارها وهذا بعد نصيححتها بالذهاب إلى بيت "الأسد" رمز القوة والعدل والكرم ليصلح بينها وبين زوجها. وفي حكاية "عَانِمُ وُلْدُ الرَّاعِي" تقدم لنا الحكاية زوجة الراعي وهي خادمة لدى عائلة غنية وهي تحاول تبديل ابنها بابن السيدة من أجل أن يكبر ابنها في العز والرفاهية، فاستتجبت بامرأة مأكرة وهي تقول لها: «شُوفِي كِي دِيرِي وَبَدَلِي وَلَدِي بُولْدُ لَالَّة، بَاشْ يَعْيشُ وَلَدِي فِي الْعَزْ».. «وَهِي مَا بَعَاتَشْ وَلَدَهَا يَعْيشُ فِي الْغُبَيْنَةَ».

والذي استوقفني هو تلك السلوكات التي صاحبت تلك الطبقة الفقيرة أو ما كانت تنسبه لهم الحكاية من أفكار رجعية، عكس الطبقة الغنية التي أعطتها الحكاية ميزة راحة أفكارها وذكائها وكأن الأفكار مرتبطة بالطبقات حسب منازلهم، ولعل حكاية "كُلْشِي يَبْرًا... وَكَلَامُ سُوءٍ مَا يَبْرًا" وما تشير إليه من سلوكات غير متوازنة بين السيّدة وخادمتها التي وضعتها الحكاية في منزلة الحماقة وعدم الإحسان إلى من ساعدها، وهذا عندما راحت تتعت الأسد الذي قام بكرمها وضيافتها بأبشع الصفات عكس السيدة التي مدحته ومدحت خصاله.

أما حكاية "عَانِمُ وُلْدُ الرَّاعِي" تخبرنا عن السيّد (الأب) الذي تعرف على ابنه بعد أن لاحظ فطنته وذكائه وشجاعته، تلك الصفات التي لم يتميز بها ابن الراعي، ونجد الأمر نفسه في قصصنا الشعبي عندما تمنح كل صفات الذكاء والفطنة للطبقة العليا، كيف لا وقد استطاعت ابنة الوزير الكبرى "شهرزاد" أن تضع مالم تستطيع بنات عامة الناس القيام به وهو استخدام الذكاء لإيقاف سلوك "شهريار" العنيف مع نساء المملكة، ولذا فالعامة هنا محكومة بقدرية مسبقة من امتيازاتها وجود ملك بشخصية قوية ووجود رعية بشخصية ضعيفة"¹.

ونجد الأمر نفسه في حكاية "جَازِيَةَ" الهلالية التي جعلت منها الحكاية مثالا للذكاء والفطنة لانتمائها إلى أسرة شيخ القبيلة الذي طلب منه "شريف بنو هاشم" الزواج من "رَاجِيَةَ" مقابل مساعدة القبيلة، فلم يجدوا وسيلة أخرى لإنقاذ القبيلة سوى الموافقة على

¹:ياسين النصير : المساحة المختفية، قراءات في الحكاية الشعبية، ص 117

طلبه، إلا أنّ نكاءها وفطنتها مكنتها من الرجوع إلى أحضان قبيلتها وديار زوجها. ولم تستقر الحكاية عند هذا الحدّ بل استمرت في وضع الطبقات الريفية موضع الطبقات الدونية عكس أصحاب المدينة ما حدثتنا به حكاية "مَزَاحُ جَحَا الْجَزَائِرِيِّ" في محاولة منه التغلب على حيلّ جحا الساكن بالمدينة لكن غباءه أوقعه فيما لا يحمد عقباه.

لم تقف الحكاية عند هذا الحدّ بل أنصفت مرة أخرى تلك الطبقة الدونية ومثلتها أحسن تمثيل في بعض السلوكات مثلما رأينا في الحياة الاقتصادية عندما أنصفت الفلاح الصغير وأعطته حقه من الإنتاج أو تلك العلاقات الاجتماعية التي حققت تلاحم الطبقات الاجتماعية المختلفة كالمصاهرة مثلا بين طبقتين مختلفتين.

ومن الواضح أنّ الحكاية الشعبية غير ثابتة اجتماعيا فهي في حراك مستمر تعكس لنا حركة الأفراد وتغير الطبقات، ولهذا فالثبات الطبقي غير موجود في الحكاية لما يصيب أحداثها من تحولات وتغيرات ايجابية وأخرى سلبية، ما تحدثنا به حكاية «الخيزر إمرا والشز إمرا» المرأة الذكية التي غيرت حال الحطاب وأسرته بعد ما كان يعاني الفقر ويفتقد الى أبسط حاجات العيش.

وعلى الرغم من وجود طبقتين متضادتين إلا أن الطبقة الشعبية هي الأكثر تمثيلا في الحكاية، ولا يوجد مبرر لذلك إلا لما كانت من عجز في التغيير. فظلت تردّد حكاياتها المترجمة لأحلامها. والذي لا شك فيه أيضا هو تعبيرها عن وفاء وإخلاص تلك الطبقة وما تميزت به من أخلاق كحكاية "جَازِيَة" التي أصرت على الوفاء بعهدا الذي قطعه مع "شريف بني هاشم" رغم الظروف التي منعتها من تحقيقه.

والواقع أنّ ما حققته الحكاية من تغيير في الطبقات ما هو إلا دليل على تغير الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي تختلف باختلاف الزمان والمكان. وعليه يصبح ذلك التغير والتحول في الطبقات راجع لعدم إمكانية ضبط المجتمع ضبطا عادلا. ولهذا لم توفق الحكاية في تعميم السياسة الأخلاقية داخل مجتمعها رغم محاولاتها المتكررة، ما أدى بها إلى توظيف الصوّر الخيالية والسحرية للوصول إلى تحقيق مجتمع مثالي.

حينما ننظر الى سلوكات أشخاص الحكاية كالسلطان والأمير والوزير والقاضي، الخلافة والقصر.... والخدم والرعاة والعبيد، الفقراء....، نلاحظ اتساع فجوة التفرقة بين

الطبقتين وهذا نتيجة تأثير السلطة الاجتماعية والسياسية عليهم."ولذلك يظل عامل السياسة أساسا للتقسيم الطبقي في كثير من المجتمعات قديما وحديثا"¹، هته الظاهرة الاجتماعية التي وُلدت نتيجة سياسة السلطة الفاشلة التي انحرفت عن مسارها الأخلاقي.

إنّ البناء الاجتماعي للحكاية الشعبية وأنظمتها يعكس لنا دور العلاقات الانسانية والاجتماعية التي تتفاعل فيما بينها نتيجة التعاون الاجتماعي والترابط الأسري والتقارب العائلي، فلا يمكن للفرد أن يعيش بمنأى عنهم لأنه في كل لحظة هو بحاجة إليهم وهم بحاجة إليه. ومن أهم هته العلاقات علاقات تبنى على أساس الزواج أو الصداقة، أو المصلحة، فهناك العلاقات الودية التي نجدها داخل الأسر والعلاقات القرابية، وعلاقات المصلحة التي تنشأ خارج هذا النسيج وتتمثل في العلاقات الاقتصادية والسياسية.

ومهما يكن من أمر فإن السلوكات الاجتماعية للحكاية يجعلنا نركز أساسا على الوعي الجماعي الذي "يتكون ضمناً في السلوك الشامل لأفراد يساهمون في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية"²، وفي ظل هذا الوعي الجماعي كان لزاماً أن يتحقق نوع من التوازن والاحترام الذي لا يمكن أن ينشأ إلا بإنشاء سلطة تلازم هذا البناء وتساعد على تنظيم علاقاته.

ونشير أخيرا الى أنه في أي شكل من أشكال السلوك لابد من وجود سلطة توجهه صوب أهداف محددة، تكون لها القدرة على التوجيه والتأثير، وإلى جانب السلطة الوضعية أو العقائدية هناك سلطة القيم التي توجه الإنسان إلى سلوك معين أهمها القيم الأخلاقية.

¹:المرجع السابق: ص 205

²: Lucien Goldman : pour une sociologie – Romaned – idée Gallimard paris , 1964 , p 41

الباب الثالث

القيم الأخلاقية في الحكاية الشعبية

مقدمة: مفهوم القيم ومكوناتها

الفصل الأول: نماذج من القيم الأخلاقية الإيجابية: الأسرة والمجتمع

1. قيم التفاهم بين الزوجين

2. قيمة الأمومة

3. قيمة التماسك الأسري

4. قيمة الكرم والضيافة

5. قيمة الصبر والتسامح

الفصل الثاني: نماذج من القيم الأخلاقية الإيجابية: الاقتصاد والسياسة

1. قيمة الحث على العمل

2. قيمة التشارك والتكافل

3. قيم بين الحاكم والمحكوم

4. قيمة العدالة الاجتماعية

الفصل الثالث : نماذج من القيم السلبية

1. القيم الساخرة

2. نقد المجتمع

3. القيم التربوية

المقدمة: مفهوم القيم ومكوناتها:

إن المجتمع الإنساني مسرح حافل بشتى ألوان القيم والأنماط المتباينة من السلوكيات الاجتماعية والإنسانية، وعندما نراقب هذه السلوكيات نجد أنها تتخذ قرارات بدافع المصلحة أو المبادئ، ولذلك فإن "سلوك الناس وأخلاقهم والقيم التي تحدد علاقتهم بأنفسهم وبالأخرين ليست أبنية خالصة يضعها الفرد بحرية كاملة، بعيدا عن المجتمع وأوضاعه السائدة، وإنما شأنها شأن كل ما يتعلق بالإنسان، فهي نتاج تصنعه أوضاع المجتمع من ناحية، وأداة تؤثر في المجتمع وتسهم في تغييره من ناحية أخرى"¹. وسلوكيات المصلحة هي إخضاع أصحابها إلى توفير حاجياتهم المادية والمعنوية مع احترام القواعد الإنسانية والخضوع إلى المثل والقيم المختلفة فما المقصود بالقيم؟

تعتبر القيم مجموعة من المعايير التي يحدد بها الإنسان سلوكياته ويحقق بها مصالحه، حيث تعبر عن المنفعة العامة للمجتمع أو ما يسمى بالمصلحة الجماعية، ولما لها من أهمية في استقامة المجتمع وتنظيمه، لقيت اهتماما بالغا من الكثير من رواد الدراسات الفلسفية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

بدأ هذا الاهتمام في "الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الحالي... ولعل الفضل في ذلك يرجع الى اثنين من علماء النفس هما (ثرستون) وما قدمه من تصور لمعالجة القيم في اطار المنهج العلمي"². ومنذ ذلك الوقت سار التضارب والاختلاف في المفاهيم بحيث اهتم عدد كبير من الباحثين في مجالات مختلفة، كالفلسفة، والتربية، والاقتصاد، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وغير ذلك من المجالات. وقد ترتب على ذلك نوع من الخلط والغموض في استخدام المفهوم من تخصص الى آخر، بل ويستخدم بطرق متعددة داخل

¹: رشيد جرموني : قراءة في التحولات القيمية، دراسة مقارنة بين المغرب وباقي بلدان العالم، مجلة المستقبل العربي، العدد366، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، أوت 2009 ص 83

²: عبد اللطيف محمد خليفة: ارتقاء القيم، دراسة نفسية، عالم المعرفة، مجلة شهرية ثقافية، العدد160، الكويت، 1990

التخصص الواحد، فلا يوجد تعريف واحد لمفهوم القيم يعترف به جميع المشتغلين في مجال علم النفس الاجتماعي كموضوع يقع في دائرة اهتمامه¹.

وعليه أردنا أن نقدم بعض الدراسات المهمة التي تناولت مسألة القيم في مسارات متعددة ومقاربات متنوعة حيث تناول فريق من الباحثين في العلوم الاجتماعية مجموعة من البحوث في المنظومة القيمية في أوروبا وقد كان الهدف منها معرفة العمق الثقافي المشترك بين مختلف الدول الأوروبية²، وتناولت القيم العائلية عند الأوروبيين وقد سجل هذا المسح في جميع الدول الأوروبية أن الأسرة مازالت تشكل المجال المفضل والمثمن لإنشاء العلاقات بين الزوجين، التي تسود بينها أجواء التفاهم والحوار³. كما قدم فريق مغربي بحثا وطنيا معمقا عالج فيه موضوع القيم والأسرة بين النمط التقليدي والنمط الحداثي والذي شكّل صراعا داخل منظومة القيم وأثره على بنية الأسرة المغربية .

يأخذ مفهوم القيمة معاني عدة ولهذا أردنا أن نضبط المفهوم على المستوى اللغوي والاصطلاحي، والقيمة لغة تعني بها "قيمة الشيء، قدره وقيمة المتاع ثمنه، ويقال ما لفلان قيمة، ماله ثبات ودوام على الأمر"⁴. أما في قاموس المحيط تعني بها "القيمة بالكسر واحدة القيم، وما له قيمة إذا لم يدم على شيء وقومت السلعة واستقمته ثمنته، واستقام واعتدل، وقومته عدلته فهو قويم"⁵.

ويعرف علماء الاجتماع القيمة على أنها مستوى أو معيار للإنتقاء من بين بدائل أو إمكانات اجتماعية متاحة أمام الشخص الاجتماعي في الموقف الاجتماعي⁶، أما في القرآن الكريم نجد قوله تعالى « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ »⁷، أو قوله تعالى « فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ »⁸.

¹: المرجع السابق: ص30

²: رشيد جرموني: قراءة في التحولات القيمية، دراسة مقارنة بين المغرب وباقي بلدان العالم، ص86.

المرجع نفسه: ص3.87

⁴: معجم الوسيط: الجزء الثاني، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1973، ص 768

⁵: الفيروز الأبادي: قاموس المحيط، ص 168

: عبد اللطيف محمد خليفة: ارتقاء القيم، دراسة نفسية، علم المعرفة، عدد 160، الكويت، 1990، ص33.

⁷: سورة البينة: الآية 05

⁸: سورة البينة: الآية 03

من هنا يتضح أن القيمة تختلف حسب صفة الأشياء فقد تكون قيمة اقتصادية للأشياء المادية أو قيمة أخلاقية للصفات المعنوية، بحيث القيمة الاقتصادية توجد خارج الذات الإنسانية أما الأخلاقية فهي موجودة في كل ذات إنسانية. فهي الاستقامة والاعتدال، امتدت إليها جميع الشعوب في تقويم أعمالهم وتحديد سلوكياتهم ما يشير إليه "ماكس فيبر" على أنها معطيات موضوعية ووضعية توجه سلوك الأفراد وأحكامهم واتجاهاتهم فيما يتصل بما هو مرغوب عنه من أشكال السلوك في ضوء ما يضعه المجتمع من قواعد ومعايير¹.

ومن هذا المنطلق يتضح أنها تجمع بين عاملين أساسيين هما: الموضوعية كما يصورها " أفلاطون" والذاتية كما يصورها "دوركايم". فأفلاطون يرى أن الناس لا يعون مصادر الالتزام في حياتهم، ومع ذلك فهم يدركون مثلاً علياً، ويتحدثون عن الحق والجمال، ويرى أنه لا بد أن يكون هناك مصدر استقى منه الناس هذه المعتقدات التي تؤدي بهم إلى هذا اللون من التفكير أو الحديث أو السلوك².

وإذا نظرنا إلى السلوكيات الإنسانية نرى أنها لا تخضع إلى غرائزها وهذا ما يميزها عن السلوك الحيواني وإنما تخضع إلى ما هو أفضل، فينتج عن ذلك صراع داخلي بين الدافع الغريزي وبين القيمة ومطالبها، ويولد ما يسمى "بالواجب السلوكي" ولذلك يضطر الإنسان إلى مراقبة جميع سلوكياته وتصنيفها حسب القيم المتعارف عليها قصد توجيهها نحو الواجب المنحصر في مجموعة من القيم التي تختلف تصنيفاتها حسب اختلاف العلماء والدارسين لها، وأغلبهم يصنفونها إلى ثلاثة أنواع: القيم الدينية، القيم الاجتماعية والقيم الأخلاقية.

أما قاموس ويبستر "webster dictionary" يصنفها كالتالي: القيم الأخلاقية، القيم المجتمعية القيم الفكرية، القيم السياسية.

¹: عبد اللطيف محمد خليفة : ارتقاء القيم، دراسة نفسية، ص14.

²: المرجع نفسه: ص32

أما عالم الاجتماع "سبرانجر" فيقسمها إلى ستة تقسيمات: القيم الدينية، القيم السياسية، القيم الاجتماعية، القيم النظرية، القيم الاقتصادية، القيم الجمالية.

كما قدّم نيلسون تصنيفاً للقيم في ضوء ارتباطها بالنمط البنائي للمجتمع إلى فئتين: قيم تقليدية وقيم عقلية، وهذا ما فعله "روبت ردفيلد" عندما ميّز القيم على أساس نوع المجتمع إلى قيم خاصة بالمجتمع الشعبي القديم الذي تسوده القيم التقليدية وقيم خاصة بالمجتمع الحضري الذي تسوده القيم العصرية¹.

ولما كانت لهذه القيم من أهمية على سلوكيات الأفراد وطريقة تفكيرهم فهي تسعى دائماً إلى تعميم الخير واستبعاد الشر من أجل المصلحة العليا، ولذلك تبقى القيمة الأخلاقية ذات أهمية كبرى من بين القيم الأخرى لما تمثله من أهمية خاصة في تعميم الخير وتنظيم السلوك الإنساني، وهي وحدها التي تقدم نظاماً ملائماً وكافياً للنشاط الاقتصادي، وهي وحدها التي تدعم الانسجام والتناغم الاجتماعي²، فالخصوصية التي ميزت الحضارة الإسلامية عن سائر الحضارات، هي أنّها دارت رحاها على محور "الأخلاق" فإذا كانت حضارات أخرى قد أرست قواعدها في المقام الأول - على "الفن" أو "العلم" أو غير ذلك من الأسس كالزراعة والتجارة أو الصناعة، فإن الحضارة الإسلامية قد اختارت "الأخلاق" أساساً لها³. ولذا نرى أن "ابن خلدون" جعل من "الأخلاق" عنصراً أساسياً في قيام الدولة وقوتها واعتبر الأخلاق الهادي للسياسة.

ومهما يكن من أمر فإن القيم الأخلاقية توجد في أي مجتمع من المجتمعات البشرية التي تشكل سلوكهم وتوجه أعمالهم، كما أنّها تساعد على تلاحم الأفراد وتماسك المجتمعات، ولذلك يبقى الإنسان خاضعاً للأطر والمعايير الاجتماعية التي تحكم سلوك الأفراد مما يجعلها قيماً مهيمنة من حيث فعاليتها وصلاحيتها داخل مجتمعه وتأثيره عليه.

1: عبد اللطيف محمد خليفة: ارتقاء القيم، دراسة نفسية، ص 134.

2: حسين عبد الحميد أحمد رشوان: علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، ص 125.

3: محمد فيصل شيخاني: القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة العربية الإسلامية، دراسة تاريخية وتربوية تحليلية، دار

الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ص 27.

فالإنسان يتأرجح بين سلوكات متعددة، ليختار الأفضل فيها دون السيئة، بعدما تصطدم دوافعه الذاتية مع قيمه الأخلاقية المرتبطة بالمبادئ والمثل السامية : كالخير والصدق والأمانة، والعدل

فالقيمة الأخلاقية إذن تعتبر من أهم القيم الرئيسية داخل النظام الإنساني فإذا فقدت فقدت معها المسؤولية وحلت محلها الفوضى" وقد ذكر "جيبو" في كتابه "نحو أخلاقية بلا إلزام ولا جزاء": إذا لم يكن هناك إلزام فلا مسؤولية ومن ثم فلا عدالة فتنفسي الفوضى¹، ومن الطبيعي أن تتمتع هته القيمة الأخلاقية بسلطة تلزم جميع الناس بتنفيذها وتطبيق أوامرها، وقد تختلف المدارس في نوعية هذه السلطة، فمنهم من يرجعها إلى سلطة العقل مثل "كانت" الذي يرى أن العقل هو الذي يميّز بين الخير والشر ومنهم من يرجعها إلى "اللذة والمنفعة"، ومنهم من يرجعها إلى الضمير الجمعي أو المجتمع مثل "دوركايم"، ومنهم من يرجعها إلى الدين وأحكام الله مثل المعتزلة" التي ترى أن الحسن ما وافق الشرع، واستوجب الثواب، والقبيح ماخالف الشرع، ويترتب عليه العقاب في الآخرة..².

وبعد هذا التضارب حول مصدر القيمة نتساءل عما هو الأساس الذي نقيم عليه الأخلاق فهل هي قواعد ترتكز على مبادئ ثابتة أم مجرد سلوكات تختلف باختلاف المجتمعات والأديان؟ ومن هذا المنطلق يقسم الفلاسفة القيم إلى اتجاهين أساسيين هما :

أولاً: اتجاه القيم الأخلاقية الثابتة ومصدرها عالم المثل وهي متعالية كما يرى "أفلاطون وسقراط" ولا تتغير في الزمان والمكان، ومن أبرز من ذهبوا إلى هذا الاتجاه هو "كانت" في كتابه تأسيس ميتافيزيا الأخلاق. والاتجاه الثاني هو اتجاه القيم الأخلاقية المتغيرة التي يرجع مصدرها إلى تأثير المجتمع.

ففي جميع الأحوال لا يمكن حصر القيم الأخلاقية في اتجاه معين دون الآخر وإنما ننظر إليهما كاتجاهين مترادفين، لنخلص في الأخير إلى أنها صفة مستقرة في النفس فطرية أو مكتسبة ذات آثار في سلوك الإنسان الذي يمكن تقديمه على أنه "أثر من آثار

¹: المرجع السابق: ص38

²: عبد اللطيف محمد خليفة : ارتقاء القيم، دراسة نفسية، ص33

النفس المحمودة كالعطاء وعن جود أو الإمساك عن شح، ومنه ما هو استجابة لغريزة كالأكل، وثالثة استجابة إرادية لترجيح فكرة، ورابعة من قبل الآداب الشخصية أو الاجتماعية أو طاعة للأوامر والتكاليف الإلهية¹.

ومن ثم تتميز القيمة الأخلاقية بأهميتها الخالدة حيث تختلف حسب تنوع قيم وأعراف ومعتقدات الشعوب التي لا يمكن أن تستغني عنها. وعليه فإن القيم ضرورة سوسولوجية وأنتروبولوجية حيث أنّ قيم الصدق والعدل والأمانة والاحترام وغيرها تعدّ من القيم الإنسانية التي تسهم في بناء هوياتها وبنياتها وتشكلاتها الاجتماعية .

تشكل القيم الأخلاقية طبعا اجتماعيا يرسم الملامح الكبرى والقواعد الأساسية لمنطلقات الأفراد والجماعات في التبادل المادي والرمزي من أجل تحقيق منافع عامة تقوم أسسها على خلفيات قيمية .

في البداية كانت القيم، ومصدرها كان الضمير الإنساني الذي ينبعث صوته من العمق أمرا بالخير أو ناهيا عن الشر، ومن صميم الضمير الجمعي الذي ينبع صوته من المجتمع وكل ذلك لأجل تحقيق نوع من الضبط الاجتماعي والمحافظة على التوازن النفسي والاجتماعي وتحقيق الأمن والاستقرار. إنّ هذه الأهمية البالغة للقيمة في الحياة الإنسانية وانعكاساتها على المجتمع يسعى الأفراد إلى تعميمها بمختلف الوسائل والأساليب التربوية والثقافية والتعليمية.

إن إتباع التربية القائمة على القيم الأخلاقية تفتح أوسع الأفاق أمام أفراد المجتمع وما يصادفونه من تناقضات وتغيرات في المجتمع، ولهذا يجب أن تكون هناك أسس واضحة في تربية المجتمع على مختلف المستويات أهمها: تنظيم العلاقات الاجتماعية والأسرية وبتّ روح المحبة والاحترام بين الآباء والأبناء، وباقي أفراد المجتمع، وتجنب كل السلوكات التي تتنافى مع القيم الأخلاقية، فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية، لا يستغنى عنها مجتمع من المجتمعات ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسط الذي لا بد منه لانسجام

¹: المرجع السابق: ص15

الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع وتصارعوا وتناهبوا على مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ثم إلى الدمار"¹.

وعليه تلعب الثقافة دورا جوهريا في تعميم القيم الأخلاقية بين أفراد المجتمع من خلال تثقيف الأفراد وتوعيتهم، والتاريخ القريب يشهد المقاومة الثقافية في أشكالها المتعددة للإستعمار بمختلف أنواعه في الوطن العربي عبر رهانات الثقافة والتربية في إعادة إنتاج المنظومة القيمية التي رسخت قابليتها للمقاومة بمختلف أنماطها. كما أن الثقافة تؤثر في الناس أبلغ تأثير لما تحمله من قيم، وما كتبه "موليار" ومثله على خشبة المسرح من قصص يقصد بها إصلاح الأخلاق السيئة المنتشرة في طبقات مجتمع عصره، فأنصّف بها أعمال معاصرة وعوائدهم المثيرة للسخرية. وكذلك الحال بالنسبة للجاحظ الذي اتخذ شكل القصة ليؤلف كتابه البخلاء"².

وإذا نظرنا إلى تراثنا الشعبي خاصة منه التراث اللامادي نرى أنه كان له القسط الكبير في توعية الشعب وتعميم الفضيلة، كالأمثال الشعبية، والأغاني والحكايات والقصص الشعبي...، فهي تصدر في مضامينها عن تأصيل القيم الإنسانية وتأكيد المثل الاجتماعية والأخلاقية، خاصة الحكاية الشعبية التي تعبر من خلال ثناياها على قيم نفسية واجتماعية.

وعادة ما تتغير وتتحوّل هذه القيم من عهد إلى عهد، ولكن هناك ما يثبت في الحكاية الشعبية التي ظلت قيمها قائمة رغم قدمها وهي القيم التي سنتعرض لها في هذا الباب. فهل الحكاية الشعبية تحمل مضامين لقيم أخلاقية من خلال السلوكات الاجتماعية المختلفة؟ وهل هي حقيقة سبب من أسباب مواجهة الواقع في تردي الأخلاق؟

هذا ما تؤكدّه "ليلي روزلين قريش" وهي تتحدث عن الفترة الاستعمارية: "بأنّ الأخلاق في هذه البيئة الجزائرية مهدّدة بالفساد برغم الجهود المبذولة لحفظها، فكيف يمكن الدفاع

¹: محمد فيصل شيخاني : القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة العربية الإسلامية، ص 33

²: ليلي روزلين قريش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 09

عنها في هذه البيئة اليائسة؟ وبطبيعة الحال كان يبدو أنّ الحكاية البسيطة تمثل درسا نافعا أكثر من اللوم والعتاب¹.

نلاحظ في دراستنا أنّ الحكاية الشعبية الجزائرية تحرص أشد الحرص على تشديد الخطاب التربوي والأخلاقي وبتّ القيم الأخلاقية التي تعتبر بمثابة قواعد محكمة من أجل تحقيق أهداف نبيلة، فهي تحاول أن تحل محل المرشد وتتنظر نظرة المراقب وتحكم حكم العادل.

إن حصر مجال القيم الأخلاقية واستثماره حسب التصنيف الذي قدمناه في الباب الثاني الموسوم: السلوك الاجتماعي في الحكاية الشعبية نوظفه في الباب الثالث وذلك بغية تفكيك بنية الحكاية الشعبية من حيث البناء الاجتماعي وجهازه القيمي إلى مجموعة عناصر يمكن إجمالها في ما يلي :

1- القيم الأخلاقية الأسرية والاجتماعية:

الأسرة مؤسسة اجتماعية لا توجد في فراغ اجتماعي وإنما يحكمها إطار ثقافة فرعية تنتمي إليه وتوجهه ولذلك فإنّ نواة الأسرة وعلاقاتها الداخلية والخارجية تبنى من خلال مسارات وأنساق كالقرباية والزواج ونظام الأسرة انطلاقا من قيم استمدها الفاعلون من مجتمعهم الكبير ويعيدون إنتاجها عبر ممارستهم داخل مجتمعهم الصغير.

فالزواج باعتباره قيمة في ذاته يسهم في بناء أنساق أخرى مثل الأسرة والتي تشكل هي كذلك بناء قيمي في علاقة مع منظومة أخرى وهي القرباية، هذه الأنساق الثلاثة في بعدها القيمي دائما في تفاعل مستمر لبناء وتشكيل قيم المجتمع كالتسامح والصبر والتكافل والصدقة..

أما الزواج كمؤسسة يحمل مضامين وقيم رمزية تسهم في تماسك الرباط الزوجي كالتفاهم بين الزوجين وما يصدر عنه من حب و ودّ و وفاء، ممّا ينتج أسرة ذات قيم مبنية على أساس اجتماعي وثقافي تحاول نقلها إلى الأجيال الصاعدة منها قيم الأمومة والتماسك الأسري وتكافؤ الحقوق والواجبات بين الأبناء و الآباء.

¹:المرجع السابق، 180

2- القيم الأخلاقية الاقتصادية والسياسية:

إن التحولات الاقتصادية وعلاقة الانتاج وأثرها على المجتمع، تكشف عن مكونات قيمة كانت مستترة فيعاد تنشيطها من جديد كقيم الحث على العمل ونبذ الخمول والعمل التشاركي في المجتمع الجزائري كالتوزيعة مثلا التي تعكس قيم التعاون والتكافل.

أما المضامين السياسية في الحكاية الشعبية فتتجلى في أشكال مترابطة تحمل معايير والزامات مبلورة في قواعد وأنظمة كالسلطة الاجتماعية والسياسية التي تشكل نسيج قيم تنظم العلاقات الانسانية حول أقطاب يغلب ذكرها، مثل أقطاب الديمقراطية، أو الحرية أو الاستقامة أو الحقيقة¹. التي ترسخ مبادئ بين الحاكم والمحكوم والعدالة الاجتماعية الدالة على فضيلة خاصة وعلى قيمة أساسية سواء بسواء.

"فكرة العدالة التي تعمل على طراز مماثلة العدالة التعويضية والتوزيعية إنما تجثم في مبدأ النظام السياسي. وحتى حين تأخذ في اعتبارها الأوضاع الاستثنائية فإنها تظل في خدمة... رؤية تراتبية عن المجتمع الذي يعترف بسادته وبعبيده."² ويدفع بالعنف والعنف المضاد الذي ينجم عن رفض الآخر في شتى مستوياته الدينية والاجتماعية والعرقية.

¹ جون-بول رزقير: فلسفة القيم، تعريب عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2001،

ص 64

² جون-بول رزقير: فلسفة القيم، ص 100

الفصل الأول: نماذج من القيم الأخلاقية الإيجابية: الأسرة والمجتمع

كما سبق وأن ذكرت أن الحكاية الشعبية لا تهدف إلى التسلية، وإنما وظيفتها الأساسية ضمان استمرار العلاقات الاجتماعية وتمتين الروابط الأسرية، وتحقيق مجتمع مفعم بقيم التعاون والاستقرار الاقتصادي والسياسي. ولن يتحقق ذلك إلا بتمرير القيم الأخلاقية وتمتين ركائز المثل الاجتماعية إلى الناشئة وترسيخها في الذاكرة الشعبية.

وإذا حاولنا أن نرصد محصول القيم في الحكاية فإننا سوف نصطدم بمجموعة من القيم المتنوعة والمتعددة، منها من يتغير ويتحول أو حتى يزول، ومنها ما بقي قائماً إلى وقتنا الحاضر، فعادة ما تتغير القيم من مجتمع إلى آخر ومن عهد إلى عهد، ولكن هناك ما يثبت في الحكاية التي ظلت قيمها قائمة رغم قدمها.

ومن أهم هته القيم التي حافظت عليها الحكاية لحد الآن، القيم الذكورية داخل الأسر الجزائرية التي ظلت محافظة على نفس التوجهات الأساسية منذ أقدم العصور حتى اليوم. والعائلات الجزائرية مازالت تحمل هته القيم التي تتميز بسلطة الرجل وتقسيم الأدوار في نطاق مجتمع أبوي أو ذكوري.

أما القيمة الثانية هي قيمة الإنجاب وبالتحديد إنجاب الذكور، فلا يخلو مجتمع من مجتمعاتنا من الاهتمام بوجود عنصر الذكور الذي يمثل بناء الأسرة ويحافظ على اسمها، ولهذا حضيت الحكاية الشعبية بما يؤكد قيمة الإنجاب وقيمة وجود الأبناء، وتفضيلهم على الإناث أو بمعنى آخر التحيز ضد إنجاب الأنثى.

وليس غريباً في مجتمعاتنا أن تكون تلك القيمتان أساسهما قيمة العصبية المرتبطة من تصورات المجتمع الشعبي بضرورة الحفاظ على كيان الأسرة وكبر حجمها، أو الأخذ بالثأر الذي كان يعد بدوره قيمة أساسية في التصورات الشعبية في المجتمعات القديمة.

كما يمكننا أن نشير إلى القيم التي اندثرت بينما كانت حاضرة بقوة في المجتمعات القديمة وهي قيمة الجنس عندما كانت النساء تمنحن أجسادهن هبة للآلهة أو ما يسمى "بالبغاء المقدس الأنثوي... الذي كان منتشرًا جدا عند الإغريق... كتمرين إلهي يسمح

للتائه والفقير والراهب بالحصول على النشوة الجنسية من دون هدف الإنجاب، وكانت هذه الممارسات منتشرة في أرجاء العالم...¹. فمفهوم البغاء كان مقدساً ومعتزفاً به ذات قيمة خيرية لما تقدمه النساء من نشوة جنسية إلى المحتاجين والفقراء "فالجنس كان مقدساً له مكانة في المعابد"²، "والملكة نيتوكوس كانت بغياً في معبد الآلهة آمون"³.

وقد يظهر هذا التغيير في القيم جلياً في تطور الأسرة من حيث الإباحة الجنسية وتعدد الزوجات وصولاً إلى أحادية الزوجة وكذلك الانتساب إلى الأم ومن ثم إلى الأب⁴.

فإذا كانت بعض القيم ذات أهمية في وقتها فقد أصبحت اليوم عرضة للتغيير مع تغير المجتمع الذي قد يحافظ عليها أو يغيرها أو يقف ضدها أي فرد من أفراد المجتمع، وعليه "لا يمكن أن نقيس بمعيار أخلاقي واحد مصطلحاً أو مفهوماً وُجد في حقبتين وبيئتين مختلفتين من حيث البعد الزمني والمكاني. إذ أنّ للزمان والمكان دوراً هاماً في تغيير كثير من المفاهيم والمصطلحات"⁵.

لست الآن بصدد عرض تلك القيم المختلفة التي تغيرت بتغير المجتمعات وإنما حاولت أن أرصدها لأبين إمكانية تبدل القيمة أو اندثارها بسبب الأوضاع وحسب رغبة قبولها أو رفضها، وأحاول الآن أن أتعامل مع بعض ملامح القيم الأخلاقية الثابتة في النفس البشرية والمبثوثة داخل ثنايا الحكاية الشعبية "ومن خلال كل الاتجاهات والسلوكيات معاً، على أساس أن الاتجاهات والسلوك أو الفعل هما محصلة نهائية لتوجهات القيم"⁶.

والقيم الأخلاقية هي من بين القيم التي تولد مع الإنسان قبل أن يصطدم بالنزعات والرغبات الانسانية ولذلك تعد مبداء من "مبادئ التعايش التي تجعل البشر فيما بينهم بالرغم من كونه يحمل نزعات ذاتية وعدوانية...رغم ذلك يتعايش. فهي تفرض على الأفراد مبدأ التعايش فيما بينهم وهي نمطان: قيم من الخارج تفرض التعايش عليهم وأخرى تتبع

¹: كاظم الحجاج : المرأة والجنس بين الأساطير والأديان، ص 22

²: مصطفى صمودي : من جلجماش إلى نيتشه، ص 27

³: أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص 227

⁴: عيسى الشماس : مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، ص 103

⁵: مصطفى صمودي : من جلجماش إلى نيتشه، ص 67

⁶: عبداللطيف محمد خليفة : ارتقاء القيم، دراسة نفسية، ص 48

من الداخل أي تلقائياً¹، ومن أهم هذه القيم، نزعة الخير والحب والتفاهم الذي يعد جوهرية التركيبية البشرية، وبما أنّ النواة الأولى للمجتمع هي الأسرة فإن التفاهم بين الزوجين من أساسيات القيم التي يبني عليها المجتمع.

1. قيم التفاهم بين الزوجين:

تفيض الحكاية الشعبية بثروة غير متناهية من القيم الأخلاقية التي نشعر بمعانيها الإيجابية والتي تدلّ على الخير ومكارم الأخلاق، وقد حملت الحكاية الجزائرية تلك القيم في زمن عانت فيه المجتمعات الجزائرية الظلم والاستبداد والفقر، ممّا أدى إلى اتساع هوة الفوارق الاجتماعية وإفراز الكراهية والبغض والخوف من المستقبل المجهول.

لا يخلو نص من نصوص الحكاية الشعبية من الإشارة إلى تلك الصراعات أو المعاناة التي عانتها الطبقات البسيطة تلك الطبقات الأكثر تضرراً واستغلالاً، ليلجأ القصاص الشعبي بدوره إلى تصوير مختلف الصور التي تتراوح بين صراعات الخير والشر ويؤكد على قدرات الحكاية في تمثيل أواصر الارتباط الاجتماعي والأسري، ونشر الحب والودّ بين أفرادها. ولهذا "أجمع علماء الاجتماع على أنّ الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الوحيدة التي احتفظت بعنصر التماسك بين أفرادها وإنّها مع تعقد مجتمعاتنا الحديثة بدأت تفقد مثل هذا التماسك"². ومن أهم تلك الروابط الرابطة الزوجية، فالزواج في الحكاية الشعبية حضي بقيمة التفاهم والمسؤولية بين الزوجين، والتي لم تحصرهما الحكاية على الزوج فقط وإنما حملتهما للمرأة أيضاً، فهي مسؤولة عن نجاح زوجها في الحياة أو فشله مثلما تحدثنا به حكاية "الخيز مرّاً وشزّ مرّاً"، المرأة التي كانت سبباً في نجاح زوجها لما تحمله من خبرة في الحياة، مكنتها من إعلاء مكانة زوجها ونجاح أعماله. ولهذا "فالحكاية تحرص على إحداث التكافؤ في الحياة الزوجية وتسخر من الأسر التي يختل فيها هذا التكافؤ"³. تروي لنا حكاية "بابا قرماز" عن الزوجة التي تشارك زوجها العمل

¹: محمد البستاني: الاسلام وعلم الاجتماع، مجمع البحوث الاسلامية للدراسات والنشر، لبنان، الطبعة الأولى، 1994،

ص 70

²: المرجع نفسه: ص 192

³: مرسى الصباغ: القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 109

وتقتسم معه أعباء الحياة الاجتماعية القاسية، فهي ذات فطنة وذكاء، تقدم له النصح والإرشاد، وهذا بعدما تفتنت بالأذى الذي أصاب ابنها من قبل الغول، غير أنّ زوجها لم يأبه بكلامها ولم يصدقها إلى أن تحقق بنفسه.

فقيمة مسؤولية المرأة التي من أجلها سردت الحكاية تبين مكانتها في المجتمع ودقة تفكيرها وإحساسها بالخطر، وعاقبة الزوج الذي لا يسمع كلام زوجته، وهذا يظهر جلياً في الحكاية حين يقول الزوج للغول الذي حاول قتل ابنه «كُنِّي مِنْ الرِّجْلَيْنِ لِي مَا تَبْعُوشُ مَرَاتَهُ، كُنِّي مِنْ اليَدَيْنِ أَلِي ضَرَبُوا مَرَاتَهُ كُنِّي مِنْ الوُدْنَيْنِ أَلِي مَا اصْنُتُوشُ كَلَامَ مَرَّتِهِ...».

تشير الحكاية إلى العلاقات الزوجية المتبادلة بينهما والتي تعمها الحميمية والتفاهم والتعاون على صعوبة الحياة ومشاقها، فهما يحافظان على تلك الرابطة الزوجية، بكل الوسائل والممارسات التي تمنحها وتمنح زوجها وأبناءها السعادة في كنف أسرة متماسكة، فهما يتعاونان على الحصول على لقمة العيش والتغلب على مشاق الحياة، مثلما رأينا في حكاية "بابا قرماز" التي نلتمس من خلالها تعاون الزوجين على الفقر الذي أدى بهما إلى البحث عن العمل والكراء. كما تبين لنا قيمة التآزر والتعاون في العمل، بحيث تساعد الزوجة زوجها في العمل "غسل الملابس مقابل المال" حتى يتمكن من توفير لقمة العيش. وبالتالي جعلت الحكاية من علاقة الرجل بالمرأة، علاقة ترابط ومودة وتكافؤ تسودهما الرحمة والمحبة» لقوله تعالى «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»¹.

ولا تتوقف الحكاية عند ذكر تعاون الزوجين ودورهما خاصة دور المرأة التي تتجاوز إطار الأعمال المنزلية، فهي تساهم في تنشيط الحياة الاجتماعية والاقتصادية داخل المنزل وخارجه، كما تذكر لنا ذلك حكاية "لونجة مولاة سبغ سولف" التي تقوم فيها الزوجة بصناعة النسيج وحكاية "جوهز في خيوطها" في جلب الماء من الوديان.

¹: سورة الروم، الآية ص 21

«لا تخلو الحكاية الشعبية من التحدث عن المرأة الطيبة الفاضلة والمكافحة في سبيل رعاية زوجها وأبنائها وبيتها خير رعاية»¹، والهدف من إبراز هذه الصور هو تأكيد قيم المرأة المكافحة من أجل زوجها وأبنائها.

تحفل الحكاية الشعبية بقيم التوازن بين الزوجين وما يترتب عنه من تحقيق الأمن والاستقرار لتؤكد لنا بذلك قيمة من قيم المجتمع الذي يحافظ على تماسكه ويثبت به دعائمه، فالزواج يعدّ رابطة مقدسة تقوم على المعاني الروحية والعاطفية أكثر ما تقوم على أي معنى آخر، وهو عقد لا يراد به صفقة عابرة ولا أمر فتي سريع الزوال بل هو عهد يقوم على اشتراك الطرفين في الحياة في شركة يراد بها الدوام والاستقرار². وقد لا تتحقق هذه الشراكة والتوازن إلا من خلال مبادئ ترسم نمط العلاقة بين الزوجين، وبينهما وبين الأولاد، والأولاد فيما بينهم³.

ومما لا شك فيه أن الحكاية جاءت بقيم تثبت بها الأسس السليمة للزواج وتهيئ الحياة الكريمة له، مما يضمن له أسرة صالحة ومجتعا أصلح. ومن أهم تلك القيم الأخلاقية التي أكدتها الحكاية في الزواج هي الإحساس بالعاطفة والمشاعر والروابط النفسية. وهذا حينما عرضت لنا مجموعة من الحكايات تحدثنا فيها عن قيمة العاطفة والحب بين الزوجين. كحكاية "لُونَجَة" التي أحببت الفارس الشهم وعمدت الهروب من بيت الغولة والالتحاق به بعدما أحبته من أول لقاء. ويقول الراوي «لُونَجَة شَافِتْ فِيه... وَظَهَرَ لَهَا مَا كَانَ مَا أَزِين مَنَهْ، وَزَادَ دُخَلَ فِي قَلْبِهَا الْكَلَامَ الْحُلُوَّ أَلِي سَمْعَاتُهُ وَالرَّجُلَ عَجِبَهَا...».

كما تحدثنا حكاية "خُنَيْفَسَة لآلة النسا" عن ضرورة الزواج والبحث عن الزوج المناسب وذلك عندما قرّرت "خُنَيْفَسَة" الزواج وخرجت إلى السوق باحثة عن زوج مناسب، وكلما سألتها أحد عن سبب تواجدها في ذلك المكان تجيب «نَنْقَرَجْ وَنِدَحْرَجْ، وَنُحِبُّ نَزْوَجْ» وظلت على حالها ترفض كل من تقدم لها إلى أن تحقق مرادها باختيارها لزوج من فصيلتها "خُنَيْفِيسْ".

¹: سرحان نمر : الحكاية الشعبية الفلسطينية، ص 80

²: مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 114

³: محمد البستاني : الاسلام وعلم الاجتماع، ص93

أما حكاية "هَارُونُ الرَّشِيدُ" هي أيضا تحدثنا عن "بنات السلطان السبع" اللواتي قررن الزواج، فذهبن إلى "المدير" كي يساعدهن في كيفية إبلاغ والدهن بقرار الزواج، وبعد أن علم والدهن قرر استدعاء جميع شباب المدينة لتتمكن بناته من اختيار ما يناسبهن من الرجال. كما تشير حكاية "حَدُّ الزَيْنُ" إلى أهمية الزواج وقيمه النفسية والاجتماعية، فهي تحدثنا عن إصرار الأم على زواج ابنها بما أنه أصبح رجلا قادرا على الانجاب حيث تقول له «يَا وَلَدِي رَاكَ كَبِيرَ الْيَوْمِ، لَأَزْمُ تَتَزَوَّجَ وَدِيرُ وَوَلَادُ وَبَنَاتُ مَا بَقِيَ حَالُ». و لهذا " فالزواج يستمد أهميته من وظائفه العديدة التي يقدمها للزوجين، فهو وسيلة منظمة لسد الحاجات المختلفة سواء كانت عاطفية أو جنسية أو اقتصادية، ويعد التجاوب العاطفي ذا أهمية كبرى لنجاح الزواج"¹.

تحفل الحكايات الشعبية بما يؤكد هذه القيم في حياة المجتمع ولذلك فهي تركز على الأسس الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها الزوجين لاستمرار علاقتهما من حب وإخلاص وتفاهم وتعاون في شؤون الأسرة حتى يكتمل التوازن النفسي والاجتماعي ويعم الأمن والاستقرار، فهذا التوازن الجزئي في المجتمع هو توازن ضروري"².

2. قيمة الأمومة:

تعرضت الحكاية بمختلف أشكالها وأنواعها إلى قضية فقدان الأم وما يترتب عنه من مشاكل "كاليتيم" ومن خلال هذا "اليتيم" تبرز قيمة الأمومة "باعتبارها حالة نفسية فطرية في الإنسان، تولد معه وتظهر قوية مع ممارسته للسلوكات الإنسانية الأخرى، ومن هنا جاء الاحترام والتقدير لهذه الأمومة"³. فمعظم الحكايات تتحدث عن موت الأم أو فقدانها أو زواج الأب من امرأة أخرى، لتحل محل الأم ويحل الشقاء والغبن والتمييز بين الأبناء، فتندثر سعادتهم ويكثر الظلم والحرمان.

¹: أحمد مرسي : الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 46

²: محمد البستاني : الاسلام وعلم الاجتماع، ص93

³: أمحمد عزوي : القصة الشعبية الجزائرية في منطقة الأوراس، ص169

يمكن اعتبار قيمة الأمومة ظاهرة عالمية لما يصدر عنها من أشكال حكايات اليتيم وفقدان الأم. فقد عبرت حكايات عديدة "كبقرة اليتامى" وحكاية "الولد ومَرَّتْ بِأَبَاهُ" عن قسوة زوجة الأب على أبناء زوجها، هذه القسوة التي بلغت إلى حد التجريح والتعذيب أو محاولات القتل، والهدف الحقيقي من عرض هذه القسوة هو تأكيد قيمة الأمومة والكشف عن عقدة زوجة الأب، فالأم تبقى مشدودة إلى أبنائها ذكورا وإناثا برابطة الأمومة المثالية، التي تتجلى عبر محطات متنوعة في حكاية "بقرة اليتامى"، التي تجسد من خلالها دور الأم المثالي الذي ترمز له "البقرة" بالعتاء والبقاء وهذا بعدما كانت تمدّ الشقيقين باحتياجاتها من الحليب لتحلّ بذلك محل الأم التي تبعث في أبنائها الدفاء والحنان بتحقيق مصدر الغذاء وتعويض الحرمان الأمومي الذي تسببت فيه زوجة الأب الشريرة. فالأم هي التي تحافظ على أسرتها وتجمع أبناءها حولها إذا توفي الأب بينما في حالة وفاتها فانه يتزوج مرة أخرى ولا يهتم بجمع شمل أولاده"¹، أما حكاية "المعزة الصنبية". تؤكد لنا الحكاية أهمية الأم في توفير الغذاء لأبنائها فهي تخرج يوميا لجلب الغذاء، متحملة شقاء العمل والتعب وعند عودتها تقول لابنها: جِبْتُ حَلِيبٌ فِي بَرُولِي، جِبْتُ الْمَاءَ فِي قَرْقُورِي، جِبْتُ الْحَشِيشَ فِي قَرْقُورِي... جِلُّو الْبَابَ نَرَضَعُكُمْ». فقيمة الأمومة مرتبطة بعرض الحكاية لحب الأم الشغوف على أبنائها، تصارع من أجلهم القسوة والحرمان وحريصة دوما على سعادتهم وأمانهم "مدفوعة بغريزة حب البقاء لأن أبنائها استمرار لوجودها"².

تبقى مكانة الأمومة "نافذة بين الأبناء وهذا دليل على مدى تأثيرها في الأسرة فهي التي تمنح حياتها مقابل حياة أبنائها وأسرتها أو "بمعنى آخر تعطي الحياة بفقدانها هي الحياة وهكذا تتعاطى دورة الحياة، كل شيء سبب في وجود الشيء الآخر"³، ففي حكاية "الجَوْهَرُ فِي حَيْوُطِهَا" تحدثنا الحكاية عن الأم التي تبكي ولدها المسجون وتبحث عنّ يساعدها في إخراجها. فهي التي تعتني بأبنائها ويعتنون بها، ما نُقِّرُ به الحكاية الشعبية حينما تركز على قيمة تأثير الأم في أبنائها وولائمها لها. كحكاية "بقرة اليتامى" التي لم يستطع فيها الأبناء نسيان أهم التي كانت ترعاهم قبل فقدانها الحياة. كما تركز الحكاية

¹: فاتن محمد شريف، يحي مرسى عبد بدر : مقدمة في علم اجتماع الأدب، ص 187

²: عمر عبد الرحمن السارسي : الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني، ص 164

³: أمحمد عزوي : القصة الشعبية الجزائرية في منطقة الأوراس، ص 166

على قلق الأم على أبنائها وهي بين الموت والحياة عندما طلبت من والدهما ألا يبيع البقرة بحاجة أبنائها منها وكأنها تعلم مصيرهم بعد موتها من زوجة أبيهم. فلا بد هنا من أن ننوّه بعرض الحكاية لصور "الأم الحنون"، لأن هذه الصور تشمل الغالبية العظمى للأمهات. فالأم وضعتها الطبيعة في موضع الحارس الأمين ومربيته النشيطة الدؤوب لأولادها. حتى إذا ما كبر الأولاد ظلت الأم تحرص على مصالحهم وتزودهم بالنصيحة والمساعدة المادية والمعنوية ما وسعها ذلك"¹.

كما تشير حكاية "لُونَجَة مُوَلَاة سَبْعُ سَوَالِفٍ" لرحمة وشفقة وسماحة الأم التي لم يطاوعها قلبها على هجرة ابنتها التي ربتها منذ صغرها وأخبرتها عن الخطر الذي ستصادفه في طريقها وهي تقول «لُونَجَة بِنْتِي اغْدَرْتِنِي لَكِنْ قَلْبِي مَا يُفُونَكَشْ...». فحسرة الأم وقلقها على أبنائها يكاد لا يندم في مجموع الحكايات الشعبية، إلى جانب قيمة الأمومة، تطلعنا الحكاية عن خاصية هامة في بعض الحكايات حينما تجعل من المرأة قوة نافذة وفكر مدبرا وذكاء حادا فتعكس لنا بذلك "قيمة المرأة" التي تمتد لتشمل كونها أهم عضو في الأسرة فقد حافظت على مكانتها وشرفها.

ركزت الحكاية حول ردّ الاعتبار للمرأة بوجودها ككائن اجتماعي له من الميزات الإيجابية من ذكاء وشرف وعمل وجهاد ... ما يؤهلها لأن تنفرد بمكانة عالية بموجبها تلقى الاحترام والتقدير، ولهذا نرى أن الحكاية الشعبية اتسمت بالموضوعية، فهي لم تنتصف لأحد طرفي المجتمع على حساب الآخر، وإنما اتخذت موقفا عدائيا من النماذج السيئة عند كل من الرجل والمرأة على السواء وهذا ما أكده أحد الدارسين للأدب الشعبي في مغزى دراسته الميدانية "للمرأة والحدوثة"، فالمرأة التي تروي وتحكي الحدوثة لا بد وأن تكون قد وظفت كل ما لديها من أفكار وخلفيات وقضايا في تنشئة الصغار"².

ففي حكاية "جَازِيَة" تؤكد لنا قيمة الفطنة والذكاء والشرف الذي يجب أن تتحلى بها أية امرأة تساهم في تطور أسرتها وبالتالي مجتمعا. فقد وجدنا في بعض الحكايات أنّ

¹:سرحان نمر: الحكاية الشعبية الفلسطينية، ص 81

²: خالد أبو ليل: المرأة والحدوثة، دراسة في الإبداع الحكائي الشعبي للمرأة المصرية، جمع ودراسة، تقديم أحمد مرسى،

دار العين للنشر، القاهرة، 2008، ص80

المرأة ينبغي لها أن تسلك سلوكا معياريا هو سلوك الجماعة التي تنتمي إليها. ومن هنا أعطتها الحكاية أدوارا بارزة في المجتمع تؤكد على قيمة اجتماعية لازمة للمجتمع وهي المحافظة على تماسكه بترسيخ قيم أخلاقية وطمس قيم أخرى فاسدة.

وتجدر الإشارة في هذا السياق أن معظم قيم الأمومة هي قيم ثابتة في الحس الشعبي، لا تتأثر بتغير الظروف الاجتماعية والثقافية المحيط بها، فهي قضية منققة عليها في كل السياقات وفي كل العصور، ونموذج من أهم النماذج التي ظلت ثابتة رغم اختلاف العصور والظروف، نموذج يحضى بالاحترام والتقدير من أبناء المجتمع، وهو ما تلقى أيضا فيه جميع الحكايات الشعبية لما تحمله الأم من حب وحنان وعطف ورحمة وشفقة هذا إلى جانب تضحيتها من أجل أبنائها وحرصها على ترابط وتماسك أفراد أسرتها، وعليه تكون مجموع هذه القيم دعوة إلى التحلي بقيم الأخلاق الأسرية التي يجب إتباعها حتى تتدعم الروابط الأسرية.

تعنى الحكاية الشعبية أشد العناية بأفراد الأسرة ومن ثم فهي تحرص دائما على توجيه سلوكياتهم إلى ما هو في صالحهم حتى تستقيم وتؤدي وظيفتها الأساسية في بناء المجتمع، ومن بين أهم هذه القيم التي تعتمد عليها الحكاية في المحافظة على الترابط الأسري، هي الإحساس بالشعور الأخوي والعاطفة الزوجية، والزواج كما سبق وأن ذكرت هو الحجر الأساس الذي تقوم عليه الأسرة والتي تنحصر "وظيفتها في كونها المؤسسة الوحيدة التي تفرض ضرورتها في ميدان استمرارية التناسل البشري من جانب، وكونها تضطلع بعملية التنشئة الاجتماعية من جانب ثان، فضلا عن اشباعها للحاجات الجنسية والعاطفية والجمالية للزوجين"¹.

3. قيمة التماسك الأسري:

تعد الأسرة كمؤسسة اجتماعية لا توجد في فراغ اجتماعي وإنما يحكمها إطار الثقافة الفرعية التي تنتمي إليه، كما يتمثل في المستوى الاقتصادي والاجتماعي... وغير ذلك من

¹ : محمود البستاني: الاسلام وعلم الاجتماع، ص 189

المتغيرات، فالأسرة تلعب دوراً أساسياً في اكتساب الفرد قيماً معينة¹ ولهذا تهدف الحكاية الشعبية إلى ترسيخ قيم المحافظة على التماسك الأسري بين الآباء والأبناء من خلال محاربة التفكك والدعوة إلى تدعيم أسس المساواة بين أفرادها كي لا تتفكك روابطها، فهي مجال للتضامن المطلوب يتم بواسطة القضاء على الخلافات الأسرية ومحاربة التمييز بين الأبناء ومنحهم فرصاً متساوية ما تحدثنا به حكاية "سَعِيدٌ وَدِيَابٌ" الذي لجأ فيها الأب إلى وضع أبنائه في وضعية مسابقة، الهدف منها اختيار الأفضل للحكم وتدريب الأبناء على كيفية التغلب على متاعب الحياة. هذا إلى جانب محاربة التمييز بين الجنسين من خلال حكاية "مُلُوكَةُ وَالثَّعْبَانُ" التي كسرت الحواجز وخرجت عن المألوف، عندما حاولت أن ترفع من شأن إنجاب الإناث، حيث تروي لنا الحكاية الشعبية هجرة الأخوة السبع البلاد توهماً منهم بإنجاب أمهم ولداً. ولما كبرت أختهم اكتشفت أنها سبب هجرة إختها فقررت الرحيل للبحث عنهم.

كما تؤكد لنا الحكاية قيم المساواة بين الجنسين في حكاية "عَيْنُ الزَّعْفَرَانِ" البنت التي تحظى بحب والديها والاهتمام الكبير بها. فتصور لنا الأب وهو يفكر بمصير أولاده، يخشى عليهم من التشرد والضياع بعد وفاته. كما ورد في حكاية "زَيْنَبُ وَكَعَالَةُ السَّبْعِ" التي قطع فيها الأب مسافة طويلة من أجل معرفة حالة ابنته المتزوجة وما صادفه من مشقة في رحلته إليها، وكان الهدف من هذه الحكاية ترسيخ قيم حب الآباء لأبنائهم وتحملهم المشاق لأجلهم. "ففيما يتعلق بدور القيم التي يتبناها الآباء في تنشئة الأبناء، فقد تبين أن نمو الضمير عند الطفل يعتمد على معايير الآباء أنفسهم، وقيمهم، كما يعتمد على طبيعة العلاقة بين الطفل وأبويه."²

أما حكاية " القَطِيطُ وَالفُؤَيْزُ " يقوم فيها الأولياء بتربية أبنائهم وتقديم النصيحة لهم بما يُساعدهم على تخطي الصعاب وتجنيب العدو وما قد يتعرضون إليه من مشاكل، فالأب يلجأ دائماً إلى وصاية أبنائه، يدعوهم إلى الالتحام والتماسك ولو كانوا غير أشقاء كحكاية "الوَلَدُ وَمَرَّتْ بَابَاهُ" التي تحدثنا أيضاً عن قيمة الإخوة التي تربط بين الأخوة غير الأشقاء

¹: عبد اللطيف خليفة: ارتقاء القيم، ص 77

²: المرجع نفسه : ص 172

"من أب واحد" وما عانوه من حرقة الفراق بعد هجرة أحدهما البيت بسبب التفرقة بينهما حينما قال لأخيه «أنا راني قريب نَهَجَرُ، أنا عَرَفْتُ بلي هَذِي مَاشِي مَا، بَاغِي نِهَجَرُ» «وَعِنَقُ حُوهُ وَرَاخُ». تسرد لنا الحكاية مغامرة البحث عن الأخ الضائع وما تعرض له من مشاق في رحلة البحث عنه وإنقاذه من الموت ما يدل على العلاقة الأخوية التي يمتثل لها الأخوان، فالحب الأخوي ظل يراودهما، إلى أن أحس أحد الأخوة بإصابته بمكروه ليقول «أنا البلادُ إلي كَلَاتِ حُويَا تَأْكُلُنِي» وعليه تؤكد لنا الحكاية من خلال هذه العلاقات القيم الأخوية التي تركز على العاطفة والحب والتسامح بين الإخوة.

وتتحدث الحكاية أيضا عن قيم الإحساس بالعاطفة اتجاه الإخوة في حكاية "مُلوكَة والثعبان" التي حظيت فيها الأخت الصغرى بحب إخوتها وعنايتهم بها، فالأخت تبقى مكانتها خاصة بين إخوتها تحظى بعلاقة حب متينة. كما تشير حكاية "بَقْرَة لِينَامِي" إلى طبيعة حب الإخوة لبعضهم البعض وتماسكهم، إضافة إلى تمسك الأخت "عَايشَة" بأخيها "علي" رغم تحوله إلى غزال إلا أنها حرصت على البقاء إلى جانبه رغم ظروفها الصعبة. هذا ما تروييه الحكاية على لسانها «حُفَنَلَه وَفُتَلَه مَا غَيْرِ المُوْتِ لي اَفَرَقُ بِيِنَانْتَا» وظلت بجانبه لسنوات عديدة تعينه وتحرسه من الصيادين إلى أن تمكن منه أحدهم فرمت بنفسها عليه وقالت: «أَكْتُلُونِي وَخَلُو حُويَا. أَكْتُلُونِي وَخَلُوهُ أَعِيشُ، خَلُوا حُويَا».

فالحب والود الذي جمع "عائشة" و"علي" جعل منهما لحمة واحدة لا تفرقهما الأيام، خاصة وانهما هجرا البيت فارين من سيطرة زوجة الأب وظلمها. أما حكاية "خُرِيصُ وَبُوخُرِيصَة" تؤكد لنا قيمة الحب والود والتضامن بين الإخوة بعدما قامت أخت خريص وبوخريص "برعاية إخوتها منذ الولادة لتمنحهم الدفاء والحنان وهذا بعدما فقدت أهم الحياة فلم تتهاون لحظة في الاعتناء بهم رغم الصعوبات التي تلقفتها. ولعل حكاية "حد الزين مُولَاة الشَعْرِ الدَّهْبِ" هي أيضا تؤكد الرابطة الأخوية المتأصلة في الإنسان، فرغم هروب الأخت من أخيها بعدما حاول الزواج بها، إلا أن مشاعر الأخوة تحركت بداخلها، فلم تسعفها بعد تلقيها خبر مرضه الشديد بسبب غيابها، فأسرعت إليه تتاجيه وتطلب عفوه.

تؤكد الحكاية قيم التسامح بين أفراد الأسرة لتحقيق رابطة التماسك والتواصل بين الأقارب، فهي تبعث على تمتين العلاقات القربانية ونبذ تفرقتهم وتدعو إلى التسامح والصفح

والتجاوز وتغليب قيم الرحمة من أجل اكتمال "مستويات التوازن الاجتماعي العام والذي يشمل المجتمع بكل ما يحويه من أفراد وجماعات والتوازن الجزئي الذي يتحقق في نطاق وحدات اجتماعية محددة كالأسرة"¹.

تشير حكاية "مُلوكَة والثعبان" إلى قيم التسامح بين أفراد الأسرة بعدما سامحت الأخت "مُلوكَة" إخوتها السبع الذين ظنوا بها سوءاً، وحاولوا التخلص منها حتى لا تجلب لهم العار وتدنس شرفهم، ولكن بعد اكتشاف حقيقة المؤامرة التي حكيت ضدها من قبل زوجاتهم قاموا بإنقاذها من "الثعبان" الذي نما بأحشائها وطلبوا منها الغفران. "إنّ تعارض القيم بين أفراد الأسرة يؤدي إلى اضطراب عمليات التطبيع الاجتماعي وتنشئة الأبناء، فتنشأ شخصيات مضطربة بشكل يعوق توافقهم في المستقبل"².

ولذلك تركز مضامين الحكاية الشعبية روح التسامح والتواصل من أجل الترابط بين الأقارب حتى يعم الاستقرار الأسري، وتتأصل أوامر القرابة. وهذا ما أقره الأنثروبولوجي مالمينوفسكي أن "العلاقات القرابية هي وسائل اجتماعية معدة للقيام بوظيفة اجتماعية وهي تأمين التوازن الاجتماعي وترسيخ السلم وتمتين التلاحم بين أعضاء المجتمع"³.

لا تكفي الحكاية في ذكر قيم رابطة الأمومة والتآزر الأسري عند الإنسان بل تتعداه للحيوان كحكاية "المعزة الصنيبية" التي تحدت المخاطر والصعاب في البحث عن أولادها الصغار. كما تشير الحكاية إلى الطريقة العنيفة التي استعملتها "الأم" في إنقاذ أبنائها من قبضة العدو، حيث استعملت قرونها الذهبية الحادة لإخراج أبنائها من بطن الذئب أحياء وهذا يرمز إلى استعمال العنف أحيانا للدفاع عن تماسك الأسرة.

يهدف العنف في الحكاية إلى تحقيق وتأكيد قيم التماسك الأسري والترابط بين الأبناء والإحساس بحب الوالدين لأبنائهم، كحكاية "القطيط والفؤير" التي تحدثنا عن قيمة احترام الوالدين بحيث تسرد لنا الحكاية قلق الوالدين على أبنائهم وهذا بعدما قدم القط والفأر نصائح لابنيهما خوفا من إصابتهما بأي مكروه خارجي.

¹: محمود البستاني: الاسلام وعلم الاجتماع، ص 91

²: المرجع نفسه: ص 173

³: محمد بن حمودة: الأنثروبولوجيا البنوية أو حق الإختلاف، ص 69

إنّ واجب الأخذ بنصائح الأولياء من أهم القيم التي تحرص عليها الحكاية الشعبية وهذا ما تؤكدته الحكاية «إلي ما يسْمِعْش راي كَبِيرُو، الهَمّ تَدْبِير...» وتقول أيضا «إلي قَالُوهُلْكَ بَابَاكَ وَيِمَاكَ حَتَّى أَنَا قَالُوهُلِّي بَابَا وَيِمَا» فطاعة الوالدين قيمة خلقية نبيلة تساعد على تربية الأبناء وتوجيههم إلى ما هو أصلح.

تقدم لنا الحكاية في مضامينها قيم الاحترام وطاعة الوالدين، فهي تدعوهم إلى الإحسان والبر بهما مثل حكاية "المكثوب" التي تحدثنا عن طاعة الابن لأبيه واحترامه فتقول الحكاية «خَرَجَ مِثْرِي وَطَايِعَ بَابَاهُ بِزَافٍ .. مَا يَعْصِيهِمْش..» فكلها «جوانب تربوية مرتبطة بالقيم الدينية التي تحت الإنسان على الرأفة والحنان نحو والديه»¹ تماشيا مع قوله تعالى « وَفَضَى رَبِّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا »².

فتلاحم الأسرة مع جميع أفرادها ضمان للأمن والاستقرار، وطبيعة هذا التلاحم ليس بالجديد في نظام الأسرة وإنما منذ أمد بعيد "حيث أن أعضاء الأسرة الواحدة أو البطن الواحد لم يكن لديهم - في البداية - أي شعور بفرديتهم، فالرابطة الجماعية كانت عندهم قوية لدرجة أن كان التجمع البشري هو كل شيء والفرد لا شيء"³.

وعلى ضوء ما تقدم يتضح لنا قيم التماسك الأسري لما لها من أهمية في الحياة الاجتماعية بحيث تعتبر الأسرة النواة الأساسية في بنية المجتمع إن صلحت صلح حال المجتمع، وذلك عن طريق التنشئة الاجتماعية والتربوية التي تعتمد خصوصا على الثقافة الشفهية للمجتمع التي تسمح للأبناء بتعلم المعالم الأساسية لثقافتهم من خلال إعادة الإنتاج.

تسهم الحكاية الشعبية في تأثيث المخيال بالقيم الايجابية التي تدعو إلى التسامح ونبذ العنف وتقبل الآخر ومشاركته في مجريات الحياة اليومية وهذا ناتج عن العلاقة الزوجية المبنية على الحب والتفاهم لتنشئة أسرة مبنية على الترابط و التلاحم. "بحيث شكلت الأسرة

¹: أمحمد عزوي : القصة الشعبية الجزائرية في منطقة الأوراس، ص 167

²: سورة الإسراء : الآية 23

³: أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص 232

ركيزة متينة في تطوير الأحداث الداخلية للحكاية وعمدت على الاهتمام بقيم العلاقات الأسرية والاجتماعية، بمختلف شرائحها فهي إذن تريد أن تصدر ... في أشكالها ومضامينها عن نموذج اجتماعي تريد أن ترفع إليه سلوك الأفراد¹.

إن النزعة الإنسانية بمختلف تراتباتها وقيمها تدفع اتجاه بناء منظومة سلوكية وخلفية وبالتالي تسهم في بناء مجتمع متصالح مع نفسه ومع غيره، مما يجعل الأمن الاجتماعي والاستقرار حوصلة لوجود قيم الخير وعليه يجب أن تقوم داخل المنظومة الأسرية "قيما أسرية نحو الأصول بالاحترام والطاعة ونحو الفروع بحسن التربية والرعاية والعطف وتجاه الأزواج باجتنب العلاقة المحرمة، واستمرار علاقات المحبة المتبادلة والمساواة والتشاور والتحكيم عند الاختلاف"²، حتى ينشأ أفراد الأسرة تنشئة مستقيمة، ويخلق جيلا صالحا في كنف الفضيلة وحنان الأمومة ورعاية الأبوة إلى جانب العدل والمساواة بين الزوجين، فلا يمكن أن يسير ذلك إلا إذا عم التفاهم والاحترام المتبادل، وتضل هذه القيم قيما مدعمة لتحقيق التعايش الاسري والاجتماعي والحياة المشتركة.

4. قيمة الكرم والضيافة:

ترصد لنا الحكاية في مضامينها قيم الكرم والضيافة والجود التي يجب أن يتصف بهم الإنسان، وهذا إشارة منها على أن الطبقات الفقيرة رغم احتياجاتها إلا أنها تقوم بقيم الواجب اتجاه الضيف وتدل على الصفات الحميدة الكامنة في نفوس الشعب، فرغم المعاناة الاجتماعية إلا أنه محافظ على هذه القيم النبيلة، كحكاية "الولد ومَرَّتْ بَابَاهُ" التي أكدت فيها المرأة العجوز قيم الخير والإحسان فهي تحسن استقبال البطل وتكرمه.

وفي حكاية "خُرَيْصٌ وَبُؤْخَرِيصَةٌ" هي التي ترشده وتوجهه وتحذره من المخاطر والمكائد التي يحتمل أن يصادفها في طريقه. أما حكاية "كُنْثِي يَبْرًا... وَكَلَامٌ سُوءٌ مَا يَبْرًا" تؤكد لنا على لسان الحيوان، شهامة وكرم الأسد الذي يرمز له عادة بالكرم. ويشير إلى ذلك الراوي عندما يقول « والسَّبْعُ عِنْدَ الْعَرَبِ مَعْرُوفٌ بِالْكَرَمِ، مَعْرُوفٌ بِالْقُوَّةِ وَالرُّجْلَةَ... ».

¹: عبد الحميد يونس : الحكاية الشعبية، ص 85

²: محمد فيصل شيخاني : القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة العربية الإسلامية، ص 40

تسرد لنا الحكاية تفاصيل المشاكل الزوجية التي أدت بالزوجة إلى طلب الضيافة من الأسد إلى حين هدوء أمورهم، فأحسن الأسد استقبالها هي وخدامتها ووقّر لهما ما تيسر من مأكّل ومشرب يقول الراوي « لَأَقْ بِبِهِمْ وَكَبَّرَ بِيَهُمْ مَا قَصَرَشْ كُلُّ يَوْمٍ يَمْشِي يُصَيِّدُ وَيَجِيبُ لَهُمْ مَا يَلِزِمُ وَعُمَرَهُ مَا يَقْرَبُهُمْ، بَاقِي مِحْتَرَمَ الْمَرَا وَخُدَيْمَتَهَا وَحَتَّى الْمَغَارَةَ ائْتَاعَهُ مَا يَدْخُلُهَاشْ ». ومن هنا يتضح لنا حسن الضيافة والكرم التي يجب أن يتسم بها أفراد المجتمع من أجل إسعاد الضعفاء والفقراء. " فلن ينجح مجتمع في هذا الطريق إلا إذا وثقت الصلة بين أبنائه فلم يبق محروما يقاسى ويلات الفقر ولم يبق غنيا يحتكر مباحج الغنى"¹.

والجدير بالذكر أن النص الشعبي لا يحمل قيمة أو قيمتين في الحكاية وإنما هو مخزون متدفق لمجموعة من القيم في الحكاية الواحدة، وعليه يمكننا أن نشير إلى حكاية "الأسد" التي كانت وراء تحقيق رغبة أخرى غير الضيافة وهي الكرم الذي يعدّ من أهم القيم الإيجابية التي تساعد علي التوازن الاجتماعي بين الأفراد.

تسرد لنا الحكاية معاملة الأسد الحسنة لضيفته إلا أنه تلقى ما يسيء إلى كرامته بعدما وصفته الخادمة بصفات قبيحة وهي تحدث صديقاتها عن كرمه وضيافته وحسن استقباله لها، إلا أن جسده تنبعث منه رائحة لا يمكن تحملها وهي تقول « يَا لَطِيفٌ... لَأَكُنْ مَافِيَهُ لَوْمٌ، حَلْفَهُ رَبِّي، وَحَدُّ الرِيحَةِ حَازِرَةٌ نَعْمٌ". فلم يستوعب الأسد ماجرى من حوار بين الخادمة وصديقاتها ليتربص لها في الغابة وهي تقوم بعمل الإحتطاب وطلب منها أن تضربه بالفأس بين عينيه، ورغم محاولات الرفض إلا أن الخادمة رضخت لطلبه، وكان كلما يلتقيها يسألها عن التحام الجرح، إلى أن شفي تماما ففرحت الخادمة لتقول له « يَا سَيِّدِي بَرًا وَمَابَقَى ائْتَارُ الْحَمْدُ لِّلَّهِ » ليصرح لها الأسد بما كان يخفيه من مغزى وراء ضربها له بالفأس فقال : «شُفْتِي، الْجُرْحُ بِالْفَاسِ وَبَرَى ... كُشِّي بِيْرًا يَا "هَبْرَةَ"، وَكَلَامَ السُّوءِ مَا يَبْرَا"، فلو تمعنا في الكثير من نصوص الحكاية لوجدناها تمتد إلى أخص خصوصيات المجتمع أغلبها تؤكد قيما أخلاقية توجه سلوك البطل الذي تختلف ملامحه وتتنوع أمكنته.

¹: مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 110

فالحكاية عموماً " مرتبطة بواقع الإنسان وبواقع مشكلاته، فسواء كان البطل منتمياً إلى أسرة أو قبيلة أو كان مجهول الهوية وليست لديه ملامح... فإنه يحقق هدفاً له قيمته على المستوى الجمعي وعلى المستوى الاجتماعي"¹. ولو تمعنا في الكثير من نصوص الحكاية لوجدناها تمتد إلى أخص خصوصيات المجتمع، أغلبها يؤكد قيماً أخلاقية توجه سلوك البطل، الذي تختلف ملامحه وتتنوع أمكنته.

5. قيمة الصبر والتسامح :

تقوم الحكاية الشعبية بدور كبير في تأكيد الروابط الاجتماعية وهذا ما يجعلها صدى وصوت الشعب، تقدم من خلاله معالم الحياة الفاضلة بطريقة غير مباشرة فهي مرآة المجتمع، وعليه تحرص دائماً على تناول مجموعة من القيم الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها الأفراد، بحيث تعكس رؤية المجتمع الذي يبحث عن نسيج اجتماعي أفضل وفي كنف اقتصاد أوفر.

إنّ الاهتمام بالمسائل المادية هو اهتمام طبيعي لدى كل إنسان، لمجابهة المتطلبات الحيوية للحياة والعيش² فمن أهم القضايا التي شغلت المجتمع وما زالت تشغله هي قضية الفقر، التي تعتبر قضية اجتماعية وإنسانية، عمل الإنسان منذ القديم على محاربتها لما تسببه له من أزمات أخلاقية. ومن ثم عالجت الحكاية الشعبية هذه القضية لتكسر حاجز اللامساواة بين الغني والفقير، وتبعث في هذا الأخير نوعاً من الدعم المعنوي والنفسي لتخلصه من عقده. ولأجل ذلك فهي تدعم قيمة الصبر التي تحلت بها الأسر الفقيرة.

يعد الصبر قيمة من القيم الأخلاقية التي يجب أن يتصف بها الإنسان لتحمل أعباء الحياة وقساوتها، فهو لا يجد أمامه سوى رضوخاً للواقع وقبولاً للأحداث بموجبها يسلم أمره لله وللقدر وللأوضاع السائدة "والمراد هو العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين يعرفه أن

¹: نبيلة إبراهيم : أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 145

²: الطاهر بوغازي: القيم التربوية، مقارنة نسقية، منشورات الحبر، الجزائر، الطبعة الأولى، 2010، ص 55

المعصية ضارة، والطاعة نافعة، ولا يمكن ترك المعصية، والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر..¹.

تحدثنا حكاية "الخَيْرُ مَرًا وَالشَّرُّ مَرًا" عن الفقر المدقع الذي كان يعاني منه أبطال الحكاية وما قسوه من جوع وسوء للحالة الاجتماعية المزرية إلا أنهم التزموا بالصبر وظلوا على حالهم إلى أن حلت بمنزلهم المرأة الذكية التي ساعدتهم على تخطي أوضاعهم القاسية بأفكارها الراجحة، حيث وقّرت لصاحب البيت العمل وساعدت زوجته على العمل داخل البيت. ولهذا كان رهان المرأة الذكية مع زوجها السلطان في أن "الخَيْرُ مَرًا وَالشَّرُّ مَرًا" هو فضل على الرجل الفقير الذي أصبح بصبره وقناعته من أصحاب المال والغنى.

كما تصور لنا الحكاية قيمة القناعة على ما أصاب الأسر من فقر وعدم استطاعتهم تلبية حاجاتهم الأسرية، حيث نلتمس الفقر والحالة المزرية التي عاشها أبطال حكاية "بَابَا قَرَمَاز" فلولا الحاجة والفقر لما خرج الرجل وامرأته بحثًا عن السكن والعمل. تشير الحكاية إلى قناعة الزوجين بما كتب الله لهم من حياة، حيث تقول الحكاية «يَمَشُو يَتَعَشُو عَشَاءَ الْمَسَاكِينِ طَعِيمَةً وَشَوِيَّةَ لَحْمٍ ... وَلَبَّاسٌ عَلَيْهِمْ يَفْرَشُوا فَرَّاشَهُمْ وَيَمَشُو يَرْقُدُوا».

"إن النظر البصير إلى الحياة يجعل الإنسان لا يبتغي من حياته إلا ما بها من قوام العيش وأمن الحياة دون حرص على اللذات فيطلب من دنياه الأمن والعافية وقوت اليوم"² وهذا ما يؤكد الراوي في قوله "... وَلَبَّاسٌ عَلَيْهِمْ ..." وكأنه يقول أن الإغراق والسرف في المتاع ليس من مطالب الحياة.

ساهمت الحكاية في بث قيم القناعة التي ميزت تلك الفئة من المجتمع وسعة صدرها على تحمل المشاق رغم معاناة الجوع والفقر، كقول راوي الحكاية «رَجُلٌ مَعَ مَرَّتَهُ مَسَاكِينٌ وَحَامِدِينَ اللهُ بَلِي أَعْطَاهُمْ ..» أو قول الراوي كذلك «حَامِدِينَ اللهُ، لَبَّاسٌ عَلَيْهِمْ ...».

لم تقف الحكاية الشعبية عند حمل مضامين أخلاقية فردية وإنما تعدت ذلك إلى القيم الأخلاقية التي يجب أن تتحلى بها الجماعة كقيمة التضحية في حكاية "ذِيَابُ بَغَالِمِ"

¹ : زكي مبارك : الأخلاق عند الغزالي، ص 132

² : المرجع نفسه : ص 116

الذي قصد سلطان تونس "الشريف بنو هاشم" طالبا منه المساعدة مقابل المال. إلا أن السلطان قبل العون ورفض المال شريطة أن يتزوج "رَاجِيَّة" زوجة دياب التي تميّزت بالذكاء والجمال والشجاعة. إلا أنه بعدما عمّ الجوع حياة القبيلة لم يجد دياب حلاً لإنقاذ قبيلته من الموت سوى القبول بشرط "الشريف" خوفاً من إلحاق الضرر بأفراد قبيلته، وذلك لغرض يريد به الراوي تأكيد قيمة التضحية في سبيل الجماعة وبتن القيم السلبية من النفس كالأنايَّة وحب النفس.

تستعين الفئات الاجتماعية التي تعاني الفقر والجوع والحياة البائسة بالصبر على ما أصابها وتفتتت بما وفره الله لها وتستعين بحكمه في ذلك. فهي "تدرك أنه لا علاقة بين حظوظ الناس من المال وإحرازهم للثروة وبين حظهم في الآخرة ونيلهم رضوان الله"¹. "المجتمع الشعبي يؤمن إيماناً كاملاً في رحمة الله التي تسع كل شيء، وتغفر كل ذنب، فالله عز وجل قد نجى "يونس" من بطن الحوت، ونجى "أيوب" من مرضه العضال"². وهذا دليل على القناعة بما رزقهم الخالق وتوكلهم عليه في أعمالهم ومصائبهم.

ولما لهذه الفضيلة من أهمية فقد أولاهما الغزالي تطويلاً في كتابه "المنهاج"، والتوكل هو ألاّ يبالي المرء في أسباب الحفظ، وأن يوطن النفس على ما يسرق من متاعه، وألاّ يحزن بل يفرح حين يُسرق،..... وأن يشكر الله على أن جعله من المظلومين، ولم يجعله من الظالمين"³.

يسعى البطل في الحكاية إلى كسب رزقه عن طريق التوكل على الله، وهذه الحالة تأتي بعد يأس الإنسان من أخيه الإنسان حين تهتز القيم ويطغى الجانب المادي على الجانب الروحي وتضعف الروابط الإنسانية"⁴. فالتوكل على الله من القيم الأخلاقية والدينية التي تستعين بها الطبقات الشعبية الفقيرة حتى تقوى على الصبر والقناعة، فلا مسير لأحوالهم غير الله ولأجل ذلك تذكر بعض النصوص بأن الفقراء يتيهون على الأغنياء

¹: مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث ص 116

²: أحمد مرسى: الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 100

³: زكي مبارك : الأخلاق عند الغزالي، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، ص 144

⁴: أحمد عزوي : القصة الشعبية الجزائرية في منطقة الأوراس، ص 197

بتوكلهم على الله، أي: إن الفقير يحس بتفوق على الغني لأنه يعتمد على عطاء الله تعالى وليس على العطاء البشري¹ ولذلك أولتها الحكاية الشعبية الكثير من الاهتمام.

يدور مجال الحكاية الشعبية حول صلة أفراد الأسرة مع بعضهم البعض، وصلة الإنسان بغيره أهمها العفو والسماحة اللذان يمثلان الركيزة الأساسية في الحفاظ على كيان المجتمع وتواصله الاجتماعي وتساعده على تنقية النفس البشرية من آثارها السلبية التي تهدد سلامته وأمنه، فالحكاية الشعبية تعمل على توصيل القيم أوالمبادئ الى الآخرين، من جانب وضبط المجتمعات عن الانحراف عنها من جانب آخر²

ففي حكاية "الخَيْرُ مَرًا وَشَرُّ مَرًا" تحدثنا الحكاية عن عفو الزوجة عن زوجها الذي أبعداها عن المنزل بسبب تشدده وعناده وحكاية "حَدُّ الزَيْنِ مُوَلَاةَ الشَّعْرِ الذَّهَبِ" التي سامحت فيها الأخت أخاها رغم الذنب الذي اقترفه اتجاهها، وحكاية "مُلُوكَةَ والشَّعْبَانِ" التي سامحت فيها الأخت إخوتها الذين أساءوا لها ولشرفها، وحكاية "لُؤْنَجَةَ" التي سامحت فيها الأم "الغولة" ابنتها رغم فرارها...، جميعها من الحكايات التي طغت فيها قيم العفو والتسامح التي تعدّ ضرورية داخل المنظومة الإنسانية لما تحمله من حب ورحمة وشفقة لتقوية صلة الروابط الأسرية والاجتماعية. فالتسامح يقلل من صفات التنازع والخصومات والقطيعة "فصغار الأمور تهيج كبارها والتنازع يؤدي بقوة الجماعة إلى الهلاك والخصومة والقطيعة بين الجماعات والأفراد تزلزل أركان المجتمع وتجعله مسرحا للفتن والأحقاد"³.

لم تكتف الحكاية بقيم التسامح والتضامن والتعاون وما إليه من قيم أخلاقية ترصد في النفس وتعمل على نضجها وتكاملها، بل ركزت أيضا على قيم تربية تدفع الإنسان إلى اعتمادها والعمل بها، كحكاية "لُؤْنَجَةَ مُوَلَاةَ سَبْعِ سَوَالِفٍ" التي ركزت في مضمونها على قيمة حرص الإنسان على عدم تدخله في شؤون الآخرين، والاكتفاء بما يخصه حتى يتجنب نتائجها السلبية التي تؤثر عليه وعلى محيطه الأسري أو الاجتماعي، وهذا عندما طلبت "الغولة" من "لُؤْنَجَةَ" ورفيقها ألا يكثرثا لما يصادفهما في طريقهما فتقول لهما «

¹ :محمود البستاني : الاسلام وعلم الاجتماع، ص143

²:المرجع نفسه: ص 95

³: مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث ص 116

...نُوصِيكُمْ وَأَشْ مَا لَقِيْتُمْ وَإِلَّا شَفُّنَا فِي الطَّرِيقِ، مَا دَخَلُوش رُوحَكُمْ فِي الشَّيْءِ إِلَيَّ مَا يَهْمِكُمْش ... أَيَا وَإِيَاكُمْ الْفُضُولِي إِلَيَّ يَدْخُلُ رُوحَهُ فِي الشَّيْءِ إِلَيَّ بُعِيدَ عَلَيْهِ مَا كَانَ إِلَّا يَنْدِمُ ...». ورغم وصية "الغولة" لابنتها "لُونَجَة" ورفيقها إلا أنهما لم يكثرتا لها، وهذا بعدما صادفا في طريقهما صقريين متخاصمين، فحاولا فكّ النزاع بينهما وعدم الاكتراث لوصية الغولة، الشيء الذي أدى بالصقر إلى اختطاف رفيق "لُونَجَا"، ثم إعادته بعد مدة إلى كنف أسرته وهو يحاول طمأننتهم على سلامته مؤكدا لهم أنه لم يقم بهذا العمل لأجل ألا يحشر نفسه فيما لا يعنيه. تقول الحكاية «غَيْرُ كُونٍ مِثَّيْ، وَلِدَكْ مَا بُغِيْتْش نَأْدِيَهُ بُغِيْتْ نُخَوْفَهُ بَرَكْ. عُمْرَهُ مَا يَدْخُلُ رُوحَهُ فِي الْكُلُوفِ إِلَيَّ بُعَادَ عَلَيْهِ..».

وفي هذا السياق إذن، يتضح كيف أنّ مضمون الحدث في الحكاية يحمل بداخله العديد من القيم المتداخلة كقيمة الامتثال لوصية الوالدين وقيمة محاربة الظلم والقهر، كظلم الصقر القوي للضعيف إلى جانب قيمة احترام خصوصية الآخر، وهذا ما يجعل القيم الأخلاقية والتربوية واضحة ومتعددة ما يؤكد عبقرية الفاعلين في نسج الحكاية، الذي يجعل منها وعاء من القيم التي تتعدد وتتنوع مع تنوع الشخصيات بين الإنسان والحيوان.

إنّ الحضور الكثيف للخطاب الأخلاقي في الحكاية يعزّز منهج الدرس التربوي الهادف في مجمله إلى تعميق قيم الخير ونبذ الشر حيث "...استطاع النص أن يعالج هذه القضية بطريقة فنية، بحيث يتحول المستمع إلى متفرج على خطوط سير الأحداث دون أن يسأل لماذا؟ لأن الوسائل التي توصل إلى الغايات ظاهرة أمامه ولا يحتاج إلى تحليل كثير"¹.

إن تشابك القيم وتمازجها في إطار مضامين الحكاية الشعبية يعطي مدلولات عدة تحمل معاني متعددة من حيث التصنيف ومن حيث العمق بحسب السياق والإطار الاجتماعي والنسق الثقافي الذي تمنحه الحكاية بعدا جديدا ذا منحى محلي.

¹: أحمد عزوي : القصة الشعبية الجزائرية في منطقة الأوراس، ص 140

الفصل الثاني: نماذج من القيم الأخلاقية الإيجابية: الاقتصاد والسياسة

1. قيمة الحث على العمل:

تحدثنا الحكاية عن كفاح الإنسان الشعبي لما تحمله في مضامينها من مهن وحرف وأعمال مختلفة تسود المجتمع، فهي تذكر لنا العامل البسيط والحرفي المتقن وتسد له صفات الحب والعمل والإخلاص والتعاون لكسب رزقه ورزق أسرته، فقيمة العمل من أهم القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تحرص عليها الحكاية، فهي تظهر من خلال سلوكيات أفراد المجتمع التي ترمز إلى حب العمل والوفاء له مهما كان صعبا.

رغم الفقر الذي خيم على الطبقات الشعبية في الحكاية إلا أنها لم تستسلم لأمره، وإنما هي تعمل وتكد في سبيل كسب الرزق، فهي تذكر تلك الطبقة المتوسطة بنوع من الكرم والوفاء لعملمهم " حيث أنها تتميز عن أخلاق غيرهم من الطبقات الاجتماعية الأخرى لأنهم يصرون على البقاء مع من يشتغلون معهم رغم تتكر الأيام لهم"¹.

ففي حكاية "بَابَا قِرْمَاز" تجسد لنا الحكاية قيم الحث على العمل مهما كانت الظروف قاسية وصعبة، بحيث تطلب الزوجة من زوجها الخروج إلى العمل، حاثّة على الصبر والشجاعة كقولها له «الله يُسهلُ يا أخي، ذيبُ يشْمَشِمَ خَيْرُ مِنْ قُصُورِ الرَّاقدِ» فالعمل مهما كان نوعه خير من سلطان بدون عمل، فالحكاية تبتث في مستمعها حب العمل ونبذ الخمول والاتكال.

يضع الراوي في هذا النوع من الحكايات الشعبية مجموعة من القيم التي يتعظ بها الناس، ويلفت بها نظرهم إلى ضرورة الاعتماد على الأخلاق الحميدة التي يجب أن يتصف بها العامل ورئيسه، ففي حكاية "الخَيْرُ مَرَا وَالشَّرُّ مَرَا" تحفزنا الحكاية على المثابرة في العمل ونبذ الخمول، وكيف أن الإنسان بنشاطه وجدّه يستطيع أن يزيح عن طريقه وضعية الفقر، ولهذا لم تقف المرأة متحصرة عن سوء حال وضعيتها ووضعية أفراد أسرتها بل راحت تكّد وتعمل لتوفر ما تحتاجه لعائلتها، فأمنت لهم الطعام والشراب

¹: عمر عبد الرحمان السارسي : الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني، ص 181

والملبس. قال الحكاية جابهت الفقر بالعمل وأكدت هذا العمل في كسب المال، وان لا سبيل إلى الحصول عليه بدون عمل وجهد¹.

أما حكاية "المعزة الصنبية" تحدثنا أيضا عن العمل من أجل ضمان حياة آمنة لأبنائها، فتجد وتتعب لتوفير الغذاء والشراب محملة كل يوم فوق قرونها العشب وفي فمها الماء حيث يقول الراوي : « وتَلَمَّ الحَشِيشُ مِنْ الرِّقِيقِ الطَّرِي وتَدِيرُ فِيهِ شَوِي نُوارُ ثَرِيئَهُ وتُدِيرُهَا قَبْضَةً وَتُحْطَهُ بَيْنَ قُرُونِهَا » وبعد نهاية العمل تتجه إلى بيتها محملة بالغذاء لأبنائها "عزة ومعزوزة" وهي تقول : « عَزَّةٌ وَمَعزُوزَةٌ " جِبْتُ حَلِيبَ فِي بَزُولِي، جِبْتُ مَاءَ فِي قَرَفُورِي، جِبْتُ حَشِيشَ بَيْنَ قُرُونِي، عَزَّةٌ وَمَعزُوزَةٌ حَلُوا البَابَ نَرَضَعُكُمْ ».

كما يضع الراوي في هذا النوع من الحكايات الشعبية مجموعة من القيم والإشارات التي تحت على العمل ونظرته الأخلاقية وكسب المال بالحلال والتعب ففي حكاية "هَارُونُ الرَّشِيدُ" يصور لنا الراوي كيف أنّ الحصول على المال والثروة بدون جهد يؤدي بصاحبه إلى فقدانه أو شقائه، وهذا ما جعل "هَارُونُ الرَّشِيدُ" يبحث عن عمل عند إحدى العجائز "كراعي غنم" بعدما فقد ثروته في قاع البحيرة، وظل يكافح في عمله ويكسب من قوت رزقه بمثابرتة في العمل ممّا أدى بآبنة السلطان إلى اختياره كزوج لها من بين شباب المنطقة. ولا شك في أن أبطال الحكاية يفضلون "انتصار الخير وحسن الأخلاق على الحصول على السعادة والثروة المادية إذا وقع تعارض بين السعادة والثروة مع الأخلاق الطيبة والمثل العليا"². فكسب المال لا فائدة منه بدون عمل و جهد.

إنّ حكاية "الخَيْرُ مَرَا والشَّرُّ مَرَا" ارتقى فيها الرجل من مستوى الفقر إلى مستوى الغنى بعدما ظل يكافح في عمله ويجد في نشاطاته التجارية إلى أن كسر حاجز الفقر بتعبه وحرصه على العمل. وقد أدرك الرجل الفقير بمساعدة المرأة الذكية التي حرصت على عمله أنّ كسب المال يأتي بالاجتهاد والعمل وليس بالاستسلام والكسل. وهذا بعدما رجعت المرأة إلى منزل زوجها وكأنها قد أدت رسالتها الحقيقية في إبلاغ الرجل طريقة التخلص من الفقر وهدية إلى النجاح بكل سبل العمل. " فالحكاية الوعظية لا ترصد النفس

¹: طلال حرب : أولية النص : نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، ص 135

²: ليلي روزلين قريش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 209

ككل، وتعمل على نضجها وتكاملها، ولا ترصد حدثاً بعينه، بل تركز على صفة أخلاقية واجتماعية، وتدفع الإنسان إلى اعتمادها والعمل بموجبها محذرة من عواقب مخالفتها¹. وهذا ما تحدثنا به حكاية "الذئب والثعلب" عن عاقبة الذئب الذي ظل بدون عمل ينتظر محصول السنة الذي تعب من أجله الثعلب من زرع وحصد ودرس، فكانت عاقبته أنه لم يحصل على المنتج الذي حاول أن يأخذه بسلطته وقوته ولكن "السلوقي" انصف الثعلب بمنحه المنتج كاملاً.

أرادت الحكاية أن تبث قيم العمل ونتائجه الوفيرة، وتتصف المظلوم على الظالم. العمل يعتبر في حد ذاته قيمة إنسانية متميزة بين مجموعة من القيم التي تنظم مقومات الوجود الإنساني كما أنه له دور أساسي في تحقيق القيمة الفعلية للحياة مهما كان نوعه ومهما كانت طبيعته، فالعمل هو الذي يحول الشيء المعدم القيمة إلى نافع له قيمة نفعية أو جمالية²، ولهذا وجب إتقانه حتى ندرك ما نصبو إليه ونحقق ما يلزم تحقيقه منه.

فمنذ قدم التاريخ والإنسان يطور في أعماله ويتقدم في اكتشافاته، بعدما تأكد من قدرته على تحقيق ما يريد بفضل أعماله " فالقدرة على الفعل والحركة هي دليل الحياة... والعمل أساس مرتبط بقدرة الإنسان على الإضافة"³ إلا أنه لوحده لا يستطيع الوصول إلى أعلى المراتب إن لم يكن هناك تعاون وشراكة بين أفراد مجتمعه، فالتضامن والتكافل والوفاء للعمل له قيمة خلقية تضاعف المنتج وتحقق النجاح.

2. قيمة التشارك والتكافل:

تشير حكاية "الذئب والثعلب" على قيم الشراكة والتكافل في العمل الفلاحي وهذا بعدما اشترك الذئب مع الثعلب في إنتاج محصول القمح، وتشير أيضاً حكاية "الذئب والقنفذ" في اشتراكهما في إنتاج البطيخ وحكاية "الحيلة والنية" في اشتراكهما في فلاحه القمح، ولا شك أنّ علاقات الشراكة واضحة في الحكاية كما سبق وأن أشرت وما الشخصيات التي

¹: طلال حرب : أولية النص : نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، ص 135

²: مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 113

³: المرجع نفسه : ص 113

استعملتها الحكاية إلا رموز عن علاقات صراعية حاضرة على أشدها في الوسط القروي الجزائري أين تزداد الحالة الاجتماعية بؤسا وفقرا وشقاء وما نتج عنها من خلافات كانت تقع بين الناس حول طلب الحق في قطعة أرض أو ميراثها أو غيرها من النزاعات¹.

تؤكد لنا الحكاية قيم الإنصاف والعدل بين العامل وصاحب العمل وهذا عندما تتصف الفلاح البسيط في قسمة المنتوج، وتتصر العدل والمساواة، وقد أسند الراوي رمز الحيوان "السلوقي" في القضاء على الظلم وإعادة الحق إلى أصحابه كما نجد ذلك في حكاية "الذئب والفلاح" عندما فقد الذئب ذيله وكأن فقدان الذيل هي عاقبة كل متسلط ومعتدي على حقوق الناس.

والمؤكد أن قيمة الحكاية تكمن في معرفة طريقة حسم الصراع والتناقض ودفع السامع إلى اختيار سلوك أفضل وبطريقة غير مباشرة أو محفزة، فمن خلال عقاب الذئب بفقدان ذيله يتم عقاب الظالم ونصرة المظلوم.

وفي هذا المجال تعتبر حكايات الذئب المنتشرة في المجتمع القروي الجزائري راهنية اقتصادية واجتماعية كطبيعة علاقة الإنتاج التي كانت سائدة والتي تؤدي في الأخير إلى جزاء الظالم رغم محاولات النهب والسلب المتكررة. فهي إذن حكايات عاكسة للواقع الاقتصادي الذي كان سائدا وصورة حقيقية لصراع طبقة الضعفاء من أجل ضمان البقاء واستمرار الإنتاج.

ولعل أهم قيمة يمكن أن نشير إليها في ذلك هي قيمة العدل في أعمال الشراكة الى جانب نبذ الأنانية والفردانية بالحث على الإنصاف والعدل والمساواة في تقسيم الإنتاج ففي حكاية "الحيلة والنية" تذكر لنا تلك القسمة الغير عادلة، وتؤكد محاولة النهب والسلب والاستغلال لحقوق الضعيف وهذا عندما حاولت "الحيلة" عدة مرات أن تستخفّ " بالنية " لتحصل على الجزء الأكبر من المحصول إلا أنّ " النية " كانت تجبرها على إعادة القسمة في كل مرة إلى أن ماتت.

¹: ليلي روزلين فريش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 201

وهكذا تستمر علاقة النهب والابتزاز في الحكاية لتؤكد في الأخير إعادة الحق إلى أصحابه، كحكاية "الذئب والفلاح" التي أراد من خلالها الذئب بحيله استغلال محصول الفلاح البسيط، إلا أنّ الفلاح تظن له ولمكره وأنقض محصوله من الضياع.

تنظر الحكاية الشعبية إلى تلك الشراكة في العمل بمثابة وفاق وتكامل بين أفراد المجتمع بغية تعاونهم ومشاركة بعضهم البعض، غير متنافسين أو متكالبين على المنافع الشخصية. فالاعتماد على العدل والإنصاف في التقسيم يضمن وفرة المحاصيل الإنتاجية، ويعكس الاستقرار الاقتصادي، وعليه يتطور المجتمع ويرقى أفرادها إلى الأفضل في القضاء على الحياة الاجتماعية المزرية. ولهذا عمدت الحكاية الشعبية على بث تلك القيم التي توجه سلوكات الأفراد إلى الأفضل وتبعدهم عن الكثير من التوجهات السلبية المتاحة والتي تنعكس على نموهم الاجتماعي وإنتاجهم الاقتصادي.

نقلت الحكاية العديد من القيم الأخلاقية الخاصة بالعمل وحاربت الكثير من السلوكات الفردانية التي تقضي على مسار شبكة العلاقات الاجتماعية، كالأنايية التي لا محل لها في العمل الشراكي، لذلك عالجته في كثير من نصوصها وحاربت الميول إلى الفردية عن طريق دمج أفرادها في جسد اجتماعي واحد. فقدرات الأفراد لم تكن يوما متساوية، لكن ينبغي أن تكون هذه القدرات والكفاءات الفردية في صالح الجماعة وليس ضدها، ولهذا مهدت الطريق لقيام الشراكة والتعاون وما تحمله من قوة فاعلة بين الأفراد.

وعليه تشير الحكاية في هذا المجال أنه لا يمكن أن يستقيم العمل الجماعي أو الشراكة إلا إذا اتسم بروح التعاون ومساعدة الإنسان لأخيه الإنسان "فهي حريصة على سعادة ورفاهية المجتمع وتوضح طريق الحق من طريق الباطل وتبين فوائد التعاون وتحذر من التخاذل"¹.

وفضلا عن ذلك، يستحيل أن يعيش الإنسان بمفرده منعزلا عن الناس، فهو في حاجة إليهم لمواجهة صعوبة الحياة، والتخفيف من أعباء العمل الشاق، ولهذا الغرض قام الإنسان الشعبي كعادته إلى أحداث سبل للتعاون في العمل أهمها "الثويرة" التي يعمل

¹: مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 113

أصحابها على مساعدة بعضهم البعض ومجابهة قساوة العمل بالعمل الجماعي الذي مازال متداولاً في بعض المناطق. "إن مبدأ قضاء الحاجات وما يرتبط به من (الايثار) يظل تعبيراً عن (دلالة الحب) إحدى دعامتي (التعاون)، مضافاً إلى دعامة (المسؤولية في ممارسة الدور الاجتماعي)، أما ممارسة الدور فيقترن بمبدأ اجتماعي يتحدد من خلاله تعاون الناس فيما بينهم من خلال تقسيم العمل"¹

لم تقتصر الحكاية الشعبية على التعاون في العمل الجماعي وإنما كذلك على التعاون في الحياة الاجتماعية، ويمكن أن يكون ذلك التعاون بين الأسر المحتاجة التي تفقد إلى قوت يومها كحكاية "الفلاح والخماس" التي تؤكد لنا قيمة التعاون بين الجيران وهذا عندما حاول الخماس الفقير بخصاله الكريمة مساعدة زوجة الفلاح التي حرّمها زوجها البخيل من أكل اللحم رغم غناه.

من هذا المنطلق النبيل كان موقف "الخماس" الذي أشفق على المرأة المحتاجة، ولم يبخل عليها بالشيء القليل الذي يملكه، ولكن رغم نبله وكرمه إلا أنّ الفقر والجوع جعل منه إنساناً يستعمل الحيلة لأجل كسب قوته وهذا ما ذهب إليه عندما قام بمخادعة الفلاح بمساعدة زوجته وجعله يقلع عن عادة البخل المتمثلة في أكل البصل وهو الذي يملك ثروة الأغنام، ولم يكن قبوله لهذه المساعدة لولا قبول زوجة الفلاح شرطه وهو أن تمنحه كل ليلة نصيبه من اللحم إلى أن تحقق مرادها. تبرز لنا الحكاية الشعبية في العديد من محطات استعمال الإنسان الفقير للحيل والخدع للوصول إلى الهدف.

وعلى ضوء ما تقدم تحاول الحكاية الشعبية أن تؤكد لنا قيم العمل وما تحمله من أسس ومبادئ كالشراكة والتعاون، فهي تثبت في الناس قيم استثمار العمل والجهد والكّد في مشروع يحقق العيش الكريم مهما كانت صفته، كما تسعى إلى إقناعهم بأن المال والثروة إن لم تكن توازيها القيم الأخلاقية والكسب الحلال فلا قيمة لها فقد تفسد أخلاقهم وتشوه سلوكياتهم. ولذلك عمدت الحكاية دائماً إلى رصد القيم الأخلاقية ودعم التمسك بها حتى ولو كانت شخصيات رمزية كالحَيوان "وكثرة ظهور الحيوان... يدل على أهمية دوره في القصة الشعبي الجزائري على وجه العموم، كما يدل على أنه استخدم رمزاً لفقد المساواة

¹: محمود البستاني : الاسلام وعلم الاجتماع، ص134

الاجتماعية أو نقد الأوضاع السياسية الجائرة"¹. فالعلاقة الارتباطية بين العامل وصاحب العمل التي تمثلها شخصيات رمزية له ما يبرره فيما كان سائدا في المجتمع من ضغط سياسي وقهر اجتماعي على الأفراد.

عاش المجتمع الجزائري مرحلة من القهر والاستعباد ممّا أدى به إلى استعمال وسائل وأساليب مختلفة كانت المتنفس لأوضاعه القاسية ومحققا لغايات أخلاقية، فلم يجد وسيلة أجدى من الحكايات«التي يكمن وراءها هدف تربوي لمجتمع يعتمد أساسا على التقاليد والأعراف»².

3. قيم بين الحاكم والمحكوم :

إلى جانب تلك النماذج من القيم الأخلاقية الاجتماعية والاقتصادية هناك نوع آخر من القيم تسعى من خلاله الحكاية إلى التعبير عن مكبوتات الأوساط الشعبية وما تطمح إليه هذه الفئة من عدل وحرية ومساواة. ومن هذا الجانب تكون الحكاية الشعبية قد ساهمت في ترسيخ القيم الأخلاقية السامية التي ينشدها المجتمع من خلال دعم سبل التواصل بين الحاكم والمحكوم، ونبذ السيطرة أو العلوّ والحث على الممارسة التي تتطلب تقسيم العمل الى حاكم ومحكوم، يخضعان الى مفهوم التكافؤ وليس التفاضل"³.

لاشكّ أن الحكاية الشعبية لجأت إلى تحقيق ذلك من خلال إبرازها قيم العدل والاستقرار والإخلاص وضبط النفس في الحكم، بعدما أنزلت الطبقة الحاكمة منزلة الطبقات الشعبية لتحسسهم بمعاناة ومرارة هذه الطبقة، مثل حكاية "هَارُونُ الرَّشِيدُ" التي عمدت في مضمونها إلى إخراج الحاكم من حكمه الذي انتزعت منه لمدة سبع سنوات، لتؤكد من خلال هذا الحرمان دلالة سياسية وإثبات قيمة أخلاقية. فالسلطان الذي انقضى ملكه عايش الطبقات المحرومة وذاق معهم بؤسهم و أوضاعهم الجائرة.

¹: ليلي روزلين قريش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 211

²: رابح بلعمري : الوردة الحمراء، ص 05

³: محمود البستاني : الاسلام وعلم الاجتماع، ص 133

أسهمت الحكاية بشكل أو بآخر في تغيير وضعية السلطان وكأنها توجه دعوة إلى الطبقة العليا عامة والحاكمة خاصة إلى تذوق معاناة الطبقة الدنيا والتعرف على واقعهم المعيش، فجدت الملك من ملكه لتجعله يحس بالفقر وظلم الناس، كما أرادت أيضا أن تثبت قيم التكافل بين أفراد الطبقات الكادحة وذلك بعدما أعانت المرأة العجوز السلطان وتكفلت بوضعيته المزرية التي لحقت به بعد ضياع ملكه في عمق الواد.

تحدثنا الحكاية أيضا عن الحاكم الذي يمكن أن يزول ملكه وحكمه بسبب سلوكاته الغير أخلاقية، وكبريائه على نعمة الله متناسيا واجبه اتجاه شعبه، وعليه تعلن الحكاية عن جزاء الحاكم المحدد بسبع سنوات دون مال ولا جاه ولا حكم.

شغلت فكرة الحاكم الظالم الفئات الشعبية منذ القدم، ولذلك فهي ترى أن الحاكم الظالم حتى ولو كان سلطانا فإن عدالة السماء له بالمرصاد، وتعود الحكاية مرة أخرى لتعيد له رزقه وماله بعدما تحققت فيه الخصال الأخلاقية المطلوبة وهي الحاكم العادل المحب لشعبه، ليقف حائرا أمام قدرة الله بقوله: "سُبْحَانَ اللَّهِ إِلَّا سَهْلَتْ تُجِيبُهَا شَعْرَةٌ وَبِلَاءٌ صُعَابَتْ تُقَطِّعُ سُنَائِلٌ" وهذا بعد عثوره على شعرة الحصان في الوادي والتي كانت سببا في اكتشاف ملكه المفقود.

كما تؤكد لنا نفس الحكاية قيمة العدل والمساواة بين الأفراد وهذا بعدما دعا السلطان جميع شباب المدينة ليتسنى لبناته السبع اختيار أزواج لهن. وما زاد من عدل وانصاف الحكاية اختيار السلطان زوج ابنته الصغرى "هَارُونُ الرَّشِيدُ" الذي كان يتسم بالشجاعة والقوة ويمنحه عرشه وسلطانه ولم يأخذ منه موقف الكره والبغض كما حمله لأصهاره وكأن الحكاية تريد أن "تصل بالشعب بهذه الوسيلة إلى حكم نفسه، وان الشعب الذي كان يرى الملك وراثته تدور في حلقة لا يستطيع النفاذ منها قد استطاع أن يرسم لنفسه طريق الوصول إلى الحكم"¹.

رفعت الحكاية الشعبية من مستوى الطبقة الدنيا إلى منزلة الحكم بحيث منحت السلطة لفرد من أفراد الطبقة الشعبية وأكدت بهذا الفعل أن السلطة ليست حكرا على أسرة

: أحمد مرسى : الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 51¹

واحدة أو عن طريق الوراثة وإنما لمن يقتدر لها ويتصف بالشجاعة والقوة، دون تمييز إنسان على آخر مادام هذا الإنسان قادراً على مراعاة مصلحة الشعب وإقامة العدل بينهم، وهذه الصفات هي نفسها صفات البطل الشعبي "الذي لا يكتفي بمحاربة الفساد والظلم، بل نراه بريئاً من كل ما يثيرهما فهو لا يحب المال ولا يهواه، بل يكرم أصدقاءه وأحابه إذا ما وصل إليه"¹. فاتجاه السلطان إلى "العدل والمساواة" في حكمه ما هو إلا هدف أرادت به الحكاية أن ترسله إلى السامع إيماناً منها بأن العدل والمساواة هما القيمتان اللتان تلزم على الحاكم أن يتصف بهما.

إنّ الشئ المتفق عليه في الحكاية أنها جعلت من شخصية "هَارُونُ الرَّشِيدُ" الحاكم العادل المنصف والذي حملها المخيال الشعبي الكثير من السلوكات والممارسات التي اختلطت بين الحقيقة والخيال، وكتب التاريخ تصف عصره بأنه العصر الذهبي للخلافة العباسية لحرصه على العلم والعلماء والأدب والأدباء ولحزمه ويقظته.

أما حكاية "زَاجِيَّةٌ ودياب بغالم" هي أيضاً أثارت قيمة الحاكم العادل الذي يصبو إلى تحقيق المصلحة العليا قبل المصلحة الشخصية عندما ضحى بزوجته زَاجِيَّةَ زوجةً "لشريف بنو هاشم" مقابل إنقاذ قبيلته من الموت المحتوم، فلم يكن أمامه إلا الامتنال لمطلبه وهو يقول في حسرة « هُوَ طَلَبَ الْمَحَالَ... لِأَكُنَّ الشَّعْبُ ضَايِعَ رَجَالٍ ونِسَاءٍ وَأَطْفَالٍ... كَيْمَا قَدَّرَ رَبِّي نِعْطُوهُ مَا طَلَبَ... لِلضَّرُورَةِ أَحْكَامٌ ». فالحكاية تؤكد لنا قيمة تضحية الحاكم وشجاعته وتفضيل سلامة شعبه على التمسك بزوجته التي كانت تمتاز بذكاء مكنها من العودة إلى زوجها لاحقاً.

أما حكاية "سَعِيدٌ ودياب" تبرز لنا قيمة الحاكم العادل الذي يتصف بنظرته العميقة في اختياره لمن يمسك الخلافة بعده، الأمر الذي أدى به الى اختبار أبنائه طالباً منهم القيام بجولة خارج المدينة. وبعد رجوعهم سأل كلاهما عمّا رآه في طريقه، إلا أن الابن سعيد لم ير شيئاً لعدم قدرته على الملاحظة والدقة، أما الابن "دياب" فذكر له ما رآه بالتدقيق والتفصيل، ليتأكد أباه من قوة ملاحظته وذكائه، ويعيد التجربة المرة الثانية ويسأل ابنه "سعيد" عن أشهى أكل وأحسن لباس وأجمل اسم، فيجيبه الابن: «الْمَاكَلَةُ الْمَلِيحَةُ

: طلال حرب : بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، ص 145¹

ثريد، واللّباس المَلِيحُ الجَدِيدُ وَالإِسْمُ المَلِيحُ سَعِيدٌ» أما إجابة الابن "دياب" فكانت « المأكلة المَلِيحَة المَحْضَر، واللّباسُ المَلِيحُ المَسْتَوْر، وَالإِسْمُ المَلِيحُ هُوَ البَشِيرُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.» فخبيرة الأب الحاكم المحنك تأكّد من اقتدار ابنه "دياب" على خلافته وتحمله المسؤولية وهذا بعد قناعته من عدم طمع ابنه في ترف الحياة وتمسكه بقيم الدين الإسلامي تلك الصفات التي يلتزم بها كل حاكم مقنن عكس الابن "سعيد" الذي وجد فيه انعدام المسؤولية وحب الذات وميله إلى حياة العزّ والرفاهية، فلم يكن من وراء هذه الحكاية سوى تأكيد القيم التي يلزم أن توجه سلوك الحاكم وهي " العناصر الضرورية ... وتكمن في القدرة على كبح جماح النفس والسيطرة على أهوائها ونزواتها، بحيث تسلك مسلكا يتفق مع النظم والأوضاع الاجتماعية التي تسود حياة المجتمع وتنظم سلوك أفرادها وجماعاته"¹.

ومثلما أشارت الحكاية إلى عدل وإنصاف الحاكم أشارت أيضا إلى الحاكم المستبد، الذي كان يستعمل سلطته في استغلال الضعفاء وقوته في قهر البسطاء، ففي حكاية "الجَوْهَرُ فِي خِيُوطِهَا" يستعمل ابن السلطان مركزه لابتزاز الشعب بعدما كان يمنع عن أصحاب القرية سقي الماء من الواد. وهذا دلالة على سلطته التي يفرضها على رعيته التي عانت ظلمه وجبروته ممّا أثار غضبهم وقرروا التخلص منه فتقوم المرأة العجوز بذكائها بترحيله من المدينة، ليجابه المخاطر ويصارع الأهوال.

لم يكن هدف الحكاية إخراج الملك من ملكه إلا لتجعله يعيش تجربة الحالة الاجتماعية القاسية التي يعيشها الناس، ويعرف من خلالها قيمة مرارة الحرمان، وبالتالي أرادت أن تتخلص من سلطة الظالم وإقامة العدل وانتصار الحق، كما لم تخلُ هذه الحكاية من إبراز قيم الذكاء والوعي الذي تتميز به الطبقة الدنيا مجسدة في المرأة العجوز. ونفس الحكاية تشير إلى السلطان الذي قام بسجن ابن المرأة العجوز ظلما وزورا، لتعاني حرقه فراقه، وتطلب المساعدة من ابن السلطان في أن يتوسط لها وتخلص ابنها من قبضته.

" ونتيجة خبرة المجتمع الطويلة بالملوك والحكام، فقد صورتهم الحكاية دائما، لا يشغلهم إلا التافه من الأمور..... كما صورت أبناء الملوك خائبين، تافهين لا يحسنون شيئا"².

: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع : دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، ص 298¹

: أحمد مرسى : الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 51²

إن المأثورات الشعبية باختلاف أشكالها وأنواعها غالباً ما تستوقف عند ظلم واستبداد الحكام لرعيّتهم وهذا ما عاشته الشعوب العربية عامة والجزائرية خاصة من ظلم وطغيان، فظلت قريحة الوجدان الشعبي تعكس ما آلت إليه حالتهم تارة وتارة أخرى تعكس أحلامهم وطموحاتهم ولعل أشهرها قضية الملك "شهريار" رمز السلطة والخطورة، ونموذج الحكام المستبدين الذين يضعون نزواتهم المادية والمعنوية قبل تحقيق مصالح الشعب. ولأجل ذلك ظلت قريحة الوجدان الشعبي تعلن من خلال تراثها الشعبي " عن طموح الشعب ورغبته الملحة في أن يحكمه الحاكم العادل الحكيم"¹.

ومن أشهر الحكايات الشعبية العربية الدالة على تشبث الحكام الظالمين بالحكم حكاية السلطان الذي طلب من شباب المدينة قتل جميع آبائهم المسنين وهذا حتى لا يقتدي الأبناء بأبائهم "أي أن يقبل كل شاب بالتخلي عن التفكير الناضج والسليم. ومعلوم أن الشباب هم القوة الفاعلة في المجتمع"². ولهذا الغرض راحت قريحتهم الشعبية تمجد أبطال الشعب وتحرص على الاقتداء بهم، وجعلهم في مراتب الشجعان الذين استطاعوا أن يواجهوا الظلم ويتصدوا له بأساليبهم. إن القيم الأخلاقية مرتبطة بالقيم الثقافية التي تشربها من رجالاتها الأوائل، ومن روح الشهداء الذين ارتبط إسمهم بالجهاد في سبيل الله والذود عن حياض الوطن"³.

ففي حكاية "بُوزِيَانُ القَلْعِي" اختلط الخيال بالحقيقة وأبدع فيها الفكر الشعبي لا لشيء إلا لبيت قيم العدالة والانتصار والحرية من خلال شخصيات المقاومة والبطولة لصدّ الخدول والخوف من جهة وبتّ قيم الشجاعة والوطنية من جهة أخرى. فحكاية "بُوزِيَانُ القَلْعِي" تحمل قيماً كثيرة كالانتماء الوطني والدفاع عنه، وهذا عندما تصفه الحكاية بالشجاعة الفائقة وحب الوطن وبعدهما أعلن ثورته على المستعمر الذي سلب خيرات البلاد و حرم شعبها منها ما أثار غضب "بُوزِيَانُ القَلْعِي" وقرّر استرجاع الأرض وخيراتها من أيدي المستعمرين والمؤيدين لهم.

: نبيلة إبراهيم : قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، ص 191¹

: طلال حرب : أولية النص : نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، ص 139²

: الطاهر بوغاري: القيم التربوية ، مقارنة نسقية، ص 53³

عموماً فالحكاية تصور لنا " ثورة الشعب على غياب القانون... يقدمها الضمير الشعبي صرخة احتجاج إنساني ... ويصوغها الوجدان الجمعي وثيقة فنية يضم بها تلك الفترات الحالكة في تاريخه"¹. فترتبط القيم الأخلاقية بالشخصية الوطنية التي توالى عليها القرون والسنوات الطوال، ولم تتزحزح فيها هذه القيمة الروحية وتلك الروح التضامنية.

إنّ الفئات الشعبية لكثرة ما عانتها من جور وسلب من حكامها تطلعت في حكاياتها إلى أبطال تاريخها العظيم المليء بالشخصيات التي مازالت أسماؤها تدوي داخل الحكايات الشعبية العربية والجزائرية كحكاية "بُوزِيَانُ القَلْعِي" بطل الثورات الشعبية في الجنوب الغربي التي مازال نساء المنطقة يرثونه في أغانيهن وقصصهن التي امتزجت بين الحقيقة والخيال"، ومن الواضح أنه كثيراً ما يمتزج القص التاريخي بالحكي الخيالي في هذه (الأعمال) الشعبية ويرتبطان معاً في وحدة عضوية يصعب التمييز فيها بشكل قاطع بين مختلف المكونات الواقعية والخيالية أو حتى الأسطورية²، إلا أن هدفها الرئيسي هو الامتثال للروح الوطنية وتأكيد القيم السامية في التمسك بالمبادئ الوطنية ومساعدة الأهالي ومحاربة المستعمر، ولأجل ذلك ظلت الذاكرة الشعبية توظفه في تراثها الحكائي من أجل ترسيخ قيم البطولة وبعث روح الشجاعة وحب الوطن .

تجمع الحكاية الشعبية خلاصة القيم الأخلاقية وآداب السلوك فتضفيها على أبطال قصصها"³، وتنشد حكامها للامتثال لها كما تسعى إلى تحقيق العدالة بين الحاكم ورعيته، وتؤكد ما تطمح إليه الفئة الشعبية من قضاء على السلطة القهرية وتمثيلها بسلطة عادلة تمكنها من تولي أمور البلاد، وممارسة العدل بين مختلف الفئات الاجتماعية من أجل تحقيق العدالة و المساواة الاجتماعية.

: المرجع السابق، ص 141¹

²: أحمد أبوزيد : الواقع والأسطورة في القص الشعبي، ص04

: أحمد رشدي صالح : الأدب الشعبي، ص 197³

4. قيمة تحقيق العدالة الاجتماعية:

كما سبق وذكرنا أن الحكاية اعترفت بتلك الحواجز الغير العادلة بين الطبقات الشعبية، فسوّت بين ذوي الجاه والطبقة الشعبية العادية، وأعلنت مرارا أن لا وجود للطبقية الاجتماعية، أو هي نظام يجب مراعاته والحدّ من تعالي الطبقة الحاكمة واستغلالها للطبقات المحرومة، ليعمّ الخير والمحبة والسلام بين جميع أفراد المجتمع، فلم تكتف الحكاية بالتعرض إلى الصراع القائم بين الطبقتين أو بين الحاكم وشعبه، بل عالجت مواضيع أخلاقية أخرى ترفض الاستبداد، وتؤكد حق الجميع في العيش الكريم والعدالة الاجتماعية.

تعتمد الحكاية الشعبية الى تحرير الطبقات الدنيا من القيود الاجتماعية المفروضة عليهم ونزع عنهم صفات البلادة والغباء التي تلتصقها بهم الطبقة العليا وهذا ما تشير إليه حكاية "الجَوْهَرُ فِي خَيْوُطِهَا" عندما قرّر ابن السلطان الخروج من مملكته للبحث عن الفتاة الجميلة التي دلته إليها المرأة العجوز للتخلص منه اعتقادا منها أنّه لن يعود، لأن الوصول إلى تلك الفتاة الجميلة مستحيل دون أهوال ومشاق. وعليه قبل السلطان التحدي وغامر برحلة البحث الشاقة عن "جَوْهَرٍ فِي خَيْوُطِهَا" لينتقي في طريقه امرأة طلبت منه الإفراج عن ابنها المسجون، الذي يتميز بذكاء حادّ وفطنة عالية نظرا لخبرته التي اكتسبها في الحياة، ممّا جعل أمه تطلب منه مرافقة ابن السلطان في رحلته جزاء لما صنعه لها.

ترجح الحكاية في مضمونها قيمة الذكاء والتضامن والشجاعة والصمود الى الطبقة الاجتماعية الدنيا التي اعتبرتها قوة جسدية وفكرية لا تضاهيها قوة الطبقة العلي من حكام و سلاطين، وهذا حينما طلب الشاب من ابن السلطان بالأّ يفتح الصندوق وهو في طريق العودة حتى لا يلحق به "خَطَافُ العُرَاسِ" ضررا إلا أن عناء ابن السلطان جعله لا يكثرث بنصيحته ليتسبب في اختطاف فتاته من قبل "خَطَافُ العُرَاسِ"، كما تتبع الحكاية بث قيم الذكاء والفطنة عندما تضع "صديقه" موضع حكمة بعدما استطاع أن ينفذ الفتاة من قبضة "خَطَافُ العُرَاسِ" بفطنته وقوة ملاحظته .

كما تشير مرة أخرى حكاية "هَارُونُ الرَّشِيدُ" إلى إمكانية وصول أبناء الطبقة الدنيا إلى الحكم بقوتهم وشجاعتهم وذكائهم أيضاً، بعدما استلم "هَارُونُ الرَّشِيدُ" الحكم لمهارته الحربية وشجاعته وصموده الطويل أمام الأعداء والواضح أن "أهمّ المسلمات الشعبية على الإطلاق هو إيمان الطبقات الشعبية بمبدأ الإنصاف والانتصاف، فصاحب الحق وصل إلى حقه لا محالة، وإن طال الأمد وتعاقب الزمن، والمتعدي دافع ثمن اعتدائه، طال الزمان أوقصر"¹.

وهذا ما أوضحته لنا حكاية "الجَوْهَرُ فِي خِيُوطِهَا" وحكاية "هَارُونُ الرَّشِيدُ" اللتان أفرزتا مجموعة من القيم الأخلاقية التي تدعو إلى عدم التفرقة والمساواة بين الطبقات بعدما أكدت لنا أن قيمة المال والسلطة والجاه، لا سلطة لها أمام مواجهة الأخطار والأهوال لتتحطم القيود ويصبح السلطان ضعيفا أمام مواجهة الأخطار ويصبح الإنسان البسيط صاحب القوة والذكاء والرأي السديد.

ولعلّ الغرض الحقيقي من الحكاية الشعبية هو تجسيد قيم المساواة وتحقيق العدالة الاجتماعية بين الطبقات بعدما استطاع أن يحل محل السلطان الإنسان البسيط والإنسان البسيط محل السلطان، لا يفرقهما في ذلك سوى الشجاعة والقدرة على تحمل الشدائد.

فرغم مكانة ابن السلطان الاجتماعية إلا أنه قليل الذكاء والخبرة، فبعدما أخرجته العجوز من البلاد بذكائها، أنقذه ابن العجوز بفطنته من المخاطر وساعده على استرجاع فتاته من قبضة "حَطَافُ العريس".

"الواقع أن القصة جاءت لتدافع عن هذه الشريحة العريقة، وتعبر عن معاناته من الطبقات الأخرى، لتحيي فيها الأمل"²، فراحت تبسط العدالة الاجتماعية بين مختلف الشرائح الاجتماعية البسيطة كيف ما كانت ووضعيتها واستمرت في الإعلان عن تحقيق قيم المساواة بين العلاقات الاجتماعية الزوجية، كالزواج بين طبقتين مختلفتين (زواج أبناء السلاطين من نساء أدنى مستوى منهم) ما تحدثنا به حكاية "بَقْرَةُ اليَتَامَى" التي قرّر فيها ابن السلطان صاحب الجاه والسلطة -كما سبق وأن أشرت إلى مضمون الحكاية- الزواج

: طلال حرب : بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر مماليك، ص 357¹

: أمحمد عزوي : القصة الشعبية الجزائرية في منطقة الأوراس، ص 188²

من اليتيمة التي عانت هي وأخوها اضطهاد زوجة الأب بعدما اعجب بها وبحسن خلقها وأدبها.

تشير الحكاية إلى الزواج من الأقل قيمة أو مرتبة أو العكس، كزواج الراعي من الأميرة أو السلطان من الفقيرة حتى ولو كان ذلك صعبا يتطلب مواجهة الأهوال وهجر الأوطان. فالزواج المعروف في الحكاية الشعبية بين مستويين مختلفين، مستوى القوة والسلطة والجاه ومستوى الفقر والانحطاط هو مسعى الفئات الاجتماعية الدائم إلى تحقيق قيم المساواة بين الطبقات الاجتماعية، تلك الظاهرة الإنسانية التي أرهقت المجتمعات البشرية منذ القديم.

فزواج السلطان قمة الهرم الاجتماعي والسياسي من المرأة الفقيرة يتحقق من ورائه تأكيد قيم المساواة بين الطبقة العليا والطبقة الدنيا وهي قيمة أخلاقية تجسد نظرة المجتمعات المرددة للحكاية والتي عانت مثل هذا التمييز الطبقي.

ولم تكف الحكاية بعرض قيم المساواة بين الطبقات الاجتماعية وإنما راحت تؤسس لقيم المساواة بين الأجناس وتعلن عن التمييز العنصري بينهما، كحكاية "العبدُ لَكَلْ" خادم الأمير ومعلمه السحر الذي حاول بسحره الإيقاع بالأميرة، بعدما حوّل الأمير إلى حمامة وحول نفسه إلى أمير حتى يتمكن من تحقيق حلمه في مضاجعة الأميرة التي تفتنت له، وعزمت على إنقاذ زوجها باستعمال ذكائها.

والجدير بالذكر أن حكايات الزواج والحب بين بنات الأمراء والسلاطين من "العبدُ" حاضرة بكثرة داخل مضامين القصّ الشعبي العالمي عامة والعربي خاصة كحكاية "خُريصُ وبُؤخريصة" التي تحدثنا عن عشق ابنة السلطان الكبرى "للعبدُ" والتي ساعدته على قتل والديها حتى تحقق رغبتها في الزواج منه.

إنّ ارتباط مضاجعة زوجات الملوك والأمراء بالعبيد تنقله لنا العديد من أشكال القصص الشعبي، كممارسة زوجة الملك "شهيّار" الجنس مع أحد العبيد السود وكذلك انتهاك زوجة "شاه زمان" حرمة زوجها من قبل أحد عبيده ما حدثتنا به "أسطورة شهرزاد"¹.

: ياسين النصير : المساحة المختفية، قراءات في الحكاية الشعبية، ص 97¹

إن الحكاية الشعبية رغم الضبط الاجتماعي المفروض على مردديها إلا أنها لا تعترف بهذه الحواجز الاجتماعية غير العادلة، وكثيرا ما نرى هذه السلوكيات في الحكاية التي تشجع الزواج من طبقتين مختلفتين بعدما تعلن نجاحه وتصله إلى غايته لتساوي بين ذوي الجاه وبين الطبقة العادية. كما تعلن الحكاية بطريقة غير مباشرة الزواج من "العبد الأسود" وإمكانية التواصل والانسجام بين جنسين مختلفين رغم نظرة المجتمع إليه نظرة عار، ويبقى الغرض الحقيقي من وراء هذا الزواج كسر التمييز العنصري وتحقيق المساواة بين مختلف الأجناس. "إنّ الاحساس بالنوع في المجتمعات البشرية لا يتوقف عند مجرد الاستعلاء النوعي في نطاق (المشاعر الداخلية) بل يتجاوزه الى العدوانية التي أفرزت أشرس السلوك العنصري حيال النوع الآخر"¹ ولعل ظاهرة الأبيض والأسود تظل من أهم أبرز الظواهر في المجتمعات.

وانطلاقا مما سبق تتضح لنا القيم الأخلاقية التي تبثها الحكاية في النفوس فهي تعد إلى خلق التوازن بين الطبقات الاجتماعية أي بين أصحاب النفوذ وبين الفقراء. فالحطاب يصبح غنيا والغني يفقد ثروته، كما قد يسترجع المظلوم حقه كزواج الفتاة من ابن السلطان بعدما ظلمت من زوجة أخيها... "ومن ثمّة كانت القصة الشعبية التي تعالج هذه القضية، كزّاد فعل من الطبقة الفقيرة، لتحطم ذلك الحاجز النفسي والمادي الموجود بين الطبقتين، والسعي إلى تخليص المجتمع من الحرمان ومن الأوجاع والدموع الناتجة عنه..."².

إن ظاهرة الطبقة في الحكاية الشعبية تحتل مكانة كبيرة بصفقتها "ظاهرة اجتماعية مقرونة أولا بكونها ذات فاعلية في البناء الاجتماعي بحيث لا يمكن التغافل عنها، ثم بكونها أيضا مشكلة تسبب في إيجاد التوتر بين الجماعات، بما يستتبع هذا التوتر من حدوث مختلف الانحرافات الاجتماعية"³، ولأجل ذلك حاربت الحكاية الشعبية التفرقة الاجتماعية والعنصرية وحطمت الحواجز والعراقيل بين أفراد المجتمع، ولعل الهدف الرئيسي من تناقض مختلف السلوكيات هو التساوي بين مختلف الفئات الاجتماعية والاعتراف بوجود قدرات وطاقات لمختلف الطبقات الاجتماعية بمختلف مكانتها وأعرافها وأجناسها.

¹: محمود البستاني: الإسلام وعلم الاجتماع، ص 149

: أحمد عزوي: القصة الشعبية الجزائرية في منطقة الأوراس، ص 188²

³: محمود البستاني: الإسلام وعلم الاجتماع، ص 141

وبناء على ما سبق جاءت الحكايات الشعبية قاسية على الحكام والسلاطين، وأظهرتهم على حقيقة أمرهم وكشفت عيوبهم. فهي ترى أنهم ليسوا أهلاً لتولي تلك المناصب فأفسحت المجال لأفراد الشعب بأن يحلوا محلهم، وقضت على سلطة الحكم الوراثي بين أفراد الأسرة الواحدة وبذلك عبرت عن وضعية الحكم والسلطة بتجسيد قيم العدل والمساواة بين جميع أفراد الشعب واعتبرتها قضية إنسانية عامة، فالظلم والاستبداد حاضر في جميع دول العالم وفي كل الأزمنة وعليه لا يمكن مهما بلغنا من أمر أن نلّم بكل القيم التي تناولتها الحكاية الشعبية لغزارتها كيف لا؟ والهدف الحقيقي من وراء سردها هو تحقيق نظام اجتماعي متوازن.

والذي نهدف إليه من هذا كله أن قيم العدل والحرية والمساواة والإخاء تسعى إلى تحقيقها الحكاية مع مختلف شرائح المجتمع وجعلها قدوة يحتذى بها. وعليه لم تلقى الطبقة تجاوبا ولا تعاطفا في الحكاية الشعبية، ولم تجعلها من القيم الأخلاقية السامية فقد حاولت بشتى الطرق والأساليب إلغاء الطبقة، فالقيم الأخلاقية السياسية تعالج قضايا اجتماعية متشابهة في جميع ربوع العالم مما يؤكد شمولية الحكاية واعتبارها نصا إنسانيا.

الفصل الثالث : نماذج من القيم السلبية

1. قيم ساخرة:

لا تكتفي الحكايات الشعبية بعرض القيم الإيجابية للمجتمع وإنما تغدو إلى عرض القيم السلبية أو القيم المنحطة كالغرور والنفاق والبخل وما شابه ذلك، ويقصد من ورائها نعيها عن الواقع لتحقيق مجتمع مثالي، والأخذ بالعبر والدروس الرامية إلى التربية من جهة والنقد من جهة أخرى.

ومهما يكن من أمر فإن الحكاية الشعبية لا تتكر وجود هذه القيم السلبية كالخيانة والمكر والغش... داخل الجماعات وسوء العلاقات بين أفرادها ولكنها ترفضها وتحاول تنقادي أسبابها، فهي صفات سيئة تتخر كيان المجتمع "ومن ثم فإن الشعب يستغل حكاياته في تأكيد تلك القيم تارة وإبراز العيوب الخفية تارة أخرى"¹.

والملاحظ أن القيم السلبية غالبا ما توظف في قالب ساخر المقصود به الاستهزاء من بعض المظاهر الاجتماعية والبشرية وتحديد بعض العيوب والنقائص النفسية كالبخل والغباء والبلادة . فأسلوب الحكاية الساخر هو " نقد لاذع يحمل علاقة عاطفية قوية بين الساخر وموضوع سخريته.... يعتمد اعتمادا كبيرا على إبراز عيوب الخصم وتجسيدها لتجريحه والإنقاص من شأنه "².

وقد عرف هذا الأسلوب من النقد والسخرية في أدبنا الشعبي عامة والحكاية خاصة رواجاً من بين الناس لما يؤديه من " وظيفة نقدية تبدو ضرورية لتندد من خلالها بما تراه من مآخذ وأمراض في تصرفات الأفراد والجماعات فتشير إليها إشارة المنبه لخروجها عما تراه قيم المجتمع من مثل "³.

: نبيلة إبراهيم : قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، ص 173¹

: مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 138²

: عمر عبد الرحمن الساريسي : الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني، ص 185³

ففي حكاية "المشجّاح الكبير" تبرز لنا الحكاية ظاهرة البخل التي يتّصف بها صاحب المنزل الذي طلب من أصدقائه الذين كانوا يسهرون بمنزله دفع قيمة الإنارة المستعملة لكل واحد منهم وبعدها رفض أحدهما دفع القيمة اضطر صاحب المنزل البخيل أن يغمض له عيناه طول ليلة السهرة.

وفي حكاية أخرى "الفلاح والخمّاس" حدثتنا أيضا عن الفلاح البخيل فرغم غناه وثروته إلاّ أنّه كان لا يطعم عائلته إلاّ بصلا مما أدى بجاره إلى الاستياء منه والاتفاق على حيلة مع زوجته تحدّ من بخله، فتحقق مناله ومنال زوجة الفلاح التي تخلصت من بخل زوجها وأوفت بوعدها باطعام جازها اللحم يوميا.

تسخر الحكاية الشعبية من ظاهرة البخل تلك القيمة السلبية التي تتخر جسد المجتمع، وتعمل على إزاحتها لتحل محلها قيم الكرم والجود "فنجاح الإنسان في إزاحة عواقب البخل التي تعترض مشاعر الخير هو في نظر الحكاية الاجتماعية فضيلة كاملة"¹.

وتستمر الحكاية الشعبية في عرض نماذج القيم الساخرة المملوءة بالإيحاءات والدلالات الداعية من ورائها إلى نقد المجتمع كحكاية "مزّاح جحا الجزائري" التي تسخر فيها من غباء الرجل الذي وقف ساعات متكئا على الحائط خوفا من سقوطه بعدما أوهمه "جحا" الذكي بأن يأخذ مكانه إلى حين عودته حتى لا يسقط الحائط .

تعتبر حكايات جحا من أهمّ الحكايات الشعبية التي فرضت وجودها في هذا المجال، وقد ورد ذكره في كتاب " أخبار الحمقى والمغفلين " لابن الجوزي ".... الذي قال عنه "ومنهم _أي من المغفلين الحمقى_ جحا ويكنى أبا الغصن وقد روى عنه ما يدلّ على فطنة وذكاء، إلاّ أن الغالب عليه التغفيل وقد قيل إن بعض من كان يعاديه وضع له حكايات والله اعلم"².

: مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 111

²: المرجع نفسه، ص 141

وحكايات جحا غالباً ما تحدثنا عن فطنته وذكاءه وسرعة نباهته خاصة حكايات "جحا والسلطان" التي ينتصر فيها بحيله الناجحة، ما يغضب السلطان على الاستهزاء به، فقد أظهرت لنا هذه الحكاية بعض الصفات السيئة التي ينبذها الفرد في قالب ساخر بحيث تحدثنا عن تقرب جحا من السلطان طمعا في الولاء وكسب المال الوفير، لما كان يعيشه من فقر، أدى به إلى تقديم "رشوة" إلى السلطان ليحقق له مبتغاه، بعد ما طلب من زوجته أن تحضر له "وزة محمرة" يقدمها هدية للسلطان « خُتَارِي لَنَا وَرَّةً كُبِيرَةً مِنْ اللَّي عُنْدَنَا، طَيِّبِيهَا وَحَمْرِيهَا نَدِيهَا لِلسُّلْطَانِ بِالْأَكْ كَاشَ مَا يَحْنُ عَلَيْنَا بِشَوِيَّةِ مَالٍ»، ولكن الجوع الذي انتاب جحا في طريقه الى السلطان أدى به إلى أكل أحد رجلي الوز، وبعد وصوله طلب منه السلطان تفسير ذلك، فأجابه بان جميع الوز الموجود عنده برجل واحدة، وطلب منه النظر من النافذة ليتحقق بنفسه وقد كان الوز في حالة وقوف على رجل واحدة، ممّا أدى بالسلطان إلى أمر خادمه أن يفرقه بالعصا ليكتشف أمر جحا ويطلب السلطان منه تفسير ذلك فيجيبه : « أَنَا لُوْكَانُ حَاوَزْتِي بِهَذَا الْمَطْرَقُ نِمَشِي عَلَى رِنَعَةِ مَشِي حَتَّى الْوَزِ ».

تعالج الحكاية العديد من القضايا الاجتماعية والسياسية من جوع وفقر وسوء تسيير في قالب ساخر لتخفف من متاعب الحياة وإدخال البهجة والسرور على مختلف الفئات الاجتماعية. كما تحاول حكاية "جوهز في خيوطها" أن تشير إلى ظاهرة الرشوة التي تفتشت في الأوساط الشعبية حتى بين الملوك والسلاطين، وذلك بعدما دفع ابن السلطان "حدّ الزين" مقدارا من الذهب راجياً من الحاكم الإفراج عن ابن العجوز الذي سجن ظلماً وعدواناً.

ومن الواضح هنا أنّ الحكاية تشير إلى العديد من السلوكيات المنبوذة كظاهرة الرشوة التي تجسدت لنا من خلال هذه الحكايات، وشخصية جحا تمثل الفئة الشعبية التي سلبت مالها وأرضها وعانت الظلم، أما شخصية السلطان فهي تعكس سوء تسيير الملوك لشؤون بلادهم من خلال طمعهم وقلة ذكائهم.

ولذلك لا بد لنا من أن نشير الى سبب تركيز الحكاية على ابراز قلة حيّل الحكام وفطنة وذكاء الطبقة الدنيا التي استعملت ذكاءها في طرد السلطان أو على الأقل إبعاده

عن الحكم_ كما سبق وأن ذكرت_ في حكاية "هارون الرشيد" و"جوهر في خيوطها" وهذا ليتذوق طعم الطبقات الشعبية المظلومة ويكشف عن عيوبهم المتعددة "فالمجتمع يذم خصالا معينة، ويمتدح أخرى وهو بالطبع يذم البخل ويكره طباع الضباع والذئاب، ويمتدح الكرم ويفضل الإنسان الكريم على غير الكريم"¹، لأن حب المال تلك القيمة السلبية التي تصيب المرء في خلقه ينجر عنها آفات سيئة خاصة إذا ارتبط المال بالخسة والندالة.

ومن الواضح أن الحكايات الشعبية تعكس في مضامينها قيمتين للمال، قيمة ايجابية وقيمة سلبية، ولذلك نلاحظ مدح أصحاب المال والسلطين وقيمتها الاجتماعية من خلال الحكاية، كتشجيع الزواج بالأثرياء والأمراء، وما يصيب الفقراء من حياة الذل والتعاسة وتراكم المشاكل الأسرية، كعدم الاستقرار كما مر علينا في حكاية "بابا قرماز" وكيف كان الفقر سبب في تفكك الأسرة. هذا من جهة ومن جهة أخرى نلمح القيمة السلبية المتمثلة في تصوير المال كسبب من أسباب تعاسة الإنسان وهذا لما يحمله في نفسه من حب زائد للمال وطمع في المزيد مما يؤثر على علاقته مع أهله ومجتمعه. "والحقيقة أن مثل هذه القيم قد تبثها الطبقات الاجتماعية العليا في المجتمع التي حرصت على تأكيدها، وأن تظل حية مستمرة بإقناع الطبقات الدنيا أن المال سبب من أسباب الشقاء، من ثم فإن الفقر سعادة لا يدركها الأغنياء"².

فالحكاية الشعبية لا تدعو إلى أسلوب معين أو إلى طريقة خاصة لكن ما يهمها هو الوصول إلى تحقيق هدفها التربوي بالأسلوب الذي تراه الجماعة مناسباً لإقناع أفرادها فقد تقدمه نقداً لاذعاً أو تهكماً ساخراً.

ويمكن أن نستمر في ذكر القيم السلبية الساخرة في الحكاية الشعبية التي "تدور حول المفارقات والأخطاء والحماقات والأكاذيب والمبالغات والحيل وأسباب الخداع والعبث والمزاح...."³، ومنها حكاية "علاش وذنين البغل طوال" وهي حكاية تدور أحداثها على لسان الحيوان، وحكايات هذا النمط تطرح مضامين اجتماعية واقعية أو سياسية أو

: أحمد مرسي : الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 49¹

: المرجع نفسه : ص 50²

: مرسي الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 140³

اعتقاده، وهي لا تختلف عن الأنماط الأخرى إلا من حيث الترميز أو ما يسمى بأنسنة الحيوان.

تروي لنا هته الحكاية عن اجتماع مجموع الحيوانات في شكل طابور كبير يجمع حيوانات الغابة: الغزال، الفيل، الحصان، الكبش، المعزة، الحمامة، الديك، والبغل... وذلك لأجل تسميتهم (خلق الحيوانات كما تذكر الحكاية) ولكن البغل لغبائه لم يعجبه اسمه فحاول التحايل وإعادة الطابور مرة أخرى لعلهم لا يتذكرون اسمه ويغيرونه بأفضل منه إلا انه لما حان دوره شدّه المنادي من أذنيه وقال له : " يَاكَ أَنْتَ سَمِيْتُكَ الْبُغْلُ !.. " ممددا أذنيه، ومن ذلك العهد وأدنا البغل طويلتان.

كما تشير حكايات أخرى عن غباء البغل الذي كان يتنكر دائما لأصله والاعتراف به، فبعد اجتماع الحيوانات التي راحت تتفاخر بأنسابها، سؤل البغل: من هو أبوك؟ فرد عليهم «خَالِي الْعَوْدُ» أي الحصان تقاديا لذكر "الحمار".

فالحكاية تسخر من الغباء في قالب هزلي يثير المرح ويفرج عن الهموم ويخفف الضغوط والمتاعب اليومية، ممّا يجعل الناس يميلون إلى هذا النوع من الحكايات الساخرة، ويمكن أن تحظى هذه الحكايات باهتمام فئات معينة كالأطفال .

وفي هذا السياق تعتبر الحكاية الساخرة بما تعرضه من مواقف متناقضة تثير الضحك الذي ينتج عن الغرابة أو الأمور غير الطبيعية سبيلا لتحقيق هدفها المتمثل في "تأكيد رغبة واضحة كت تحقيق مقولة أو أداء نقد لاذع أو التنديد بظاهرة كال بخل والتهكم والسخرية بأناس يتصرفون عكس ما توحى به مظاهرهم أو عكس ما يفترض أن يتصرفوا به"¹.

تعالج الحكاية الشعبية قضايا مختلفة يريد منها المجتمع أن تكون المصلح الاجتماعي بطريقة نقدية بناءة فتعرض لنا تلك الحكايات مجموعة من القيم السلبية كالرشوة، الغباء، البخل، حب المال والطمع وترويتها بطابع هزلي هدفه تخفيف مما يعانيه

: سرحان نمر : الحكاية الشعبية الفلسطينية، ص 93¹

المجتمع من حرمان وظلم كما يحذر نوي المال والجاه من جبروتهم وسلطتهم التي أدت بالكثير منهم الى الهلاك.

2. نقد المجتمع :

تساهم الحكاية الشعبية الجزائرية عامة و بالغرب الجزائري خاصة في نقد المجتمع وتدعو بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى ضرورة إعادة النظر في بعض العادات والمظاهر السلبية التي تنتشر بين الناس.

وقد لاحظنا في الحكاية الشعبية تلك القيم السلبية التي يقصد من ورائها إبراز عيوب المجتمع والتلويح إلى أضرارها التي تصيب كيانه ووحدته واستمراريتها، من جهة ومن جهة ثانية رسم صور ايجابية لخلاص المجتمع من برائث الفساد إلى مجتمع الرخاء والرفاهية، مجتمع الأحلام السعيدة التي تطمح إليها الحكاية دائما.

تتدد الحكاية الشعبية دوما بالصفات القبيحة والسيئة التي تنقص من كرامة وشجاعة صاحبها كحكاية "زاجل بلا مخ" التي تحدثنا عن رجل حاول مرافقة أصحابه إلى الحرب وهو لا يتقنه، فحمل أسلحته وتوجه معهم إلى ساحة الحرب، لكنه لقي أول ضربة رمح في رأسه. فحمله أصدقاؤه إلى الطبيب. وقبل نزع الطبيب الرمح من على جبينه سأله عن اختراق الرمح المخ أم لا؟. لكنه يتفاجأ بإجابة الرجل المصاب : « غير اجبده، مالحق مخ »فرد عليه الطبيب ضاحكا « كيف علمت ذلك » يجيبه الرجل : « لو كان عندي مخ ما نُجِّي معاً همُ ونُدخلُ رُوحي في الكُلوْفِ إلي ابعادُ عليّ ».

أما حكاية "كُلشي يبيرا وكلام السوء ما يبيرا" فإن الحكاية تتدد بشدة على الإنسان الذي لا يحسن رد الجميل لمن أحسن له، فهي تروي حكاية الزوجة التي خرجت من بيتها هي وخادمتها طالبة الحماية من الأسد الذي وقّر لها كل الظروف التي تجعلها في مأمن هي وخادمتها ومع ذلك فإنها أساءت له بالكلام الجارح رغم ما فعله بهما من كرم وحسن ضيافة. لذلك تُتَهي الحكاية حياتها بين مخالبا الأسد، وما الأسد في الحكاية إلا رغبة المجتمع في عقاب هذه المرأة الناكرة للجميل.

نجد في الحكاية نقدا لاذعا للواقع الاجتماعي الذي يقابل الحسنة بالسيئة ومن ثمة فهي ترفض نكران الجميل، فالإنسان المخادع والمحتال هو إنسان فاسد، انحرف عن مغزى الفكر الجماعي والإنساني في حب الناس والتعامل بما هو خير للجميع .

تعرج الحكاية أيضا على نقد لون آخر من السلوكات الاجتماعية السيئة كالكسل. ففي حكايات "الذئب" تحدثنا عن القيمة السلبية التي تحط من قيمة الإنسان المتكل على الغير مثل : حكاية "الذئب والثعلب" التي حاول فيها الذئب الاحتيال على الثعلب والاستيلاء على محصول عمله.

كما تشير لنا الحكاية في الأخير عن عاقبة الإنسان الذي يطمع في ثروة غيره، وما يصيبه من حسرة وألم. وشخصية الحيوان من أهم الأدوار التي كان لها الفضل في تأكيد مثل هاته القيم التي تدعو إلى العمل والتعاون ونبذ الكسل والتخاذل إلى جانب نقد الأوضاع السياسية" فكثرة ظهور الحيوان في تلك القصص تدل على أهمية دوره في القصة الشعبي الجزائري على وجه العموم وتدل على أنه استخدم رمزا لنقد المساواة الاجتماعية أو نقد الأوضاع السياسية الجائرة¹

فالحكاية عموما تطالبنا برد الجميل والمعروف بأحسن منه، والعفو والتسامح وتدعو إلى الشجاعة والثقة بالنفس وتنبذ الغباء وحب النفس. وبطبيعة الحال ليست هذه الحكاية الوحيدة التي تنقد الواقع وتحاول تقويمه فكثيرة هي الحكايات التي تقدم قيما سلبية تحتوي نقدا ضمنيا للواقع الاجتماعي، محاولة بالمقابل أن تضع مجتمعا فاضلا يتحقق فيه العدل والمساواة وتتعدم فيه الفوارق الاجتماعية والأمراض النفسية كالأنانية والحقد والحسد.... فهي تدعو دوما إلى حب الخير ونبذ الشر فإنها في أرقى القيم التي تهتف لها الحكاية وتشجع عليها، على اعتبار أنها سرّ أسرارها وغاية مايدعوا إليها². وإن كانت هذه القيم غير واضحة في نصوص الحكاية إلا أنها تظهر ما بين ثناياها، لأن الحكاية الشعبية لم تأت عبثا دون تحقيق قيم إنسانية أو اجتماعية أو أخلاقية.

: ليلي روزولين قريش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 211¹

: عمر عبد الرحمان السارسي : الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني، ص 200²

جاءت الحكاية في وقت صراع ومعاناة المجتمعات البشرية الحافل بالصراعات الطبقيّة وحب الذات والعمل على فرض السلطة "فقد عانت جماهير الشعوب ألوانا من التعسف والاستغلال على مرّ القرون وقاست الفاقة والمرض والتجهيل المتعمّد والانسحاق تحت وطأة قهر الطبقات المسيطرة"¹ وأكثر "المعاناة منه هي الطبقات الشعبية المحرومة، وقد عبرت عنه بواسطة القصة الشعبيّة بتعابير مختلفة"². وعليه حرصت الحكاية في كل مضامينها على إبراز القيم الأخلاقية من أجل إحداث توازن اجتماعي وبث الرحمة والشفقة في النفوس وإعلاء الخير وهزم الشر.

فمن الطبيعي إذن أن تحظى الحكاية باهتمام المجتمع الذي يريد يعبر بطريقة نقدية عن الإصلاح والقضاء على التصرفات السلبية وكل هذا من أجل النقد والتعلم والتربية حيث أن حاجة النفس إلى التربية كبيرة ولم يكن هناك من هو أخط قدرا ولا أبخس ثمنا من نفس لم تتل نصيبها من التربية وليس من السهولة أن تربي الجماعات قبل أن تربي نفوس الأفراد"³. هذا ما تشير إليه حكاية "سَعِيدٌ وَدِيَابٌ" وحكاية "عَانِمٌ وَذُو الرّاعِي" التي تضع أمامنا مجموعة من الصفات الأخلاقية التي يجب أن يتصف بها الأبناء من الشجاعة والذكاء. خاصة من يخلفون آباءهم في الملك، فالابن تشير الحكاية لا يمكنه أن يتقلد زمام الحكم إلا إذا اتصف بصفات النبل والعدل والصرامة، لأنّه لا يمكن لمالك أن يحكم شعبا وهو يفتقر لميزات الحاكم المقتدر.

أما حكاية "مُلُوكَه وَالثُّعْبَانُ" و"بَقْرَةُ النِّيْتَامِي" ولُونَجَةَ مَوْلَاةَ سَبْعِ سَوَالِفُ" فإن الحكاية تبلغنا بالابتعاد عن الثأر والانتقام وكل ما يمكن أن يتصل بهما، فالبنات لم تنتقم لزوجة أبيها التي عانت منها الظلم والعدوان، والأخت في حكاية "مُلُوكَه وَالثُّعْبَانُ" لم تتأثر لزوجات إختها عند ما حاولن أن يقعن بينها وبين أخيها بعدما أوهموه بحملها والظعن في شرفها، ففضلت الهروب على الانتقام .

: يوري سوكولوف : الفولكلور قضاياه وتاريخه، ص 112¹

: أمحمد عزوي : القصة الشعبيّة الجزائرية في منطقة الأوراس، ص 136²

: مرسى الصباغ : القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 202³

ولا تقف الحكاية عند هذا الحد وإنما تؤكد على انتقام آخر هو الانتقام الإلهي وحكم العدالة الإلهية عندما تذكر لنا نهاية حكاية "بَقْرَةَ الْيَنَامَى" التي توفيت بها زوجة أبيها حرقاً في منزلها. وأيضاً حكاية "مُلُوكَةَ وَالشُّعْبَانَ" بطلاق زوجات إخوتها. إن هذه العدالة ليست مقصورة على ما سبق وإنما هي عدالة شاملة تتسع لكل الأفراد ولكل تصرف¹، ولذلك نجحت الحكاية الشعبية في تحقيق أهداف إنسانية وقيم أخلاقية عن طريق عرضها لنماذج مختلفة في شكل ثنائية مضادة بين القيم الإيجابية والقيم السلبية وجعلها قطبين تدور حولهما الحكاية الشعبية.

وما دامت الحكاية الشعبية تسعى إلى تحقيق المثل والأخلاق بين الناس بشتى الوسائل فإنه كان لزاماً عليها أن تستعمل النقد والسخرية من أجل توجيه وتحسيس الناس بمساوئهم تارة والإشادة بخصالهم الحميدة تارة أخرى. ومن هنا يمكن القول إن الحكاية الشعبية المتداولة في الغرب الجزائري، تلعب دوراً مهماً في تربية الأشخاص وتعليمهم، والكشف عن عيوبهم.

3. قيم تربوية :

إن الحكاية الشعبية المتداولة في منطقة الغرب الجزائري، تلعب دوراً مهماً في حياة الأفراد وتكشف عن مكنونات النفس الإنسانية كما تعبر عن الرغبات الملحة التي يود الإنسان تحقيقها رغم أنها كانت تدور في أوساط تسودها الأمية، إلا أننا لا يمكن أن ننفي دورها التربوي الذي تؤديه في المجتمع، فهي تقدم العبر لتحديد سلوكاته واتجاهاته وتجعله يتجاوب معها، تلك العبر المحصورة في العديد من القيم الإيجابية والسلبية التي يمكن أن نجدها في نص واحد مختلفة الأشكال والألوان. وقد كشفت الدراسات السابقة عن أهمية القيم في خلق البيئة التربوية المناسبة التي تحقق المزيد من الفهم والاستيعاب²

ولما لهذه القيم من أهمية كبرى في التربية فإن الأسرة تعمل على ترسيخ أسسها في شخصية الطفل الناشئ، "دور إطار الزواج ومنه إلى الأسرة له دور حاسم في إنجاح

¹ المرجع السابق، ص 105

² عبد اللطيف محمد خليفة: إرتقاء القيم، ص 169

عملية التنشئة الاجتماعية. إذ أنّ مشروع تنشئة الأطفال اجتماعيا مشروع طويل المدى¹، ولتحقيق هذه المهمة لم يجد مجتمع الحكاية وسيلة أجدى من الحكايات التي تبدو واضحة للعيان مثل حكاية "القَطِيطُ والفُوَيْرُ" التي سردت على لسان الحيوان، وغالبا ما يكون لهذا النوع من الحكايات دور هام في تربية الأطفال وتنظيم العلاقات الأسرية كالعلاقات بين الآباء والأبناء. وتقدم هذه الحكاية مجموعة من النصائح للأبناء إلا أنّ الفأر والقط لم يأخذا بها ما تسبب لهما في مشاكل، فالحكاية تقدم دورا تعليميا تربويا في الأخذ بنصائح الوالدين كما يقول راوي الحكاية "اللّي مَيسْمَعُش رَأي كَبِيرُ الهَمّ تَدْبِيرُ".

أما حكاية "المِعْرَةَ الصَّنِيَّة" التي أوصت أولادها بعدم فتح الباب لأي كان ومهما كان السبب والاحتراس من حيلّ الذئب. إلا أنّ الذئب بعد محاولاته العديدة ينجح في الوصول إلى أبنائها ويلتهمهم، والمغزى واضح في الحكاية هي طاعة الوالدين والتقيّد بأوامرهما. فطاعة الوالدين قيمة تربوية نبيلة تساعد على تربية الأبناء وتوجيههم.

يرجع تمسك الناس بالحكاية الشعبية لما تحمله بين ثناياها من أهداف تربوية مبنوثة بداخلها، فهي تمثل وسيلة لإصلاح عيوب الناس بدعوتها إلى إتباع سلوك وقيم أخلاقية لضمان مجتمع سليم، هذه القيم التي تدعو الحكاية إلى إتباعها والتي سبق وأن أشرنا إليها يمكن اختزالها في الدعوة إلى فعل الخير واجتناب الشر لأنّ في الأولى جلب المنفعة، وفي الثانية دفعا للمهالك عن الفرد والجماعة.

وقد يكون الصراع الدائم بين الخير والشر في الحكاية وراءه مغزى تربوي كانتصار المظلوم على الظالم دائما، أو انتصار الخير على الشر في نهاية الحكاية، ولذلك تعد الحكاية من أهم الأنماط التعبيرية الشعبية المليئة بنماذج من الأبطال والشخصيات الذين ينالون، كل شيء مكافأة لهم على سلوكهم الطيب وأخلاقهم الحميدة أو جزاء لهم على ما لاقوه من مشقة في حياتهم²، ولأجل ذلك فرضت المكافأة وجودها في الحكاية لغرض تعليمي كاجتناب الشر وفعل الخير الذي يجاز صاحبه أحسن جزاء كالزواج من الأميرة والحصول على المملكة .. وفي الحكاية نجد الكثير من الحالات المشابهة التي يعاقب فيها

¹جماعي : الهياكل العائلية والأدوار الاجتماعية، سلسلة مراجع، المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر، تونس، ص66

: أحمد مرسى : الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، ص 42²

المسيء وينتصر المظلوم كانتقام "المعزة الصنبية" من الذئب الذي خطف أبناءها أو فقدان الذئب ذيله بعد محاولته الاعتداء على ملك الغير ...

فالمجال التربوي حاضر في الحكاية التي تعتبر كناقل للقيم وتميرها إلى الناشئة، فهي التي تدعو إلى التضامن الاجتماعي والحث على قيم التعاون والتآزر كحكاية "خريص وبوخريصة" التي تحدثنا عن تكفل الجماعة بالطفلين الذين وجدا بداخل الشجرة وحضيا بعنايتهما، وهي تسعى أيضا إلى القضاء على التمييز بين الأبناء ومعاقبة الضرة كحكاية "بقرة اليتامى" والولد ومزت باباه" ... ومهما يكن من أمر فإن معظم نهايات الحكاية هي نهايات سعيدة نتيجة تضامن جهود قوى الخير التي تدعو إليها.

تدفع الحكاية الشعبية عموما مستمعيها إلى التعامل مع قيمتي الخير والشر بطريقة نفعية لأن" القيم بوصفها أحكاما بالمرغوب فيه حسب المعتقدات والأفكار ولذلك فإننا لا نراها (القيم) وإنما نشعر بها ونحس بمظاهرها وآثارها في أعمالنا وأفعالنا وممارساتنا"¹ فهي لا وجود لها في حد ذاتها ولكن بنتائجها على الإنسان الذي ينبغي أن يقوم بالخير لأن فيه مصلحته أولا ثم مصلحة الجماعة ثانيا.

وبناء على ماسبق نرى أنّ رواية الحكاية تمنح المجتمع بفئاته المختلفة دروسا أخلاقية متعددة " ولا تبتعد عن الأهداف التربوية والتحذيرات الأخلاقية، فالقصد دائما واحد في هذا النوع الأدبي الشعبي هو: التوجيه والإرشاد من منظور تعليمي أخلاقي بواسطة التجسيد السلوكي الذي يوضح باللموس مختلف العواقب الإيجابية والسلبية ليشجع على التمسك بالأولى ونبذ الثانية"²، إلى جانب تعزيز ثقهم النفسية وبث الشعور بالتفاؤل والأمل في الحياة لما يصدر عنها من نهايات سعيدة وانتصار المظلوم".

الى جانب ماتعالجه الحكاية من صراعات متنوعة كالتحرر من مشاعر سلبية ضاغطة واكتساب المزيد من العبر ولذلك ركز أفلاطون في جمهوريته على تنمية مخيلة

: محمد الجوهري : دراسات في علم الفولكلور، ص 232¹

²: مصطفى يعلى: الخطاب الأخلاقي في الحكاية الخرافية، ديوان الدراسات المحكمة، مقال 06 فبراير 2010

الطفل برواية الأساطير والحكايات " التي تركز على جوانب ايجابية كالحب العظيم والخير العظيم ومكارم الأخلاق لإنماء بذرة الفضيلة"¹.

فهي توجه الطفل إلى اكتشاف هويته ومواهبه وترشده إلى نوع التجربة التي ينبغي أن يمر منها لتنمية طبيعته"². وعليه تعدّ الحكاية "أحد الوسائط التربوية في الفولكلور لها فلسفتها في العملية التربوية إذ " يعدّ أدب الأطفال أحد الوسائل التي لجأت إليها المجتمعات منذ القديم لتنمية وغرس القيم والأخلاقيات الموجودة في النشء"³.

تقف الحكاية دائما في صف البطل وتحاول أن تخلص النفوس من أمراضها، فتدين الشر وتعاقبه عقابا شديدا وتتصر الأبرياء والمظلومين وأهل الخير، فلا يصل البطل إلى ما يريد إلا عندما يخلص نفسه من تلك النزاعات والأمراض. "ولذلك يجزم بعض الدارسين للحكاية أن لها أهمية كبيرة في العلاج النفسي لبعض الأمراض"⁴. من خلال ما تبثه في النفس من قيم متعددة كالأنانية وحب النفس والظلم والحسد واحتقار الآخرين

نشير أخيرا إلى أنّ الحكاية الشعبية تؤمن بضرورة تقويم الفرد ليصير صالحا للجماعة مدافعا عن قيمها ومثلها الخلقية والاجتماعية حتى يضمن استمراره في محيطه المليء بالصعوبات والمشاكل. فهي إذن "ترفع الذهن فوق ضجة الحياة اليومية ولعنتها وتجعل الناس يفكرون في حياة أفضل"⁵، لا تكتفي بتصوير الأحداث الخيالية ولا رصد الأخبار التاريخية ولا المعتقدات الشعبية، ولا تقف عند تحقيق الرغبات التي عجز الإنسان على تحقيقها، ولا عن تعويض الألم والعجز والجوع والفقر ولا لأجل التسلية وإنما تذهب إلى أبعد من ذلك حينما تبلغنا برسائل مشفرة ذات قيم إنسانية، أخلاقية وتربوية. ومجمل هذه القيم مرتبط أكثر بالتجربة الإنسانية وسيرورة واقع الحياة، لأن معظم القضايا التي يعاني منها الإنسان في العالم هي نفسها وإن تغيرت مظاهر أسبابها، وبالتالي فالحكاية

¹ : مصطفى صمودي : من جلماش... إلى نيتشه، ص 140

² : Bruno Bettelheim : psychanalyse des contes de fées , paris, robert Laffont , 1976-p163

³: أميمة منير عبد الحميد حادو: تربية الطفل في التراث الشعبي المصري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية

والاجتماعية، الطبعة الأولى، 2004، ص 184

⁴ : Bruno Bettelheim : psychanalyse des contes de fées , paris, robert Laffont , 1976-p:44

بيوري سوكولوف : الفولكلور قضاياها وتاريخه، ص 91⁵

الشعبية يمكن اعتبارها نوا إنسانيا يخص الأمور الحساسة بالنسبة للإنسان داخل المجتمع الذي يعيش فيه.

خاتمة عامة

وخلاصة القول، إن التراث الشعبي ومنه القصص الشعبي من أهم الأشكال التعبيرية التي تقاسمتها جميع شعوب العالم، بحيث أنتجت كما هائلا من الأنماط القصصية التي اختلف الباحثون في تصنيفها. وأهمها الأسطورة والسيرة والملحمة والحكاية، هذه الأخيرة التي لا يخلوا مجتمع من المجتمعات إلا وحكت على أسننته حكايات، لتكوّن بذلك سجلا حيا لمراحل تطورهم ونمو فكرهم. ولأجل ذلك تعاضم الاهتمام بها في العالم العربي، بل في العالم، إذ الأمم باختلاف أجناسها وأسننتها عرفت الحكاية وتداولتها جيلا بعد جيل يرثها الخلف عن السلف لتمثل بذلك أكثر الأجناس القصصية ترحالا وتقلبا بين الشعوب.

وتلتقي مضامين الأجناس القصصية الشعبية بجميع أشكالها وألوانها، بمحاور متشابهة تداولتها على مرّ الزمان واختلاف المكان، تتركز على ما آل إليه الإنسان من مشاق في حياته من أجل تحقيق رغباته والبحث عن فضاء عادل ومتوازن، ومن أهمّ المضامين التي يدور حولها القصّ الشعبي عموماً، الصراع الأزلي، الرغبة في البقاء والخلود، النزعة القبلية والعنصرية وموضوع المرأة إذ يحتل المحور المركزي داخل الحكاية.

ولعلّ ما يميز الحكاية الشعبية عن باقي الأجناس القصصية الأخرى أننا نلتمس فيها الحسّ الاجتماعي الواقعي، وتكاد موضوعاتها تقتصر على العلاقات الاجتماعية والأسرية، فهي واقعية مرتبطة بالتجربة اليومية، إذ تخلو من التأمّلات الفلسفية وتعتمد على أدقّ تفاصيل الحياة اليومية وهمومها. إلا أنّ هذا لا يعني أنّها تخلو من عناصر التشويق والخيال الذي يضيف عليها لمسة جمالية. وعلى ضوء هذا التداخل بين الحقيقة والخيال غابت الفواصل والحدود بين الحكايات الشعبية ليصعب تصنيفها رغم الجهود القائمة من أجل ذلك، ما يؤكّد شمولية الابداع الشعبي.

وبالنسبة للمجتمع الجزائري فمثله مثل باقي المجتمعات الإنسانية، ورث عن أسلافه مادة غنيّة من الحكايات الشعبية نجدها بمختلف أقطار البلاد، تعكس لنا طريقة تفكير وأسلوب حياة وعادات وتقاليد ومعتقدات الناس، فلا تخلوا منطقة من المناطق أو عائلة من العائلات إلا وصدى الحكايات الشعبية حاضر بين أفرادها ومرتسم بمخيلتهم.

ولعلّ سلسلة الحكايات الشعبية التي تمّ الحصول عليها في منطقة الغرب الجزائري تعكس مجموعة من السلوكيات الاجتماعية الجديرة بالدراسة، بحيث أي سلوك يُفهم على أنه امتداد للواقع وللذات الشعبية، ويرسم نظرتَه للأحداث الجارية في المجتمع. فمهما اختلفت وتنوعت هذه الحكايات إلاّ أنها تشكّل الذاكرة الشعبية الجماعية التي تحمل سلوكيات الأفراد وتعبّر بشكل واضح عن تفكيرهم الشعبي، فهو يجسّد بؤرة الوعي الجماعي العميق لواقع اجتماعي يبدو متناقضاً.

فمن الطبيعي جداً أن تكون الحكاية في الغرب الجزائري قد وُضعت أساساً لرصد الواقع الاجتماعي وعرض أنماط سلوكياته ومواقفه إزاء الأحداث. ولذلك تمكّنا من حصر مجموعة من السلوكيات الاجتماعية التي تزخر بالكثير من المتناقضات، مجسّدة بوضوح في البناء الاجتماعي للحكاية: كالزواج ونظام القرابة والأسرة، الشيء الذي ساعدنا على معرفة الحياة الأسرية والاجتماعية والتبادل في العلاقات والتغيّر في الأوضاع التي كان سببها غالباً تغير في الأوضاع الاقتصادية والبحث عن سبل العيش والاستقرار.

ومما لا شك فيه أن الحكاية الشعبية عموماً أكّدت أهمية تلك العلاقات الأسرية والاجتماعية باعتبارها ظاهرة طبيعية وضرورية للإنسان فعملت على تمثين روابطها ووحدة أفرادها. هذا إلى جانب تأكيدها على التنظيم السياسي وأهميته والذي يكمن في سلطة القانون الحاكم (السلطان) والسلطة الاجتماعية المتمثلة في (الأعراف والتقاليد)، وبهذا الشكل سارت الحكاية الشعبية نحو تفاعل العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وارتباط بعضها ببعض.

كما لم تقتصر الحكاية الشعبية على السلوكيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وإنما ذهبت إلى تأسيس مواقف رافضة للظلم الاجتماعي والسياسي، كإنعدام المساواة وتفشي الطبقة والتفرقة الاجتماعية، وهذا ما عانتَه الطبقات الشعبية من ظلم حكامها وسيطرة أنظمتها، وعلى هذا الأساس اعتبرت الحكاية الشعبية داخل أوساطها الوعاء الذي تحقق بداخله حلمها من مساواة وعدل واستقرار وكل ما يأمله أفراد المجتمع من تحقيق أنظمة مبنية على أساس التفاهم والأخلاق والقيم.

ولذلك، ليس غريبا علينا أن نصطدم بهذا الزخم الهائل من القيم الأخلاقية المتناقضة التي استطاع الإبداع الشعبي تصويرها لأجل مواجهتها ومحاولة تصحيحها، ولعل مجموع هذه القيم المتناقضة لا يخفي نقدا واضحا لواقع موجود داخل المجتمع، الغرض منه التربية والتعليم لتحقيق أهداف إنسانية وأخلاقية قد تصل إلى درجة العالمية. ولو تمعنا في العديد من الحكايات بأنواعها، الخرافية، الواقعية وحكايات الحيوان وغيرها، لما وجدناها تبتعد عن بثّ قيمة أو رصد موعظة أو نقد موقف توجّه به سلوكيات الأفراد أو تشجعهم على التمسك بقيم معينة. وعليه أستخلصنا أهم النتائج التي تمّ التوصل إليها من خلال دراستنا للحكاية الشعبية نجملها فيما يلي:

- تسعى الحكاية الشعبية الى دعوة المجتمع الى التمسك بوحدته والمحافظة على بناءه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من أجل بناء مجتمع مثالي خال من المفارقات الاجتماعية والصراعات الطبقية.
- تشكل الحكاية في محتواها نظرة الشعب الروحية والتقليدية في تحقيق العدل والمساواة من أجل تعميم السلام حتى ولو كان ذلك في شكل خيال وأحلام وطموحات.
- تهدف الحكاية إلى تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من جهة ومن جهة ثانية ضبط الصراع النفسي وكبح الرغبات الغريزية.
- استطاعت الحكاية أن تثير سلوكيات اجتماعية وقضايا انسانية متعدّدة تحرص من خلالها على غرس القيم الأخلاقية والمبادئ التربوية.
- تمثل الحكاية وسيلة لإصلاح عيوب المجتمع بتقديمها دروسا تربوية للناشئة ودعوتها لاتباعها، بتحقيق أنظمة مبنية على أساس التفاهم والأخلاق والقيم.
- تعالج الحكاية الشعبية قضايا اجتماعية متشابهة في جميع ربوع العالم ممّا يؤكد شموليتها واعتبارها نصا إنسانيا.
- قدرة الحكاية الشعبية على حمل الواقع الاجتماعي بمختلف أنظمتها وتحولاته وأشكاله المتناقضة، وتصويره بفنيات وجماليات تجعل منه شكلا قائما بذاته.
- الحكاية الشعبية أسلوب اجتماعي هدفه أخلاقي، اصلاحي وتوجيهي.

الملحق

ها بالنيّة، يا فرحتي ألي فرحوا. وقالوا ربي جاب لنا هاذ المخلوق فيه الخير. ودخلوا، صابوا
حوش واسع وفيه وقيل عشر نبوت. اختاروا وحدة وسكنوا فيها و صاروا يحمدوا في ربي
ويشكروه،

وترضع المرأة العريان وتقمطه كي العادة، وثوقفه فوق كفها وتدير له الكاس الكاس بالفرحة وترقد
فيه وتغني غناية أخرى: اسكت وبرك " دق دق أدفق! رأس العدو يدفق!. تلعبوا فيه
الكورة، نقيسوه في المطمورة! أبا أشرى لنا دارة، ما ندوقش الجارة! الجارة غدارة، دق دق
أدفق.

أيا وترفده في المهذ وتغطيه، وتراري عليه ويمشوا يتعشوا عشاء المساكين، طعيمة وشوية لحم
.... ولا باس عليهم، يفرشوا فراشهم ويمشوا يرقدوا بالنيّة.

لعدوة من ذاك مشى الرجل صباح بكرى يحوس كاش ما يصور صولدي على راسه وقال : " يا
فتاح يا رراق! وقالت له مرآته: " الله يسهل يا أخي ذيب يشمشم خير من، قصور الرائد " ..وهي
مشات لقسها - يعني قش الناس - وغسلها في الواد كي العادة .
وخلات وليدها في المهذ راقد بعد ما غسلته وقمطته.

طول النهار هم غابين في زوج ..بالنيّة هما تلاقوا في الليل. والمرأة رفدت وليدها من المهذ
باش ترضعه، وهي صابته¹، يا لطيف مشمخ من الأساس حتى للرأس، ويعني ماشي مشمخ
بالماء، نقول عليه لدام ولا ريق ولا واش هو. الحاصل كالي غطسوه في قصعة² مليانة شوربة
وآلا واش! المرأة استغربت وقالت لرجلها: "شوف يا مخلوق الله!"
شافوه قلبوه، ما عرفوا واش هو السبب.....

بالنيّة غسلته يماه وجدته له القمطة ورضعته وتعشوا العشا ألي كتبه لهم ربي ذاك اليوم
ومشاوا يرقدوا، لعدوة من ذاك، كصبح الصباح، ومن صلى النبي يريح، المرأة جدت القمطة
لوليدها مرة أخرى وخلاته نقي ناشف الله يبارك، ورفداته في مهدوا ومشاوا كلها من جهته. وفي
المغرب كي تراجعوا، صابت المرأة كذلك وليدها مشمخ³، نقول عليه غطسوه في الماء، ولا في
البصاق يا لطيف، ولا في المرقة تحيرت مسكينة ... وما قالت حتى شي لزوجه.

غسلت الوليد وقمطته وعطاته البرولة يرضع ورفداته في المهذ، وتعشوا ورقدوا. لآكن الميمة
بايئة تخم ما غمضتس العين حتى الصباح: ناضو؛ غسلت وليدها، بدلت له قمطته وحطته

¹ صابته: وجدته

² قصعة: اناء كبير يوضع

³ مشمخ: مبل

في المهد؛ لما رُقد مليخ، خَرَجَتْ مَحْسُوبٌ تُغِيبُ النَّهَارَ كَامِلٌ؛ وَرَاجِلُهَا كَذَلِكَ مُشَى لَصَوَالِحَهُ...
لَاكِنَ هِيَ مَا بَعْدَتْش؛ دَارَتْ بِالْحُومَةِ وَرَجَعَتْ غَيْرَ بِالسِّيَاسَةِ¹ تَتَحَسَّن.

وَهِيَ وَصَلَتْ عِنْدَ الْبَابِ الدَّارَ وَهِيَ تَسْمَعُ وَحْدَ الصَّوْتِ كَالرَّعْدِ! وَرَاجِلٌ تَقُولُ عَلَيْهِ غُولٌ وَلَا وَاشٌ
وَيَرْقِي مَنْ شَقَافَ رَاسَهُ: " اسْرَطْ اسْرَطْ² وَوَلَدَ النَّاسَ، لَحْمَ طُرِي؛ يَا مَا أَحْلَاهُ . عُقْ! عُقْ وَوَلَدَ
النَّاسَ. لَحْمَ طُرِي يَا مَحْلَاهُ ! "...

هَا بُدَاتِ الْمَرْأَةَ مَسْكِينَةً تَرَجِفُ وَسِنِّيهَا يَتَقَرَّبُوا فِي فَمِهَا، بِالْخُوفِ عَلَى وُلْدِهَا وَتَقُولُ وَهِيَ
تَرْتَعِدُ: " اللهُ اللهُ يَا رَبِّي، هَذَا غُولٌ غَلَطْنَا، حُسْبَانَهُ رَاجِلٌ شَايِبٌ وَمَرِيضٌ يَا رَبِّي سَيِّدِي كَيْفَ نَعْمَلُوا
الآن "....مَرَّةً تَبْعُدُ بِالْخُوفِ مِنَ الْغُولِ.... مَرَّةً تَرَجَعُ مَسْكِينَةً قَلْبُهَا مَا خَلَاهَا شِي، عَلَى وُلْدِهَا
....هَكَذَاكَ حَتَّى الْمَغْرَبِ: "عُقْ عَقْ وَوَلَدَ النَّاسَ لَحْمَ طُرِي، يَا مَا أَحْلَاهُ " ... يَلْعَبُ الْغَرِيَانُ أَيَا
وَدَخَلَ لِبَيْتِهِ، مَا شَافَ مَا رَأَى...

بِالنِّيَّةِ الرَّاجِلُ رَجَعَ ثَانِي: صَابَ مَرَاتَهُ عِنْدَ الْبَابِ، تَرْتَعِدُ بِالْخُوفِ، قَرِيبٌ ثَمُوثٌ ... وَتَسْتَنِّي³
فِيهِ: كَشَافَتَهُ رَجَعَتْ لَهَا شَوِيَّ الرُّوحِ "وَاشٌ بِكْ؟" يَامَخْلُوقُ قُ قُ اللهُ هَذَا غُولٌ
رَانٌ سَاكِنِينَ عِنْدَهُ ... هَا كَعْمَلُ وَكَعْمَلُ بِالصَّبِيِّ وَكَيْسِرْطَهُ، وَكِي يَقَهُ، وَهَذَا عَلَاشٌ كُلُّ لَيْلَةٍ
نُصِيبُوهُ كَالِي مَعْطُوسٍ فِي اللَّيْدَامِ⁴ وَلَا الْبُصَاقُ؛ يَالطَّيْفُ، نَهَازَ مِنْ نَهَازَاتٍ يَأْكَلُهُ وَيُزِيدُ يَأْكُلْنَا مِنْ
بَعْدَهُ ... الرَّاجِلُ مَا صَدَقَش مَرَّتَهُ.

قَالَ لَهَا: "ادْخُلِي وَسُكْتِي ... انْتِ مَرَاةٌ مُشَوَّشَةٌ؛ رَبِّي جَابَ لَنَا رَاجِلٌ مَسْكِينٌ شَايِبٌ وَمَرِيضٌ؛
مَخْلِينَا سَاكِنِينَ بَاطِلٌ، مَا نُخَلِّصُوا ذُرَاهِمَ الْكَرَاءِ وَتَشِينِي النِّيَّةَ فِيهِ، يَالطَّيْفُ! هَذَا الْكَلَامُ مَا نَسْمَعُهُ
شَيْءٌ مَتَكَ أَبَدًا! عَامِلٌ فِيْنَا الْخَيْرِ رَدِيَّتَهُ غُولٌ! "...قَالَتْ لَهُ "يَارَاجِلُ؛ أَنَا سَمَعْتُ بُوذْنِي؛ وَشُوفُ
الْغَرِيَانُ⁵ كِي مَشْمَخٌ بِالْبُصَاقِ وَ الْغَرَاءُ اللَّيْلَةَ نَهَرُبُوا بُوْلِيدِنَا وَنَسَلُّوَا اِعْمَازِنَا..." الرَّاجِلُ مَا
حَبَّ شَيْءٍ يَسْمَعُ كَلَامَهَا وَيَتَّبِعُ رَايَهَا

بِالنِّيَّةِ، مَا زَادَتْش مَعَاهُ كَلِمَةٌ، عَسَلَتْ وَوَلْدِهَا وَوَدَلَتْ لَهُ وَقَمَطَاتَهُ، كُلُّ شَيْءٍ نَاشَفَ زَيْنَ،
وَرَضَعَاتَهُ... وَحَطَاتَهُ فِي مَهْدِهِ، رُقْدَ فِي الْحِينِ وَتَعَشَاوُ كِي الْعَادَةَ وَمُشَاوَا يَرْفُدُوا. الْمَرْأَةُ سَاكِنَةٌ
وَصَابِرَةٌ، مَا عَمُضَتْش عَيْنِيهَا ... تَسْتَنِّي فِي رُوجِهَا يَرْقُدُ مَلِيخُ.

¹ بالسياسة: بتأني

² اسرط: يبتلع

³ تستنى: تنتظر

⁴ ليدام: المرق

⁵ الغريان: الطفل

هِيَ سَمَعَاتِهِ يَشْحَرُ وَهِيَ نَاضَتْ غَيْرَ بِالتِّي أَحْسَنُ؛ رَفَدَتْ الصَّبِيَّ مِنَ الْمَهْدِ؛ حَطَّاتَهُ عَلَى جِهَةِ
وَرَاخَتْ جَابَتْ رَزَامَةَ الْمَهْرَاسِ، يَعْنِي يَدَ الْمَهْرَاسِ الِي يَدُقُّونَ بِهَا الْقَهْوَةَ، مَا انْقَلَبَتْ وَقَمَطَتْهَا كُلِّي
غَرِيَانُ، وَحَطَّتْهَا فِي الْمَهْدِ فِي مَوْضِعٍ وَلَيْدَهَا. وَرَفَدَتْ الْغُرِيَانَ فِي ذِرَاعِهَا، وَالرَّزَامَةَ انْتَاغَ قَشِي
شَادَتْهَا فِي الْيَدِ الْآخَرَى وَخَرَجَتْ غَيْرَ بِالسِّيَاسَةِ؛ وَقَالَتْ: "يَا بَنَ بَيْرِحْ!
".... وَتَجْرِي... وَتَرِيحُ شَوِي... وَتَزِيدُ تَجْرِي... وَرَايْحَةَ.

بِالنِّيَّةِ رَاجَلَهَا كِي نَاضَ الصَّبَاحُ، حَسْبَهَا مَشَاتٌ لِلْعَسِيرِ فِي الْوَادِ كَالْعَوَايِدِ؛ وَفِي الْمَهْدِ
مَحْسُوبٌ هَذَاكَ الصَّبِيَّ رَاقِدًا؛ كُلُّ شَيْءٍ يَعْنِي كِمَضَارِي¹، كَالْعَادَةِ... بِالنِّيَّةِ، مَشَى لِصَوَالِحِهِ.
وَالْمَغْرَبُ كِرَجَعٌ.... وَيَسْمَعُ لَكَ ذَلِكَ الصَّوْتُ انْتَاغَ الْغَوْلِ! وَلُغُولُ خَلْذِيهِ الْكَلْبُ بِالْغَيْظِ: "اسْرَطُ
اسْرَطُ وَلُدُ النَّاسُ؛ جَانِي ثَقِيلٌ! عَقَّ عَقَّ وَلُدُ النَّاسُ، جَانِي ثَقِيلٌ، أَفْ! وَيَنْ بَنَّتُ اللَّحْمَ؟ وَيَنْ
الطَّرَاوَاتُ؟ وَيَنْ الْحَلَاوَاتُ؟....

اسْرَطُ اسْرَطُ وَلُدُ النَّاسُ.... جَانِي ثَقِيلٌ كَالْحَدِيدِ.... وَالْأَوَاشُ!.... عَقَّ، عَقَّ وَلُدُ النَّاسُ..... جَانِي
ثَقِيلٌ... أَفْ.... وَهَكَذَا..... حَتَّى سَمِعَ الْحَيَّ وَرَاهُ.... وَتَنَقَّتْ لَهُ..

وَالرَّاجِلُ طَاحَ مُتَغَاشِي² بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ بِيهِ الْغَوْلُ؛ وَبِالِي رَوُجْتَهُ مَا تَكَلَّمَتْ غَيْرَ فِي الْحَقِّ.... ضَرَبَهُ
الْغَوْلُ بَرَكْلَةً؛ نَوَّضَهُ وَسَالَهُ، كَالرَّعْدِ وَالْأَقْوَى: -"هَذَا وَاشْ؟"
-هَذَا هَذَا هَذَا مَهْمَهْمَهْمَهْدِي كِكِكِكِكَانَ فِيهِ وَلَدِي.

- وَ مَرَاتِكَ وَيَنْ؟

-فَلْفَلْفَلْفَلْقَشْ : تَغْتَعْتَعَسَلْسَلْسَلُ الْوَادِ.

-إِذَا هَذَا وَلَدُكَ حَلَهُ مِنَ الْقَمَاطِ.

وَيَحُلُّ الْمَسْكِينُ الْقَمَاطَةَ، وَيُصِيبُ يَدَ الْمَهْرَاسِ؛ وَيَتَغَاشَى مَرَّةً أُخْرَى. وَيَرَكْلَهُ الْغَوْلُ
وَيَنَوَّضَهُ؛ وَيُعْطِيهِ كِفَ يَطِيحَهُ فَوْقَ الْفَرَّاشِ، وَيَوْرِنَلَهُ:

-مَنْيْنِ نَاكَلْكَ! هَاتُوا بَنَ هَاتُوا؟

-كُلْنِي مِنَ الرَّجْلَيْنِ الِلي مَا تَبْعُوشُ مَرَّتَهُ.

يَاكُلُ لَهُ الْغَوْلُ رَجْلِيَهُ. وَيَزِيدُ " مَنْيْنِ نَاكَلْكَ! هَاتُوا بَنَ هَاتُوا؟"

-كُلْ لِي الْيَدَيْنِ الِلي حَبُوا يَضْرِبُوا مَرَاتَهُ.

يَاكُلُ لَهُ الْغَوْلُ يَدِيَهُ مَعَ دَرْعِيَهُ. وَيَزِيدُ: "مَنْيْنِ نَاكَلْكَ ا هَاتُوا بَنَ هَاتُوا؟"

-كُلْ لِي الْوَدْنَيْنِ الِلي مَا صَنْتُوشُ كَلَامَ مَرَاتَهُ....

¹ كمضاري : مثل العادة

² متغاشي : أغمي عليه

يَأْكُلُ لَهُ الْعُورُ وَدُنْيِيهِ وَيَزِيدُ يُسَالُ وَيَضْحَكُ: "امْنِينُ نَأْكَلُكَ أَهَاتُوا بِنَ هَاتُوا؟"
-كُنِّي مَن الراسِ إِلِي مَا فَهْمَشَ رَائِي مَرَاتِهِ...حَتَّى كَلَاهُ كَامِلٌ .
وَهِي مَشَاتُ تَنْكَرَكِبُ وَأَنَا جِيْتُ فِي الْمَرْكَبِ.

2_ " كِي شَمِيْتُ كِي كَلِيْتُ " ¹

وَاحِدُ الطُّفْلِ مَسْكِينٌ يَدُورُ فِي السُّوقِ حَتَّى فَاتَتْ عَلَى مَوْلَى الشُّوَى. اغْوَاهُ اللَّحْمُ اللهُ اللهُ أَحْمَرُ
وَاصْفَرُّ كِي الذَّهَبُ وَحَامِي، وَرِيحَتُهُ نُدُوحٌ. وَقَفَّ شُوِيَّةً وَبَدَا يَسْتَنْشِقُ فِي الرِّيْحَةِ ...وَمَنْ عَلَيْهَا
اجْبَدُ طَرِيْفٌ خُبْرُ بَاقِي فِي جِيْبِهِ كَالِي يَجُوزِ بِيهِ ...حَتَّى عَيْنِيهِ حَلَبُوا بِالذَّمُوعِ وَجَاءَ رَائِحٌ.
مَوْلُ الشُّوَى بَعَى يَبْسُطُ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: يَا وَلَدُ ارْوَاخِ ادْفَعْ حَقَّ الشُّوَىيَا؟ قَالَ لَهُ: الطُّفْلُ،
أَيَاكَ مَا كَلِيْتُشْ! مَا دَابِيَهُ لَوْ كَانَ كَانُوا عِنْدِي صَوِيْلِدَاتٌ. لَوْ كَانَ شَرِيْتُ عَلَيْكَ طَرِيْفٌ ² قَالَ
مَوْلَى الشُّوَى... احْنَا عِنْدُنَا، فِي تَغْنِيْفٍ ³ كِي شَمِيْتُ، كِي كَلِيْتُ...! قَالَ لَهُ الطُّفْلُ، هَدْيِي وَحَدَّةً!
كِي شَمِيْتُ كِي كَلِيْتُ، اصْحَابُ تَغْنِيْفٍ وَحَدُّهُمْ! مَزِيَّةً فَايْتُ جَحَا وَقَالَ لِلرَّاجِلِ: حَلِي هَذَا الطُّفْلُ
مَسْكِينٌ، عَلَّاشٌ تَبْكِي فِيهِ؟ضَرَبَ لَهُ صَاحِبُنَا عَمْرَةَ، يَعْنِي اسْكُتْ النَّحْ، تَنْبَسُطُوا عَلَيْهِ شُوِيَّةً.
قَالَ لَهُ يَاكَ رَاكَ عَلَى بَالٍ عِنْدُنَا، إِلِي شَمَ كَالِي كَلِيْتُ... عَلَيْهَا بَاهُ سَمْعَتِي، نَقُولُ لَهُ كِي شَمِيْتُ
كِي كَلِيْتُ جَحَا بَدَا يَهْرُ فِي رَاسِهِ. وَقَالَ لَهُ: هَدْيِي مَشِي هَدْرَةَ؛ كِي تَغْنِيْفُ كِي الْبِلْدَانِ الْآخَرِي: مَا
كَلَّاشُ مَا خَلَّصَشْ!

لَا كَنُ مَوْلَى الشُّوَى بَعَى يَتْعَاسِرُ، إِيَا قَالَ لَهُ جَحَا: "نَخْلَصُكَ فِي مَوْضِعِهِ. جَبْدُ رَيْبِغٍ مَن
جِيْبِهِ،وَضْرَبَهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَرَفَدَهُ وَرَدَهُ فِي جِيْبِهِ.
قَالَ لَهُ الْآخَرُ: "لَا كِنُ مَا عَطِيْتَهُ لِيَشْ!

قَالَ لَهُ جَحَا: "إِيَهْ! الْبِلَادُ إِلِي فِيهَا كِي شَمِيْتُ كِي كَلِيْتُ، فِيهَا ثَانِي كِي سَمَعْتُ كِي خَلَّصْتُ!
"وَالْحَدِيثُ فِيهِ قِيَاسٌ".

¹ حكاية شعبية من مدونة محمد بلحفاوي، وهران

² طريف : قطعة

³ تغنيف : منطقة بمعسكر

3 _ " رَاجِيَّةٌ وَ دِيَابٌ بِعَالَمٍ " ¹

كَانَ مَا كَانَ فِي بَكْرِي الزَّمَانِ؛ وَالْحَبِيقَ وَالسَّيْسَانَ، فِي حَجَرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
..... وَحَدَّ الْمَرْأَةَ مَشْهُورَةً بِالزَّيْنِ وَالسَّرَّ وَالْعَقْلَ وَالْأَدَابَ، يَضْرِبُوا بِيهَا الْإِمْتَالَ فِي الصَّحْرَاءِ
الْجَزَائِرِيَّةِ؛ عُنُصُرُ الْجَمَالِ، مَنْ بَنِي هَلَالَ، زَوْجَةٌ دِيَابٌ بِعَالَمٍ، رَاجِلٌ كَيْسَ وَرَقْبَةٌ صَنْدِيدٌ، قَائِدٌ قُبَيْلٍ.
وَاحِدُ الْعَامِ أَيْبَسَ وَالصَّابِةَ مَا كَفَأَتْشُ الْخَلْقُ حَتَّى خَافَتْ النَّاسَ تَمُوتَ بِالْجُوعِ. وَسَمِعُوا فِي ثُوْنَسٍ
الْعَكْسَ رَبِّي اعْطَى خَيْرَاتَهُ، مَشَاوُ الْقَوَائِلَ يَعْنِي يُكِيلُوا الْحُبَّ، وَعَدُوا الشَّرِيفَ بَنَ هَاشِمَ طَامَعِينَ فِيهِ
مَا يَبْخَلُهُمْشُ. لِأَنَّ هُوَ سَامِعٌ بِرَاجِيَّةِ الْعَرَبِ " خَشَمَ الْعَقَابُ "؛ كَامِلَةُ الزَّيْنِ ... قَالَهُمْ "تَعْطِيكُمْ
الْقَمْحَ قَدْ اللَّيِّ بُغِيثُوا وَالْأَكْثَرُ ... بِالصَّحِّ مَا تَشْرُوهُشِي مَنِي بِالْمَالِ ... كِيلُوا مَا بُغِيثُوا لِأَنَّ
نَبْغِي ... رَاجِيَّةٌ وَالْحَدِيثُ قِيَّاسٌ!"

رَجَعُوا مَكْمَدِينَ يُشَاوَرُوا دِيَابَ زَوْجَهَا، وَعَارَفِينَهُ مَا شَيْ سَاهَلٌ، وَيَمُوتُ عَلَى رَاجِيَّةٍ يُحِبُّهَا كَيْمَا
مُمُوا الْعَيْنِ حَشَمًا الرَّجَالَ، وَاشْتَوَرُوا الرَّجَالَ وَرَسَلُوا نِسَاهُمْ دِيَابَ وَيَحْبَرُوهُ بِالِي كَانَ
اسْتَعْرَبَ دِيَابَ فِي الْوَقْدِ انْتَاعَ النِّسَاءِ غَيْرَ مُحْتَرَمَاتٍ كَبُرَ بِيَهُمْ دَبْحُ الْمُوَاشِي بِلَا حِسَابٍ وَقَدَّمَ
لَهُمُ الْقَوَاشِيَشُ ² وَالْمَوَاكِلَ عَلَى الْأَلْوَانِ وَالصِّيفَاتِ سَاكْتِينَ وَحَاطِينَ رِيْسَانَهُمْ، مَا كَلَاؤُ مَا
شَرِبُوا؛ مَا عَارَفِينَ كَيْفَاشُ يَقُولُوا لَدِيَابَ وَهُوَ رَاجِلٌ فُطِينٌ ... دَخَلَهُ الشَّكُّ ... وَتَيَقَّنَ بِالِي
النَّازِلَةَ عَظِيمَةً قَالَ لَهُمْ غَيْرَ مَا تَهْتَمُوشُ أَلِي كَانَ قَوْلُهُ، نُدِيرُكُمْ عَلَى الرَّسِّ وَالْعَيْنِ ...
وَتَشْهَقُ وَحَدَّةَ بِالْبِكَاءِ وَ تَقُولُ " اِحْنَا وَ اَوْلَادَنَا رَاجِحِينَ يُضِيعُوا بِالشَّرِّ وَ الشَّرِيفُ بَنُو هَاشِمَ
الظَّلَامَ،... رَاجِيَّةٌ ... هَاهُوَ الْكَلَامُ!

حَطَّ رَاسَهُ دِيَابَ وَهُوَ غَايَسٌ يُحَمَّمُ وَالنِّسَاءُ يَسْتَنَّاوُ فِيهِ وَخَائِفِينَ وَاشُ يَقُولُ. "حَتَّى رَافَدَ رَاسَهُ الرَّاجِلُ
الزَّيْنِ وَحَيْرُهُمْ بِاَوْجَابٍ: " هُوَ طَالِبُ الْمُوَحَالَ، لِأَنَّ الشَّعْبَ ضَايَعِ رَجَالَ وَنِسَاءً وَأَطْفَالَ ... كَيْمَا
قَدَّرَ رَبِّي نَعْطُوهُ مَا طَلَبُ ... "لِلضَّرُورَةِ أَحْكَامٌ...!"
وَمُشَاتُ رَاجِيَّةٌ حَازِنَةٌ وَحَازِنٌ عَلَيْهَا دِيَابٌ ...

سَانْتِينٌ وَهِيَ عِنْدَ الشَّرِيفِ بَنُو هَاشِمَ فِي ثُوْنَسٍ مَعْرُورَةٌ يُحِبُّهَا كِي عَيْنِيَّةٌ مَا سَايَلِشُ ³ كَامِلٌ
عَلَى الْحَرَائِمِ الْآخِرِينَ؛ لِأَنَّ هِيَ عَيْنِيَّةٌ مَا لَقَاتِشُ عَيْنِيَّةٌ: عَقْلَهَا طَائِرٌ غَيْرٌ مَعَ دِيَابَ وَمَتَوْحَشَةَ
الْوَطَنَ الْعَزِيزُ وَالنِّسَاءُ الزَّيْنِيْنَ وَالصَّحْرَاءَ وَبِلَادَ الْقَيْبَارِ أَلِي غَنَى عَلَيْهَا الشَّاعِرُ ...

¹ حكاية شعبية من مدونة محمد بلحفاوي، وهران

² القواشيش : اللحم المشوي

³ ماسايلش : لم يعرهن اهتمام

يَوْمَ مِنَ الْآيَامِ مَا صَبَرْتُشْ وَهَرَيْتُ مَعَ الْقَافِلَةِ وَلَحَقْتُ بِنَاسِهَا، لَأَكُنْ دِيَابَ مَنْ سُوءَ الْحَظِّ
كَانَ غَائِبٌ وَلَحَقَهَا الشَّرِيفُ بِالْجِيُوشِ وَعَلَبَ عَلَى النَّسِ دِيَابَ دِيَابَ فِي غَيْبَةٍ قَائِدُهُمْ وَأَسْعَى رَاجِيَةً
وَرَدَّهَا مَعَاهُ ... هِيَ عَارِفَةٌ دِيَابَ كَيْسَمَعُ مَنِينٌ يَرْجَعُ مِنَ الصِّيِّدِ مَا كَانَ أَلَا يُطِيرُ عَقْلَهُ وَبِجِي
يَسْلُكُهَا وَتُقْبِسُ رُوحَهَا مِنْ فَوْقِ الْعُطُوشِ بَاشَ تَبْطِيهِمْ وَيَلْحَقُ عَلَيْهِمْ دِيَابَ ... وَيَتَحَبَّلُوا شَعُورَهَا مَعَ
السَّدْرَةِ¹، وَيَنْزِلُ شَرِيفٌ مِنْ عَوْدِهِ وَيَسَلُّ السِّيفَ وَيَقُولُ لِلْحَدَامِ: "تَسْلُكُوا سُؤَالَفَ رَاجِيَةَ شَعْرَةَ
بُشَعْرَةَ، وَالْحَرَامَ يَالِي يَفْطَعُ شَعْرَةَ مِنْ رَأْسِ رَاجِيَةَ، نَقَطَعَ رَأْسَهُ هُوَ الْبَعِيدُ! ... لَأَكُنَ الْمَسَافَةَ طَوِيلَةَ
وَدِيَابَ مَا لِحَفْشُ ... وَدَخَلْتُ رَاجِيَةَ لْتُؤَسَ مَكْمَدَةَ وَالْقَلْبُ حَزِينٌ ... حَتَّى قَابَلْتَهَا الْحِيَلَةَ.

وَلِيلَةَ مِنَ اللَّيَالِي رَسَلْتُ لِلشَّرِيفِ زَعْمًا بَاطِيَةً تَقْصِرُ مَعَاهُ وَيَلْعَبُوا الشَّطْرَنْجَ ... وَهُوَ قَلْبُهُ
طَائِرٌ بِالْفَرْحَةِ لَمَّا رَاجِيَةَ رَضَاتٌ عَلَيْهِ ... قَالَتْ تَلْعَبُوا بِالشَّطْرَنْجِ. قَالَ لَهَا عَلَى الرَّاسِ وَالْعَيْنِ.
قَالَتْ لَهُ: " أَلِي يَغْلَبُ يَطْلُبُ مِنَ الْآخَرِ وَاشْ يَحِبُّ. قَالَ قَابِلٌ. مَا عَرَفَهَا شَ حَدَّ مَا يُطِيقُ عَلَيْهَا
فِي لَعْبِ الشَّطْرَنْجِ وَتَحْلِيهِ الْمَرَّةَ الْأُولَى يَرِيحُ؛ وَتَقُولُ اطْلُبْ وَاشْ بَغِيَتْ ... هَا مِنْ هُبَالِهِ قَالَ نَبْغِي
نُشُوفُ بَدَنِكَ عَرِيَانٌ مَرَّةً فِي دُنَيْتِي هَذِي عَامِينَ وَأَنَا مَنَّهُ مَحْرُومٌ، وَتَنْزَعُ النِّيَابَ رَاجِيَةَ وَتَهْزُ
شَعُورَهَا عَطَاوَهَا مِنَ الرَّاسِ حَتَّى لِلرَّجْلَيْنِ، وَحَابَ الشَّرِيفِ مَسْكِينٌ ... وَزَادُوا اللَّعْبَةَ الثَّانِيَةَ غَلْبَاتَهُ
... قَالَ اطْلُبِي يَا رَاجِيَةَ أَلِي بَغِيْتِي مَقْبُولٌ ... " قَالَتْ لَهُ نَبْغِي نُزُورُ نَاسِي وَالْفَيْلُ نُشُوفُ دِيَابَ
وَ... نَرْجِعُ مَعَاكَ ... قَالَ يَا رَاجِيَةَ " نُوفِي لَكَ؛ سَوْمَكَ الْغَالِي " ... لَأَكُنَ هَاتِي الْعَاهَدُ تَرْجِعِي
بَصْحِيحٌ ... قَالَتْ لَهُ مَا كَانَ أَلَا تَرْجَعُ ... وَتَرْفَدُ كَالْعَادَةِ بَيْنَ وُلْدَاتِي حَمْدَةَ وَاحْمَدَ ...

أَيَا تَهْتَى فِي خَاطِرِهِ وَأَمَرَ عَلَى الْقَافِلَةِ وَجَدُوهَا فِي الْحِينِ مِنْ كُلِّ مَا يَلْزَمُ وَسَارُوا شَوَارَ نَجْعِ
دِيَابَ. مُشَاوِشِي سَاعَةَ حَتَّى قَالَتْ رَاجِيَةَ نُسَيْبُ الْوَنَائِسِ وَالْمَسَائِسِ² أَمَرَ الشَّرِيفُ بِالرُّجُوعِ
وَتَطْلُبُ رَاجِيَةَ لِلْعُرْفَةِ لِلْعُرْفَةِ عَلَى الْمَسَائِسُ الْوَنَائِسِ دَارَتْهُمْ سَبَةٌ ... وَهِيَ غَيْرُ بَاشَ نُوفِي الْعَاهَدُ:
" اْمْتَدَّتْ بَيْنَ وُلْدَاتِهَا حَمْدَةَ وَاحْمَدُ رَافِدِينَ كَالْمَلَائِكَةِ وَهِيَ تَبْكِي وَتَشْهَقُ وَتُبُوسُ³ فِيهِمْ
وَتَقُولُ: " هَذَا عَاهَدُكُمْ وُلْدَاتِي رَانِي أَوْفِيَّتَهُ، لَا كَنْ عَمْرِي وَلَا نُشُوفُكُمْ مِنَ الْيَوْمِ عَلَى خَاطِرِ دِيَابَ
مَا كَانَ مَاعَزُ عِنْدِي مَنَّهُ فِي الدُّنْيَا " ... وَلَحَقْتُ بِالْقَافِلَةِ ... وَوَصَلُوا الْقَبِيلَ رَاجِيَةَ، وَحَلَفْتُ لَهُ
بِالْيَمِينِ مَا تَرْجَعُ مَعَاهُ وَحَكَاتُ لَهُ كَيْفَاهُ وَفَاتُ عَاهَدَهَا مَعَ حَمْدَةَ وَاحْمَدَ ... وَشَرِيفُ بَنُو هَاشِمٍ رَجَعَ
لِرَجْعِ لْتُؤَسَ مَكْمَدَ، حَتَّى مَاتَ بِالْوَحْشِ وَالْعَمَّةِ وَالتَّرْلِيحَةِ ...
وَهَذَا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالِي عَلَيْهِ شَيْ دَنْبٌ يَكْتُرُ الْاسْتِعْفَانَ .

¹ السدرة : نوع من النبات بالهضاب العليا

² المسائيس : سوار

³ تبوس : تقبل

4_ "المشحاح الكبير" ¹

فِي كِتَابِ الْبُخْلَاءِ لِلْجَاحِظِ، مَا كَانَ مَا حَلَى مِنْهَا. جَمَاعَةٌ انْتَاعَ الرِّجَالُ كَانُوا يَنْتَلِقُوا فِي اللَّيْلِ بَعْدَ الْعِشَاءِ بَاشَ يَفْصُرُوا. وَاحِدٌ يَفْرَأُ أَلْفَ لَيْلَةٍ، وَاحِدٌ يَغْنِي ... مَرَّةً يَنْحَاجَاوًا... الْحَاصِلُ بَاسْطِينَ لَا كَنْ مَوْلَى الدَّارِ شَوِيَّةَ مَشْحَاحٍ طَلَبَ كُلُّ مَنْهُمْ كُلُّ وَاحِدٌ يَدْفَعُ ذَرْهَمَ حَقِّ الزَّيْتِ انْتَاعَ الْقَنْدِيلِ ... هَذَا الشَّيْءُ فِي بَكْرِي زَمَانِ الْجَاحِظِ مَاتَ عَامَ 23 لِلْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ...بِالنِّيَّةِ، كُلُّ وَاحِدٌ وَيَدْفَعُ ذَلِكَ الدَّرْهَمَ حَقِّ الزَّيْتِ سِوَى وَاحِدٍ مِّنَ الْجَمَاعَةِ اشْتَكَى لَهُمْ : قَلَّةُ الشَّيْءِ، مَسْكِينٌ مَا عِنْدَهُمْ ...

صَحَّةٌ لِعُدْوَةٍ مِّنْ ذَلِكَ هُمَا مَقْصَرِينَ وَرَاهِيِينَ وَيَبُوضُ وَاحِدٌ الشَّحَّ انْتَاعَهُ مَا يَلَهُ حُدُو يَقُولُ لِمَا حَبَبْنَا: "وَاللَّهِ نَعْمُضْلُكَ عَيْنِيكَ بِهَذِهِ الْهِنْدِيَّةِ؛ اسْمَعْ إِذَا بُعِثْتُ، لَا كَنْ مَا خَلَصْتَشِي الزَّيْتِ، مَا تَشُوقُشْ، مَا عِنْدَكَ حَقٌّ فِي ضَوْ الْقَنْدِيلِ! وَالْحَدِيثُ قِيَاسٌ.

5_ "للكبَّار و الصغَار" ²

(أَمَّا الزُّهْرَةُ وَ... الْجَاحِظُ ثَانِي) كَاتَبَ عَظِيمٌ وَيَحِبُّ الْمَرَاحَ (وُ كَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يَمْرَحُ وَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا). الْحَاصِلُ حُكَايَةٌ بِالْفُصْحَى فِي كِتَابِ الْبُخْلَاءِ كَذَلِكَ وَاحِدٌ سَمِعْنَا قَسَمَهَا الْأُولَى بِالْعَامِيَةِ الْجَزَائِرِيَّةِ مِّنَ الْجَدَاتِ وَالْأُمَّهَاتِ.

رَاجِلٌ مَسْكِينٌ هُوَ وَرَوَّجَتْهُ يَدِيرُوا ارْوَاحَهُمْ كَالِي مَدَابِرِينَ³؛ وَهُوَ مَحْسُوبٌ يَضْرِبُ فِيهَا - بِالنَّخِ- وَهِيَ تَرْقِي⁴ - بِالنَّخِ- : نُرُوحٌ عِنْدَ أَمَّا بَرْكَانِي مَنَّاكَ.... الخ. عَلَى خَاطَرٍ مَسَاكِينٍ جِيَاعٍ، بَلَاءٌ عِشَاءً، وَجِيرَانُهُمْ مَوْجُودِينَ وَاحِدٌ كَسْكَسِي سُلْطَنِي بِالْجَاجِ مِّنْ قَبْلِ النُّفَاسِ؛ مَوْلَاتُ الدَّارِ زِيدَتْ⁵ وَلِيدٌ... أَيَا، وَيَخْرُجُ السَّيِّدُ بُو الْمَرْيُودُ وَيَحْلَفُ لِجَارِهِ يُجِي هُوَ وَالْمَحْلُوقَةُ اضْيَافٌ وَيَصَلُّحُوا بَيْنَاتُهُمْ بِالنِّيَّةِ، الْأَخْرِينَ هَكَذَاكَ كَانُوا بَاغِيِينَ. وَكِي انْحَطَّ الطَّعَامُ بِالْحَاجَةِ فِيهَا مَحْنَةً، مَوْلِينَ الدَّارِ يَقُولُوا لِلضَّيْفَةِ تُقَسِّمُ.... أَيَا وَتَبْدَا: الْعُنُوقُ اللَّيْ جَابُوا مِّنَ السُّوقِ، وَالْقَائِنَةُ لِلنَّافِسَةِ، وَالْجَنِيحَاتُ

¹ حكاية شعبية من مدونة محمد بلحفاوي، وهران

² حكاية شعبية من مدونة محمد بلحفاوي، وهران

³ مدبرين : متخصصين

⁴ ترقى : تصرخ

⁵ زيدت : وضعت مولودا

لِلْبَنِيَّاتِ زُوجَ وَالرَّجِيَلَاتِ لِلْوَالِدَاتِ زُوجَ، وَالْقَحْمُوزُ لِلْعُجُوزِ (حَاشَى مَنْ يَسْمَعُ) وَالْفَخْدُ لِلرَّاجِلِ
الْمُسْتَعَاظِ وَالصَّنْدَرُ لِلصَّنْدَرِ الْهَمُومِ (يَعْنِي هِيَ)...

أَمَّا الْجَاحِظُ جَانِبَهَا حِكَايَتَيْنِ فِي حِكَايَةِ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ يُشَبِّهُ لِحِكَايَةِ أَمَّا الرَّهْزَةُ، سِوَى الضَّيْفِ
بَدْوِي عِنْدَ الْحَضَرِ وَيَقُولُوهُ " أَقْسَمَ بَيْنَنَا ".... يَعْمَلُ بَرُوحًا يَحْمَمُ وَيَبْدَأُ: " الرَّاسُ الرَّاسُ، وَالْقَمْرُ
لِلْعُجُوزِ الْجَنَحَانِ لِلْبَنِيَّتَيْنِ وَالرَّجْلَانِ لِلْوَالِدَيْنِ، وَالرُّوزُ يَعْنِي الصَّنْدَرُ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ الْأَمْرُ الدِّيكُ
بِأَجْمَلِهِ) ... وَالرُّوزُ الزَّائِرُ....

وَالْمَعْرُوفُ أَنْ " ضَيْفُ رَبِّي تَلَّتْ أَيَّامٌ ". فِي اللَّيْلَةِ يَقُولُ مَلَى الدَّارِ لِلزَّوْجَةِ: ضَيْفُنَا وَكَأَلْ...
نُشَوُّوْا كَامِلَ الْجَاجِ اللَّيِّ فِي السَّجْنَةِ¹ نُطَيِّبُوهُ... وَيُصَيِّبُوا حَمْسَ جَاجَاتٍ ... وَعِنْدَ الْعِشَاءِ طَلَبُوا
مَنْ الْبَدْوِي يَقْسَمُ -عِي لَآ لَآ، لَآ لَآ... أَرَا حَاحَ... الخ...

قَالُوا لَوْ: " مَا كَانَ إِلَّا تَقْسَمُ أَنْ شَاءَ اللَّهُ ... " صَحَّةٌ ... قَالَ لَهُمْ: " بِالْقَرْدِ² وَلَا بِالزُّوجِ؟ "

كَيْمَا جَاتِ، قَالَ مُوَلَى الدَّارِ: " بِالْقَرْدِ " وَيَعْمَلُ بَرُوحًا يَحْمَمُ وَيَقُولُ: أَلَا وَوَلَادُ زُوجٍ مَعَ
جَلْجَلَةٍ ثَلَاثَةٍ. الْبَنِيَّاتِ زُوجٍ مَعَ جَاجَةٍ، ثَلَاثَةٍ، وَرَبُّ الْبَيْتِ وَالزَّوْجَةُ الْمُحْتَرَمَةُ مَعَ جَاجَةٍ، ثَلَاثَةٍ...
وَالْعَبْدُ الضَّعِيفُ مَعَ زُوجٍ جَاجَاتِ، ثَلَاثَةٍ وَيَطْرَظُّوْا كَامِلًا بِالضَّحْكَ، لِأَنَّ مُوَلَى الدَّارِ يَبْغِي تَأْنِي
الْمَزَاحِ، الْبَنِيَّاتِ زُوجٍ وَيَمَاهُمُ مَعَ جَاجَةٍ، يُجُو رِنْعَةً، وَالْوَالِدَاتِ زُوجٍ مَعَ رَبِّ الْبَيْتِ وَجَاجَةٍ يُجُو
رِنْعَةً، وَتُلْتُ جَاجَاتِ مَعَ الضَّيْفِ، رِنْعَةً كَذَلِكَ أَيَا شَبِعُوا ضَحْكَ وَقَالَ لَهُ مُوَلَى الدَّارِ الشَّاهِيَّةِ
طَيِّبَةً! وَهِيَ مَشَاتٌ تَتَكَرَّبُ وَأَنَا جِيْتُ فِي الْمَرْكَبِ.

6_ " زَيْنَبُ وَمَعَالِيَةُ السَّبْعِ " ³

كَانَ يَأْمَانُ، فِي بَكْرِي الزَّمَانِ؛ وَالْحَبِيقُ⁴ وَالسَّيْسَانُ فِي حَجْرِ النَّبِيِّ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.
الْحَاصِلُ وَأَشْ صَارَ بُوْحَدُ الْمَخْلُوقِ كَانَ قَاعُ الْعَابَةِ، مَاشِي يَزُورُ بِنْتَهُ نَهَارَ الْعِيدِ بِنْتَهُ اسْمُهَا زَيْنَبُ
هُوَ يَنْمَشِي، حَتَّى شَابَ الْعِبَايَةَ انْتَاعَهُ شَوِي مَقْطَعَةَ التَّحْتِ. قَالَ لَآ بَدَّ نَرْفَعَهَا... شُوفِ أَنْتِ!
عِبَايَةَ جَدِيدَةً، هَذِي سَدْرَةٌ وَلَا وَاشْ. اللَّهُمَّ نَقْعُدْ عَلَى هَذِي الْحَجْرَةَ وَنَخِيطُ الْعِبَايَةَ، جَبْدُ الْإِبْرَةِ
وَالْخِيطُ مَنْ شَاشِيَّتَهُ وَيَدَا يَرْقَعُ... إلَّا حَتَّى... يَنْقَلَبُ عَلَى كَفِّهِ وَيُطْبِحَهُ يَا لَطِيفُ فِي مَطْمُورَةٍ مَا
شَافَهَا شَ وَقَتُ اللَّيِّ قَعْدُ عَلَى الْحَجْرَةَ، وَهِيَ عَلَى حَاشِيَّتِهِ الْحَفْرَةَ مَا اغْمَقَهَا هُوَ هَكَذَاكَ فِي الظُّلْمَاءِ

¹ السجنة : مكان يوضع فيه الدجاج

² بالفرد : أي فردي

³ حكاية شعبية من مدونة محمد بلحفاوي، وهران

⁴ الحبق: نبات عطري أو الريحان

وَمَقَرَّدَ مَنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَهُوَ شَافٌ فُبَالْتَهَ... كَالِي عَرَقٍ طَوِيلٍ انْتَاغَ شَجَرَةَ مَدْلِي، أَيَا قَالَ أَنَا تَشَبَّطُ فِيهِ، وَتَتَعَلَّقُ مَعَ الْحَيْطِ وَتَخْرُجُ... أَيَا! يَا بُوَيَا خِي! وَتَرْتَفَعُ بِيَهُ وَحَدُّ الْبَاعِيئَةِ وَتَرْمِيهِ لِبْرَا. الرَّاجِلُ مَسْكِينٌ مَخْلُوعٌ، مَا عَارَفَ وَاشٌ صَرَى لَهُ وَيَطِيحُ وَيُنُوضُ... وَيَقُولُ: " كِي طَرَى لِي؟ وَاشْ هَذَاكَ عَادِي هَارَبْ؟ أَيَا رِي! سَبَعُ يَاسْتَار! سَبَعُ بَن سَبَع!....

يَعْنِي، كِي طَاخَ حَيَّنَا فِي الْمَطْمُورَةِ¹، كَانَ ذَلِكَ السَّبَعُ يُشْمَسَمُ وَيَصْنَطَادُ...هَا... جَاءَ رِيحٌ عَلَى شَافَةِ الْمَطْمُورَةِ... بِالْنِيَّةِ...هَا كَعَالَتَهُ² ادَلَاتٌ مَعَ حَيْطِ الْمَطْمُورَةِ. وَالظَّلْمَاءُ تَعْمِي... الرَّاجِلُ شَافٌ ذِيكَ الْحَاجَةَ الطَّوِيلَةَ مَدْلِيَّةً، حُسْبَهَا عَرَقٌ انْتَاغَ شَجَرَةَ! زَيْطٌ فِيهَا وَيَعْنَى يَطْلَعُ مَعَ الْحَيْطِ الْمَطْمُورَةِ؟ السَّبَعُ جَاتَهُ الدَّعْوَةُ غُرْبِيَّةً، وَ ذِيكَ الْحَاجَةَ تَجِدُ فِيهِ، جَاتَهُ ثَقِيلَةً بَرَأَفَ. خَافَ عَلَى رَاسِهِ...أَيَا، أَيَا يَرْتَعَدُ وَيَنْتَقِلُ وَيُقَيِّسُ الْمَخْلُوقَ بَرَا...هَا الرَّاجِلُ طَاخَ وَنَاضَ وَبَدَا يَصْطَفِقُ بِالْخَلْعَةِ...وَقَالَ يَابَن يَبْرَحُ، هَرَبَ عَلَى رَاسِهِ ثَانِي هُوَ... السَّبَعُ مَن جِهَتَهُ هَارَبَ، وَالرَّاجِلُ مَن الْجِهَةَ الْأُخْرَى هَارَبَ، مَزِيَّةَ اللَّي جَاتَهُ النِّيَشَارُ شَوَارَ دَارَ بَنْتَهُ زَيْنَبَ، هَا وَصَلُ مَيْتَ بِالْخُوفِ وَيَطْبَطِبُ وَيَرْجَفُ. وَهِيَ حَلَّتْ بَنْتَهُ الْبَابَ، وَدَهَشَتْ كِي شَافَتْهُ فِي ذِيكَ الْحَالَةِ يَرْتَجِفُ وَيُودُودُ، مَا عَرَفَ يَقُولُ كُلُّ شَيْءٍ بِالْمَقْلُوبِ " أ كَعَالَةَ بَنْتِي! مَا أَحْتَاهَا! وَ مَا اغْظَهَا وَ مَا اطْوَلَهَا! وَالظَّلْمَاءُ وَالْكَلْبُ أَعْمَى مَا عَرَفْتَهَا وَاشْ! تَعَدْنِي عَرَقُ! أ كَعَالَةَ بَنْتِي! وَاي، وَاي! فَرَشِي الْخُبْرَ نَعَطِيكَ الْحَصِيرَةَ، وَمَا اطْوَلَةَ بَزِينَبَ أ كَعَالَةَ بَنْتِي! وَأَنَا قَاعَدُ عَلَى عِبَائِي وَتَرَقَعُ فِي الْحَجَرَةِ... هَا... مَطْمَرْتُ فِي الطِّيْحَةِ وَزَيْنَبُ انْتَاغَ مَدْلِيَّةَ هَاكَ...و...و...، حَسْبْتُهَا عَرَقُ...الخ. أ كَعَالَةَ بَنْتِي!.

7_ " الْقَطِيطُ وَ الْفُوَيْرُ"³

مَا خَرَفْتَكُمْ وَمَا خَرَفْتَكُمْ غَيْرَ عَلَى وَاحِدِ الْقَطِيطِ مَعَ وَاحِدِ الْفُوَيْرِ⁴.

يَوْمَ مَن الْإَيَّامِ وَاحِدِ الْفُوَيْرِ قَالَ لِأَمَةِ: " أَنَا رَانِي كُبْرْتُ، خَلِينِي نَخْرُجُ نَلْعَبُ وَحَدِي بَرَكَانِي مَا مَسْجُونٌ دَائِمًا فِي الْعَارِ "يَعْنِي لَمَا كَانَ صَغِيرًا، كَانَتْ أُمُّهُ خَائِفَةً عَلَيْهِ وَحَارَجَتَهُ. خَائِفَةً عَلَيْهِ مَن الْمُصَايِبِ، وَلَا سِيمَا مَن الْقَطِّ غَيْرَ يُشَوِّفُهُ يُطِيرُ عَلَيْهِ يَأْكُلُهُ لَا كِنَ مَا شَافَتْ وَلِيَدَهَا كُبْرُ شَوِي وَيَعْنَى يَخْرُجُ يَصْنَطَادُ عَلَى رَاسِهِ، قَالَتْ لَهُ: " بِالْنِيَّةِ، لَا كَنَ مَا تَبَطَّاشُ، وَحَرَزُ رُوحَكَ مَن الْقَطِّ، مَا عَنَدْنَا عَدُوَّ كَيْفَهُ... " الْفُوَيْرُ خَرَجَ فَرَحَانٌ وَتَايَهُ؛ صَارَ لَكَ رَاجِلٌ وَيَخْرُجُ وَحَدَهُ. يُنْقَرُ هُنَا وَهَنَّاكَ.

¹ المطمورة: حفرة غامقة يوضع بها القمح

² كعالتة: الذيل

³ حكاية شعبية من مدونة محمد بلحفاوي، وهران

⁴ فوير: فأر صغير

مَرَّةً يَجْرِي مَرَّةً يَحْبَسُ، وَيَرْفَدُ رَأْسَهُ وَيُشُوفُ يَمِينًا وَيَسَارًا، وَيَزِيدُ يَدَيْ طُولًا وَيَرْجَعُ يَدَيْ وَرَاحِي لَلْحَدِّ. هَا بِالنِّيَّةِ هُوَ هَكَذَاكَ بِالْفَرَحَةِ حَتَّى لَقِيَ وَحَدَّ الْقَطِيطِ صَغِيرًا صَغِيرًا، حَتَّى هُوَ ذَاكَ نَهَارَهُ الْأَوَّلَ اللَّيْلِي يَخْرُجُ فِيهِ. هُوَ شَافَ الْفُوَيْرَ وَهُوَ قَالَ:

" يَا رَبِّي! مَا أَرِيئَهُ! " وَجَرَى لِيَهُ قَالَ لَهُ الْفُوَيْرُ: " أَيَا نَلْعَبُوا " قَالَ لَهُ الْقَطِيطُ: مَا ذَابِي! وَ صَارُوا مَثَلًا عَيْنًا. هَذَا يَجْرِي وَرَاءَ الْأَخْرُ.

مَرَّةً يَتَعَاظَرُوا؛ مَرَّةً هَذَا يَعْضُ الْأَخْرُ مَنْ وَدْنَهُ وَلَا مَنْ كَعَالَتَهُ، وَعَاجِبُهُمُ الْحَالُ حَتَّى نَسَاوًا كُلَّ شَيْءٍ ... حَتَّى لِلْمَغْرَبِ لَمَّا قَرَّبَ يُطِيحُ اللَّيْلُ الْفُوَيْرَ قَالَ لِلْقَطِيطِ: " الْآنَ بَرَكَاتٌ نُخَافُ أَمَّا تَرْقِي عَلِي، بَقَى عَلِي خَيْرٌ: " يَا خُسَارَةَ! بَقَى عَلِي خَيْرٌ! لَأَكُنَّ غَدْوَةَ الصَّبَاحِ ثَانِي نَتَلَقَاوُ كَيْمَا لِيَوْمٌ".

وَرَاخُ كُلِّ وَاحِدٍ لَدَارَهُمْ. الْفَارَةَ لَمَّا شَافَتْ وُلَيْدَهَا. طَارَتْ بِالْفَرَحَةِ: " وَبَيْنَ كُنْتُ خُوِي؟ وَ أَنَا خَائِفَةٌ عَلَيْكَ، طَوَالَ النَّهَارِ مَا ظَهَرْتُشْ؟ " قَالَ لَهَا الْفُوَيْرُ: " لَوْ كَانَ نَحْكِي لَكَ! لَقَيْتُ وَحَدَّ الرَّفِيقِ، طُولَ النَّهَارِ وَاحِنًا نَلْعَبُوا لَوْ كَانَ تَشُوفِي يَا أَمَا، كَطَرِيفٍ وَكَزِينٍ وَاشْحَالَ يَدْخُلُ فِي الْقَلْبِ! إِمَالِي كِنُخْرَجُ مَنَا وَرَايْحِ، مَا نُكُوشِي وَحَدِي عِنْدِي مَعَ مَنْ نَلْعَبُ مِنَ الصَّبَاحِ حَتَّى اللَّيْلِ....".

قَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: " مَلِيحٌ، أَوْصِفْ لِي صَاحِبَكَ هَذَا ؛ كَيْعَامَلْ؟ " قَالَ لَهَا " وَبَاكَ شُوِي كَبِيرٌ عَلِي، لَا كُنْ مَا شِي بَرَأَفٌ... وَ رُوَيْسَهُ كَبِيرٌ، وَ شَعْرَهُ ارْطَبُ كِي الْحَرِيرِ وَاصْفَرُّ، وَكَعَالَتَهُ طَوِيلَةٌ وَغَلِيظَةٌ، وَمَا يَرْقِيشُ¹ كَيْفَنَا، يَعْملُ: مَيَاوُ مَيَاوُ، وَالآ: مَعْوَا مَعْوَا الْفَارَةَ غَيْرَ رَبِّي نَعَاشَاتُ ... مَرَقَاتُ مَنْ شَقَافَ رَأْسَهَا: " يَا حَافِظُ، يَا حَافِظُ!...".

وَيَا يَا كُلُونَا! وَصَارَتْ تَرْتَعُدُ " يَا حَبِيبِي هَذَاكَ قَطُ. رَبِّي سَلَكَكَ مَنَّهُ الْيَوْمَ، ظَنَيْتَهُ مَا زَالَ صَغِيرًا مَا يَعْرِفُشْ، احْرُزْ² رُوْحَكَ، عَمْرَكَ مَا تَقْرَبُهُ " الْفُوَيْرُ دَارَ لِبَابَاهُ، شَافَهُ يَضْحَكُ، يَضْحَكُ، وَ قَالَ لَهُ: إِيَهُ يَاوُلْدِي، مَا عِنْدَنَا غَدُو كَيْفَ الْقَطُ، اسْمَعْ كَلَامَ يَمَاكَ، بَقَى هُنَا مَخْرُونٌ خَيْرٌ لَكَ "....

بِالنِّيَّةِ: نُرُوْحُوا لِلْقَطِيطِ لَمَّا ارْجَعَ لَدَارَهُمْ، حَتَّى هُوَ صَابَ أُمُّهُ خَائِفَةٌ عَلَيْهِ، وَسَالَهُ غَلَّاشٌ بَطَا ذِيكَ الْبَطِيَّةَ كَامَلَةً، وَيَقُولُ لَهَا قَطِيطْنَا: " يَا أَمِيْمَتِي، لَوْ كَانَ تَشُوفِي لَقَيْتُ وَاحِدَ الرَّفِيقِ، مَا أَرِيئَهُ مَا اصْغَرَهُ، مَا اظْرَفَهُ! اشْحَالَ لَعَبْنَا وَاشْحَالَ تَسَابَقْنَا وَاشْحَالَ تَعَارَكْنَا، يُعْضَنِي يُطِيحَنِي وَنُطِيحَهُ، الْحَاصِلُ طَوَالَ النَّهَارِ مَثَلًا عَيْنًا! مَرِيَّة! رَانِي صَبَبْتُ رَفِيقٌ، لَمَّا نَخْرَجُ مَا نَبْقَاشُ وَحَدِي

¹ مايزقيش: الصراخ

² احرز: انتبه

قَالَتْ لَهُ يَمَاهُ: "كِعَامَلْ هَذَا الرَّفِيقُ الزَّيْنُ؟" قَالَ لَهَا: "وَيَا غَيْرِ صَغِيرِ، اصْغَرَ مِنِّي! وَكِعَالْتَهُ رَقِيقَةٌ رَقِيقَةٌ وَشَوِيَّ مَخْرَصَةٌ، وَ زُوْبِسَهُ مَا شَيْ مِكُورِ كِي رَاسِي، لَأَكُنْ عَلَيْهِ وَحْدَ الْخَرْطُومِ رَقِيقٌ وَوَذِيئَاتٌ صَعَارٌ وَمُنْقُوزِينَ، وَمَا يَرْقِيشُ كِيمَا أَحْنَا مِيَاوُ مِيَاوُ لَأَكُنْ غَيْرَ بِالْظَّرَافَةِ: "بَسْ بَسْ ..."

" يَا وَاحِدُ الْحَمَارِ، قَالَتْ لَهُ يَمَاهُ، وَ مَا كَلِيتْهُشْ! هَذَاكَ فَازَ وَخَلَاصُ، الْفُطُوطُ دِيمَا يَأْكُلُوا الْفِيرَانَ! خَلِيتَهُ مَشَى وَرَاكَ فَرَحَانَ بُرُوحَكَ! الْفُطِيطُ ". يَا مَسْكِينُ! عَلَّاشُ نَأْكَلُهُ؟ وَمَعَّ مَنْ نَلْعَبُ؟ وَهَاهُوَ سَمَعُ بَابَاهُ يَضْحَكُ وَ يَقُولُ لَهُ: اسْمَعْ رَايَ يَمَاكَ أَوْلِيدِي؛ أَلِي مَا يَسْمَعُشُ رَايَ كُبِيرَهُ الْهَمَّ تَدْبِيرَهُ؛ الْفُطُوطُ يَأْكُلُوا الْفِيرَانَ مِنْ أَوَّلِ الزَّمَانِ؛ غَدْوَةٌ تُشَوْفُكَ إِذَا عِنْدَ رُوحِكَ وَلَا لَا. غَيْرُ يَقْرَبُ مَنكَ طِيرٌ عَلَيْهِ وَظَهَرَ رُوحَكَ بَلِي قَطُّ انْتَاغَ الصَّحِّ ..."

بِالنِّيَّةِ لَمَّا اصْبَحَ الصَّبَاحُ، وَمَنْ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ يَرْخِ خُرْجَ الْفُطِيطُ يَبْحَثُ عَنِ الْفُوَيْرِ. لَا كُنْ مَا صَابَهُ¹ لَا فِي حَوْشٍ، وَ لَا فِي طَرِيقٍ؛ شَافَ هُنَا شَافَ هُنَاكَ، مَا كُنْ فُوَيْرٌ هُوَ دَنَقٌ مَلِيحٌ وَحَقَقٌ وَرَاءَ وَحْدَ الْغُوَيْرِ صَغِيرِ، وَهُوَ عَقْلٌ غَيْرُ عُوْبِيَّاتَهُ يَلْمَعُوا قَالَ لَهُ: "صَبَاحُ الْخَيْرِ! هِيَ نَلْعَبُوا كِي الْبَارِحِ! لَا كُنْ الْفُوَيْرِ قَالَ لَهُ: "إِنْدَا أَلِي قَالُوهَا لَكَ بَابَاكَ وَيَمَاكَ، حَتَّى أَنَا قَالُوهَا لِي بَابَا وَيَمَا" هِيَ مُشَاتٌ حَرِيقٌ حَرِيقٌ؛ وَ أَنَا جِيتُ مَعَ الطَّرِيقِ.

8_ " رَا جِلْ بِلَا مُخْ "²

جَحَا... وَالْأَبْنُ سَكَرَانَ، وَالْأَبْنُ الدِّينُ خُوجَةَ، وَ الْآ مَن عُرْفَنَا كِيَسْمُوهُ الْآخِرِينَ، لَقِيَ وَحْدَ النَّهَارِ صَحَابَهُ مَاشِيْنَ الطَّرَادُ: الرَّمْحُ الدَّرَقَةُ، الْقَوْسُ وَالنَّشَاشَبُ فِي الْجَبِيرَةِ... آيَةٌ قَالَ لَهُمْ، الْخَيْرُ؟ - قَالُوا لَهُ: مَا شَيْنُ حَرْبٍ وَقَتَالٌ - قَالَ لَهُمْ: وَ اللَّهُ حَتَّى عَمْرِي وَ لَا شَفْتُ كَيْفِشُ يُكُونُ الْحَرْبُ وَالْقَتَالُ، حَقِّي وَبَاطِلِي نُجِي مَعَاكُمْ. قَالُوا لَهُ: بِسْمِ اللَّهِ مَرْحَبًا..... النَّشَابُ الْأَوَّلُ جَاءَ فِي جَبِينَهُ! جَابُوا لَهُ الطَّبِيبُ شَافَ فِيهِ مَلِيحٌ وَقَالَ لَهُمْ: " إِي! دَخَلَ لَهُ بَرَأْفٌ فِي الْعِظَمِ... إِذَا لَحَقَ الْمُخْ لَا شَكَا يَمُوتُ...."

جَحَا بَاسَ الطَّبِيبِ وَقَالَ لَهُ، غَيْرُ اجْبِدْهُ مَا لَحَقَ مُخْ.... وَيَضْحَكُ الطَّبِيبُ وَيَقُولُ لَهُ: أَنْتَ غَيْرُ اسْكُتْ، وَبِنِ اعْرِفْتَهُ مَا لَحَقَشُ لِلْمُخْ؟ - اللَّهُ اللَّهُ قَالَ لَهُ جَحَا، لَوْ كَانَ عِنْدِي الْمُخْ مَا نَجِي مَعَاهُمْ وَتَدَخَلَ رُوحِي فِي الْكُلُوفِ³ أَلِي بُعَادُ عَلِي؟.

¹ ماصبه: لم يجده

² حكاية شعبية من مدونة محمد بلحفاوي، وهران

³ كلوف: في الامور

9_ "مَزَاخُ جَحَا الْجَزَائِرِي" ¹

خُو "تَيْلٌ أَوْ بَنْشَقِيلٌ" الْبَلْجِيكِي

مَنْ قُوَّةَ اللَّيِّ اسْتَهَزَّ جَحَا (وَلَا "تَيْلٌ" ...) فِيهَا يُخْصُ الْحِيَلَاتُ وَالْمَزَاخُ وَالْمُضْحِكَاتُ، عَزَّ وَاحِدٌ الْإِنْسَانُ، أَحْسَبُ عَلَى رُوحِهِ حَيْلِي وَشَاطِرٌ، حَدَّ مَا يَقْدُ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُمْ: هَذَا جَحَا انْتَاعَكُمْ (وَلَا "تَيْلٌ" ...) نَمْشِي لَهُ حَتَّى لِلْبَلَادَةِ وَنَحْوَسُ عَلَيْهِ وَنَعْلَبُهُ وَيُنْحَزِي وَتَشُوفُوهَا. بِالنِّيَّةِ نَعْتُوا لَهُ الطَّرِيقَ وَرَاخٌ. هُوَ قَرَبٌ لِلْقَرْيَةِ اللَّيِّ سَاكِنٌ فِيهَا خَيْنًا وَيَشُوفُ رَاغِلٌ وَأَقْفٌ، ظَهْرُهُ لِلْحَيْطِ...سَالَهُ: " الرَّبِّي أَشْحَالُ بَاقِي لِي بَاشَ نَوْصَلُ لِلْمَدِينَةِ؟" الْآخَرَ قَالَ لَهُ: " أَمْشِي أَمْشِي، زَيْدُ أَمْشِي هَاكَ" الْمَسَافِرُ اسْتَعْرَبَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: "هَذَا بَهْلُولٌ رَانِي عَارَفٌ بِاللِّي نَمْشِي بَعِيْتَهُ يُقُولِي شَحَالُ مِنْ كِيلُو مِثْرٌ، وَلَا شَحَالُ وَقْتُ...". أَيَاوَهْرُ كِتَافَهُ وَزَادَ فِيهِ². وَيَلْغَى صَاحِبِنَا عِنْدَ الْحَيْطِ: "نَصْ سَاعَةٌ وَأَنْتَ وَصَلْتِ! - الْمَسَافِرُ: " يَا أَخِي سَاجِي! وَلِيَهُ مَا تَقُولُهَاشُ وَيَنْ عِنْدَ سَأْتَاكَ؟"

- هَا قَالَ لَهُ: بَعِيْتِ نَشُوفُ الْحَقَّةَ انْتَاعَكَ قَبْلُ، وَاحِدٌ تَقِيلُ يَلْزَمُهُ سَاعَةٌ، وَاحِدٌ خُفِيفٌ عَلَيْكَ يَلْزَمُهُ سَاعَةٌ، وَأَنْتَ عَلَى هَذِي السَّيْرَةِ قُولُ نَصْ سَاعَةٌ؛ كُلُّهَا عَلَى حُسَابِ سُرْعَتِهِ "... لَا كِنْ يَزْحَمُ وَالِدِيكَ وَاشْ رَايْحُ تَشُوفُ فِي ذِي الْبَلَادِ، مَا فِيهَا حَتَّى شَيْ يَعْجَبُ وَلَا يَنْدُكُرُ؟

- الْمَسَافِرُ: نُخْبِرُكَ اهْدُرُو لِي عَلَى وَحْدِ الشَّاطِرِ مَا كَانَ مِنْ يَقْدُ عَلَيْهِ، جَحَا يُسَمُوهُ (وَلَا تَيْلُ) وَجِيْتِ مَعُولٌ نُدِيرُهَا بِيَهُ أَنَا، عَلَى خَاطِرِ عَلَى خَاطِرِ كَسَرُوا لِي رَاسِي بَغْرَايِبِ³ وَشَطَارَتَهُ!

- آيَةٌ، قَالَ لَهُ الْآخَرَ أَلِي وَأَقْفَ مَعَ الْحَيْطِ؛ لَوْ كَانَ مَا شَيْ مُحْتَمَّةً عَلِيَا نَبْقَى شَادَ هَذَا الْحَيْطِ عَادِي يَرِيْبِ⁴، تَرَجَى فِي الْبِنَايِ يَجِي يَصْنَعُهُ وَيَمْتَنَّهُ، لَوْ كَانَ رُوحَتْ نَشُوفُ لَكَ عَلَى صَاحِبِ دَعْوَتِكَ، وَنُجِيْبِيهِ لَكَ، عَلَى خَاطِرِ مَا تَعْرِفُ لَا بِلَادَ وَلَا خُصِيْمِكَ.

- الْمَسَافِرُ: أَلَا هَذِي؟ سَاهَلَةٌ، إِذَا تُدِيرُ فِي هَذَا الْجَمِيلِ نَبْقَى فِي مَوْضَعِكَ نُشَدَّ لَكَ الْحَيْطُ حَتَّى تَرَجَعُ مَعَ خَيْنًا ... "أَيَا وَيَجِي يُوقِفُ فِي مَوْضَعِ الْآخَرَ عَلَى ظَهْرِهِ لِلْحَيْطِ، وَالْآخَرَ يُرُوحُ وَمَا يُوَلِّيشُ! وَيَبْقَى يَرِيْبِ حَتَّى فَاتَ إِنْسَانٌ عَجَلَانُ دَاخَلَ الْبِلَادَ وَيَلْغَى لَهُ الْمَسْكِينُ: يُرْحُو وَالْبِيكَ قُرْبُ نَسَالِكَ، عَلَى خَاطِرِ مَا تَقْدَرُشُ عَلِي الْحَيْطِ الْخُوفَ عَلَيْهِ يُطَيِّحُ، وَحَدَّ السَّيْدِ

¹ حكاية شعبية من مدونة محمد بلحفاوي، وهران

² وزاد فيه: انصرف

³ بغرايب: الغرائب

⁴ يريب: يسقط

مَسَى يُشُوف لِي جَحَا (وَلَا تَيْلُ) جِيثْ نَتَشَاخَنُ مَعَاهُ وَنُعْلِيهِ فِي الْحِيَلَاتِ وَالْمَرَاحِ، لَأَكُنَّ الرَّاجِلُ رَاخٌ وَمَا وَلَاشْ...."

أَيَا وَيْفَهَمُ الرَّاجِلُ النَّازِلَةَ وَيُطْرَقُ بِالضَّحْكَ وَيُقُولُ لَهُ: " حَقِي وَبَاطِلِي هَذَاكَ هُوَ جَحَا (وَلَا تَيْلُ) بَرُوحَه... هَذَا خُدَايمَه غَيْرَ رَجَعِ لِبِلَادِكَ، رَاكَ مَغْلُوبٌ قَبْلُ مَا تَدْخُلُ لِلْمَدِينِ، رُوحُ لُصُوالِحِكَ مَا تَشْقِيشْ¹ رُوحَكَ"...

وَهَذَا مَا دَامَنَ الْأَخْبَارُ وَاللِّي عِيَهْ شَيْءٌ ذَنْبٌ يَكْتَرُ الْإِسْتَعْفَاؤُ.

10_ " لُونَجْ مَوْلَاتِ سَبْعِ اسْوَالِفِ "²

مَا خَرَفْتُكُمْ وَمَا خَرَفْتُكُمْ.....غَيْرُ عَلِيٍّ وَحَدُّ الْبُنْتِ مَا كَانَ أَرِيْنَ مِنْهَا، سُبْحَانَ إِلِيٍّ خَلَقَهَا وَأَنْشَاهَا بِالرِّزِينِ، وَالْبَهَاءِ، وَالْحَاجِبِ وَالْعَيْنِ، وَالْحُرُوفِ وَالسَّالِفِ الطَّوِيلِ، وَكَحَلُو غَاَزِرُ³، بِحَيْثُ أَمَهَا بَعْدَ مَا تَمَشَّطَهُ لَهَا تَظْفَرُ مِنْهُ سَبْعَ أَظْفَائِرٍ، وَعَلَيْهَا بَاهُ سَمَاوَهَا نَاسُ الْحَوْمَةِ لُونَجَةَ مَوْلَاتِ سَبْعِ سْوَالِفِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ عَاجِبَاتُهُ وَيُقُولُ حُمُوسٌ عَلَيْهَا، اللَّهُ يَخْلِيهَا لَمِيْمَتِهَا وَلَاكُنْ مَعَ مَقَادِيرِ اللَّهِ، الْأَمِيْمَةِ هِيَ اللَّيِّ طَاحَتْ مَرِيضَةً وَأَنْزَادٌ عَلَيْهَا الضَّرَّ وَلَقَاتُ اللَّهِ.

الزُّوجُ وَاشْ يَدِيرُ؟ هَا حَزْنٌ وَتَأْسَفٌ شُهُورٌ... وَمَاكَانَ إِلَّا بَنِي حَيْمَتِهِ مَرَّةً أُخْرَى كَيْمَا يَقُولُوا يَعْني تَرْوِجُ... وَطَامَعٌ فِي الْمَخْلُوقَةِ إِلِيٍّ خَدَاهَا تَنْهَلِي لَهُ فِي الْبِنِيَّةِ وَتَعَامَلَهَا كَيْمَهَا، اللَّهُ..أَهْلُ الْخَيْرِ مِنْهُمْ بَرَّافٌ. وَأَمْرَاةُ الْبُوِّ كَثِيرٌ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا الْخَيْرُ وَالْمَحَنَّةُ عَلَيَّ وَوَلَادُ الْمَرْحُومَةِ...بِالصَّحْ، عَلَيَّ مَرَادُ اللَّهِ ذِيكَ الْمَخْلُوقَةَ مَا حَنَّ شَيْءٌ قَلْبَهَا عَلَيَّ الْيَتِيْمَةَ، وَصَارَتْ غَايِرَةً مِنْهَا عَلَيَّ زِينِهَا وَالنَّاسُ كَامِلٌ يَحْبُوبَهَا، وَبَدَاتُ تَكَرَّهَهَا كَيْمَا دَمَ الضَّرْسُ.... وَتَشُوفُ غَيْرَ كَيْفَاهُ تَنْحِيلِي عَلَيْهَا وَتَطْرُدُهَا مَنْ دَارَ بِأَبَاهَا.... هَا حَمَمَتْ وَنَقَبَصَتْ؛ حَتَّى وَرَأَلَهَا الشَّيْطَانُ الْمَلْعُونُ الطَّرِيقُ. دَارَتْ وَحَدُّ الْكُورَةِ انْتَاعُ الصُّوفِ غَزَلَتْ مِنْهَا حَيْطٌ فِي ثَلَاثَةِ أَوْ رَبْعَةِ مَعَازِلٍ، وَكُورَتْ ذَلِكَ الْخَيْطُ دَارَتْ مِنْهُ كُورَةٌ فِيهَا مَحَنَةٌ.

وَقَالَتْ لِلْبُنْتِ الصَّغِيرَةِ مَسْكِينَةَ وَنِيَّةً مَا تَعْرِفُ كُوعَهُ مَنْ بُوْعَهُ؛ وَ قَالَتْ لَهَا: يَا لُونَجَةَ بَنْتِي أَنَا نَسْدُو بَرْنُوسَ لُبُوكِ، كِنَكْمَلُوهُ وَيَلْبَسَهُ يَفْرَحُ بِبَيْكَ. نَقُولُهُ لُونَجَةَ عَاوَنْتَنِي هَا رَأْسُ الْخَيْطِ نَحْرَمَهُ مَعَ هَذَا الْمَلْرَمِ مَرْشُوقٌ فِي الْأَرْضِ، وَنَبِي شَدِي هَذِهِ الْكُورَةُ وَرُوجِي تَمَشِي وَسَمْسِرِي الْخَيْطُ وَدُورِي

¹ ماتشقيش روحك: لا تتعبي نفسك

² حكاية شعبية من مدونة محمد بلحفاوي، وهران

³ غازر: كنيف

الكورة، وَ تَمْشِي وَرَاحَةَ وَتَخْلِي فِي الْخَيْطِ وَتَمْشِي بِالْنِيَةِ عِنْدَ وِينِ تَكْمَلُ الْكُورَةَ هَذِي، هَذَاكَ هُوَ بَرْنُوسُ بَابَاكَ يُكُونُ وَجَدٌ

بَالْنِيَةِ مَشَاتُ الطَّلْفَةِ تَمْشِي، وَ تَدُورُ فِي الْكُورَةَ، وَتَسْمَسِرُ فِي الْخَيْطِ، وَ رَاحَةَ عَلَي نِيَّتْهَا ... وَالْكَورَةَ مَا كَانَ مَا احْتَى مِنْهَا، هَا ... قَطَعْتَ الْمَسْكِينَةَ الْعَابَةَ، وَخَرَجْتَ مِنْهَا، وَزَادَتْ تَمْشِي وَتُقُولُ فِي نَفْسِهَا، بُوِيَا يَفْرَحُ بِيَا كِيَكْمَلُ بَرْنُوسَهُ، حَتَّى جَاتُ الْمَغْرَبُ وَ بَدَا يَطْلَامُ الْحَالُ وَنُصِيبُ الْبِنْتُ رُوحَهَا وَبَيْنَ كَانَتْ ... هَا بَدَاتُ تَبْكِي ... وَحَسَبْتُ؛ وَذِيكَ الْكُورَةَ اللهُ يُعَافِي مَا زَالَ مَا كَمَلْتُ ... وَلُوجَةَ مَسْكِينَةَ خَائِفَةَ مَا تُشُوفُ هَاكَ، وَتَشُوفُ هَاكَ، "يَا رَبِّي وَبَيْنَ رَانِي؟" ... حَتَّى سَمَعْتُ امْرَأَةً تَغْنِي وَتَطْحَنُ فِي الْقَمْحِ التَّرْحِي الْحَسَّ أَنْتَاعَهَا يُطْرَشُ؛ وَالْمَرَاةُ تَغْنِي.

هَا بِالْنِيَةِ اسْتَأْنَسْتُ! اسْتَأْنَسْتُ، وَبَطَلْتُ الْبَكِي وَ تَبَعْتُ ذَلِكَ الْغَنَاءُ. حَتَّى تُوَسَّفَ وَحَدَّ الْمَرَا مَبِيئَةَ كِي الْجَبَلِ، أَلَا، نُقُولُ بِالْمَثِيلِ قَدْ الْفَيْلُ! مُشْرَعَةً¹ كَرَعِيهَا عَلَي الرَّحَى، وَ بَرَزَايِلْهَا كُلَّ وَحْدَةَ كِي الْمَخْدَةَ وَالْأَقُولُ مُطْرَحٌ وَمَا تُخَافُشُ بَاشْ مَا يَعْبُوهَاشُ فِي الطَّحِينِ، الْحَاصِلُ غُولَةَ وَالسَّلَامُ.

لُوجَةَ رَبِّي لَهُمَهَا، ذُوكَ الْبَرَزَايِلْ² فِي ظَهْرِ الْغُولَةَ، وَالْغُولَةَ مَشْغُولَةَ تَطْحَنُ وَتَغْنِي مَا فَاقْتَشُ بِالطَّلْفَةِ كِي نَفَاسْتُ³ عَلَي وَحَدَّ الْبَرَزَايِلْ وَ بَدَاتُ تَرْضَعُ، وَ تَرْضَعُ، وَتَرْضَعُ! هَا الْغُولَةَ فَهَمَّتُ النَّازِلَةَ، تَلْفَنْتُ، وَ نُقُولُ لِلْبِنْتُ: "إِبْرَنْ! دَرْتِيهَا بِيَا قُبَلْ مَا نُدِيرْهَا بِيَاكَ، دُورَكَ رَضْعَتِي حَلِيْبُ عَيْسَى وَمُوسَى وَصَرْتُ اخْتَمُّمُ، مَا نَقْدُشُ نَاكَلْكَ بِالصَّحِّ شُوفِي، رَاهُمْ يَلْعَبُوا بَرَا دَرُوكُ يَجُوبَا وَيَسْمُوَا رِيحَتَكَ وَيَبْعُوبَا يَأْكُلُوكُ، أَرْجِعِي اخْرَنِي⁴ هُنَا تَحْتُ الْقَصْعَةَ حَتَّى نَحْلِفَهُمْ يَعْطُونِي الْعَاهَدُ مَا يَأْدُرْكَشُ.

بَالْنِيَةِ، دَسْتَهَا تَحْتُ الْقَصْعَةَ وَرَجَعَتْ لِلطَّحِينِ؛ لَا كَنْ الطَّفَلُ الصَّغِيرُ مُولَا عَامِينِ، بَاقِي فِي الدَّارِ شَافَهَا. هُمَا جَاوُ عَيْسَى وَمُوسَى وَهُمَا بَدَاوُ يُشْمَشُمُوا وَيُقُولُوا: "رِيحَةَ الْقَصْرِي وَالْمَصْرِي وَالْعَرَبِي فِي الدَّارِ، يَا عَدَارُ!" قَالَتْ لَهُمْ أُمَّهُمْ: "مَا كَانَ عَرَبِي فِي الدَّارِ، الرِيحَةَ رَاهِي فِي نِيُوفِكُمْ مَا نَعْرِفُ مِنْين". وَالْعُولُ الصَّغِيرُ يَنْطِقُ وَيُقُولُ: "تَحْتُ الْقَصْعَةَ! تَحْتُ الْقَصْعَةَ! وَتُقُولُ لَهُ الْغُولَةَ: "اسْكَنْتُ أَنْتَ! اللهُ يَعْطِيكَ ضَرَسُ: "إِيهَ يَا أَمَا، بَاغِيَةَ تَغْنِي!" وَيَسْنُفُوا عَلَيْهَا" ... صَحَّةَ قَالَتْ لَهُمْ، مِنْين رَانَا فِيهَا؛ نُجِيكُمُ فِي الْحَقِّ رَاهِي بِنِيَةَ هُنَا، وَسَبَقْتِي بِلَا مَا نُشُوفَهَا رَضَعْتُ بَرُولْتِي مَنْ وِرَايَ فِي ظَهْرِي؛ صَارَتْ اخْتَمُّمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ، احْلُفُوا لِي وَاعْطُونِي الْعَاهَدُ صَحَّةَ وُلِيدَاتِي مَا تَمْسُوهَا مَا تَأْدُوهَا... "أَيَا نَعْلُو بَلِيْسُ، وَاعْطَاوُ لَأَمَّهُمُ الْعَاهَدُ بَلِي مَا يَتَعَادَاوُشُ عَلَيْهَا وَتُولِي اخْتَمُّمُ هَا تَهْنَاتُ

1 مشرعه: مفتوحة

2 البرازيل: الأتداء

3 نفاست: ألفت بنفسها

4 اخزني: اختبئي

الغولة وَرَفَدَتْ ذِيكَ الْقَصْعَةَ مَا احْتَاهَا قَصْعَةَ الْغَوَالِ، وَلُوْنَجَةَ خَرَجَتْ مَنْ تَحْتَهَا وَنَاضَتْ وَقَرَّبُوا لَهَا عَيْسَى وَمُوسَى وَبَاسُوهَا، كَالِي عَظُوهَا شَوِي بِالْحَرَارَةِ اللَّيِّ مَآكَلُوْهَاش. وَمَنْ ذَلِكَ الْيَوْمَ بَقَاثُ مَعَاهُمْ. مَا خَاصَهَا¹ خَيْرٌ تَأْكُلُ غَيْرَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الْأَزْرَاقِ وَ كَمَا نَقُولُوا أَحْنَا، تَشْرَبُ مِنَ الْخَاصَةِ وَتَرَقُدُ فِي الْفَرْمَةِ كِي الطَّيْرِ الْمَهْنِي يَنْقُرُ هُنَا وَيَطِيرُ لِهَيْه، فَارْحَ وَيَعْنِي؛ تَلْعَبُ مَعَ عَيْسَى وَمُوسَى، وَ مَرَاتُ تَخْرُجُ مَعَ الصَّغِيرِ فِي ذُرَاعِهَا تَلْعَبُ مَعَهُ كَبُرْتُ كَالِي بَنْتُ وَزِيرٌ وَلَا سُلْطَانَ، وَسَمَنْتُ وَزِيَانَتْ حَتَّى صَارَتْ مُوَلَاتٌ اِحْمَسْطَاعَشُ وَ لَا سَطَاعَشُ عَامٌ....

هِيَ هَكَذَاكَ حَتَّى خَرَجَتْ وَحَدَّهَا تَحْوَسُ فِي الْخَلَاءِ بَرَا وَالْغُولَةَ أُمَهَا غَائِبَةٌ وَحَتَّى وَاحِدًا مَا بَاقِي فِي الدَّارِ ...هَا بَعْدًا، وَتَشُوفُ وَحَدَّ الْفَارِسِ جَائِي مَقْرَبٌ لَهَا ... وَشَافُ فِيهَا مَلِيخٌ ... وَقَالَ لَهَا : السَّلَامُ وَعَلَيْكُمْ! أَنْتِ لُوْنَجَةُ؟ جَاوِبَاتُهُ بِالْآدَابِ: "وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، لَا كَنْ شَكُونُ اعْطَاكَ خَبْرِي؟

قَالَ لَهَا: "دَرَكُ نَحْكِيكَ كُلُّ شَيْءٍ بَاتَاءً وَالْبَاءُ ..وَايَا وَانزَلُ مِنَ الْعُودِ² وَبَقِيَ شَادُ الرَّحْنِ وَيَخْبِرُ فِيهَا، سَمَعْتُ الْعَجَبَ!

قَالَ لَهَا: "يَابَنْتُ النَّاسُ، كُنْتُ أَنَا وَرَفِيقِي نُصَيِّدُوا، حَتَّى مَكَنْتُ حَجَلَةً، طَاحَتْ عَلَيَّ التَّلْجُ...وَدَمَهَا سَاحُ شَوِي عَلَيَّ الرَّهْدَانُ هَاكَأكَ أَبْيَضُ اللَّهُ اللَّهُ ... هَا قُلْتُ أَنَا لَصْحَابِي: يَا إِلَيَّ أَخَذْتُ طِفْلَةً خُدُودَهَا بُوْضِينَ كِي هَذَا التَّلْجُ وَحَمْرِينَ كِي هَذَا الدَّمُ، أَلَا قَوْلُ رَبِّي نَعَمَ عَلَيْهِ، يَعْنِي الْجَنَّةَ فَوْقَ الْأَرْضِ. وَهُوَ قَالَ كَائِنَتَهُ، وَيُسَمُّوْهَا لُوْنَجَةَ مِلَّةً سَبْعَ سَوَآلِفَ خَبْرَهَا انْتَشَرَ وَمَعْرُوفَةٌ وَمَشْهُورَةٌ؛ لَا كَنْ مَرِيئَتِهَا الْغُولَةَ" قُلْتُ لَهَا أَنَا وَطَرِيقَهَا وَيْنُ؟" قَالَ لِي هَاكَ! وَنَعْتَلِي³ بَدَهُ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَأَنَا نَدْنَى عَلَيَّ عُوْدِي نَحْوَسُ عَلَيْكَ، هَذِي يُومِينُ وَ لَيْلَتَيْنِ لَا مَآكَلَةَ لَا شَرَابَ وَغَيْرَ شَفْتُكَ قَلْبِي خَبْرَنِي ... الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَيَّ نَهَارَ الْيَوْمِ، إِلَيَّ رَبِّي وَقَالِي الْمُرَادُ وَلَقَانِي بِيكَ...."

هَا لُوْنَجَةُ شَافَتْ فِيهِ ...وَوَظَهَرَ لَهَا مَا كَانَ مَا أَرَيْنُ مِنْهُ، وَزَادَ دَخَلَ فِي قَلْبِهَا الْكَلَامُ الْخُلُوُّ إِلَيَّ سَمَعَاتَهُ هَا الرَّاجِلُ عَجَبَهَا ... لَا كَنْ تَكَكَاتُ⁴ فِي الْحِينِ وَقَالَتْ لَهُ رَدَّ بِالْكَ؛ دَرُوكُ تَجِي أَمَا الْغُولَةَ وَتَأْكَلْكَ؛ رُوحٌ بَعِيدٌ بَعُودَكَ أَرِيظُهُ فِي الْغَابَةِ، وَرَجَعُ فِي الْحِينِ بَاشُ نَخْرُنْكَ مَشَى يَجْرِي رِيظُ عُوْدَهُ بَعِيدٌ فِي الْغَابَةِ وَرَجَعُ طَآيِرٌ بِالْفَرَحَةِ.. لُوْنَجَةُ رَفَدَتْ الْقَصْعَةَ مَقْفِيَةً⁵ وَخَرْنَاتَهُ

¹ خاصها: تحتاج

² العود: الحصان

³ نعتلي: مجهني

⁴ تكاكات: انتبهت

⁵ مقفية: مقلوبة

تَحْتَهَا وَقَعَدْتُ فُوقَهَا بَعْدًا عَلَى خَاطِرٍ شَافَتْ الْعُؤْلَةَ خَارِجَةً مِّنَ الْعَابَةِ وَتَجْرِي شَوَارِهَا.....: "...أم! رِيحَةَ الْفُصْرِيِّ وَالْمَصْرِيِّ وَالْعَرَبِيِّ فِي الدَّارِ، يَا الْغَدَا؟ قَالَتْ لَهَا لُونَجَةٌ: " وَاحِدُ السَّائِلِ¹ مَسْكِينٌ قَايَتْ مَنَا، أَعْطَيْتُ لَهْ شَوِي حُبْرُ، قَعَدَ بَعْدًا هُنَا عَلَى الْقِصْعَةِ وَكَلَا فِي عَرْضَه وَ رَاخ. ظَنَيْتُ هَذِيكَ رِيحَتَه رَاكِي شَمِيئِيهَا.

-أم...! قَالَتْ لَهَا الْعُؤْلَةَ. اَنْتِ بِنْتِي وَمَا نَكْدُبْكَش، لَا كَنُ وَاللَّهِ، شُو كِيْفَاشْ هَذِي الرِيحَةَ .. أَيَا وَمَشَاتِ الْعُؤْلَةَ تَرَقَّدَ سُوِيْعَةَ وَمَنْ بَعْدَ تَبْدَا تَشْحَزْ، وَبِيدُوا كَامِلُ الْهُوَايَشِ² أَلِي كَلَاثَهُمْ عَلَى طَرِيفِهَا فِي الْعَابَةِ، يَتْرَاقَاوَا، كُلُّ وَاحِدٌ بَصَوْتَه، وَكُلُّ طَيْرٍ يَلْغَى بَلْغَاهُ.

وَتَنُوضُ لُونَجَةً، تَرَقَّدَ الْقِصْعَةَ، وَتَقُولُ لَحِينَا. " أَيَا بِنَا نَجْرُوا حَتَّى لِلْعُودِ وَنَهْرُوَا. لَأَكُنْ رُوجِي أَنْتِي سَبْقِيْنِي وَدَرُوكَ نَلْحَقْكَ .. هُوَ مَشَى يَجْرِي وَهِي رِنَطَتْ الْحَتَّى لِلْمَوَاعِينِ كَامِلِينَ بَاشَ مَا يَخْبُرُوشَ وَجَرَاتٌ غَيْرُ فِي الْعَقْلِ، نَسَاتُ الْمَهْرَازُ وَالْكَلْبُ مَا رِنَطَتْ لَهْمَشُ ... وَلَحَقَتْ بِالْفَارَسِ، شَالَهَا بِيَدَه، جَاتُ وِرَاهُ وَ شَدَّتْ فِيهِ مَلِيحٌ وَزِيرَتْ بَاشَ مَا تُطِيحُشُ ..لُغُؤْلَةَ رَافِدَةَ، مَا دَارِيَةَ بَحْتِي شِي، وَالْمَوَاعِينِ كَامِلِينَ مَرْبُوطَةَ الْحَتَّى عَلَى فَمَهُمْ بَافِيَيْنِ سَاكْتِيْنِ.

الْكَلْبُ وَالْمَهْرَازُ، سَاعَةَ سَاعَةَ وَيَقُولُوا، دِي دِي لُونَجَةَ رَاَحَتْ، هُوَ هُوَ لُ وُنَجَةَ رَاَحَتْ..الْعُؤْلَةَ مَصْرُوعَةَ، غَيْرُ حِينُ وَلَا تَسْمَعُو، لَأَكُنْ كَثُرُوا عَلَيْهَا: دِي دِي لُونَجَةَ رَاَحَتْ، هُوَ هُوَ لُونَجَةَ رَاَحَتْ آخِرُ الْحَالِ نَاصَتْ وَبَدَاتُ تَدُورُ فِي الدَّارِ كِي الْمَكْلُوبَةَ، لُونَجَةَ لُونَجَةَ! وَبِنِ رَاكِي؟ ..

مَا كَانَ لُونَجَةَ ... أَيَا تَرَحَّلَ الْعُؤْلَةَ وَرَاهُمْ، عَلَى خَاطِرٍ شَمَتْ رِيحَتَهُمْ مِّنَ الْأَبْعَادِ، وَ تَجْرِي بِلَا عَقْلٍ...لُونَجَةَ بِنْتِي! غَدَرْتِيْنِي! وَتَجْرِي وَتَجْرِي، سَوَى الْهُوَايَشِ بَرَأَفَ فِي كَرَشِهَا مَتَقَلِيْنَهَا حَتَّى عَلَى كُلِّ حَالٍ لَحَقَتْ بِيَهُمْبَعْدًا وَهُمَا قَطَعُوا الْوَادَ أَيَا، وَالْعُؤْلَةَ تَضْرِبُ الْيَدَ فِي أَحْتِهَا وَتَقُولُ: "بِم! دَارُوهَا بِيَا قَبْلُ مَا نُدِيرَهَا بِيَهُمْ" لَا كَنُ قَلْبُهَا مَا خَلَهَاشُ، وَبَعَاتُ نُوصِيَهُمْ عَلَى خَاطِرٍ وَانْ كَانَ، لُونَجَةَ مَحْسُوبٌ بِنْتِهَا خَافَتْ عَلَيْهَا وَعَلَى رَفِيْفِهَا وَتَبْدَى تَلْغَى وَتَرَقِّي لَهُمْ:

" لُونَجَةَ بِنْتِي ! غَدَرْتِيْنِي، لَا كَنُ قَلْبِي مَا يُفُونَكُشُ نُوصِيَكُمْ وَاشْ مَا لُقِيْتُوا وَلَا شَفَقْتُوا فِي الطَّرِيقِ، مَا تَدْخُلُوشَ رُوحَكُمْ فِي الشَّيْ أَلِي مَا يَهْمَكَمَشُ! وَإِيَاكُمْ الْفُضُولِي أَلِي يَدْخُلُ رُوحَه الشَّيْ أَلِي بُعِيدٌ عَلَيْهِ مَا كَانَ أَلَا يَنْدَمُ ...! وَ يَاكُمْ...! "

لَأَكُنْ، هُمَا كَامِلٌ مَا سَالُوشَ عَلَيْهَا وَقَالُوا فِي هُوَايَتِهَا: " قُولِي أَلِي بُغِيْتِي، أَحْنَا دَرُوكَ سَلَكْنَا مَنَّا... دِيرِي وَصَايَتِكَ فِي رُوحِكَ ... وَزَدُوا يَدِنُوا الْعُودَ الْفَارَسُ فِي غَيْرِ الْعَقْلِ، وَ نُنَّا يُوصَلُ لُدَارَ بَابَه حَتَّى يُشُوفُوا رُوجَ عَقْبَانِ مَتَقَاتِلِينَوَالدَّمُ يَلْقَى الدَّمُلَأَكُنْ وَاحِدٌ فِيَهُمْ كَبِيرُ

¹ سائل : متسول

² الهوايش: الحيوانات

عَلَى الْأَخْرِ... وَمَعْلَبٌ عَلَيْهِ... وَرَايِحٌ بَعْدَمَا يَكْمَلُ عَلَيْهِ يَقْتَلُهُ.... وَالرَّاجِلُ آدَاهُ النِّيفُ، وَشَفَهُ الْعَقَابُ الصَّغِيرُ حَاقِرَهُ الْكَبِيرُ، قَالَ: "عَيْبٌ هَذَا الشَّيْءِ، الْحَقْرَةُ مَا هَيْشَ حَقَّ...." وَنَزَلَ نِينِي يُنْصِرُ فِي الْعَقَابِ الصَّغِيرِ وَيَطْرُدُ الْعَقَابَ الْكَبِيرَ، خَلَى الصَّغِيرُ، وَلَهَى بِالرَّاجِلِ رَفْدَهُ كَيْ الْقَطِيطُ تَحْتُ جَنَاحَهُ وَطَارَ بِيَهُ. خَلَعَهُ وَمَا احْتَاها.... وَلُؤْنَجَةٌ مَسْكِينَةٌ مَخْلُوعَةٌ أَكْثَرَ مَنَّهُ، حَتَّى قَالَ لَهَا، وَالْعَقَابُ طَائِرٌ بِيَهُ: "لُؤْنَجَةٌ أُخْتِي، خَلَى الْعُودُ بِيَدِيكَ، عَلَى خَاطِرٍ يَعْرِفُ الدَّارَ، خَلَى الرُّصْنَ عَلَى الْعَارَبِ... "وَيَعْلِي بِيَهُ الْعَقَابُ، وَيُعِيبُ عَلَى عَيْنَيْهَا.... هَا رَاحَتْ مَسْكِينَةٌ وَخَدَّهَا وَهِيَ تَبْكِي... حَتَّى وَصَلَ بِيهَا الْعُودُ لِلدَّارِ، وَ تُشَوِّفُ رَاجِلٌ شَايِبٌ عِنْدَ الْبَابِ، وَيَخَاطِبُهَا يَا مَخْلُوقَةَ اللَّهِ؛ هَذَا عُودٌ وَلَدِي! كَيْ فُصِينَتُكَ رَاكِبَةٌ عَلَيْهِ وَحَدُكَ؟ وَلَدِي وَبِن؟ يَارَبِّ الْعَالَمِينَ!... وَتَخْبِرُهُ بِأَلِي كَانَ... مَنْ الْأَوَّلُ حَتَّى لَلتَّالِي :

وَبَدَا السَّيِّدُ مَسْكِينٌ يَقُولُ: "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ! هَذَا مَا قَدَّرَ رَبِّي!... أَيَا بَنِيَّتِي، لَمَا كَانَ وَلَدِي بَاغِي يَنْزُوجُ بِيكَ، رَاكِي تَسْمَايَ بَنِيَّتِي... مَرْحَبًا بِبِيكَ... بِالْأَكْ رَبِّي يُشَوِّفُ فِينَا وَيَسْلُكُ وَلَدُنَا مَنْ هَذِي الْمُوصِيَّةَ اللَّيِّ سَلَطَتْ عَلَيْنَا..."

بَقَاتَ لُؤْنَجَةٌ عِنْدَهُمْ، أُمُّهُ تَبْكِي، وَبُوهُ يَبْكِي؛ حَتَّى نَهَارَ مِنْ النُّهَارَاتِ مَشَى سَأَلَ الْمُدَبَّرَ، وَخَبِرَهُ بِالنَّازِلَةِ كَيْمَا صَرَاتِ الْمُدَبَّرِ حَمَمٌ شَوِيٍّ وَقَالَ لَهُ... "رَانِي عَرَفْتُ الْقِصَّةَ... هَذُوكُ الْعُقْبَانُ؛ حُكَايَتُهُمْ طَوِيلَةٌ وَسِرِّيهِ لَا كَنْ السَّرِّ لَا بُدَّ عَلَيَّ نَكْتَمُهُ بِالصَّحِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَسْلُكُ وَلِيْدَكَ مِنْ مَخَالِبِ الْعُودِ وَالتُّعْبَانِ... أَدْبِحْ فَرْدًا! وَأَشُوْبِهِ، وَأَرْفُدُوهُ آدَوَهُ حَطُوهُ عَلَى رَأْسِ الْجِبْلِ.... وَتُشَوِّفُ مَا تُشَوِّفُ... مَا نَزِيدُشَ كَلِمَةً، رُوحٌ، رَاهُ الْفَرَاخِ قُرَيْبٌ."

مَشَى الرَّاجِلُ عَمَلٌ كَيْمَا قَالَ الْمُدَبَّرُ... هُمَا حَطُوا الْفَرْدَ مَشُوِيٍّ، حَتَّى نَزَلُوا الْعُقْبَانُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ كَالْجِرَادِ، وَبَدُوا بَيْنَ قُبُوبِهَا وَيَأْكُلُوا... حَتَّى حُومٌ فِي السَّمَاءِ عَقَابٌ كَبِيرٌ عَلَى الْأَخْرِيِّنَ، يَخَوْفُ وَحَطَّ بَيْنَانَهُمْ...: "وَأَشْ هَذَا؟" ... قَالُوا لَهُ الْأَخْرِيِّنَ، يَاسِيْدُ السُّلْطَانِ، شَفْنَا رَاجِلٌ شَايِبٌ جَابَ هَذَا الْفَرْدَ مَشُوِيٍّ رَافِدِيْنَهُ الْخَدَامَ... حَطُوهُ وَيَعْدُوا مَا حَصِيْنَاهُمْ¹ وَبِنَ مَشَاوَا... "بَعْدُ وَالسُّلْطَانُ الْعُقْبَانُ يَأْكُلُ حَتِيْهُ شَوِيٍّ وَيَقُولُ لَهُمْ: "لَا سَكَا، هَذُوا نَاسُ الطُّفْلِ أَلِي دَخَلَ رُوحَهُ فِي الشَّيْءِ اللَّيِّ بَعَادُ عَلَيْهِ... "بَعْدًا... وَيَذِيرُ الشَّايِبَ الرَّجُلَةَ².. وَيَقْرَبُ... وَيَدْمَمُ لِلْعَقَابِ... وَيَطْلُبُ مَنَّهُ الشَّفَقَةَ وَالرَّحْمَةَ... وَيَعْلَبُهُ الْبُكَى....

لَاكَنَّ الْعَقَابُ قَالَهُ غَيْرُ كُونٍ مَهْتِي، وَلَدُكَ مَا بُغِيْتِشَ نَادِيَهُ، بُغِيْتِ نَحْوَفَةَ بَرُكٍ وَنُضَعِرَهُ عَمْرَهُ مَا يَدْخُلُ فِي الْكُلُوفِ أَلِي بَعَادُ عَلَيْهِ.... هَا هُوَ وَلَدُكَ أَدِيَهُ وَرُوحَا فِي الْأَمَانِ.... "وَيَرْفَدُ جَنَاحَهُ وَيَحَطُّ الطُّفْلُ غَيْرَ بِالسِّيَاسَةِ عَلَى الْأَرْضِ وَيَطِيرُ هُوَ وَالْعُقْبَانُ الْأَخْرِيِّنَ. الرَّاجِلُ طَارَ بِالْفَرَحَةِ! لَا كَنْ هُوَ شَافٌ فِي وَلَدِهِ وَ هُوَ صَابَهُ رَقِيْقٌ، مَا بَقِيَ فِيهِ غَيْرُ الْجَلْدِ عَلَى الْعِظْمِ.... أَيَا رَفْدُوهُ الْخَدَامَ، وَمَشَاوُ بِيَهُ لِلدَّارِ....

¹ ما حصيناهم: لم نعرفهم

² رجلة: شجاع

وَبَدَاوُ غَيْرَ بِالْآتِي يَدَاوُوا فِيهِ، وَيَشْرَبُوا لَبَهُ وَرَاقِي الدَّجَاجِ وَاللَّحْمَ الطَّرِي...بِالسِّيَاسِ¹ بِالسِّيَاسِ ... حَتَّى رَجَعَتْ لَهُ الْعَمْرُ ... وَ بَرَا وَرَجَعَتْ لَهُ صَحَّةُ الْأَبْدَانِ كَيِ الْعَوَائِدِ. وَتُرْوَجُ مَعَا لَوْنَجَةُ الزَيْنَةِ مَوْلَاتُ سَبْعِ سَوَالِفٍ... وَعَاشُوا فِي الْهَنَاءِ وَالرَّاحَةِ حَتَّى جَاهَمَ هَازِمُ اللَّذَاتِ مَفْرَقُ الْجَمَاعَاتِ؛ وَ هَذَا مِنْ الْأَخْبَارِ وَالِي عَلَيْهِ شَيْءٌ ذَنْبٌ يَكْتُرُ الْإِسْتِعْقَارَ.

11_ " اِعْلَاشٌ وَذِينِ الْبَعْلِ طَوَالٌ؟"²

كَانَ مَاكَانَ، فِي بُكْرِي الزَّمَانِ؛ وَ الْحَبِقُ³ وَالسِّيَاسَانُ؛ فِي مَجْرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ الْحَاصِلُ الْحِكَايَةُ الْقُصِيرَةَ وَالْكَنَّ قَدِيمَةَ، قَدِيمَةَ مَا كَانَ أَقْدَمَ مِنْهَا؛ حَكَاهَا لِي الْوَلِيدُ اللَّهُ يُرْحَمُهُ كَانَ طَالِبٌ، وَ حَافِظُ السُّتَيْنِ حَزْبُ طَهَارَةَ؛ بِالصَّحْ مَوْلَى ضَحْكَةَ وَيَقُولُ بِأَلِي اللَّهِ تَعَالَى مَا يُنْكَرُشُ عَلَيْنَا إِذَا ذُكِرْنَا فِي الْحِكَايَةِ لِلدَّرَارِيِّ الصَّعَارِ، نَوَايَةَ نُضْحَكُوهُمْ ؛ وَالنَّبِيُّ سِيدُنَا مُحَمَّدٌ "صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْرَحُ وَلَا يَقِلُ إِلَّا حَقًّا" بِالنِّيَّةِ؛ وَرَبِّي صُبْحَانَهُ، بَعْدَ مَا خَلَقَ الْأَرَاضِي وَالسَّمَاوَاتِ، وَالْبُحُورَ، وَالْجَنَّةَ وَالْأَرْضَ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ.... الخ خَلَقَ كَذَلِكَ الْحَيَوَانَاتِ؛ خَلَقَ مِنْهُمْ الْمِيَاءَ وَمَنْ بَعْدَ، بَدَا يُسَمِّي فِيهِمْ بَعْدَ مَا أَمَرَهُمْ يُوقِفُوا وَاحِدٌ مُورَى وَاحِدٌ: أَنْتَ؟ الْعَوْلُ فُوتٌ! أَنْتَ الْعُودُ، فُوتٌ! أَنْتَ الْكَبْشُ، فُوتٌ! أَنْتِ الْمَعْزَةُ! فُوتِي الْحَمَامَةَ فُوتِي، الْأَدِيكُ فُوتٌ! الْبَعْلُ فُوتٌ!....هَا بِالنِّيَّةِ صَاخِبِنَا مَا عَجَبَاتَهُشُ السَّمِيَّةِ.

قَالَ أَنَا هَا كَذَا، هَذَا الْأَسْمُ الْمَشُومُ، مَعِيرَةُ النَّاسِ؛ إِلَي رَاسَهُ خُشِينٌ وَالْأَ مَعَانِدُ وَمَا كَانَتْشُ الْمَفَاهِمَةَ مَعَاهُ يُصِيرُوا يَقُولُوا لَهُ أَنْتَ الْبَعْلُ! أَنَا مَا نُرْضَاشُ بِهِذَا الْأَسْمُ....نُمَشِي نُدِيرُ لَهُ الدَّالَةَ مَرَّةً أُخْرَى، وَ لَمَّا الْحَيَوَانَاتِ مِنْهُمْ الْمِيَاءِ، كَيِ ثَجِي نُوتِي يَكُونُ رَبِّي نَسَانِي يَعْطِينِي أَسْمُ أُخْرُ طَيِّبٌ ... وَرَاحُ وَ قَفٌ مِنْ تَالِي..الْقَطُ فُوتٌ! الْجَمَلُ فُوتٌ، فُوتٌ! الْبُقْرَةُ فُوتِي! النُّعْجَةُ فُوتِي

حَتَّى جَاتِ نُوبَةُ حَيِّنَا؛ غَشِيمٌ وَمَا عَارُفُشُ رَبِّي مَا تَخْفِي عَلَيْهِ حَافِيَّةٌ ... وَ يَقُولُ لَهُ:

" أَنْتَ سَمِيَّتْكَ الْبَعْلُ لَلُّ! وَجِبْدٌ لَهُ دُوكُ الْوُدُنِينِ؛ مِنْ ذَلِكَ الْعَهْدِ وَهُمَا طَوَالٌ كَالْيَوْمِ ! وَهَذَا مِنْ الْأَخْبَارِ وَالِي عَلَيْهِ شَيْءٌ ذَنْبٌ يَكْتُرُ الْإِسْتِعْقَارَ.

¹ بسياس: بتاني

² حكاية شعبية من مدونة محمد بلحفاوي، وهران

³ الحبق : نبات عطري

12_ " خُنَيْفَسَ لَأَلَّةِ النِّسَاءِ " ¹

كَانَ مَاكَانَ، فِي بُكْرِي الزَّمَانِ؛ وَالْحَبِقَ وَالسَّيْسَانَ؛ فِي حَبْرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ كَانَ وَحْدَ الْعَامِ، وَحَدَةَ الْخُنَيْفَسَةِ، مَا كُلُّنَ مَا أَرِينُ مِنْهَا؛ مَكْوَرَةٌ وَعَلَيْهَا سِتَّةَ رَجِيَلَاتٍ رِقَاقٌ، يَزْعُدُوا، يَعَشْفُوا، وَكَحَلَاءَ، كَحَلَاءَ كَالْأَبْنُوسِ، وَتَبْقَسُ، وَتَبْقَسُ ²، تَلَالِي، كَالْعَاجِ، مِنْ الْبَعْدِ نُبَانٌ؛ إِلِي يَشُوفُهَا يَقُولُ مِنْهَا نُحَلِّقُ وَعَلَيْهَا نُمُوتُ.

هَا بِالنِّيَّةِ، خَرَجْتُ وَحَدَ الْيَوْمِ تَحْوَسُ ³ تَنْتَزَهُ، وَكَانَ نَهَارَ السُّوقِ. مَزِينَةٌ، مُحَرَفُصَةٌ، مُحَمَّرَةٌ، وَبِيَاضَ الْعُرَائِسِ يَحْمَقُ؛ وَمَاشِيَةً بِسَيَاسٍ عَلَيْهَا، مَا كَانَ مَا يَقْلَقُهَا، وَحَدَةَ وَحَدَةَ؛ أَلَا هُنَا، أَلَا هُنَا، حَتَّى وَصَلْتُ عِنْدَ الْبَابِ السُّوقِ؛ قَالَ لَهَا رَاسَهَا؛ "هُنَا أَقْعَدِي وَتَفْرَجِي، أَلِي مَا شَرَى يُنْتَزَهُ" قَعَدْتُ عِنْدَ بَابِ السُّوقِ، وَالْخَلْقُ مِنْهُ وَعَلَيْهِ، مَا شَيْ جَآي، خَارِجٌ دَاخِلٌ وَإِلِي قَاتٌ يَدْنُقُ لِلزَّيْنِ الْكَامِلِ، وَيَقُولُ اللهُ اللهُ!

هَا بِالنِّيَّةِ، قَاتٌ وَحَدَ الْمُهْرَ ادْهَمَ شَعْرَهُ كَالْحَرِيرِ، يَهْزُ فِي رَاسِهِ، وَعَارَهُ الزَّمَانِ، فَرَحَانٌ بَصُغْرُهُ؛ كِي شَافَ الْخُنَيْفَسَةَ حَبَسَ " خُنَيْفَسَةَ لَأَلَّةِ النِّسَاءِ، ا شَارَاكِي دِيرِي هُنَا؟ "

قَالَتْ لَهُ: "نَنْفَرُجُ وَ نَنْدَرُجُ، وَنَحَبُ نَنْزُوجُ" قَالَ لَهَا: " اللهُ اللهُ! حَتَّى أَنَا هَذَا مَا كَانَ يَقُولِي رَاسِي؛ وَمَا أَرِينُكَ، يَا خُنَيْفَسَةَ! أَلِي يَسْوَاكَ رَحْمَةً رَبِّي! خُدِينِي ⁴ أَنَا!"

قَالَتْ لَهُ: "وَاللهُ حَتَّى أَنَا عَجِبْتِي يَا مَهِيرَ، أَلِي صَابِكُ يَفْدِيكَ بِالْمَالِ؛ لَأَكُنَّ فِي الطَّبِيعَةِ، النَّاسِ إِلِي عَائِشِينَ مَعِي، نَحَبُهُمْ فَرَحَانِينَ وَدِيمَا يَعْنِيوَا؛ أَرَى نَشُوفُ نَسْمَعُ صَوْتِكَ ". الْمُهِيرُ قَرِيبٌ يَطِيرُ بِالْفَرَحَةِ، بَدَا يَحْنَنُ وَيَحْلِي فِي صَوْتِهِ. وَيَهْمُرُ مِنْ شَفَاقِ رَاسِهِ هِي! هَا هَا هَا! هِي! هَا هَا هَا ...!

الْخُنَيْفَسَةُ مَانَتْ بِالْخُوفِ، وَصَارَتْ تَقُولُ لَهُ: " اسْكُتْ، اسْكُتْ، يَرْحَمُ وَالِدِيكَ بَارَكَاتٌ، بَارَكَاتٌ، رَبِّي يَخْلِيكَ؛ خُلَعْتِي وَخُلَعْتُ اعْيَانِي، وَخُلَعْتُ الْخُدَمَ إِلِي تَرْفُدُ لِيَانِي ⁵؛ اسْمَحْ لِي، اسْمَحْ لِي، خُسَارَةٌ مَنكَ، زَيْنَ الْعُزَالِ، تَسْوَى الْمَالِ، وَلَوْ كَانَ مَا صَوْتِكَ عَلِي يَجِيبُ الْخُوفَ وَ يَقَطَعُ الْجُوفَ... " مَشَى الْمُهْرُ غَضْبَانٌ، حَاطَ رَاسَهُ، وَصَارَ كَعَالَتَهُ جَاءَ حَمِيرٌ. خُنَيْفَسَةَ قَالَتْ فِي

¹ حكاية شعبية من مدونة محمد بلحفاوي، وهران

² تبقس : تلمع

³ تحوس : تنتزه

⁴ خديني : تزوج بي

⁵ لياني : الاناء

خَاطَرَهَا؛" مَشَى أَحْمَدُ جَاءَ حَمِيمًا "، مَشَاتِ امْكُ جِيْتِ أَنِيَا " . قَالَ لَهَا الْحَمِيرُ: " خَنِيفَسَةَ لِأَلَّةِ
النِّسَاءِ، أَشْرَاكِي تَعْمَلِي هُنَا؟" قَالَتْ لَهُ: " نَتَفَرِّجُ وَنَتَدْرَجُ، وَنُحَبُّ نَزْوَجَ".

قَالَ لَهَا: " اللهُ اللهُ! حَتَّى أَنَا هَذَا مَاكَانَ يُقُولُ لِي رَاسِي! خُذِينِي أَنَا! مَا أَرِيكَ يَا خَنِيفَسَةَ، أَلِي
سُؤَاكُ رَحْمَةً رَبِّي!"

قَالَتْ لَهُ: " وَاللَّهِ حَتَّى أَنَا عَجَبْتِي يَا حَمِيرُ، أَلِي صَابَكُ يَفِيدُكَ بِالْمَالِ؛ لِأَكِنَّ فِي طَبِيعَةِ النَّاسِ أَلِي
عَايِشِينَ مَعِي نُحَبُّهُمْ فَرِحَانِينَ، وَدِيمَا يَغْنِيوَا؛ أَرَى نَشُوفَ نَسْمَعُ صُوتَكَ".

الْحَمِيرُ قَرِيبٌ يَطِيرُ بِالْفَرَحَةِ؛ بَدَا يَحْنُ وَيَحْلِي فِي صُوتِهِ، وَيُصْهَلُ مِنْ شَقَافِ رَاسِهِ: هِيَ هَانُ!
هِيَ هَانُ! هِيَ هَانُ! الْخَنِيفَسَةُ قَرِيبٌ تَمُوتُ بِالْخُوفِ. وَصَارَتْ تَقُولُهُ: "اسْكُتْ، اسْكُتْ، يَرْحَمُ
وَالدِّبِكُ، بَرَكَاتُ رَبِّي يَخْلِيكَ؛ خَلَعْتِي وَخَلَعْتَ عِيَانِي، وَخَلَعْتَ الْخَادِمَ أَلِي تَرْفُدُ لِيَانِي، اسْمَحْ
لِي، اسْمَحْ لِي، خُسَارَةَ خُسَارَةَ مَنَّاكَ زَيْنَ الْعُرَالِ تَتَفَدَى بِالْمَالِ؛ لَوْ كَانَ مَا صُوتَكَ عَالِي، أَفْتَلْنِي
بِالْخُوفِ وَفَطَعْتَ لِي الْجُوفَ... "مَشَى الْحَمِيرُ غَيْضَانًا، حَاطَ رَاسَهُ، وَصَارَ كَعَالَتَهُ"¹.

هَا بِالنِّيَّةِ، جَائِي فَايْتِ كَلِيبُ، الْخَنِيفَسَةَ قَالَتْ فِي خَاطَرِهَا: " مَشَى الْحَمَارُ جَاءَ الْعُرَالُ".
قَالَ لَهَا كَلِيبُ: " السَّلَامُ عَلَيْكُمْ". قَالَتْ لَهُ: " وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ ". قَالَ لَهَا: " اللهُ عَلَيْكَ، خَنِيفَسَةَ لِأَلَّةِ
النِّسَاءِ، أَشْرَاكِي تَعْمَلِي هُنَا؟

قَالَتْ لَهُ: "نَتَفَرِّجُ وَنَتَدْرَجُ، وَنُحَبُّ نَزْوَجَ!" قَالَ لَهَا: " اللهُ اللهُ، يَا رَبِّي! حَتَّى أَنَا هَذَا مَا رَاهُ يُقُولُ لِي
رَاسِي، فِي هَذَا النَّهَارِ الْمَبْرُوكِ، كَالِي يَوْمِ الْعِيدِ؛ يَا خَنِيفَسَةَ، يَا زَيْنَ الْكَامِلِ، أَلِي يُسْؤَاكُ وَيُلْحَقُكَ
رَحْمَةُ رَبِّي! خُذِينِي أَنَا....

قَالَتْ لَهُ: "وَاللَّهِ يَا كَلِيبُ، يَا ظَرِيفُ، حَتَّى أَنَا عَجَبْتِي، مَا دَابِي عَلَيْكَ؛ لِأَكِنَّ فِي طَبِيعَةِ النَّاسِ
لِأَلِي دَابِيرِينَ بِي وَعَايِشِينَ مَعِي، نُحَبُّهُمْ دِيمَا فَرِحَانِينَ، دِيمَا يَغْنِيوَا؛ أَرَى نَشُوفَ نَسْمَعُ
صُوتَكَ"... الْكَلِيبُ طَارَ بِالْفَرَحَةِ، وَ بَدَا يَحْنُ وَيَحْلِي فِي صُوتِهِ، كَالْعَسَلِ وَالْأَكْثَرِ: هُوَ هُوَ! هُوَ
هُوَ! هُوَ هُوَ!... الْخَنِيفَسَةُ قَرِيبٌ تَمُوتُ بِالْخُوفِ. وَصَارَتْ تَقُولُ لَهُ: اسْكُتْ، اسْكُتْ، رَبِّي يَخْلِيكَ!
بَرَكَاتُ بَرَكَاتُ يَرْحَمُ وَالدِّبِكُ! خَلَعْتِي وَخَلَعْتَ عِيَانِي، وَخَلَعْتَ الْخَادِمَ أَلِي تَرْفُدُ لِيَانِي! خُسَارَةَ
مَنَّاكَ، رَاجُلُ انْتَاغِ وَفَتَاكَ، بِالْمَالِ مَا تُوجَدُشُ²؛ اسْمَحْ لِي اسْمَحْ لِي يَا ابْنَ النَّاسِ،
مُحَالٌ، مُحَالٌ! "مَشَى الْكَلِيبُ غَضْبَانًا مَهْمُومٌ مَقْهُورٌ، حَاطَ رَاسَهُ وَ صَارَ كَعَالَتَهُ".

¹ وَصَارَ كَعَالَتَهُ: ذِيهِ مَلْتَوِي

² مَا تَوْجَدُشُ : لِاتَجِدَهُ

جَاءَ فَأَيْتَ وَاحِدَ الْقُطْبِ؛ اشْقَرَ شَعْرَهُ أَحْمَرَ كِي الذَّهَبِ، تَقُولُ سَبَّحَ .. إِلَّا اسْتَعْفَرَ اللهُ وَلِيَدَهُ شَبْلٌ عَاجِبٌ رُوحَهُ، يَرْمِي الْخُطْوَةَ بِالسِّيَاسَةِ¹ عَلَيْهِ، وَ يُشُوفُ يَمِينُ وَيَسَارَ، حَتَّى شَافَ الْخُنَيْفَسَةَ كَامِلَةَ الزَّيْنِ، قَاعِدَةَ عِنْدَ بَابِ السُّوقِ. " خُنَيْفَسَةَ لَأَلَّةِ النِّسَاءِ أَشْ رَاكِي تَعْمَلِي هُنَا؟" قَالَتْ لَهُ: " نَتَفَرَّجُ وَنَتَدْرَجُ، وَنُحِبُّ نَزْوَجَ!"

قَالَ لَهَا قَطِيطُنَا: اللهُ اللهُ، مَا نَزِيدُوشَ فِي الْكَلَامِ؛ حَتَّى أَنَا هَذَا مَا رَأَى يَقُولِي رَاسِي مِنَ الصَّبَاحِ، ذَا يَوْمَ عِيدٍ، اللهُ اللهُ، خُدِينِي أَنَا قَالَتْ لَهُ: "وَاللهُ يَا بِنُ النَّاسِ وَخَفِيطُ النَّاسِ؛ مَا فِيكَ عَيْبٌ، يَا ذَا الزَّيْنِ يَمْشِي مَعَاهُ الْعَقْلُ، مَا ذَابِي عَلَيْكَ. لَا كُنْ فِي الطَّبِيعَةِ، النَّاسِ الدَّائِرِينَ بِيَا، الْعَائِشِينَ مَعِي، نُحِبُّهُمْ دِيمَا فَرَحَانِينَ، دِيمَا يُغْنِيوَا؛ تَرَى نُشُوفُ نَسْمَعُ صَوْتَكَ...."الْقَطِيطُ غَيْرَ رَبِّي يَرْهَقُ عَقْلَهُ بِالْفَرَحَةِ وَبِدَا بِالسِّيَاسَةِ يَحْتَنُ وَيُحَلِي فِي صَوْتِهِ مَيَاوُ! مَيَاوُ! مَيَاوُ!....

الْخُنَيْفَسَةُ لَوْ كَانَ قَدَرْتُ، لَوْ كَانَ دَخَلْتُ تَحْتَ الْأَرْضِ بِالْخُوفِ؛ وَتَقُولُ لَهُ: "اسْكُتْ، اسْكُتْ يَرْحَمُ وَالِدِيكَ! يَكْفِي هَذَا اللهُ يَطْوُلُ عَمْرَكَ؛ بَرَكَاتُ بَرَكَاتٍ؛ خَلَعْتَنِي وَخَلَعْتَ عَيَانِي، وَخَلَعْتَ الْخَدَامَ إِلَيَّ تَرَفَّدَ لِيَانِي؛ اسْمَحْ لِي اسْمَحْ لِي، اللهُ يَخْلِيكَ مَا نَوَاحِدِينِشْ! مُحَالٌ، مُحَالٌ... " مَشَاءَ الْقَطِيطُ مَكْمَدٌ مُفْسَدٌ خَائِفَتُهُ الْعَبْرَةُ؛ حَاطَ رَاسَهُ وَصَارَ² كَعَالَتِهِ.

هَا بِالنِّيَّةِ، جَاءَ خُنَيْفِسُ صَنْعِيزَ، مَكْوَرُ³، ثَقُولٌ عَلَيْهِ كُوبِرَةٌ عَاجٌ، نُبْقَسُ، كُحِيخَلَةٌ، كُحِيخَلَةٌ، مَا كَانَ أَرِيْنُ وَمَنْهَا، وَكَالِي يَمْشِي يَتَكَوَّرُ عَلَى رَجِيْلَاتِهِ السَّنَةِ. شَافَ خُنَيْفَسَةَ! وَهَا خَيْنَا أَحْبَسَ⁴: " خُنَيْفَسَةَ لَأَلَّةِ النِّسَاءِ، ا شَرَكَِي تَعْمَلِي هُنَا؟" قَالَتْ لَهُ "تَتَفَرَّجُ وَنَتَدْرَجُ، وَنُحِبُّ نَزْوَجَ" قَالَ لَهَا هُوَ: " اللهُ اللهُ، يَا رَبِّي! حَتَّى أَنَا يَا كَامِلَةَ الزَّيْنِ، هَكَذَاكَ مَا كَانَ يَقُولِي رَاسِي مِنَ الصَّبَاحِ الْيَوْمَ! يَا لِي سِوَاكَ وَلِحَقِّكَ، وَجَدَّ كُنْزُ! خُدِينِي أَنَا!" آيَةَ قَالَتْ لَهُ، يَا ابْنَ النَّاسِ، حَتَّى أَنَا عَجَبْتَنِي وَمَا ذَابِي عَلَيْكَ. لَأَكُنْ فِي الطَّبِيعَةِ، النَّاسِ إِلَيَّ دَائِرِينَ بِي وَعَائِشِينَ مَعِي، نُحِبُّهُمْ دِيمَا رَاهِي يِنِ، دِيمَا يُغْنِيوَا، تَرَى نُشُوفُ نَسْمَعُ صَوْتَكَ؟"

تَقُولُ لَهُ فِي ذَلِكَ الْكَلَامِ وَتَنْبَسِمُ، عَاجِبَهَا حَالُ الْخُنَيْفَسِ حَطَّ رَاسَهُ. وَبَقِيَ سَاكِتٌ... قَالَتْ لَهُ: " وَأَشْ بِكَ؟" قَالَ لَهَا: " يَا بِنْتُ النَّاسِ، طَلَبْتِي مَنِي الْمُحَالِ؛ هَذَا مَا جَابَ رَبِّي؛ مَا عِنْدِي صَوْتُ مَا نُعْنِي؛ هَذَا مَا قَدَّرَ رَبِّي عَلَيَا؛ عَجَبْتَنِي، طَارَعَقْلِي مَعَكَ؛ هَا بِالنِّيَّةِ طَلَبْتِ طَلَبْتِ الْغَنَاءَ، وَأَنَا مَا نَعْرِفُ لَهُ سَاسَ وَلَا رَاسَ، اللهُ اللهُ، يَا رَبِّي."

¹ بالسِّيَاسَةِ: بتأني

² صار كعالتة: ذيل ملتوي

³ مكور: دائري

⁴ احبس: وقف

الْخَنِيفِيسَ خَنْفَةَ الْبِكَاءِ، لَا كَنْ شَدَّ رُوحَهُ وَمَسَحَ دُمُوعَهُ مِنَ التَّحْتِ لِلتَّحْتِ.... وَبَقِيَ حَاطَ رَأْسَهُ قَالَتْ لَهُ: وَمَنْ يَنْ مَآ تَعْنِيشَ وَاشْ تَعْمَلْ طُولَ نَهَارِكَ؟" قَالَ لَهَا: "أُسْتَرِي مَا سَنَرَّ اللهُ! مَا عِنْدِي مَا نَقُولُ ... قَالَتْ لَهُ: " لَآلَا، وَاللَّهِ حَتَّى نَقُولُ". قَالَ لَهَا وَهُوَ مَيِّتٌ بِالْحَشْمَةِ: "حَاشَا مَنْ يَسْمَعُ.... حَاشَا أُحْتِي...." قَالَتْ لَهُ: "إِيوَا قَوْلُ! .. قَالَ لَهَا...." أَسْمَحِي لِي إِذَا قُلْتُ كَلِمَةً عَيْبٌ، لَأَكُنَّ الصَّحَّ نَقُولُهُ... يَعْني ... طُولَ نَهَارِي وَأَنَا نُكُوزُ فِي الْخُرَاءِ، حَاشَا الْمُصَنِّتِينَ! وَحَطَّ رَأْسَهُ وَسَكَتَ. قَالَتْ لَهُ: " عَاوَدُ، عَاوَدُ، إِشْ تَعْمَلُ؟ قَالَ لَهَا: " نَظَّلْ نَعَاوُدُ؟ وَ بَاكَ قُلْتَهَا مَرَّةً يَكْفِي". قَالَتْ لَهُ: وَاللَّهِ تَعَاوَدُ إِشْ قُلْتُ؟ إِشْ تَعْمَلُ؟ " إِيوَا، قَالَ لَهَا، عَلَى مُرَادِ اللهِ، وَيَاكَ قُلْتُ لَكَ، حَاشَا مَنْ يَسْمَعُ، طُولَ نَهَارِي وَأَنَا ... عَمَلٌ ... فِي... الْكُويرَاتِ الْخُرَاءِ". وَحَطَّ رَأْسَهُ؟

وَتَطِيرُ عَلَيْهِ خَنِيفَسَةٌ وَيَتَعَانَفُوا وَيَبْدُوا يَرْقُصُوا بِالْفَرَحَةِ، وَخَنِيفَسَةٌ تَقُولُ لَهُ فِي وَدُنِيهِ وَهِيَ تَبُوسُ فِيهِ: "أَنَا ثَانِي دَاكْ مَا نَحْدَمُ!". يَا سَعْدِي يَا فَرْحِي! سَعْدُ إِمَا أَنَا، رَبِّي جَابَ لِي أَلِي عَلَى قَلْبِي! لَوْ كَانَ نَقُولُكَ شَحَالَ خَطْبُونِي الْيَوْمَ! الْمَهْرُ يَعْفَسُ¹ عَلَى الْحَجْرَةِ يَطْرُقُهَا وَالْحَمِيرُ مَا أَرِيئُهُ! وَالْكَلْبُ غَيْرَ اسْكُتْ؛ أَمَا الْفَطِيظُ، قَالَ لَهُمْ كَامَلِينَ أَرْقُدُوا وَنُعْطِيكُمْ! وَشَحَالَ أُخْرِينَ نَسِيئُهُمْ! وَحَتَّى وَاحِدٌ مَا دَخَلَ قَلْبِي، وَنَحِيْبٌ لَهُمْ رَكْرَعَةٌ، يَعْني نَحْبٌ نَسْمَعُ صَوْتَهُمْ، بَاشْ مَا نَعِيْظُهُمْشَ... أَمَحْ! أَمَحْ! يَا فَرْحَتِي يَا سَعْدِي، جَابَ لِي رَبِّي أَلِي يَجِي عَلَيَّ وَيُوَاتِينِي²، أَمَحْ! أَمَحْ! وَكَانَتْ أَمَا نَقُولُ الْقُدُومَ صَابَتْ يَدَهَا... وَزَادُوا فِي الرِّقِيصِ وَالْمَعَانِفَةِ، وَأَمَشَاوُ عِنْدَ الْقَاضِي وَارْوَجُوا. وَهِيَ مَشَاتُ تَتَكَرَّبُ وَأَنَا جِيْتُ فِي مَرْكَبٍ.

13_ " كُلُّ شَيْءٍ يَبْرَأ... وَكَلَامٌ سُوٌّ مَا يَبْرَأ"³

أَشَحَالَ كَانَتْ أَمَا الرَّهْرَةَ تَبْغِي هَذِي الْحِكَايَةَ وَتَقُولُ وَإِيَاكُمْ وَالْكَلَامَ أَلِي يَجْرَحُ الْقَلْبَ؛ عَلَى خَاطَرَ صَاحِبَةٍ مَا يَنْسَاهُ.

الْحَاصِلُ وَحْدَ الْمَرَاةِ تَخَاصَمَتْ مَعَ رَوْجِهَا وَعِنْدَ الْعَرَبِ كَثِيرٌ مَا تَمْشِي الزَّوْجَةَ يَعْني ضَيْفَةَ عِنْدَ وَالِدِيهَا ... وَمَا تَرْجَعُشَ لِدَارِ يَا لِي خَاصَمَهَا وَلَا بِالْأَكْشِي سُوْطِهَا⁴، يَبِي تَدَابِرُوا؛ وَنَقُولُ الْمَرَاةَ فِي رَأْسِهَا نَعْضِبُ لَهُ وَنَبْقَى فِي دَارِ بُوِيَا حَتَّى مَحْسُوبٌ يَنْدَمُ الرَّاجِلُ، وَيَتَوَحَّشَ زَوْجَتَهُ؛ وَيُرْسَلُ لَهَا الْجَاهُ! الْجَاهُ هُوَ إِنْسَانٌ مُحْتَرَمٌ، رَاجِلٌ كَبِيرٌ، مَوْلَى عَقْلٍ، وَلَا مَرَاةً كَذَلِكَ مُحْتَرَمَةً تَجِيْبُ هَدِيَةَ مَنْ

¹ يعفس : يضغط

² يواتيني : يلائمني

³ حكاية شعبية من مدونة محمد بلحفاوي، وهران

⁴ صوطها: ضربها

عِنْدَ الرَّاجِلِ وَتَسَايِسُ الْمَرَاةَ الْعَضْبَانَةَ وَتَرُدُّهَا لَدَارَ رُوجِهَا... لَأَكُنَّ الْمَحْلُوقَةَ فِي حَكَائِنَا مَا عِنْدَهَا شَ لَا بِأَبَاهَا وَلَا يَمَاهَا، بَعَاتُ كَيْمَا يُقُولُوا تَغَضِبَ وَمَا عِنْدَهَا وَبَيْنَ مَسْكِينَةٍ، مَسْكِينَةٍ. تُجِي الخُدَيْمَةَ تَعْطِيهَا رَائِي وَتَقُولُ لَهَا نَمَشُوا نَعَضِبُوا عِنْدَ السَّبْعِ، فِي الْعَابَةِ... وَالسَّبْعُ عِنْدَ الْعَرَبِ مَعْرُوفٌ بِالْكَرَمِ... مَعْرُوفٌ بِالْقُوَّةِ؛ وَالرَّجَلَةَ وَالْحَيَّ بِحَيْثُ يُقُولُوا فَلَانُ يَحْشَمَ كَيْ السَّبْعِ.

بِالنِّيَّةِ مَشَاتُ الْمَرَاةَ مَعَ خُدَيْمَتِهَا لِلْعَابَةِ وَعُدُوا¹ السَّبْعُ وَطَلَبُوا ضَيْفَ رَبِّي عِنْدَهَا فِي الْحِينِ قَالَ لَهُمْ مَرْحَبَةٌ؛ تَفَضَّلُوا ادْخُلُوا عَلَى الرَّاسِ وَالْعَيْنِ. نَزَلُوا عِنْدَهُ. لَاقَ بِيَهُمْ وَكَبَّرَ بِيَهُمْ مَا قَصَرْتُمْ. كُلُّ يَوْمٍ يَمْشِي يُصَيِّدُ وَيَجِيبُ لَهُمْ مَا يَلْزَمُ وَعُمَرَهُ مَا يَقْرَبُهُمْ؛ يَعْنِي الْحَرَمَ! ... بَاقِي مُحْتَرَمُ الْمَرَاةِ وَخُدَيْمَتِهَا، وَحَتَّى الْمَعَارَةَ انْتَاعَهُ مَا يَدْخُلُهَا شَ بَاشَ مَا يَكْرَهُشُ عَلَيْهِمُ الْحَرَمَ ... بَقَاوَا عِنْدَهُ بَلَكَ سَبْعَ أَيَّامٍ إِلَّا أَكْثَرَ مَا يَدْخُلُهَا شَ، بَاشَ مَا يَكْرَهُشُ عَلَيْهِمُ الْحَرَمَ... الرَّاجِلُ ضَرَبَ الرَّائِي بِالرَّائِي، وَيُقُولُوا نَاسِنَا يَا خِي طَابَ لَهُ مَسْوَسٌ؛ وَضَاقَتْ لَهُ رُوحَهُ وَتَوَحَّشَ رُوجَتَهُ؛ وَيُقُولُ يَا أُنْدِيمِي اعْلَاشَ مَشِيَّتِ نَعِيظُ مُلَاتِ خَيْمَتِي² ...

بَعْدًا وَيَمْشِي عِنْدَ الطَّالِبِ فِي الشَّرِيعَةِ بَاشَ يَرُوحُ فِي الْجَاهِ. قَالَ لَهُ الطَّالِبُ: مَا قُلْتَ عَيْبَ لَأَكُنَّ بِالْعَكْسِ؛ رَبِّي يُقُولُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: " الصَّلْحُ خَيْرٌ.. كَانْتِشِي مَا جَبَبْتُ هُدِيَّةً؟ قَالَ لَهَا الرَّاجِلُ: "نَعَامٌ، فَصَلَّتْ لُبَاسَ حَرِيرٍ لَزُوجَتِي هَا هِيَ الشَّقَّةُ، وَمُنْدِيلٌ لِلْخُدَيْمَةِ ثَانِي هِيَ مَا نُسِيْتِهَا شَ. يَمْشِي الطَّالِبُ فِي الْجَاهِ عِنْدَ السَّبْعِ. يُصَيِّبُهُ مَقَحَرٌ عِنْدَ بَابِ الْمَعَارَةَ... السَّلَامُ وَعَلَيْكُمْ! يُنَوِّضُ السَّبْعُ وَيُرِدُّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ... وَمَرْحَبَةٌ؛ وَاشْ ذَلِكَ يَا حَمَالُ الْقُرْآنِ ...؟ يُخْبِرُهُ بِأَلِي جَاءَ فِي الْجَاهِ وَتَنْعَلُ السَيِّدَةَ الشَّيْطَانَ وَتَرْجَعُ لَخَيْمَتِهَا ... يُقُولُ لَهُ السَّبْعُ: تَمَشِيَّتُ فِي الْخَيْرِ، رَائِي مُوَافِقٌ. لَأَكُنَّ نَسَالٌ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ. مَا يُقُولُوشَ رَائِي مُضَاقِقٌ بِيهَا ...

الْحَاصِلُ الْأَمْرُ بِيَدِهَا وَسَالَهَا إِذَا تَقَبَّلَ الْجَاهُ. الْمَرَاةُ هَكَذَاكَ كَانَتْ تُسَنِّي. شَكَرَتْ السَّبْعُ وَبَقَاتَهُ عَلَى خَيْرٍ، وَالْخُدَيْمَةَ... يُسَمُّوهَا هَبْرَةَ، بَاسَتْ رَاسَهُ وَأَعْطَاهُمُ الطَّالِبُ الشَّقَّةَ تَاعَ الْحَرِيرِ وَالْمُنْدِيلِ وَرَجَعُوا طَائِرِينَ الْفَرَحَةَ. وَالرَّاجِلُ ثَانِي فَرَحَانَ ذِيكَ اللَّيْلَةَ كِي الْعَرَسُ: الذَّبِيحَةَ وَالشَّيْءَ وَالطَّعَامَ بِاللَّحْمِ نُقُولُوا نَهَارَ الْعِيدِ. كَلَّاتِ الْحَوَانَةَ وَرَسَلُوا مَثَارِدَ³ لِلْجَوَارِينِ كَامِلِينَ.

وَمَنْ بَعْدَ بَقَاوَا شَوِيَّةَ مَقْصَرِينَ عَلَى لِاتَانِي قَبْلَ مَا يَمْشُوا يَرَفُدُوا. وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ جَاءَ الْخُدَيْثُ عَلَى الضَّقَّةِ عِنْدَ السَّبْعِ وَتَبَقَى الْمَرَاةُ تَشْكُرُ وَتَعْظَمُ: اشْحَالُ لَاقَ بَيْنَا؛ اشْحَالُ خَيْرَاتٍ يُجِيبُ لَنَا كُلُّ يَوْمٍ وَ اشْحَالُ مُحْتَرَمْنَا، عَمْرَهُ وَبِلَا يَقْرَبَ مَنَا، وَكِي يُجِيبُ الصَّيْدَ يُجِي حَاطَ رَاسَهُ مَا

¹ وعدوا : ذهبوا

² مولات خيمتي: كناية عن الزوجة

³ مثارذ: صحن كبير

يَرَفْدُش عَيْنِيهِ فِينَا؛ يَحْطُ رَاسَهُ عَلَى ذَلِكَ الْخَيْرِ عِنْدَ ذَلِكَ الْبَابِ وَيُبْعَدُ ... وَفِي اللَّيْلِ مَا يَدْخُلُش دَارَهُ؛ يَبْقَى رَاقِدًا بَرًا مَقَرَّعِنْدُ بَابِ الْمَعَارِزَةِ يُعَسِّنَا وَمَوْفِرْنَا. اللهُ يُجَازِيهِ ... وَالْمَرَا مَا عَارَفُش بَالِي السَّبْعِ غَيْرِ اللَّيْلِ جَاءَ بِالسِّيَاسَةِ مَا سَمَعَهُ حَدُّ؛ وَبَقِيَ وَرَا الْخِيْمَةَ وَيُصَنَّتْ يَا ذَرَى وَاشْ رَاجِحِينَ الضِّيَافُ يُفُولُوا فِيهِ...

أَمَالِي انْبَحَقُ وَحَمَارُ وَجْهَهُ بِالْفَرَحَةِ كِي سَمِعَ الْمَرَا تَشْكُرُ فِيهِ وَنُقُولُ يَكْتُرُ خَيْرَهُ وَرَبِّي يُرِيدُ مَنْ أَمَثَلَهُ لَا فَطْنَانَ، حَتَّى تَتَكَلَّمَ الْخُدَيْمَةَ هَبْرَةَ وَنُقُولُ: إِيه، سِيدُ السَّبْعِ مَشْهُورٌ بِالْحَقِّ وَكُلُّ مَا يَقُولُوا فِيهِ صَحِيحٌ، الْكَرْمُ وَالْجُودُ وَالْحَيَا ... يَا خُسَارَةَ لَوْ كَانَ مَشِي فِيهِ وَحَدُّ الرِّيحِ ... يَا لَطِيفُ ... لَا كَنْ مَا فِيهِ لَوْمٌ، خَلَقَهُ رَبِّي، وَحَدُّ الرِّيحِ خَائِزَةٌ¹ تُغَمُّ؛ وَيَزِيدُ سَاعَةَ سَاعَةً، حَاشَى مَنْ يَسْمَعُ ... يَنْشُ وَحَدُّ التَّشَّةِ يَنْعَاشِي الْوَاحِدُ كِي يُشَمُّ رِيحَتَهَا. أَيَا ... سَمِعَ السَّبْعُ مَا يَكْفِيهِ وَالْفَرَحُ وَلَا تَقْرَحُ ... رَجَعُ مَكْمَدُ لِمَعَارِزَتِهِ وَيَسْهَدُ وَالْقَلْبُ مَجْرُوحٌ ... الْعَدُوُّ مَنْ ذَلِكَ؛ عَارَفَ الْخُدَيْمِ تَجِي تَحْطَبُ فِي الْعَابِ؛ عَرَضُ² لَهَا. "اصْبَاحُ الْخَيْرِ سِيدِي"؛ يَرْدُ عَلَيْهَا هُوَ صَبَاحُ الْخَيْرِ وَالرِّيحُ ... وَاشْ ذَلِكَ فِي يَدِكَ يَا هَبْرُ؟

قَالَتْ لَهُ رَاكَ تَشُوفُ سِيدُ السَّبْعِ هَذَا الْفَاسُ رَانِي مَاشِي نَحْطَبُ ... بَعْدًا يَخْلَعُهَا مَا صَدَقْتُش وَذُنَيْهَا: "قَالَ لَهَا شُوفِي يَا هَبْرَةَ، أَضْرِبِينِي ضَرْبَةَ هُنَا بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ ... يَا سِيدِي كَيْفَاشْ يَخْلِينِي خَاطِرِي بَعْدُ مَا عَمَلْتُ فِينَا أَلِي مَا يَنْتَسَاشُ؟ قَالَ لَهَا ... صَحَّةُ صَحَّةُ، رَانِي عَارَفُ ... لَا كَنْ رَاسِي قَالَ لِي هَاكَ ... أَضْرِبِينِي بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ وَلَا تَحْمِيشُ ...

بَقَاتُ تَدْمَمُ لَهُ، يَا سِيدِي لَا لَا، عَيْبُ عَلِيَا فِي عَوْضُ لَا نُبُوسُ رَاسِكَ وَرَجَلِيكَ نَمَشِي نَضْرَبُكَ بِالْفَاسُ ... قَالَ لَهَا غَيْرُ خَلِي تَمَسَارُ الْكَلَامُ ... تَضْرِبِينِي وَالْآنُ..هَا خَافَتْ؛ بَدَاتُ تَرْتَعُدُ ... وَرَفَدْتُ الْفَاسُ وَضَرْبَاتَهُ غَيْرُ بِالسِّيَاسِ بَاشُ مَا تَادِيهَشُ ... جَرَحَاتُهُ شُوي بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ قَالَ لَهَا صَحَّةُ ... تَلْقَايُ الْخَيْرِ وَاللَّهُ يُعَاوَنُكَ ... وَمَشَى لَصَوْلَاحَةَ وَخَلَاهَا تَحْطَبُ ... وَبَقِيَ مَرَّةً عَلَى مَرَّةً يَلْقَاهَا وَيُسَالُهَا : يَادْرِي بَرَاتُ الضَّرْبِ؟

تَبَدَا هِي تَسْتَفِقُ وَنُقُولُ لَهُ يَا سِيدِي يَا سِيدِي لَا لَا، مَا بَرَاتُش وَرَانِي دَايُ بَ بِالْحَسْمِ؛ أَنْتَ حَتَمْتُ عَلِي هَذَا الْعَمَلُ الْمَشُومُ؛ لَوْ كَانَ صَبَبْتُ الْأَرْضُ بَلْعَتْنِي وَمَا نُشُوفُش الْجَرْحُ فِي عَيْنِيكَ.. أَيَا يُرُوحُ وَيَلْقَاهَا... مَرَّةً أُخْرَى ... وَالْجَرْحُ مَا زَالَ مَا بَرَى ... حَتَّى نَهَارُ مِنَ النُّهَارَاتِ لَقَاهَا ثَانِي وَسَقَسَاهَا³: "يَادْرِي الْجَرْحُ بَرَى وَلَا مَرَّالُ؟ ... أَيَا بَعْدُ ... شَاقَتْ فِيهِ بِالْفَرَحِ وَقَالَتْ لَهُ نَعْمُ سِيدِي

¹ خانز : كرهة

² عرض : التقى بها

³ سقساها: سألها

بُرِي وَمَا بَقِيَ لَهُ أَثَارُ الْحَمْدِ لِلَّهِ، تَنْقَلَعُ شَوْبَةَ الْحَشْمَةِ عَلَيْهِ ... إِيَّاهُ ؛ قَالَ لَهَا؛ شَفْتِي الْجَرْحَ بِالْفَاسِ
وَبُرِي كُلُّ شَيْءٍ يَبْرِي يَا هَبْر، وَكَلَامٌ سُوَ مَا يَبْر " وَطَارَ عَلَيْهَا كَلَاهَا....
وَالْحِكَايَةَ مَشَاتُ تَنْكَرَكَبُ وَأَنَا جِيتُ فِي مَرْكَبُ.

14_ " الْمِعْرَ الصَنْبِيَّة " ¹

مَا خَرَفْتُمْكُمْ² وَمَا خَرَفْتُمْكُمْ غَيْرُ.... عَلَى وَاحِدِ الْفَلَاحِ، كَانَتْ عِنْدَهُ أَرْبَعِينَ مَعْرَةً! كُلُّ يَوْمٍ يَرْسَلُهُمْ
مَعَ وَاحِدٍ مِّنْ أَوْلَادٍ وَكَانَ عِنْدَهُ، اللَّهُ يُبَارِكُ، تَنَاعَشَ وَلَدٌ مَشَى بِهِمُ النَّهَارَ الْأَوَّلَ الْوَلَدُ الْكَبِيرُ، الْقَرْيَةَ
أَنْتَاعُ الْمَاءِ وَالشَّكِيرَةَ مِلَانَةَ³ خُبِرَ الزَّرْعُ مَلْعَقَتَيْنِ وَرَاهُنَ وَالْمَطْرَقُ فِي يَدِهِ: هَشَ هَشَ؛ هَشَ!
مُعِيرَاتِي خِيَاتِي قَدَامِي، حَتَّى لِلْغَابَةِ. كَيُوصَلُوا، سَاحُوا⁴ الْمَعْرَاتِ، يَأْكُلُوا الْحَشِيشَ وَيَشْرَبُوا الْمَاءَ،
مَرَّ مِّنَ الْعَيْنِ صَافِيٍّ وَبَارِدٍ كِي النَّخْجِ، مَرَّ مِّنَ السَّاقِي؛ وَيَتَشَبَّطُوا⁵ مَعَ الشَّجُورِ هَذَاكَ مَا يَبْعُوا
خِيَاتِكَ، وَيَتَشَبَّعُوا وَرَقٌ هَا كَذَاكَ، حَتَّى لِلْمَعْرَبِ، رَجَعُوا لِلدَّارِ وَالْعَارِبِ وَرَاهُمْ عَاسُهُمْ كَمَا يَلْزَمُ
هُمَا وَصَلُوا وَهَا مُوَلَى الدَّارِ يُسَالَهُمْ :- مُعِيرَاتِي خِيَاتِي، شَبَّعُوا وَلَا رَاحَ؟
وَالْمَعْرَاتِ حَنْزِيرَاتِ، الْكَذَابَاتِ، كُلُّهُمُ فِي مَرٍّ وَاحِدٍ: "مَعَ، مَعَ! وَالْوَا.... مَا كُلِينَا مَا
شَرِينَا، وَلَدَاكَ طُولُ النَّهَارِ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الرَّعِيَانِ الْأَوْخَرِينَ وَمُخَلِينَا الذِّيبَ يَحَاوِرُ⁶ فِينَا....!
. آه، يَا الْعِيفَةَ! صَارَ هَكَذَا؟ نَعْطِيكَ الصَّرْعُوفَ⁷ زَعْمًا تَنْهَلًا فِيهَا، سَاعَةَ تَخْلِيهَا هَامَلَةً وَالذِّيبَ
هَذَاكَ عَلَاشَ يَحَوَسُ!...أَيَا... أَذْهَبَ عَلَيَّ مَا تُشُوفُكُشُ! ...مَاكَ وَلَدِي، مَا نِي بَابَاكَ....مَنْ الْيَوْمِ
مَا تَتَعَدَّشُ فِي الْخَوَانِ؛ رُوحُ! مَا تَأْكُلُ هُنَا، مَا تَرَقُدُ هُنَا.

هَا بِالنِّيَّةِ، لَعَدَوٌ مِّنْ ذَلِكَ، غَيْرُ نَادَى الْهَلَالِ فِي الصُّومَعِ بِالْأَذَانِ، نَاضَ مُوَلَى الدَّارِ، نُوضُ
وَلِيدَهُ الرَّاوَجِ وَ قَالَ لَهُ : شُوفْ أُخَوِي، الْمَرْوَارِ يَاكَ تَكُلْنَا عَلَيْهِ، سَاعَةَ خَرَجَ جَائِحٌ مَا يَصْلُحُ شَيْءٍ،
لَا كُنْ أَنْتَ أَتَهَلَّا لَا تُدِيرُ شَيْءَ كَيْفَهُ، نَتَكَلَّ عَلَيْكَ صَحَّ وَلَدِي.... " نَعَامُ أَبُوِي".

وَيَرْقُدُ الْقَرْيَةَ مِلَانَةَ مَا، وَخُبِرَ الشَّعِيرِ فِي ظَهْرِهِ، وَالْعُمُودُ فِي يَدِهِ وَيَمْسِي وَرَاءَ الْمُعِيرِ، هَشَ، هَشَ،
هَشَ! مُعِيرَاتِي قَدَامِي حَتَّى لِلْغَابَةِ. وَصَلَهُمْ، يَرْعَاهُمْ كَمَا يَلْزَمُ، يَأْكُلُوا وَيَشْرَبُوا وَيَتَعَلَّطُوا مَعَ

¹ حكاية شعبية من مدونة محمد بلحفاوي، وهران

² ماخرفتكم: احكي حكاية

³ ملانة: مملوءة

⁴ ساحوا: انتشروا

⁵ يتشبطوا : يتسلقوا

⁶ يحاور فينا: يلاحقنا

⁷ الصرعوف : القطيع

الشُّجُورُ كَيْمَا حَبُوا وَيَرْجِعُو العَشِيَّةَ لِلدَّارِ. وَيُسَالَهُمْ مَوْلَى الدَّارِ " مُعِيرَاتِي خِيَاتِي شَبَعْتُوا وَلَا رَاحُ؟.... هَا يَحَاوِيُوهُ المَعْرَاتُ الحَبِيثَاتُ، الكَذَبَاتُ مَعَ، مَعَ، مَعَ ! مَا كَلِينَا، مَا شَرِينَا، وَلَيْدَكَ طُولُ نَهَارِهِ يَلْعَبُ مَعَ الرَّعِيَانِ الأَخْرِينِ وَأَحْنَا الذِيبُ يَحَاوِرُ فِينَا" هَا طَرَدَهُ كَيْمَا طَرَدَ حُوهُ. وَالثَّالِثُ هَكَذَاكَ، وَالرَّابِعُ هَكَذَاكَ..... حَتَّى صَارُوا كَامِلِينَ مُطْرِدِينَ فِي تِنَاعَشْ ! وَرَادَ طَرَدَ حَتَّى أُمَّهُمْ مَنْ بَعْدَهُمْ حَاطَرَ المَعْرَاتُ الكَذَبَاتُ قَالُوا مَا لِنْتَهَاشُ بَيْنَا بِالْكُلِّ، وَطُولُ النَّهَارِ وَهِيَ تَغْسَلُ فِي قَشْهَا¹ فِي الوَادِ وَأَحْنَا الذِيبُ يَحَاوِرُ فِينَا..... هَا صَبَحَتْ المَرَاةُ مَسْكِينٍ مُطْلَقَةً، ثَلَاثُ !.....

بَالنِّيَّةِ، قَالَ حِينَا: نَمَشِي أَنَا نَسْرَحُ مُعِيرِي وَالسَّلَامَ هَا صَارَتْ هَكَذَاكَ. رَاحُ حُو بُرُوحَهُ، وَدَا المَاءِ وَالخَبْرُ الشَّعِيرُ وَالْعُمُودُ وَرَعَى المَعِيرُ كَمَا يَلْزَمُ كَلَاوًا وَشَرَبُوا، وَتَعَلَّقُوا مَعَ الشُّجُورِ كَيْ العَادَةِ وَرَدَّهُمْ بَخِيرٌ وَعَلَى خَيْرٍ، فَرَحَانُ بُرُوحَهُ وَيُقُولُ فِي نَفْسِهِ، مَا يَقُومُ بِالرَّرَقِ غَيْرُ مُولَاهُ.... لَأَكُنَّ لِمَا وَصَلَ لِلدَّارِ، كَالِي دَخَلَهُ بَعْضُ الشَّكِّ.... هَادَخَلُ لِلدَّارِ، وَغَيْرُ رُوحَهُ، بَدَلُ العُبَايَةِ وَالْعَمَامَةِ لُونِ أَحْرَ وَخَرَجَ لَهُمْ مَنْ بَابِ أَحْرَ " مُعِيرَاتِي خِيَاتِي شَبَعْتُوا وَلَا رَاحُ؟ " هَا..... مَعْرُفُوهُشُ وَكَذَبُوا عَلَيْهِ كَيْ العَوَايِدِ، مَا كَلِينَا مَا، مَا شَرِينَا، ذَلِكَ الرَّاجِلُ لِأَيِّ يَغْسَلُ فِي كَسَاتِهِ عَلَى حَاشِيَةِ الوَادِ..... وَأَحْنَا..... الذِيبُ يَحَاوِرُ فِينَا....." وَهُوَ نَخَلُ!....." أ المَعْرَاتُ الحَلُوفَاتُ! وَأَنَا..... عَلَى حَاطِرِكُمْ، أَلْكَبَاتُ طَرَدَتْ أَوْلَادِي فِي أَطْنَاعَشْ، وَطَلَقَتْ زَوْجَتِي وَبَقِيَتْ غَيْرُ أَنَا وَحْدِي، وَسَرَحْتُكُمْ كَمَا يَلْزَمُ وَكَلَيْتُوا وَشَبِتُوا حَتَّى تَكَافَيْتُوا وَرَجَعْتُوا عَلَى العَزِّ وَالكِرَامِ، وَبَوَصَلْتُمْ الزَّمَانَ وَتَكَذَّبُوا عَلَيْنَا كَيْمَا هَاكَ؟! وَيَصْبَحُ عَيْنُهُمْ، وَكَالِي يَكِي وَيَسْتَكِي لِرَبِّي ابْنَاتُ الحَرَامِ!..... وَيُجِيبُ فِي يَدِهِ الشَّافُورُ، وَيَبْدَأُ يَقْتُلُ فِيهِمْ وَحْدَةً بَعْدَ الأُخْرَى.... هَاهُ، هَاهَا! أ الحَلُوفَاتُ.... هَاهَا! وَحْدَةً، زُوجٌ، ثَلَاثَةٌ... رَبْعَةٌ... وَأَنَاي!... عَلَى حَاطِرِكُمْ هَاهُ!... وَاحِدٌ وَعَشْرِينَ... هَا ثَلَاثِينَ هَا... وَرَايْدُ يَقْتُلُ فِيهِمْ... وَذِيكَ المَعْرَ الصَّبِينِيَّةِ أَلِي مَعَاهُمْ تَشُوفُ وَحَايِفَةٌ عَلَى وِلَادِهَا الثَّلَاثَةَ فِي كَرَشْهَا... عَلَى حَاطِرِ المَعِيرِ مَعْرُوفٌ مَنْ سَابِقُ الحَالِ.... مَا شِي كَيْ النِّسَاءِ.... وَذِيكَ المَعْرَ بِالحَمَلِ، ذِيكَ المَعْرَ المَاصِلِ، مَرِيَّةٌ وَصِينَةٌ، وَبِنْتُ نَاسٍ، لَأَكُنَّ الخُلْطَةَ تَعْدِي مَا هَيْشُ حَرَامٍ، مَا هَيْشُ كَذَابٍ لِمَا انْصَابَتْ مَعَ التَّالْفِينِ... صَارَتْ مَعْدُودَ مَعَاهُمْ.... بِالمَجْرَجِزِ، أَنَا مَا دَرْتُ أَعْلَاهُ نُمُوتُ نَهْرَبُ بُولِيدَاتِي فِي كَرَشِي، وَنُصِيبُ الطَّارَ مَحْلُولٍ، وَتَنْقَرُ² وَتُجِي بَرًا وَ تَقُولُ " يَا بَتُّ يَبْرَحُ! حَتَّى لِلْغَابَةِ. وَهَنَا تَبْدَى حُكَايَةُ المَعْرَةِ الصَّبِينِيَّةِ وَحَدَّهَا وَ تَحَوَسَّ عَلَى مُوَضَعِ أَنْقِي، وَمَخْفِي، تَدْخُلُ فِيهِ... وَجِيهَا الوَجَعُ، وَتَبْقَى تَنْلَوِي وَنُصِيحُ، كَالِي تَبْكِي : مَعَ، مَعَ، مَعَ!...

¹ قشها: ملابسها

² تنقر: تقفز

حَتَّى يُطِيحَ الْجَدِي الْأَوَّلَ، وَتُرْقِي الْأَمِيمَ بِالْفَرَحِ! مَع! مَع! مَع! سَعْدُ أَمَا.... وَبَيِّدَا يَاثَانِي رَجَعُ
جَدِيدًا، مَع، مَع، مَع الصِّيَاخُ اثْنَا عَ الصَّر، وَتُرِيدُ أَبْنِيَّةَ وَتُصِيحُ الْمَعْرَ الصِّبِيَّةَ بِالْفَرَحِ: "مَع! مَع!"
مَع! فَرَحْتِي وَسَعْدُ أَمَا.

أَبْنِيَّة! وَهِيَ هَكَذَاكَ، حَتَّى زِيدَتْ بَنِي أُخْرَى، وَتَبْقَى تُصِيحُ وَتُدُورُ بِيَهُمْ وَتَلْحَسُ فِيهِمْ.... وَمَنْ
بَعْدُ تُجِي فِي الْحِينِ فِي بَالِهَا التَّسْمِيَّةَ، وَتُسَمِّهُمُ عَرَّةً وَمَعْرُورَةً وَقَطِيطَ الرَّمَادِ، خَاطَرَ قَالَتْ فِي
نَفْسِهَا الْوَلِيدَ الصَّغُرُ! نَعْلَمُهُ كَيْكُونُ الْخُوفِ، مَنْ الذِّبِّ وَالْأَ السَّبْعِ بِالْمَثِيلِ، يَنْخَرْنَ¹ فِي الرَّمَادِ،
مُنِينَ وَهُوَ هَكَذَاكَ صَغِيرٌ قَدْ الظَّفِيرُ....

بِالْنِيَّةِ، الْغَدَوُ مَنْ ذَاكَ، كُصِبِحَ الصَّبَاخُ مَدُو مَنْ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ يَرِيحُ، تَعُولُ الْأَمِيمَ تَمْشِي
لِلْغَابِ وَتُوصِي وَلِيدَاتِهَا مَا يُحَلُّوا² حَتَّى لَوَاحِدٌ، سَوَى إِذَا سَمِعُوهَا تُغْنِي وَعَرَفُوا صَوْتِهَا.....
وَتُرُوحُ، تَصْرُحُ الْحَشِيشَ الطَّرِي، تَشْرَبُ الْمَاءَ الصَّافِي مِنَ الْعَيْنِ، تَرِيحُ وَتَعَاوَدُ تَصْرُحُ حَتَّى
يَنْعَمُرُوا³ بَرَازِيلِهَا اللَّهُ يُبَارِكُ، وَتَلْمُ الْحَشِيشَ مِنَ الرَّثِيقِ الطَّرِي وَتُدِيرُ فِيهِ شَوِي نُوَارُ⁴ تَرْيَنُهُ وَتُدِيرُهُ
قَبْضَ وَتُحَطُّ بَيْنَ قُرُونِهَا؛ وَتَشْرَبُ الْمَاءَ عَلَى التَّأَلِي، وَتُحَلِّي جَعْمَ⁵ مَلِيحَةَ فِي قُرُونِهَا يَشْرَبُوهَا
الْوَلِيدَاتُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَتُنْفَرُ! وَ تَجْرِي حَتَّى لِلدَّارِ وَغَيْرِ بَيَانِ لَهَا الْبَابُ تَبْدَى تُغْنِي؛ "عَرَّةُ وَ
مَعْرُورَةٌ وَقَطِيطُ الرَّمَادِ، جَبَّتِ الْخَلِيبُ فِي بَرُولِي، جَبَّتِ الْمَاءَ فِي قَرُورِي، جَبَّتِ الْحَشِيشَ بَيْنَ
قُرُونِي؛ عَرَّةُ وَمَعْرُورَةٌ وَقَطِيطُ الرَّمَادِ، حَلُّ الْبَابِ نُرَضَعُكُمْ!...." وَيَحَلُّو الْجَدْيَانِ فِي الْحِينِ وَتَدْخُلُ
الْمِيمَ وَيَرْتَمَاوُ تَحْنُهَا وَيَرْضَعُوا، وَ تَمُدُّ لَهُ الْقَبِيضَ اثْنَا عَ الْحَشِيشَ يَأْكُلُو، وَتَشْرَبُهُمُ الْمَاءَ اثْنَا عَ الْعَيْنِ
مَنْ قَرَزِيهَا، وَيَمْشُوا يَرَقُدُوا. وَ كُلُّ لَيْلَةٍ وَكُلُّ صَبَاخٍ وَكُلُّ عَشِيَّةٍ هَا كَذَاكَ.... حَتَّى رَدَّ لَهَا السَّبْعَ
الْوَهْلَةَ. وَقَالَ فِي نَفْسِهِ « إِيَّهَ عَرَّةُ، مَعْرُورَةٌ، قَطِيطُ الرَّمَادِ! يَغْنِي ثَلَاثَةَ صَغِيرِينَ وَنَوَايَةَ.... وَيَا مَا
اطْرَاهُمْ! يَا لِي كَلَاهُمْ! يَأْكُلُ وَيُرْحَمُ !.... وَاللَّهُ نُشُوفُوهَا....»

وَيَتَرَيَنَّ بِيهَا مَشَا لِلْغَابَةِ الصَّبَاخِ.... وَ يَجِي عِنْدَ الْبَابِ وَيَغْنِي كَيْفِهَا، لَا كَنْ بِصَوْتِهِ الْخَشِينِ
كَمَعْرُوفٍ: " عَرَّةُ وَمَعْرُورَةٌ وَقَطِيطُ الرَّمَادِ، جَبَّتِ الْخَلِيبُ فِي بَرُولِي، جَبَّتِ الْحَشِيشَ بَيْنَ قُرُونِي،
جَبَّتِ الْمَاءَ فِي قَرُورِي... " غَيْرُ كَالِي الْبَرَازِيلِ وَالْأَ الْقُرُونِ لَأَكْنَ قَطِيطُ الرَّمَادِ فَاقُ بِيهِ وَقَالَ
لَخَوَاتَاتِهِ هَذِي مَشِي أَمْنَا، أَمْنَا صَوْتِهَا رَفِيقٌ وَحْنِينٌ، وَهَذِي صَوْتِهَا غَلِيظٌ كِي الْغَوْلَةَ، مَا

¹ ينخرن : يختبئ

² مايلحوا: لايفتحوا

³ يتعمروا: يمتلئوا

⁴ نُوَارُ :الزهور

⁵ جَعْمٌ : جرعة

نَحْلُوشْ،...سِوَى الْبَنَاتِ مَا سَمْعُوشْ رَايَهْ، وَقَالُوا لَهُ: "اسْكُتْ، اسْكُتْ؛ اَنْتِ دِيمَا تَبْغِي تَعْرِفْ خَيْرَ مَنْ الْأَخْرِينْ؛ هِيْ أَمْنَا هَذِي قَالَتْ الْخَلِيْبْ، وَالْحَشِيْشِ وَالْمَاءِ....كَمَا الْعَادَةُ"...وَمَشَاوْ يُحَلُّوْا....
. قَطِيْطَ الرَّمَادِ هَرْبُ وَتُخْرَنْ فِي الرَّمَادِ....

. السَّبْعُ دُخْلْ، سَرْطُ¹ عَزَّة، سَرْطُ مَعْرُوزَةَ وَبَقِي يُحَوَسْ عَلَى الثَّالِثِ ... وَبِنْ هُوَ الثَّالِثُ؟ وَبِنْ هُوَ الثَّالِثُ إِيَا، نَهْرَبْ خَيْرَ مَا تُجِي أُمَّهُمْ وَنَصْبَحْ فِي النَّزَاعْ، هُدُّوْا زُوجَ كَلِيْثُهُمْ خَيْرَ مَنْ وَالُّوَا. وَبِنْقَلْ، وَبِيْرُوحْ يَجْرِي وَفَرْحَانُ ..

الْعَشِيَّةَ جَاتِ الْمَعْرَةَ الصِّينِيَّةَ، الْمِيْمَ انْتَاعَ بَصَحْ وَبَا صَحِيْحْ وَتَغْنِي وَفَرْحَانُ، وَمَا دَارِي² بَخْدِيْعَةَ... "عَزَّةَ وَمَعْرُوزَةَ وَقَطِيْطَ الرَّمَادِ، جَبْتُ الْخَلِيْبِ فِي بَزُولِي، جَبْتُ الْحَشِيْشِ بَيْنَ قُرُونِي، جَبْتُ الْمَاءِ فِي قَرْقُورِي... حَلُو الْبَابِ نَرْضَعُكُمْ ... لَا حَذَّ يَنَادِي ...مَاجَاوَهَا حَذَّ...عَزَّة،مَعَ.....! وَمَا فِيهَا مَا يَصْبِرُ وَتَنْدَبِرُ تَهْرَسُ³ الْبَابِ وَتَدْخُلُ: "عَزَّة! مَعْرُوزَةَ!....قَطْ... "حَتَّى يَخْرُجَ قَطِيْطُ الرَّمَادِ غَيْرَ بِالسِّيَاسَةِ..وَيُخْبِرَهَا بِالِي كَانُ « يَا أَمَا...يَاكَ جَاتِ وَحَذَّ الْحَاجِ...عَنَاتِ كِبِيْفِكَ، وَأَنَا قُلْتُ لَخَوَاتَاتِي. هَذِي مَشِي أَمْنَا، عَلَى خَاطِرْ صَوْنَهَا غَلِيْظْ غَلِيْظْ وَعَزَّةَ وَمَعْرُوزَةَ مَا بَعَاوْشْ يَسَاعُفُونِي حَلُو الْبَابِ.... »

هَا بِالْنِيَّةِ، ذِيكَ الْحَاجِ كُبِيْرَ كُبِيْرَ عُلَقْتُ عَلَيْنَا فَمَ لَعَازَ وَكَلَاتَ عَزَّةَ وَمَعْرُوزَةَ وَمَشَاتْ ... "بُوْه! بُوْه! بُوْه! مَعَ! تُصِيْحُ الْمَعِيْرَةَ الصِّينِيَّةَ مَسْكِيْنَةَ وَتَوْعُ وَتَقُولُ لَهُ: " اَقْعُدْ هُنَا وَبَلِّعْ الْبَابِ، نَشُوفُوْ اشْكُونُ وَصَلَّهُ الزَّمَانُ وَبِتَعْدَى عَلَيْنَا وَيَاكُلْ بِنِيَاتِياَقْعُدْ هُنَا "

وَتُرُوحُ وَتَهْدَرُ وَحَدَّهَا مَسْكِيْنِ، مَفْتُوْحُ " اشْكُونُ هَذَا يَا رَبِّي سِيْدِي؟ صَوْتَهُ غَلِيْظْ، وَكُبِيْرُ، وَكُبِيْرُ، حَتَّى غُلِقَ فَمَ الْغَارُ؟أَهْ....! ظَنِيْتُ بِيَهْ الذِّيْبُ الْعَدَارُ، هَذِي خُدَايِمَهْ... وَتَمَشِي لَهُ، وَتُدَقُّ " طَبْ طَبْ، طَبْ طَبْ "....هَا بَعَى خَيْنَا يَشْطَارُ... " اشْكُونُ طَبْ طَبْ فِي غَارِي وَأَنَا حَفَرْتُ بِأُظْفَارِي، وَالْعَجَاجُ عَامِي عَيْنِي؟ " وَ تَجَاوَبَهُ الْمَعْرُ وَتَنْهَدَدُ: " ذِيكَ أَنَا الْمَعْرُ الصِّينِيَّةَ، أَلِي قُرُونِي دَهْبِي وَالِي صَرَحْتُ مَعَ الْمِيْرَاتِ؛ أَلْكَلَا عَزَّةَ وَمَعْرُوزَةَ، يَخْرُجُ هُنَا يَبَارَزْنِي! "...هَا.... تَمَّ بَدَا السِّي عَلِي بَنْ يُوْسُفَ يِرْتَعُدُ...

" يَا رَبِّي سِيْدِي كِي نُدِيْرُ مَعَاهَا هَذِي الْمَعْرُ الْوَاعِرُ ... " اَعْمَتِي الْمَعْرَةَ، وَاللَّهُ مَا أَنَا، كِيْفَاشْ تَمَشِي نَشْعَدَى عَلَى وَلَادَ جَارْتِي! لَأَكُنْ....فَايْتُ عَلَى بَابِ الدَّارِ... مَا عَرَفْتُ شْكُونُ وَالْمَشِي ثَقِيْلَ مَا يُكُونُ غَيْرَ هُوَ، بَصَحْ مَا عَرَفْتُ شْكُونُ " وَ تَقُولُ الْمَعْرُ فِي نَفْسِهَا الْمَشِي ثَقِيْلَ؟.....؟ حَقِي

¹ سَرْطُ : ابتلع

² مَا دَارِيَّةَ : لا تدري

³ تَهْرَسُ : تكسر

وَبَاطِلِي هَذَا الطَّبَعِ الْجَائِحِ " وَتَمَشِي لَهُ " طَبَّ طَبَّ! طَبَّ طَبَّ! هَا بُعَى حَتَّى هُوَ يَتَشَطَّرُ: " اشْكُونُ طَبَّ طَبَّ فِي غَارِي أَنَا حَفَرْتُهُ بِأُظْفَارِي الْعَجَاجِ عَيْنِي؟ " وَتَقُولُ لَهُ الْمَعَزُّ الرَّجُلِيَّةُ. " ذِيكَ أَنَا الْمَعَزُّ الصِّينِيَّةُ أَلِي قُرُونِي ذَهَبِي أَلِي صَرَخْتُ مَعِي الْمِيرَاتُ الْكَلَّا عَزَّ وَ مَعْرُوزَةٌ يَخْرُجُ هُنَا يُبَارِرُنِي! تَمَّاكَ بَدَا يَصْطَفِقُ¹ بِالْخُوفِ وَقَالَ لَهَا: " مَا أَنَا لَأَكُنَّ فَايْتٌ عَلَى بَابِ الدَّارِ، الْمَشِيَّةُ ثَقِيلٌ وَيَتَكَرَّكِبُ، بِالْأَكِّ هُوَ... مَا عَرَفْتُ الشُّكُونَ أَنَا عَلَى رَاسِي" ... مُشَانَا لِلتَّغْلَبِ، هَكَذَاكَ الْعِنَاقُ الْأَرْضُ هَكَذَاكَ أَيَا قَالَتْ هَذَا غَيْرَ السَّبْعِ رَاهُمُ خَائِفِينَ مِنْهُ خَلِيَّةُ تَشُوفُ وَتُرُوحُ لَهُ: " طَبَّ طَبَّ! طَبَّ طَبَّ! " هَا بُعَى يِرَاقِبُ " اشْكُونُ طَبَّطَبَّ فِي غَارِي، وَأَنَا حَفَرْتُهُ بِأُظْفَارِي وَالْعَجَاجِ عَامِي عَيْنِي؟ تَرُدُّعَلِيهِ الْمَعَزَّةُ بِلَا خَوْفٍ "ذِيكَ أَنَا الْمَعَزُّ الصِّينِيَّةُ؟" وَالِي قُرُونِي ذَهَبِيَّةُ، وَالِي صَرَخْتُ مَعَ الْمِيرَاتِ.... أَلِي كَلَّا عَزَّةٌ وَمَعْرُوزَةٌ يَخْرُجُ هُنَا يُبَارِرُنِي".... هَا بَدَا يِرَجِفُ.... لَأَكُنَّ مَنْ تَالِي دَارَ الرَّجُلَةِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ يَاكَ أَنَا السَّبْعُ! تَمَشِي نَخَافُ مَنْ مَعْرَةَ؟ إِذَا بُعَاتُ رَقِيبَةً... خَلِيهَا تَشُوفُ وَيُرَقِي لَهَا مَنْ وَرَاءَ الْبَابِ: " أَنَا كَلِيثُهُمْ؟ " ... هَا كَذَا؟ ... اخْرُجْ أَدَاكَ رَاجِلٌ ... "

هَا قَالَ هُوَ فِي نَفْسِهِ: " غُرْقَةٌ هَذِي دَوْرَكَ كَيْ نَدِيرُ مَعَاهَا أَنَا؟ هَذِي رَاهِي مَعْوَلَةٌ ... "وَنُطْبَطَبُ عَلَيْهِ: اخْرُجْ! أَيُّ؛ اخْرُجْ، اخْرُجْ، فِي عَرْضِي² ... وَزِيدي عَنْدِي ضِيَّافٌ! " وَ هُوَ مَاعِنْدَهُ ضِيَّافٌ غَيْرُ كُدْبَهَا بَاشَ يَشُوفُ وَيُدْبِرُ كَيْفَاشَ السَّلَاكَ " إِيه! قَالَ يَاكَ الْمَعِيْزُ عِنْدَهُمْ قُرُونٌ حَتَّى أَنَا تَلْبَسُ رُوجَ قُرُونٍ فُوقَ رَاسِي.... وَبَدَا يِكْرُطُ فِي الطِّينِ مِنَ الْحَيْطِ الْغَازِ وَيُخَاطِبُهَا بِشُويِّ مَاءٍ وَيَمْلَسُ قُرَيْبَاتٍ،.... وَالْمَعْرَةَ مَا فِيهَا مَا يِرْحَاءُ، " طَبَّطَبَّ، طَبَّطَبَّ! اخْرُجْ فِي غَرَضِكَ.. "

. أَيُّ فِي غَرَضِكَ، رَانِي نُوَكِّلُ فِي أَصْيَافِي مَرَّةً رَانِي نُوَكِّلُ فِيهِمْ، مَرَّةً رَانِي نَمُدُّدُ فِيهِمْ، مَرَّةً مِنَ الْبَابِ الْأَخْرَ ... مَرَّةً رَانِي نَصْلُحُ فِي الدَّارِ... وَزَايِدُ قُرَيْبَاتِ الطِّينِ ... حَتَّى خَرَجُ، غَيْرُ بِالسِّيَاسَةِ؛ يَتَوَخَّرُ وَيَتَقَدَّمُ... وَيُعَنَّتُ: " وَاشْ بُغِيْتُ؟ عَبَازُ وَالَا بَرَازُ، وَالَا ضَرْبُ النَّصَالِي؟" قَالَتْ لَهُ هِيَ: " الْعَبَازُ لِلْبَهَائِمِ، هُوَ الْبَعِيدُ، وَالْبَرَازُ لِلْهَمَائِي كَيْفُ، هُوَ الْبَعِيدُ، وَضَرْبُ النَّصَالِي لِبَنَاتِ الصَّلَاطِ كَيْفِي! " وَتَطِيرُ لِلسَّمَاءِ وَتُعُومُ عَلَيْهِ بِرَاسِهَا مَنَحْنِي، وَيَجُودُ قُرُونَهَا فِي كَرَشِهِ، تَشْرُكُهَا³ حَتَّى لَصَدْرَهُ... وَتُجِيبُهُ مَرْمِي عَلَى ظَهْرِهِ وَكَرْعِيهِ⁴ فِي السَّمَاءِ... وَتَجِدُ بُنْيَانَهَا عَزَّةً وَمَعْرُوزَةً، وَتُرَقِي بِالْفَرْحَةِ: " يَا سَعْدُ أَمَا ... مَا زَالُوا بُنَاتِي حَيِّينَ، وَتَمَشِي تَغْسَلُهُمْ فِي الْوَادِ أَيَا وَتَعْطِيهِمْ تَعْطِيَهُمْ "

¹ يصطفق : يرتجف

² عرضي : بهدوء

³ تشركها : تمزقها

⁴ كرعته : رجليه

المسيطات، منها خلعة ومنها فرجة وباش ما يعاودوش مرة اخرى يردوا بالهم؛ وتمشي بهم للدار.... وهذا ماذا من الاخبار والي عليه شي ذنوب يكثر الاستغفار.. اما سبغ البحر عليهم خليه يمشي ياكل الحديد، واحنا ناكلوا الثريدا¹.

15. "الخيز امرا.. والشرا امرا"²

"وخذ النهاز كان وخذ السلطان هو ومزته قاعدين في العلي³ شافوا الحطاب ومزته ووليدانهم يتضابحو⁴ قدامهم، قالت الاميرة للسلطان: راك تشوف حالة الحطاب، مزته هي الزمان بروحه الخيز امرا والشرا امرا: قال لها السلطان: شاركي تقولي علاه انت الخيز مين راكي عندي، قالت له: واه انا الخيز، قال لها: همالا اخرجي ونسوف الخيز يلا يبقى موراك ولا يتبعك⁵.

خرجت وفاتت على الحطاب وقالت له: ضيف ربي ما عرفهاش قال لها: يا بنت سيدي وانا هذي خيمة نضيفك فيها، قالت له شفني حالكم وجيت نعيش معاكم، قال لها: بصح راكي تعرفي حالة الحطاب، قالت له: راني عازف، جاب هو شوي تاغ زرغ بالحطاب اللي باعه، جاو اولاده يجروا بعاو ياكلوه اخضر كيما سبق مع امهم، جابت مشحاط⁶ وحاوونهم قالت لمزت الحطاب: اقليه، ومين فلاته جاو اولادها ياكلوه حاوونهم، وقالت لها: اطحنيه طحناته وغربلاته، قالت لها " التيشيشة وخريةا في ليان والسמיד اعجنيه، عجناته وطيباته مين وجدت الكسرة اعطائهم قاغ طرف طرف كلاوا وقالت لها: احلي شوية حليب من هديك المعزة وفوري التيشيشة سقات لهم بالحليب تشاو بها وشبعوا، وخلات شوية زرغ على جهة، كل يوم هكذاك تدير لهم وتوخر شوية تاغ الزرع حتى عمرت زقاو⁷ قالت للحطاب اديه بيعه واشري احماز ترقد عليه الحطاب بزاف، شري حماز، ولي يصور الدراهم بزاف وبدا يدخل للدار شوية قهوة وسكر، واصبح يشري القمح وامهم تحبزلهم كسرة تاغ قمح و تشربوا القهوة، قال لها: يالالة: احنا عمرنا ما شربنا القهوة ولا كلينا الكسرة تاغ القمح.

¹ الثريد : اكلة شعبية بالغرب الجزائري

² مدونة واضح عائشة غليزان 2005

³ العلي: الشرفة

⁴ يتضابحو: يصرخون

⁵ تتبعك: يلحق بك

⁶ مشحاط: عصا

⁷ زقاو: كيس يحفظ به الحبوب

فِي هَذِيكَ الْجِهَةِ كَانُوا الْمُغَارِبَةَ يَحْفَرُوا الْأَرْضَ، وَيَحْوَسُوا عَلَى الْمَالِ وَالذَّهَبِ قَالُوا لِلْحَطَّابِ بِيْعْ لَنَا الْحَمَارَ بِالذَّرَاهِمِ اللَّيِّ تَبْغِيهِمْ، بَاعَ لَهُمُ الْحَمَارَ وَفَرِحَ بِالْمَالِ لِي اعْطَاوْهُلَهُ وَرَجَعَ لِدَارِهِ، الْمُغَارِبَةَ أَدَاوُ الْحَمَارَ وَقَعْدُوا يَحْفَرُوا وَيُدِيرُوا الْبَحْرَ لِلْعَقَارِ، خَرَجُوا الذَّهَبَ وَالْمَالِ دَارُوهُ فَوْقَ الْحَمَارِ وَرَجَعُوا يَزِيدُوا يَحْفَرُوا، حَتَّى تَعْسَاوَا، الْحَمَارَ فَعَدَّ يَقَارِعُ¹، وَمَنْ بَعْدَ رَجَعَ لِدَارِ الْحَطَّابِ اللَّيِّ كَانُ مَوْلَفُهَا، مِينَ أَدَخَلَ أَنْخَلُوا شَدَّتْ الْأَمِيرَةَ دَبْحَاتَهُ وَطَرْفَاتَهُ² وَدَفْنَاتَهُ، خَزْنَتْ الذَّهَبَ وَالْمَالِ فِي مَطْمُورَةَ، مِينَ فَطَنُوا الْمُغَارِبَةَ مَا صَابُوشُ³ الْحَمَارَ رَجَعُوا لِلْحَطَّابِ سَقْسَاوَهُ⁴ عَلَى الْحَمَارِ قَالُ لَهُمْ: مَا شَفْتَهَشْ، شَدَّتْ اعْطَاتُ لِلْحَطَّابِ يَشْرِي الْعَوَادُ وَالْمَكَاحِلُ وَاللَّبْسَةَ لِيَهُ وَلَوْلَادَهُ وَلَمْرَتَهُ وَبِنَاتُ فَيْلَا".

وَحَدَّ النَّهَارَ طَيَّبَتْ عَشَا فِيهِ كُلُّ الْخَيْرِ وَكُلُّ خُمَيْرٍ وَقَالَتْ لِلْحَطَّابِ عَيْطُ لَجَارِكِ مَوْلِ الْقَصْرِ، رَانِي تَشُوفَ حَالَهُ قَاعَ تَبْدَلْ، وَرَاهُ وَيْنُ مَا بَاتُ وَيْنُ مَا ضَلَى قَالُ لَهَا: صَحَّ وَدَارَتْ خَاتَمَهَا فِي عُرْفِي الْخَيْرِ مِينَ جَا يَأْكُلُ صَابَهَا قَالُ لَهُ: حَلْفَتَكِ بَرِي قَوْلُ لِي شَكُونُ اللَّيِّ طَيَّبَ الْعَشَا قَالُ لَهُ: هَذِي أَمْرًا رَبِي رَسَلُ هَالِي خَرَجْتِي مَنَ الزَّمَانُ وَرَجَعْتِي عَائِشُ فِي هَذَا الْخَيْرِ اللَّيِّ رَاكَ تَشُوفُ، قَالُ لَهُ: صَحَّ وَرِي هَالِي، عَيْطُ لَهَا مِينَ شَافَهَا فَعَدَّ بِيَكِي وَطَلَبَ مِنْهَا السَّمَاخَ وَقَالُ لَهَا: مَلِي خَرَجْتِي خُرْجُ الزَّرْزُقِ مَعَاكَ، رَجَعْتَ مَعَ رَاغْلُهَا وَاعْطَاهَا الْحَطَّابُ نَصْفَ رَزْقِهِ..... وَهِي رَا حَتْ تَتَكَرَّكِبُ وَأَنَا جِيْتُ تَتَكَرَّكِبُ.

16. " الْعَبْدُ لُحْلُ"⁵

"وَحَدَّ النَّهَارَ كَانُ وَحَدَّ الْأَمِيرُ مَتْرُوجَ بِأَمِيرِ شَابَ بَرَاْفَ، وَكَانُ عِنْدَهُ وَحَدَّ الْعَبْدُ كُحْلُ يَخْدَمُ عِنْدَهُ، وَكَانُ يَعْرِفُ السِّحْرَ، عَلَّمَ سَيِّدَهُ كَيْفَاشُ يُدِيرُ يَسْحَرَ، وَكَانُ هَذَا الْعَبْدُ يَبْغِي أَمْرَةَ الْأَمِيرِ، عَاجِبَاتُهُ، وَيَحْوَسُ يَقْتُلُ الْأَمِيرَ بَاشُ يَطِيقُ⁶ يَتْرُوجُ بِهَا.

وَحَدَّ النَّهَارَ الْأَمِيرُ كَانُ خَارِجَ لِلصَّيْدِ وَإِذَا مَعَاهُ الْعَبْدُ، صَيَّدَ الْأَمِيرُ حَمَامَةَ قَالُ لَهُ الْعَبْدُ: كُونُ نُورِيلِي يَاسِيدِي لَا رَاكَ تَعْرِفُ تَسْحَرُ كَيْمَا عَلَمْتَكُ، قَالُ الْأَمِيرُ: شَا تَبْغِي نُورِيلِكَ، قَالُ لَهُ الْعَبْدُ: حَوْلُ رُوحِكَ لِهَذَا الْحَمَامَةَ، فِي الْوَقْتِ اللَّيِّ تَحَوْلُ فِيهِ الْأَمِيرُ لِلْحَمَامَةَ، حَوْلُ الْعَبْدِ رُوحَهُ

¹ يَقَارِعُ: يَنْتَظِرُ

² وَطَرْفَاتُهُ: قِطْعَتُهُ

³ مَا صَابُوشُ: لَمْ يَجِدُوا

⁴ سَقْسَاوَهُ: سَأَلُوهُ

⁵ مَدُونَةُ وَاضِحِ عَائِشَةَ غَلِيْزَانَ 2005

⁶ يَطِيقُ: يَسْتَطِيعُ

لأَمِيرٍ، وَيَعَى يُطِيرُ عَلَى الْحَمَامَةِ يُجَيِّفُهَا، طَارَتْ فَوْقَ شَجَرَةٍ مِّنْ شَجَارِ الْقَصْرِ رَجَعَ الْعَبْدُ أَلِيَّ دَارِ رُوحِهِ هُوَ الْأَمِيرُ، وَ رَاحَ عِنْدَ الْأَمِيرَةِ أَلِيَّ كَانَ يَحْلَمُ بِهَا، وَيَعَى يَرَقُدُ مَعَهَا فِي النَّهَارِ، شَكَتِ الْأَمِيرَةَ فِيهِ وَنَاضَتْ وَخَالَاتَهُ، وَرَاحَتْ لِلْجَنِينَةِ، وَقَعَدَتْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَلِيَّ حَطَّتْ فَوْقَهَا الْحَمَامَةُ، وَلَآتِ تَحْمَمَ الْأَمِيرُ رَاهُ مَتَبَدَّلَ، مَشِيَ هَدُوا طَبَائِعَهُ، حَتَّى طَاحَتْ عَلَيْهَا قَطْرَةٌ مَاءً، كَيْ طَلَعَتْ رَاسَهَا صَابَتْ الْحَمَامَةُ تَبْكِي، سَفْسَاتُهَا، خَبِرَتْهَا الْحَمَامَةُ بِقَصَّتِهَا، أَنْخَلَعَتْ وَعَرَفَتْ بَلِي هَذَا الْعَبْدُ بَعَى يَلْعَبُ بِهَا، وَتَفَاهَمَتْ مَعَ الْحَمَامَةِ " الْأَمِيرُ " بَاشَ تَحَطُّ فَوْقَ التَّاقِ¹ تَاعَ دَارَهَا وَعَيْطَتْ لِلْعَبْدِ وَقَالَتْ لَهُ: يَا رَاحِلِي، رَانِي بَاغِيكَ تَعْلَمَنِي شَوْبَةَ سَحْرَ مَن أَلِيَّ عَلِمَهُ لَكَ الْعَبْدُ ائْتَاكَ قَالَ لَهَا صَحَّ وَهُوَ فَرَحَانُ، قَالَتْ لِلْخَدَامِ جِيُولِي دِيكَ مِينِ جَابُوهُ لَهَا، قَالَتْ وَرِينِي كِبِفَاشَ تَحَوْلُ رُوحَكَ لِهَذَا الدِيكَ، فِي رَمْشَةِ عَيْنٍ، حَوْلَ رُوحِهِ لِلدِيكَ، تَحَوْلَتْ الْحَمَامَةُ لِأَمِيرٍ، وَشَدُوا الدِيكَ وَدَبَّحُوهُ، وَعَاشَ هُوَ وَمَرْتَهُ هَانِيَيْنِ مَن غَدَرَ الْعَبْدُ لَكَلَّ".

17. " الذيب و الثعلب"²

"وَحَدَّ النَّهَارَ اشْتَرَكُ الذَّيْبُ مَعَ الثَّعْلَبِ فِي فَلَاحَةِ الْقَمْحِ، مِينِ تَجِي الثَّعْلَبُ نُصِيبُ الذَّيْبِ رَاقِدًا، نَقُولُ لَهُ: يَا الذَّيْبُ نُوضُ³ تَزْرَعُ، يُقُولُ لَهَا: أَرْزَعِي وَأَنَا نَحْصَدُ، تَرْوُحُ تَزْرَعُ، مِينِ جَا وَقَفْتُ الْحَصَادَ نَقُولُ لَهُ: يَا الذَّيْبُ نُوضُ تَحْصَدُ، يُقُولُ لَهَا: أَحْصِدِي وَأَنَا نَدْرَسُ، تَرْوُحُ تَحْصَدُ، مِينِ كَمَلْتُ، قَالَتْ لَهُ: يَا الذَّيْبُ نُوضُ تَدْرَسُ، قَالَ لَهَا: أَدْرَسِي، وَوَقَفْتُ الْكَيْلَ نَوْصِينِي نَكِيلَ مِينِ دَرَسَاتَهُ نَاضَ بَاشَ يُكَيْلُ، وَلى يَدِيرُ الصَّافِي لِيهِ وَالْكَرْفَةَ لِلثَّعْلَبِ، قَالَتْ لَهُ: يَا الذَّيْبُ غَلَاةَ حَقَرْتَنِي؟ قَالَ لَهَا: هَذَا لِي عَنْدِي أَدِي وَلَا حَلِي.

رَاحَتْ عِنْدَ وَحَدَّ الْمُدَبِّرَ قَالَتْ لَهُ: شُوفَ يَا سَيِّدِي، الذَّيْبُ كَيْ حَقَرَنِي اشْتَرَكْتُ مَعَاهُ فِي فَلَاحَةِ الْقَمْحِ، أَنَا زَرَعْتُ وَأَنَا حَصَدْتُ وَأَنَا دَرَسْتُ، وَهُوَ غِي رَاقِدٌ وَمِينِ وَلى وَقَفْتُ الْكَيْلَ نَاضَ، الصَّافِي يَدِيهِ وَالْكَرْفَةَ يَعْطِيهَا لِي.

قَالَ لَهَا: رُوحِي تَفَاهَمِي مَعَ سَلُوقِي خَلْصِيهِ وَدِيرِيهِ فِي قَنْتَ وَغَطِيهِ وَمِينِ مَا يَبْغِيشَ يَعْطِيكَ حَقَّكَ، أَطْلَقِي عَلَيْهِ السَّلُوقِي، رَاهُ يَخَافُ وَيَخْلِي لِيكَ الْقَمْحُ وَيَهْرَبُ، قَالَتْ لَهُ: صَحَّ. رَاحَتْ الثَّعْلَبُ تَفَاهَمَتْ مَعَ السَّلُوقِي، عَطَاتَهُ وَدَارَتْهُ فِي الْقَنْتِ، مِينِ كَمَلُ الذَّيْبِ الْكَيْلَ، قَالَتْ لَهُ أَعْطِينِي حَقِّي، قَالَ لَهَا: هَذَا حَقَّكَ، قَالَتْ لَهُ قَوْلُ، يَقْطَعْنِي هَذَاكَ الْقَفَّ أَلِيَّ يَلْقَفُ أَلَا هَذَاكَ

1 التَّاقُ : النافذة

2 مدونة واضح عائشة غليزان 2005

3 نُوضُ: انهض

حَقَّكَ، قَالَ لَهَا: يَقْطَعُنِي هَذَاكَ الْقَفَّ أَلِّي يَلْفَقُ أَلَا هَذَاكَ حَقَّكَ، وَمَا عَرَفْتُ بَلِي أَلِّي مَعْطِي هُوَ السُّلُوقِي، خَرَجْتُ لَهُ السُّلُوقِي مِينُ شَافَهُ قَاسٌ¹ أَلِّي فِي يَدِهِ وَهَرَبَ، وَلَى يَقُولُ لَهَا: يَا لِنَعْلَبِ كُلِّ شَيْ رَاهُ لِيكَ، بِالصَّافِي بِالكَرْفَةِ بَلِي تَحْتِ الطَّارِفَةِ كُلِّ شَيْءٍ رَاهُ لِيكَ، آدَاتُ هِيَ الْقَمْحُ قَاعٌ حَقُّ أَلِّي تَعَبْتُ فِيهِ لِرُوحِهَا " .

18. " جَحَا وَالسُّلْطَانُ"²

"وَحَدَّ النَّهَارَ جَحَا وَعَدَّ السُّلْطَانُ تَاعَ الْبِلَادِ بَاشْ يَدُوقَهُ وَرَّ مُحَمَّرَ مَنَ طَيَابَ مَرْتَهُ وَبَغَى يُؤْفِي بِهِدْرَتَهُ رَاحَ لَمَرْتَهُ وَقَالَ لِيهَا: اخْتَارِي لَنَا وَرَّ كُبِيرَ مَنَ أَلِّي عِنْدَنَا، طَيَّبِيهَا وَحَمْرِيهَا نَدِيهَا لِّلْسُلْطَانِ بِالْأَلِّ كَاشَ مَايْحَنُ عَلَيْنَا بِشُوي مَالٍ. مِينَ طَابَتْ الْوَزَّ وَحَمَارَتْ آدَاهَا لِّلْسُلْطَانِ، فِي الطَّرِيقِ جَاعَ كَلَا مَنهَا فَحَدَّ، مِينَ وَصَلَ لِّلْقَصْرِ أَعْطَاهَا لِّلْسُلْطَانِ كِي شَافَهَا، قَالَ لَجَحَا: وَيْنُ رَاهُ كِرَاعُ الْوَزِّ؟ أَلِّي عِنْدَنَا يَمْشِي عَلَى كِرَاعٍ وَاحِدٍ وَلَا مَامَنْتِيش³ طُلَّ⁴ مَنَ التَّاقَةَ تَاعَ الْقَصْرِ وَشُوفَ الْوَزَّ عَلَى الشِّطِّ.

مِينَ طَلَّ السُّلْطَانُ شَافَ قَاعَ الْوَزِّ وَاقَفَ عَلَى كِرَاعٍ وَاحِدٍ كَيْمَا عَادَتْهُ فِي وَقْتِ رَاحَتِهِ، أَرْسَلَ الْخَادِمَ انْتَاعَهُ وَ قَالَ لَهُ: حَاوَزْ⁵ هَذَاكَ الْوَزَّ بِالْمَطْرُقِ مِينَ حَاوَزَهُمْ جَرَاوُ بَزُوجِ كَرَعِينِ، قَالَ السُّلْطَانُ لَجَحَا: وَدِرُوكُ شَا تَقُولُ؟ قَالَ جَحَا: أَنَا وَكَانَ حَاوَزْتِي بِهِذَا الْمَطْرُقِ نَمَشِي عَلَى رِبْعَةٍ " مَشِي تَحَارَى الْوَزَّ!

19. " الْفَلَاخُ وَالْحَمَّاسُ"⁶

"وَحَدَّ النَّهَارَ كَانَ الْفَلَاخُ عَائِشَ مَعَ مَرْتَهُ، وَحَدَاهُ سَاكِنُ الْحَمَّاسِ انْتَاعَهُ مَعَ مَرْتَهُ ... وَكَانَ الْفَلَاخُ يَقُولُ لَمَرْتَهُ كُلَّ يَوْمٍ كَبْرِي لَنَا الرِّبْعِي⁷ وَ كَانَتْ مَرَّتُ الْحَمَّاسِ تَسْمَعُهُمْ وَتَقُولُ لِرَاجِلِهَا: حُوجِي كُلَّ يَوْمٍ يَدْبَحُوا خُرُوفَ وَيَاكُلُوهُ لُوْحَدَهُمْ، قَاعٌ مَايَعْلُطُوشُ كَاشَ نَهَارَ وَيَرْسَلُ لَنَا شُوي لَحْمٍ، هَدُوا جِيَاعَ بَرَّافِ رَاحَ رَاجِلِهَا شَرَى لَهَا زَطْلَ لَحْمٍ وَقَالَ لَهَا: دِيرِي لَنَا الطَّعَامَ بِالْمَرْقَةِ تَاعَ اللَّحْمِ الْيَوْمِ، طَيَّبْتِ اللَّحْمَ وَفَوْرَتْ

¹ قَاسٌ: رَمَى

² مَدُونَةٌ وَاضِحٌ عَائِشَةُ غَلِيْزَانَ 2005

³ مَامَنْتِيشٌ: لَمْ تَتَّقَفْ بِي

⁴ طُلَّ: تَنْظَرُ

⁵ حَاوَزَ ذَلِكَ الْوَزَّ: اصْرَفَهُمْ

⁶ مَدُونَةٌ وَاضِحٌ عَائِشَةُ غَلِيْزَانَ 2005

⁷ الرِّبْعِي: لَحْمٌ

الطعام وسقائه، مِينُ بَعَاوُ يَأْكُلُوا طَبَّطَبْتُ مَرَّتَ الْفَلَاخَ، وَقَالَتْ لَهُمْ: سَمِيتَ رِيحَةَ اللَّحْمِ كُونَ تَعْطُونِي شُوِيَّةَ، قَالَتْهَا مَرَّتَ الْخَمَّاسُ: صَارَ هَاكَ أَنْتُومَا كُلُّ يَوْمٍ تَدَّبَحُوا رَبْعِي وَتَاكُلُوهُ وَحَدَّكُمْ، قَاعٌ مَا تَفَكَّرْتُنَّاشَ، وَاحْنَا صَابِنَا رَبِّي وَشَرِينَا الْيَوْمَ زَطْلَ لَحْمٍ، جِيْتِي تَجْرِي عِنْدَنَا قَالَتْ لَهَا مَرَّتَ الْفَلَاخُ: يَا مَرَاةَ الرَّبْعِي هُوَ الْبَصْلُ، كُلُّ يَوْمٍ يُقُولُ لِي طَيِّبِيهِ فِي الْمَاءِ نُسْفُوا بِيهِ الطَّعَامَ، قَالَ لَهَا الْخَمَّاسُ:

قَاعُ الْخَيْرِ أَلِّي عِنْدَهُ وَالْحَرْفَانُ أَلِّي فِي الزَّرِيْبَةِ، وَيَتَعَشَى بِالْبَصْلِ، شُوْفِي يَامْرًا كُونَ نُرِيْحَكَ مَنْ الْبَصْلِ وَتُوْلِي تَأْكُلِي اللَّحْمَ تَرْسَلِي لِي كُلُّ يَوْمٍ حَقِي؟ قَالَتْ لَهُ وَاهُ مَاذَا بِيكَ غَيْرَ نُرِيْحَ مَنْ الْبَصْلِ أَنَا قَتَّلْنِي بِيهِ قَالَ لَهَا: هَاكِي هَاذُ الْحَشِيْشَةَ مِيْنُ يَرْقُدُ حَكِيْبَهَا عَلَيَّ نِيْفَةَ وَخَلِي الْبَاقِي عَلَيَّ، قَالَتْ لَهُ: صَحْ، حَكَّتْ لَهُ الْحَشِيْشَةَ عَلَيَّ نِيْفَةَ مِيْنُ رَقْدٍ، جَا الْخَمَّاسُ مَعَ صَاحِبِهِ رَفْدُوهُ وَحَطُوهُ فِي قَبْرِ حَفْرُوْلَهُ فِي الْمَقْبَرِ، لُبْسُ صَاحِبِهِ بَرْنُوسٌ بِيْضٌ وَشَاشِيَّةٌ بِيْضَةٌ كَلِي مَلَكُ السِّوَالِ وَبَدَلُ رُوْحَهُ بَاشٌ مَا يَعْرِفُهُشَ الْفَلَاخُ وَمَنْ بَعْدُ حَاكَ لَهُ حَشِيْشَةٌ وَحَدَّ أُخْرَى فُطْنُ وَلَى صَاحِبِ الْخَمَّاسِ يَدُوْرُ فِي الْقَبُوْرِ وَيُسْمُ فِي الْمُوْتَى وَيُقُولُ: هَذَا يَأْكُلُ اللَّحْمَ رَبِّي يَرْحَمُهُ، هَذَا يَأْكُلُ اللَّحْمَ رَبِّي يَرْحَمُهُ، حَتَّى وَصَلَ عِنْدَ قَبْرِهِ سَمَهُ صَابِنَهُ فِيهِ رِيْحَةُ الْبَصْلِ، قَالَ لَهُ: هَذَا يَأْكُلُ الْبَصْلَ الْيَوْمَ يَحْصَلُ، وَشَدَّهُ هُوَ الْخَمَّاسُ بِالضَّرْبِ حَتَّى نَعَّاشِي¹.

حُكُوَا لَهُ الْحَشِيْشَةَ وَدَاوَهُ لَبْلَاصِنَتَهُ الصَّبَاحَ مِيْنُ افْطَنُ، لُقِي مَرَّتَهُ² رَافِدَةً حَذَاهُ قَالَ لَهَا: اَسْمُ اللهِ الرَّحْمَنُ الرَّحِيْمُ، أَنَا مَشِي مَتَّ وَدَفْنُوْنِي؟ قَالَتْ لَهُ: يَا رَاجِلُ شَارَاكَ تَقُولُ: أَنْتَ كُنْتُ رَافِدًا حَذَايَ مَنْ الْبَارِحِ، قَالَ لَهَا: أَلَا يَا مَرَاةَ أَنَا مَتَّ وَتَسَاوَلْتُ وَخَلَصْتُ عَلَيَّ الْبَصْلَ أَلِّي كُنْتُ نَاكَلَهُ، اَرْفُدِيهِ خَرَجِيهِ عَلَيَّ مَا نُزِيْدُشَ نُسْمَ رِيْحَتَهُ فِي الدَّارِ، مَنْ الْيَوْمَ نَاكُلُوا غَيْرَ اللَّحْمِ، فَرَحَتْ مَرَّتَهُ وَوَلَاتَتْ كُلُّ يَوْمٍ تَرْسَلُ لِلْخَمَّاسِ حَقَّهُ تَاعَ اللَّحْمِ".

20. " الْجَوْهَرُ فِي خِيُوْطِهَا"³

"وَحَدَّ النَّهَارَ كَانَ هَذَا " الزَّيْنُ " وَوَلَدُ السُّلْطَانِ، يَجِي يَشْرَبُ لِلْعَيْنِ، وَيَعْسَلُ خَيْلَهُ وَ يَخُوْضُ⁴ الْمَاءَ لِأَصْحَابِ الْقَرْيَةِ، مَا يَطِيْقُوْشُ⁵ يَعْمُرُوا مُورَاهُ، قَالَتْ لَهُمْ سَتُوْتُ: أَنَا نَهَجْرَهُ مِنَ الْبِلَادِ، وَنَخْلَصْكُمْ مَنَّهُ. رَاحَتْ لِلْعَيْنِ، دَاتُ قَرِيْبَتِهَا⁶ وَقَبُوْشُ¹ تَاعَ الْبَلُوْطِ، وَقَعَدَتْ تَعْمَرُ بِيْهَا الْمَاءَ، جَاءَ الزَّيْنُ بِأَهْ

¹ تَعَّاشِي : أغمي عليه

² مَرَّتَهُ: زوجته

³ مدونة واضح عائشة غليزان 2005

⁴ يخوض: يخلط الماء

⁵ مايطيقوش : لايستطيعون

⁶ قريبتها : كيس من جلد الماعز يوضع به الماء

يَشْرَبُ عَوْدَهُ بَطَّاتِ السُّتُوتِ، قَالَ لَهَا يَا سَتُوتُ حَفِي: مِينَ مَا بُعَاثَشْ، ذَهَمَ فِيهَا وَخَرَهَا، وَقَعْدُ
يَشْرَبُ فِي عَوْدِهِ، قَالَتْ لَهُ: شُوفْ تَقُولُ يَكْسَبُ الْجُوهَرَ فِي خَيْوُطِهَا، قَالَهَا: هَذِي بِلَادٌ وَلَا زَرْقٌ وَلَا
شَاهِي؟ قَالَتْ لَهُ: امْرَةٌ وَمَا يَلْحَقُوهَا شِ قُرَايْنُكَ².

رَاخُ لُبَابَاهُ السُّلْطَانُ قَالَهُ: رَانِي رَايْحُ نُجَيْبِ الْجُوهَرِ فِي خَيْوُطِهَا، قَالَ لَهُ بَابَاهُ: يَاوَلِدِي شَعَالُ كَيْفَكَ
رَاخُوا وَرَجَعُوا فِي نَصِ الطَّرِيقِ، قَالَ لَهُ: دِيرَلِي خَادِمٌ وَعَبْدٌ فُوقَ الْبَغْلَةِ يَرُوحُوا مَعَايَ، دَارَلَهُ بَابَاهُ
عَطَاهُ صِنَادِقُ تَاعِ الْوَيْزِ فُوقَ الْبَغْلَةِ وَرَكَبَ هُوَ فُوقَ الْعُودِ وَرَاخُوا فِي الطَّرِيقِ صَابٌ وَحَدَّ الْمَرَّةَ
تَبْكِي، وَتَقُولُ: يَا لِي يَسْلُكَ لِي وَلِيدي يَزِيحُ هُنَا وَلِهِيه، قَالَ لَهَا: مَالَهُ وَلَدُكَ، قَالَتْ لَهُ: السُّلْطَانُ رَاهُ
مُحَصَلٌ فِيهِ خِيَانَةٌ تَاعِ مَالٍ، وَهُوَ مَاخُوُشْ، وَوَلَدَهَا سَمُوهُ حَدَّ الزَّرِينِ.

رَاخُ " الزَّرِينُ " لِلْسُّلْطَانِ وَقَالَهُ شَانَعَطِيكَ وَتَخَرَجُ " حَدَّ الزَّرِينِ "؟ قَالَ لَهُ: مَا يَخْرُجُشْ غَيْرَ يِلَا وَرَزْنَتَهُ
بِالذَّهَبِ، رَاهُ الزَّرِينُ جَابَ شَوِيَّةَ مَنِ الذَّهَبِ أَنْتَاعَهُ، وَوَزَنَ بِيهِ حَدَّ الزَّرِينِ، وَأَعْطَى الذَّهَبَ لِلْسُّلْطَانِ
وَخَرَجَهُ. فَرَحَّتِ الْعَجُورُ وَقَالَتْ لَهُ: وَاللهِ مَارَاكَ رَايْحُ حَتَّى تَتَعَشَى وَتُبَاتُ عُنْدَنَا، وَمَنْ بَعْدُ يَسْهَلُ
رَبِي، وَفِي اللَّيْلِ سَفْسَاتُ³ الْعَجُورِ الزَّرِينِ وَبَيْنَ رَايْحُ؟ حَكَى لَهُمْ بَلِي رَاهُ رَايْحُ يَتَرُوحُ بِالْجُوهَرِ فِي
خَيْوُطِهَا. قَالَتْ الْعَجُورُ:

عَلَاهُ مَا يِرَافِقُشْ وَوَلَدِي، وَتَرَجَعَ الْخَادِمُ وَالْعَبْدُ لُبَابَاكَ السُّلْطَانِ وَالْبَغْلَةُ يَزَكِبُ عَلَيْهَا حَدَّ الزَّرِينِ،
وَلَدِي خَفِيفٌ وَيَقْدَرُ يِعَاوَنُكَ بِالْأَكْ بَهْدًا يَزِدُكَ غَيْرَ شَوِي مَنِ جَمِيلِكَ. انْتَفَاهُمَا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، فِي
اللَّيْلِ مِينَ رَفْدُوا رَاخُ حَدَّ الزَّرِينِ اسْتَرَسَبَ عَلَى قَصْرِ السُّلْطَانِ، وَرَجَعَ بِالذَّهَبِ اللَّي وَرَزْنَهُ بِيهِ الزَّرِينِ
لُمُولَاهُ، مِينَ نَاضُوا الصَّبَاحُ، السُّلْطَانُ فَاقَ، قَالَ لَهُمْ جَبِيوَا الْخَائِنَ اللَّي كُنَّا حَاكِمِيْنَهُ، الذَّهَبُ
انْسَرَقَ رَاخُ الزَّرِينِ وَالْعَجُورُ وَالْخَادِمُ شَهَدُوا بِاللِّي الْبَارِحُ كَانَ يَتَعَشَى مَعَنَا وَرَقَدَ مَعَنَا، بِالْأَكْ سَارِقُ
وَحَدَّ آخِرُ.

وَرَاخُ الزَّرِينُ وَحَدَّ الزَّرِينُ يَدْخُلُوا بِلَادًا وَيَخْرُجُوا بِلَادًا، حَتَّى وَصَلُوا لُوْحُدَ الْبِلَادِ قَاعَ وَجُوْهُهُمْ حُمْرِينَ،
قَالُوا لَهُمْ مَا لَكُمْ حُمْرِينَ، قَالُوا لَهُمْ كَيْفَاهُ نَسَمَعُوا خَبَرَ الْجُوهَرِ فِي خَيْوُطِهَا وَنَبَقَاوُ فِي حَالِنَا، يَزِيدُوا
يَدْخُلُوا بِلَادًا وَحَدَّ آخَرِي يَصِيبُوا مَالِيهَا قَاعَ زُرْقِينَ، يَقُولُوا لَهُمْ مَا لَكُمْ: مَا لَكُمْ زُرْقِينَ، يَقُولُوا لَهُمْ: كَيْفَاهُ
نَسَمَعُوا خَبَرَ الْجُوهَرِ فِي خَيْوُطِهَا وَنَبَقَاوُ فِي حَالِنَا غَيْرَ هَكَذَاكَ، الْبِلَادُ اللَّي يَدْخُلُوهَا يَلْقَاوُ مَالِيهَا
فِي لُونِ، حَتَّى دَخَلُوا لُوْحُدَ الْبِلَادِ صَابُوَهَا مَعْمَرَةَ بَقْرَ، قَالُوا: أَنْتَاعُ مَنِ هَذَا الْبَقْرَ، قَالُوا لَهُمْ تَاعُ

¹ قَبُوشَ : جرة

² قُرَايْنُكَ : أمثالك

³ سَفْسَاتُ : سألت

الجوهَر في خِيوطِهَا، قَالُوا لَهُمْ: وَهِيَ وَبَيْنَ رَاهِي، قَالُوا لَهُ مَا زَالَ الْقَدَامُ، يَدْخُلُوا بِلَادَ وَحَدَّ أُخْرَى يُصِيبُوهَا مَعْمَرَةَ غَنَمٍ، يُقُولُوا لَهُمْ: أَنْتَاعُ مَنْ هَذَا الْغَنَمُ يُقُولُوا لَهُمْ:

"أَنْتَاعُ الْجَوْهَرِ فِي خِيُوطِهَا، يُقُولُوا لَهُمْ: وَهِيَ وَبَيْنَ يُقُولُوا لَهُمْ مَا زَالَ الْقَدَامُ، غَيْرُ هَكَذَا حَتَّى وَصَلُوا لِبِلَادِهَا. بَابَاهَا دَايِرَهَا فِي قَصْرٍ يَعْسَهَا رُبْعِينَ عَبْدًا، بَنَى الزَيْنُ وَحَدَّ الزَيْنُ حَيْمَةَ مَقَابِلَةَ الْقَصْرِ، وَرَاحُوا لِلْحَدَامِ، وَقَالُوا لَهُمْ: ضِيَافَ رَبِّي يَلَا نَعْسُونَا، قَالُوا لَهُمْ: أَحْنَا غَيْرُ حُدَامٍ أَهْنَا أَنْتُومَا يَلَا نَعْسُونَا، قَالَ لَهُمُ الزَيْنُ وَحَدَّ الزَيْنُ: صَحَّ الْعَسَا الْيَوْمَ عَلَيْنَا، بِالْأَكْوَا مَاتَجُوشُ، دَارُوا لَهُمُ الْحَلِيبُ فِيهِ الْمُسْكِرَةَ¹ وَالْتَمَرُ وَعَسَاوَهُمْ.

رَقِدُوا بَعَا يَطْلَعُ الزَيْنُ، قَالَ لَهُ حَدَّ الزَيْنُ: أَنَا خُفِيفٌ عَلَيْكَ وَ مَا تَفِيْقُشَ بِي الْجَوْهَرِ فِي خِيُوطِهَا، طَلَعَ حَدَّ الزَيْنُ، خَبَلُ لَهَا قَاعٌ بَيْنَهَا وَ خَرَجَ، فَطَنُوا الْعَبِيدَ وَرَجَعُوا لِبِلَايَصُهُمْ²، الصَّبَاحُ صَابَتْ الْبَيْتُ قَاعٌ مُخْبَلَةٌ، خَبَرَتْ بَابَاهَا السُّلْطَانَ، قَطَعَ لَهُذُوكَ الْعَبِيدَ رِيسَانَهُمْ، وَجَابَلَهَا رُبْعِينَ وَحَدَّ أُخْرِينَ، قَالَتْ بَاغِي تَرُوحَ رُبْعِينَ عَبْدًا أُخْرَى عَلَى رَقَبَتِي أَنَا، مَا نَرَقُدُشُ وَنَعَسُ³ رُوحَ، ضَيَّفُوا الْعَبِيدَ عِنْدَهُمْ وَدَارُوا لَهُمْ كَيْمًا دَارُوا لِلْعَبِيدِ الْأُولَى، طَلَعَ حَدَّ الزَيْنُ، مِينَ بَعَى يَخْبَلُ لَهَا حَكَمَاتَهُ مِنْ الْيَدِ. قَالَتْ لَهُ أَنْتَ وَوَلَدُ الدُّنْيَا وَلَا وَوَلَدُ الْآخِرَةِ، قَالَ لَهَا: أَنَا وَوَلَدُ الدُّنْيَا وَعَلَى جَالِكَ وَوَلَدُ الْآخِرَةِ، قُلْتَ لَهُ:

" شَاخَصَكَ⁴، قَالَ لَهَا: جَيْتَ نَحَطَبَكَ لِسِيدي، قَالَتْ لَهُ أَنْتَ سُبْحَانَ لِي صَوْرَكَ وَسِيديكَ كِي دَايِرَ؟ قَالَ لَهَا: فَمَرٌ، قَالَتْ لَهُ: جِيْبَهُ لِي نَشُوفَهُ وَنَهْدَرُ مَعَاهُ، طَلَعَ لَهَا الزَيْنُ عَجَبَهَا، قَالَتْ لَهُ: بَصَحَ بِي يَشْرَطُ عَلَيْكُمْ شَرْطِينَ، الْأَوَّلُ يَخْلَطُ حَفْنَةً⁵ قَمَحٍ وَحَفْنَةً رُوزٍ، وَحَفْنَةً فُولٍ، وَحَفْنَةً حُمُصٍ، وَحَفْنَةً عَدَسٍ، وَ يَقُولُ لَهُمْ فِي رَمَشَةِ الْعَيْنِ يَلِيْقُ تَصَفُوهَا لِي، وَ تَصْبَحُ كُلُّ حَبَّةٍ فِي حَفْنَةٍ وَحَدَهَا، قَالَتْ لَهُمْ: وَهَنَا نَطِيْقُ نَعَاوَنُكُمْ، هَكَ هَذَا الْخَاتَمُ السَّحْرِيَّةُ دِيْرَهَا فِي صَبْعِكَ مِينَ يَقُولُ لَكَ هَذَا الشَّرْطُ دَوْرَهَا، تَقْضِيْلَكَ حَاجَتَكَ، وَالشَّرْطُ الرَّوْجُ، مَا نَقْدَرُشُ عَلَيْهِ أَنْنَمَا وَشَطَارَتُكُمْ، يَطْلُبُ مِنْكُمْ سَكِينٌ بَنَتْ الرَّعْدُ، وَهَذَا تُصِيبُوهُ فِي وَحَدَّ الْكَهْفِ، الْبَابُ تَاعُ الْكَهْفِ يَنْنَحَلُ مِينَ يَكْرَعُ الْإِمَامُ وَيَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ، سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ ثَلَاثَ حَطْرَاتٍ، وَ يَنْبَلَعُ مِينَ يَقُولُ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَ وَلَا تَبْلَعُ مَا يَخْرُشُ لِي دَخَلَهُ عَلَى عَامٍ، وَلَا نَجْحُتُوا فِي الشَّرْطِينَ، بِي يَخْرَجُنِي فُوقَ نَاقَةَ قَجْعَةٍ⁶، وَيُرْشُ عَلَيَّ اللَّبْنَ،

1 المسكرة: مسكن

2 لبلايصهم: أماكنهم

3 نعس: أتربق

4 شاخصك: ماذا تريد

5 حفنة: مد

6 قجعة: عرجاء

وَالذَّبَانُ تَدَاوَرُ بِي، رَاحُوا لِبَابِهَا شَرَطَ عَلَيْهِمْ شَرْطَيْنِ، الْأَوَّلُ نَجُّوهُ فِيهِ لَا خَاطَرُشَ الْجَوْهَرِ فِي خِيُوطِهَا اعْطَانَهُمُ الْخَاتَمَ السَّحْرِيَّةَ، وَفِي الشَّرْطِ الرَّابِعِ رَاحَ الزَّيْنُ وَحَدَّ الزَّيْنُ لِلْكَهْفِ، الزَّيْنُ يَقُولُ أَنَا نُجِيبُهُ وَحَدَّ الزَّيْنُ يَقُولُ: أَنَا خَفِيفٌ عَلَيْكَ أَنَا أَلْيُّ نُجِيبُهُ، مِيزَ رَكْعَ الْإِمَامِ انْتَحَلَ بَابَ الْكَهْفِ دَخَلَ حَدَّ الزَّيْنِ بَلَّخَفَ جَابَهُ وَخَرَجَ مُورَاهُ تَبَلَّغَ الْبَابَ فَرَحُوا، وَرَجَعُوا لِلسُّلْطَانِ، وَرَاوَلَهُ سَكِينٌ بَنَتْ رَعْدًا، قَالَ لَهُمْ: خَلُّوهُ عِنْدَكُمْ وَعَدَّوْهُ نَخْرَجْ لَكُمْ بَنَاتِي مَعَ بَرَافِ أَمِيرَاتِي، وَأَنْتِ اخْتَارِ وَلِي طَحَتْ فِيهَا هَذِيكَ مَرْتَكًا، قَالَ لَهُ: الزَّيْنُ صَحَّ.

الْعَدَّوْهُ بَدَاتِ الْأَمِيرَاتِ تَخْرُجُ، كَيْ يُشُوفُ وَحَدَّةَ مَرْوَقَةٍ يَبْنِي يُرُوحُ لَهَا يَحْبَسُهُ حَدَّ الزَّيْنِ، يَقُولُ لَهُ يَاكَ خَبَرْتُنَا كَيْفَاشَ تَخْرُجُ عَلَاهُ رَاكَ مَقْلَقًا، غَيْرَ هَكَذَاكَ حَتَّى خَرَجْتَ الْجَوْهَرُ فِي خِيُوطِهَا، فُوقَ نَاقَةَ قَجَعَةٍ وَمَدَاوَرُ بِهَا الذَّبَانُ، الزَّيْنُ رَجَعَ الرُّولُ وَخَافَ، حَدَّ الزَّيْنِ جَرَهُ مَعَاهُ، وَقَالَ لَهُ: هَذِي هِيَ إِشْنَا اللهُ دَاوَاهَا قَالَ لَهُمْ: السُّلْطَانُ: بَصَحْتَكُ يَا الزَّيْنُ.

وَلَادَ عَمَهَا غَارُوا، قَالُوا كَيْفَاهُ: حَنَا قَرَابَ لَهَا مَا دِينَاهَاشَ، وَوَاحِدٌ بَعِيدٌ جَا دَاهَا، لَحْفُوهَا، يَخْرُجُ حَدَّ الزَّيْنِ سَكِينٌ بَنَتْ رَعْدًا وَيُطَلِّقُهُ عَلَيْهِمْ، وَبَدَا يُطَرِّقُ وَيَخْرُجُ مَنَّهُ الرِّصَاصُ وَالْبَارُودُ، خَافُوا رَجَعُوا، مِيزَ وَلَاوُ فِي نَصْفِ الطَّرِيقِ الزَّيْنُ قَالَ لِحَدِّ الزَّيْنِ: بَاغِي نَشُوفَ الْجَوْهَرِ فِي خِيُوطِهَا، قَالَ لَهَا حَدَّ الزَّيْنِ: بِالْأَكْ تُعْرِي¹ لَهَا وَجْهَهَا، خَطَافُ الْعَرَايِسِ يَخْطَفُهَا لَكَ، رَانِي وَصِيَّتْكَ، وَدَرُوكُ أَنَا نُرُوحُ نَشُوفُ أَمَا وَمَنْ بَعْدَ نَلْحَقْكَ، وَأَنْتِ حَزْرُ أَلِّي قُلْتِ لَكَ، قَالَ لَهُ صَحَّ. وَفِي الطَّرِيقِ تَقْلَقَ عَرَى لَهَا وَجْهَهَا، خَطَفَهَا لَهْ خَطَافُ الْعَرَايِسِ وَسَخَطَهُ² هُوَ حَجْرَةٌ.

رَجَعَ حَدَّ الزَّيْنِ يَحُوسُ عَلَى الزَّيْنِ وَعُرُوسَتَهُ، مَا صَابَهَاشَ، عَزَفَ بَلِي خَالَفَ وَصَايْتَهُ وَخَطَفَهَا خَطَافُ الْعَرَايِسِ وَهُوَ سَخَطَهُ، فَعَدَّ يَحُوسُ صَابَ وَحَدَّ الرَّاعِي، قَالَ لَهُ: مَا تَعْرِفْشَ وَبَيْنَ يَسْكُنُ خَطَافُ الْعَرَايِسِ؟ قَالَ لَهُ: فِي هَذَاكَ الْكَهْفِ وَأَنَا الرَّاعِي انْتَاعَهُ، عَلَاهُ؟ قَالَ لَهُ: قَاعُ مَا شَفْنَهَشَ مَدَخَلُ عُرُوسَةِ دَرُوكُ قَالَ لَهُ: وَاهُ غَيْرُ دَرُوكُ دَخَلَهُ، وَدُوكُ تُجِي تَحَلَّبُ الْمُعِيرُ، قَالَ لَهُ نَعْطِيكَ هَذَا الذَّهَبَ أَلِّي عِنْدِي وَتُخَلِّبِي نُدِيرُ رُوحِي رَاعِي فِي بِلَاصْنَتِكَ، قَالَ لَهُ صَحَّ أَعْطَاهُ لِبَسْنَتِهِ لِبَسْنَاهَا، وَقَالَ لَهُ: شُوفْ، مِيزَ يَنْطَحُ هَذَا الْكَبْشُ بِفَرُونَهُ الْحَيْطُ تَاغَ الْكَهْفِ يَنْتَحَلُ أُدْخَلُ مَعَاهُ لَا بُعَاتُ تَرَاخَمَ الْعُتْمُ، دَارَ حَدَّ الزَّيْنِ كَيْمَا قَالَهُ الرَّاعِي وَادْخَلُ جَاتِ الْجَوْهَرُ فِي خِيُوطِهَا تَحَلَّبَ بَدَا يَعْطِيهَا الْأَكْبَاشَ، قَالَتْ لَهُ: بَاغِي غَيْرَ حَقَّكَ يَا الرَّاعِي رَاكَ قَاعَدُ تَلْعَبُ عَلِيَا: قَالَ لَهَا:

" أَنَا حَدَّ الزَّيْنِ، انْخَلَعْتُ، سَفْسَاهَا عَلَى الزَّيْنِ، قَالَتْ لَهُ: سَخَطَهُ حُجْرَةٌ، قَالَ لَهَا: يَلِيْقُ نَقُولِي لِحَطَافِ الْعَرَايِسِ مَا نَعْطِيكَشَ رُوحِي وَنُتْرُوجُ بِيكَ حَتَّى نَقُولِي وَبَيْنَ عُمْرِكَ، مِيزَ بَعَى خَطَافُ

¹ تُعْرِي: تَكشِفُ

² سَخَطَهُ: مَسَخَهُ

العرايس يرقد معاهما قالت له: وبين عُمرك؟ قال لها في الرُويّة، ما رُفدنتش معاه هذيك الليلة وخبرت حدّ الزين، قال لها راه يرعق عليك عاودي قولِي له، في الليلة الزاوجة، قالت له: ماترقدش معاك ونبقي قاع حياتي عزبة معاك، حتى نُقولِي وبين عُمرك، باش نعرف لا تبغيني ولا ألا، قال لها شوفي: انا عُمري في شعرة، والشعرة في بيضة، والبيضة في حمامة، والحمامة تُصيبيها بعدّ ألي تقطعي سبع بحور، مين خبرت حدّ الزين، قال لها: هذي بصح، راح ادبح قاع الغنم تاغ خطاف العرايس واعطاهما للهوايش تاكلها، مين كلاو وشبعوا قالوا: شكون هذا ألي شبعنا يجي يطلب وألي يبغيتها نذروها له، قال لهم: شكون ألي يقطع بي سبع بحور ويجيبني بلخف¹، كايّن ألي يقوله نديك ونجيبك في عام، كايّن ألي يقول له على ست اشهر، واحد قاله على شهر، واحد قاله: على سبع أيام، واحد قاله نهار، واحد قاله في رمشة عين نديك ونجيبك، قاله: أنت رفيقي.

راح جاب هذيك الحمامة وذبحها، قالوا خطاف العرايس راه مريض، ومن بعد فقس البيضة²، قالوا: خطاف العرايس راه غالب، راح له حدّ الزين، صابه في الفراش وراله الشعرة، وقال له رجع قاع ألي سخطنهم لأصلهم، ورجع قاع العرايس لاماليهم و نعطيك هذ الشعرة، قال له: صح داز كيما قاله حدّ الزين، فطع الشعرة ومات خطاف العرايس، و اتتهأت الناس من شره .
ورجع الزين لاصله، و صلوا للقصر و داز عرس شباب، و تزوج بالجوهز في خيوطها، وعرض ستوت تحضر و تشوف بعينها المرأة اللي ما يلحوقهاش قرآينه.
هي راحت تتكركب و انا جيت في مركب .

21. "الحيل مع الني"³

" وخذ النهار الحيلة أشتركت مع النية في الفمخ قالت الحيلة للنية: انا ندي ألي تحت الأرض وأنت أدي ألي فوق الأرض قالت لها النية: صح مين وجدت الفلاحة النية أدات الحب والحيل دات الجدر.
قالت: الحيلة أواه هذي المرة ما فلحتش حيلتي انا حسبت الصح من تحت ساعا جا⁴ من فوق.

1 بلخف: بسرعة

2 فقس البيضة: كسرها

3 مدونة واضح عائشة غليزان 2005

4 ساعا جا: لكنه جاء

وَحَدَّ النَّهَارَ أَشْتَرَكْتُ فِي اللَّفْتِ قَالَتْ الْحِيَلَةُ لِلْنِّيَّةِ: أَنَا نَدِي اللَّيِّ مَنْ لُفُوقٌ وَأَنْتِ أَدِي اللَّيِّ مَنْ تَحْتِ قَالَتْ لَهَا: صَحَّ مِينِ وَقَتِ الْقَلْبِغِ النَّيَّةِ أَدَاتِ اللَّفْتِ وَالْحِيَلَةُ أَدَاتِ الْحَشِيشِ.
رَعَفَتْ الْحِيَلَةُ وَقَالَتْ دَائِمًا هِيَ الرَّابِحَةُ يَلْبِغُ نَتَهَيَّ مِنْهَا مَانْزِيدَشْ نُشُوفُهَا فُوقَ الْأَرْضِ، قَالَتْ لَهَا: أَنْتِ أَرْفُدِي فِي الطَّرِيقِ وَأَنَا نَرْفُدُ فِي الْحَصِيدَةِ: قَالَتْ لَهَا: صَحَّ جَا وَحَدَّ الْفُومُ فُوقَ بَعَالَهُمْ صَابُوا النَّيَّةَ رَافِدَةً فِي وَسْطِ الطَّرِيقِ مَا بَعَاوَشْ يَنْوُضُوهَا وَقَاتُوا فِي الْحَصِيدَةِ مَا شَافُوشْ الْحِيَلَةَ عَفَسُوا عَلَيْهَا وَقَاتُوا الصَّبَاحَ نَاضَتْ النَّيَّةُ نَحَّوَسْ عَلَى الْحِيَلَةِ فِي الْحَصِيدَةِ صَابَتْهَا مَاتَتْ".

22. " الذيب و الفلاح" ¹

"وَحَدَّ النَّهَارَ الذِيبُ دَخَلَ لَوْحَدَ الْبَحِيرَةِ غَرَسَ فِيهَا مُوَلَاهَا الْبِصْلَ، فَعَدَّ يَنْتَرُ ² الْبِصْلَ وَيَعْمَرُ الشَّكَارَةَ غِي يَنْتَرُ وَيَعْمَرُ، حَتَّى خَرَجَ مُوَلُ الْبَحِيرِ ³، شَافَهُ، قَالَ لَهُ: يَا ذِيبُ شَارَاكَ تَدِيرُ عِنْدَكَ؟ قَالَ لَهُ الذِيبُ: الرِّيحُ رَاهُ بَرَّافٍ، وَلِي يَدِينِي وَأَنَا نُشَدُّ فِي الْبِصْلِ نُطِيرُ، وَيَنْ مَا يَبْغِي يَدِينِي نُشَدُّ فِي الْبِصْلَةِ نُطِيرُ، قَالَ لَهُ الْفَلَاخُ: وَاللِّي عَمَرْتَهُ فِي الشَّكَارَةَ؟ قَالَ لَهُ الذِيبُ: هَا تَمَّ صَبَبْتَنِي نَحَمَّ".

23. " بُوزِيَانُ الْقَلْعِي" ⁴

وَحَدَّ النَّهَارَ كَانَ هَذَا بُوزِيَانُ الْقَلْعِي رَايْحُ يَجِيبُ أَخْتَهُ الْمَتْرُوجَةَ فِي الصَّحَاوَرِيَّةِ تَعُوشَرُ ⁵ مَعَاهُمْ، وَفِي طَرِيقِهِ دَخَلَ لَوْحَدَ الْجَنِينَةَ تَاغَ كُولُونَالِ، وَقَلَعَ حَبَةَ تَاغَ حُرَّ ⁶، شَافَهُ الْحَرَكِي الْعَسَّاسُ، جَا يَجْرِي وَقَالَهُ: يَلْبِغُ تَرْجَعُهَا كَيْمَا كَانَتْ فِي الشَّجَرَةِ يَلَا بَعَاثَ تَحْيِطُهَا، رَعَفَ بُوزِيَانُ، قَالَ وَاللَّهِ يَلَا خَلَصْتُ مَنَّا وَمَنْ كُلَّ حَرَكِي بِيَاغَ لِبَلَادِهِ، رَاخَ يَمْشِي عَلَى بَعْلَتِهِ، ثَلَاقَى سَبْعَ خِيَانِ بَعَاوُ يَدُولُهُ الْبَعْلَةُ أَنْتَاعَهُ، قَالَ لَهُمْ نَدَابِرُ مَعَاكُمُ بِالْوَاوَدِ، وَمِينِ نَمُوتُ أَدُوا الْبَعْلَةَ أَنْتَاعِي، قَالُوا لَهُ صَحَّ، وَلَى اللَّيِّ يَقَابَلُهُ يُطِيحَهُ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى كَمَلَهُمْ لِّلْسَبْعَةِ، أَنْخَلَعُوا فِي سَجَاوَتِهِ، قَالُوا لَهُ كُونِ تُولِي مَعَانَا، قَالَ لَهُمْ: صَحَّ، وَهُوَ فِي نَيْتِهِ يُولُوا مَعَاهُ بَاشْ يَقْتُلُوا الْحَرَكَةَ وَالْكُولُونَالِ اللَّيِّ رَاهُمْ دَائِبِينَ خِيرُ بِلَادَهُمْ.

¹ مدونة واضح عائشة غليزان 2005

² يَنْتَرُ: يفتلح

³ الْبَحِيرِ: قطعة أرض تزرع بها الخضر

⁴ مدونة واضح عائشة غليزان 2005

⁵ تَعُوشَرُ: العطلة

⁶ حُرَّ: التين

وَكَانَ بُوزِيَانُ يَعْرِفُ الضَّرْبَ الْمُخَالَفَ، وَيَعْنَى يُزِيدُ يَتَعَلَّمُ، وَلَى يُرُوحُ هُوَ وَاصْحَابَهُ لِلْجِبَالِ، يَتَعَلَّمُوا عِنْدَ الْفَاهِرِينَ، حَتَّى وَلَى يَعْرِفُ يَقْطَعُ الْخَيْطَ الْمَعْلُوقَ فِي الشَّجَرَةِ الْكَبِيرَةِ بِالرِّصَاصِ، وَمَنْ بَعْدَ وَلَى يُرُوحُ هُوَ وَاصْحَابَهُ عِنْدَ الْعَنِيِّ، وَيُدُوا مَنْ عِنْدَهُمُ الْجَزِيَّةَ وَيَقْسُمُوهَا عَلَى الْمَسَاكِينِ اللَّيِّ مَا عِنْدَهُمْشُ حَتَّى وَلَاتْ قَاعَ النَّاسِ تَبْغِيَهُ.

بُوزِيَانُ كَانَ يَتَسَبَّبُ فِي الْمَاشِيَةِ، وَعَيْطَ لَهُ الْقَائِدَ عَلَى الْبَرِّ اللَّيِّ جَاتَهُ بَرَّافٌ، وَمَابِعَاشُ يَدْفَعُهَا، ضَرْبَهُ بِصَفْعَةٍ، رَادَ حَلْفَ عَلَى كُلِّ قَائِدٍ يَلْقَاهُ يَخْلَصُ مِنْهُ فِي دَارِهِ، وَوَلَى هَارِبٌ فِي الْجِبَالِ فِي النَّهَارِ، وَفِي اللَّيْلِ يُطِيحُ هُوَ وَاصْحَابَهُ عَلَى الْكُولُونَالَاتِ وَالْقِيَادِ وَالْحَرَكَةِ فِي دِيَارِهِمْ، يَقْتُلُهُمْ وَيَدِي لَهُمُ الْخَيْرَ وَيُعْطِيهِ لِلْمَسَاكِينِ.

بَدَاتْ فَرْنَسَا تَتَّقَلَقُ مِنْهُ وَتَحْوَسُ عَلَيْهِ بَلِي إِرْهَابِي، وَبَدَاتْ نَاسَهَا يُخَافُوا مِنْهُ. وَحَدَّ النَّهَارِ وَحَدَّ الرَّومِيَّةَ حَبَسَتْ لَهَا لُطُوها فِي اللَّيْلِ فِي الْقَلْعَةِ، وَكَانَ بُوزِيَانُ قَائِدٌ عَلَيْهَا، صَابَهَا تَبْكِي قَالَ لَهَا مَالِكِي، قَالَتْ لَهُ: رَانِي خَائِفَةٌ مِنْ هَذَا الْبَلَاصَةِ، اللَّيِّ فِيهَا بُوزِيَانُ الْقَلْعِي يُطِيحُ عَلَى النَّاسِ، قَالَ لَهَا: بُوزِيَانُ: وَتَعْرِيفُهُ فِي وَجْهَةٍ؟ قَالَتْ لَهُ: لَا غَيْرَ نَسَمَعُ بِهِ .

رَسَلُ بُوزِيَانُ لِأَصْحَابِ الْقَرْيَةِ، وَقَالَ لَهُمْ: يَلِيْقُ وَاحِدٌ مَا يَنْطَفِشُ إِسْمِي قُدَامَهَا، وَدَاوَهَا ضَيْفُوهَا وَيَبْنُوها، وَدَفَعُوا لَهَا لُطُوها¹ تَنْصَنَعُ.

الصَّبَاحُ جَا بُوزِيَانُ وَسَقَسَاها: كِي بَتِي؟ قَالَتْ لَهُ: غَايَةٌ، قَالَ لَهَا: مَا شَفْتِيشُ بُوزِيَانُ، قَالَتْ لَهُ: أَلَا، قَالَ لَهَا: أَنَا هُوَ انْخَلَعْتُ، وَمَنْ بَعْدَ شَكَرَاتَهُ عَلَى جَمِيلِهِ اللَّيِّ دَارَهُ فِيهَا.

رَحَلُ بُوزِيَانُ لَدَوَارِ السَّحَانِينَ، تَزَوَّجَ وَقَعَدَ تَمَّ، وَكَانَ عَايِشُ مَعَاهُ الْخَادِمُ أَنْتَاعَهُ، مَرَضَ، وَحَدَّ النَّهَارِ قَعَدَ فِي الدَّارِ، قَرَضُوا فِيهِ الْحَرَكََةَ، وَجَاتْ فَرْنَسَا رَفْدَاتَهُ، وَدَخَلَاتَهُ الْحَبْسِ، وَفَرَحُوا وَدَارُوا عِيدَ نَهَارِ اللَّيِّ قَبْضُوهُ. وَنَهَارِ اللَّيِّ بَعَاوُ يَحَاكُمُوهُ جَاتِ الرَّومِيَّةُ اللَّيِّ ثَلَاقَاها فِي الْقَلْعَةِ، وَقَالَتْ لَهُمْ: بُوزِيَانُ مَشِي إِرْهَابِي نَوَزْنَهُ لَكُمْ بِالذَّهَبِ وَاطْفُوهُ، قَالُوا لَهَا: لَا، حَبْرْتُهُمْ بِاللِّي دَارَهُ مَعَاها، وَمَا بَعَاوُشُ يَطْفُوهُ، وَفَتَلُوهُ بِالْقَرْطَةِ².

¹ لُطُوها: سيارتها

² بِالْقَرْطَةِ: المقصلة

24. " خريص و بُوخْرُوصَة"¹

وَحَدَّ السُّلْطَانُ، وَمَاهُو سُلْطَانٌ غَيْرُ رَبِّي، عِنْدَهُ غَيْرُ الشَّيْرَاتِ، وَمَرَّتُهُ مَرِيضَةً بِالْحَمَلِ، بَنَتْهُ
 الْكَبِيرَةَ بَعَاثَ الْعَبْدِ، وَبَعَاثَ نَقُتْلَ أُمِّهَا وَأَبِيهَا عَلَى جَالِهِ.
 وَحَدَّ النَّهَارَ السُّلْطَانُ قَالَ لِلْعَبْدِ: أَيَا نَحْطَرُوا فَوْقَ الْأَعْوَادِ، مِينِ بَعَدُوا قَالَ الْعَبْدُ لِلْسُّلْطَانِ، كِي رَاكَ
 مَغُوقِلًا، آتٍ نَحْسَنَ لَكَ وَجْهَكَ، حَسَنَ لَهُ وَتَكَ عَلَيْهِ ذُبْحَهُ، مِينِ جَا لَلْدَارِ قَالَتْ لَهُ لِأَلَاةٍ: كَيْفَاهُ
 جَبْتُ الْعُودَ تَاعَ سِيدِكَ؟ قَالَ لَهَا: سِيدِي عِنْدَهُ حُبَابَةٌ وَغَاشِيَةٌ، عَلَى شَهْرٍ مَا يُجِيشُ، تَنْفَرْتُ هِي،
 وَرَاخَ قَالَ لِبَنْتُهُمُ الْكَبِيرَةَ: رَانِي ذُبَحْتُ أَبِيكَ، بَاقِي أَمَكُ الْغَدَوِي، قَالَتْ لَهُ لِأَلَاةٍ: رُوحَ تَزْقِي، قَالَ لَهَا:
 يَا تَزْقِي، قَالَتْ لَهُ: رُوحَ حَطْبِ، قَالَ لَهَا: رُوحِي أَنْتِ تَحْطَبِي بِرَاسِكَ إِلَّا دَارَهَا بِيهِ، رَاخَتْ تَحْطَبُ
 وَبِنْتُهَا رَاخَتْ تَسْرُخُ بِالزُّوَايِلِ²، زَعَفَ عَلَيْهَا الْعَبْدُ شَافَتْهُ مِينِ زَعَفَ عَلَيْهَا، وَوَلَاتَ تَبْكِي، لَحَقَ لِأَلَاةٍ
 شَافَهَا مِينِ حَطْبَتْ، وَرَفَدَاتَهُ عَلَى ظَهْرَهَا، دَمَرَهَا عَلَى حَنْشَابِ فَلَقَ لَهَا كَرَشَهَا، وَرَفَدَ الْحَرْمَةَ، وَرَاخَ
 لَلْدَارِ، خَبِرَ بِنْتُهَا بِأَلِي كَتَلَهَا.

الْمَرَّةَ طَاخَ مِنْهَا رُوجَ دَرَارِي، جَاتَ بِنْتُهَا مَنْ عِنْدَ الزُّوَايِلِ شَافَتْ أُمِّهَا كِي قَتَلَهَا، رَاخَتْ لُمِّهَا غَيْرِ
 تَبْكِي تَبْكِي، وَمَنْ بَعْدَ زَفَدَتْ خَاوَتِي عِنْدَ وَحَدَّ الْجَوَارِينَ قَطَعُوا لَهُمُ السَّرَّةَ، وَدَانَتْهُمْ لَوْحَدَ الشَّجَرَةَ
 خَاوِيَةَ حَطَلَتْهُمْ فِيهَا وَبَلَعَتْ عَلَيْهِمْ فِيهَا وَبَلَعَتْ عَلَيْهِمْ وَكُلَّ يَوْمٍ تَجِيْبُهُمْ مِينِ تَسْرُخَ تَحَلَبَ لَهُمُ الزُّوَايِلُ
 وَتَشْرَبُهُمْ بِاللَّبِيْقَةِ تَاعَ الصُّوفِ، مِينِ كَبُرُوا وَوَلَاتَ تَرُوحَ عِنْدَ الْجَوَارِينَ تَطْلُبُهُمُ الْمَاكَلَةَ وَتَعْطِيَهُمْ
 يَأْكُلُوا، وَحَدَّ النَّهَارَ وَكَلَتْهُمْ وَقَتَّ الْعَصْرَ وَبَلَعَتْ عَلَيْهِمْ، جَاوَ وَحَدَّ الْفُرْسَانَ فَايْتِينِ، وَقَفَّ عَلَيْهِمْ
 الْعَصْرَ رَبَطُوا عَوَادَهُمْ فِي هَذِيكَ الشَّجَرَةَ وَقَعَدُوا يُصَلُّوا، قَالُوا هَدُوكَ رُوجَ خَاوَتْهَا اللَّي سَمَاتُهُمْ
 خَرِيصٌ وَبُوخْرُوصَةَ لِلرَّجَالِ: اعْطُونَا حَبَةَ تَشِيْبَةَ وَلَا نَزَقَ عَلَيْكَ، وَالتَّشِيْبَةَ كَانَتْ فِي الْعِمَارَةِ مِينْتَحَى
 الرَّجُلَ وَكَمَلْ، قَالَ لَهُمْ: هَاكُمُ التَّشِيْبَةَ، وَقَالَ لَهُمْ: نَدِيكُمُ مَعَايَ؟ رَاخُوا مَعَاهُ فُوقَ الْعُودِ، دَاهُمُ لُدَارَهُ
 وَقَالَ لَمَرَّتُهُ: رَبِّي حَلْنَا عَيْنِيْنَا، اعْطَانَا رُوجَ وَوَلَادَ وَاجْدِينِ، الْغَدَوِي هِي جَابَتْ الزُّوَايِلُ تَسْرُخُهُمْ تَسْرُخَ
 بِهِمْ، حَوَسَتْ عَلَى خَاوَتْهَا مَا صَابَتْهُمْشُ، فَعَدَتْ تَحَوَسَ فِي قَاعِ الْغَابَةِ وَتَبْكِي: " يَا مَنْ شَافَ
 خَرِيصٌ وَ بُوخْرُوصَةَ"، كَبُرُوا وَوَلَاؤَ مِينِ يَخْرُجُوا مَعَ الدَّرَارِي، يُقُولُ لَهُمْ: أَنْتُمَا وَوَلَادَ الشَّجَرَةَ، رَاخُوا لُمِّهِمْ
 وَقَالُوا لَهَا: صَايَ أَنْتِي وَبَابَانَا كَبَرْتِينَا حَنَا بَاغِيْبِينَ نَرُوحُوا نَحَوَسُوا عَلَى وَالِدِينَا، وَرَاخُوا دَاخِلِينَ بِلَادَ

1 مدونة واضح عائشة غليزان 2005

2 بالزوايل: بالحيوانات

وَحَارِجِينَ بِلَادًا، حَتَّى قَادَرَ رَبِّي يُوَصِّلُهُمُ لِلْبِلَادِ أَنْتَاعَ بَابَاهُمْ وَأُمَّهُمُ، صَابُوا مَرَّةً شِيبَانِيَّةً¹ تَبْكِي
وَتَسْرَحُ، قَالَ لِأَخُوهُ شَوْفَ شِيبَانِيَّةٍ مَسْكِينَةٍ رَاهِي تَبْكِي، سَفَسَاوَهَا مَالِكِي؟

خَافَتْ مِنْهُمْ قَالَتْ لَهُمْ لَا وَالْوَا، قَالُوا لَهَا: مَا تَخَافِيشِ، قَالَتْ لَهُمْ: رَانِي نَبْكِي عَلَى خَاوَتِي
خُرَيْصُ وَبُوخَرْصَةَ، مَا صَابَتْهُمُشْ قَالُوا لَهَا وَيْنِ كَانُوا؟ قَالَتْ لَهُمْ: كَانُوا فِي هَذِيكَ الشَّجْرَةَ، وَكُنْتُ
تُرُوخُ نَخْدَمُ عِنْدَ النِّسَاءِ وَنَجِيبُ لَهُمُ الْمَاكَلَةَ، هَذَاكَ النَّهَارُ حَوَسْتُ عَلَيْهِمْ مَا لَقَيْتُهُمُشْ، قَالُوا لَهَا:
صَحَّ أَحْكِيلُنَا قَصْنَتُهُمْ، قَالَتْ: كُنَّا عَائِشِينَ أَحْنَا وَأَمْنَا وَبَابَانَا، وَأَخُنْتَا الْكَبِيرَةَ بَعَاتِ الْعَبْدُ نُنَاعِنَا،
وَنَقَاهَمْتُ هِي وَيَاهُ، وَقَتْلُ بَابَانَا وَأَمْنَا، وَكَانَتْ بِالْحَمَلِ دَمَرَهَا² عَلَى الْخَشَابِ أَنْفَقَرْتُ كَرَشَهَا، طَاحَ
مَنْهَا رُوجُ خَاوَتِي، رَحْتُ دِيْتُهُمْ وَدَرْتُهُمْ فِي شَجْرَةَ خَاوِيَّةٍ مَنِ الْوَسْطِ، وَكُنْتُ نَحْلَبُ لَهُمْ وَنُشْرِيهِمْ
بِاللِّيْقَةِ حَتَّى كَبُرُوا، مِينِ كَبُرُوا، وَلَيْتُ نَخْدَمُ عِنْدَ النِّسَاءِ نَغْسَلُ لَهُمْ وَنَقْتَلُ لَهُمْ، وَيَعْطُونِي الدِّرَاهِمَ
وَنُوكَلُهُمْ وَأُخْتِي مَنِ بَعْدُ تَرُوجَتْ بِالْعَبْدِ، وَكَانُوا كُلُّ يَوْمٍ مِينِ نَرَجَعُ مِنَ السَّرْحَةِ بِالرُّوَايِلِ أَيْشَدْنِي
الْعَبْدُ وَأُخْتِي وَيَسُوطُونِي وَيَبِيئُونِي فِي الزَّرِيْبَةِ.

وَحَدَّ النَّهَارُ حَوَسْتُ عَلَى خَاوَتِي مَالَقَيْتُهُمُشْ، مَنِ تَمَّ وَأَنَا نَبْكِي عَلَيْهِمْ حَتَّى اللَّيِّ كَبُرْتُ وَشَابَ
رَاسِي، رَانِي غَيْرُ مَارَلْتُ نَحْوَسُ عَلَيْهِمْ، قَالُوا لَهَا: حَتَّى خَاوَتِكَ خُرَيْصُ وَبُوخَرْصَةَ، قَالَ لَهُمْ: مَشِي
بَصَحَّ، حَلْفُولَهَا بَلِي هُومَا خَاوَتَهَا، وَحَكَوْا لَهَا كَيْفَاشْ رَاخُوا مَعَ الرَّاجِلِ اللَّيِّ عَطَاهُمْ النَّشِيْنَةَ، وَرَبَاهُمْ
هُوَ وَمَرَّتَهُ، عَنَقْتَهُمْ وَفَرَحْتُ بِيهِمْ، وَهُمَا فَرَحُوا بِيهَا، وَسَفَسَاوَهَا وَيْنِ رَاهِي تَسْكُنُ. وَرَاتَ لَهُمْ وَيْنِ.
قَالُوا لَهَا رُوجِي قُدَامَنَا وَأَحْنَا رَانَا نَشُوفُوا مَنِ بَعِيدِ، مِينِ وَصَلْتِ شَدَهَا الْعَبْدُ قَلَعُ مِنْهَا اللَّحْمَ بِالسُّوْطِ،
وَزَادَتْ أُخْتَهَا سُوْطَتَهَا وَدَخَلُوهَا فِي الزَّرِيْبَةِ. فِي اللَّيْلِ طَبَطُبُوا عَلَى الْعَبْدِ قَالُوا لَهُ ضِيَاْفَ رَبِّي..،

قَالَ لَمَرَّتَهُ نَدَخَلُوهُمْ هَادُوا طَاحَ بِيَهُمُ اللَّيْلِ. دَخَلُوهُمْ، فِي اللَّيْلِ دَبَحُوا الْعَبْدَ، وَجَاوُ لَهَا، قَالَتْ لَهُ:
يَا الْعَبْدُ ضِيُوفَكَ حَدَّعُوكْ، قَالُوا لَهَا: أَحْنَا مَشِي ضِيَاْفَ، حَنَا خَاوَتِكَ، قَالَتْ لَهُمْ: حَنَا غَيْرُ بِنَاتِ
مَاَعَدْنَاشْ قَاعِ الْخُو، قَالُوا لَهَا: مَكْ بَاشْ مَاَنْتِ، قَالَتْ لَهُمْ: بِالْحَمَلِ، قَالُوا لَهَا: أَحْنَا كُنَّا فِي كَرَشَهَا،
وَأَنْتِي نَقَاهَمْتِي مَعَ الْعَبْدِ وَقَتَلْتُوا أَمْنَا وَبِيْنَا، وَهَذِي أُخُنْتَا لِي رَاكِي نَسُوْطِيهَا³ كُلُّ يَوْمٍ أَنْتِي وَالْعَبْدُ،
هِي لِي بَسْبَابَهَا عَشْنَا، رَبَانْتَا وَرَعَانْتَا، رَاكِي دَايِرْتَهَا كِي الْخَدَامَةَ، وَتَكُوا عَلَيْهَا دَبَحُوهَا وَقَاسُوهَا هِي
وَالْعَبْدُ، وَقَالُوا لِأَخْنَتُهُمْ: وَاللَّهِ يَا بِنْتُ أَمْنَا وَبُونَا يَلَا عَشْتِ مَعَانَا حَتَّى لِي تَدْفِنِيْنَا وَلَا نَدْفُنُوكْ، بِلَا مَا
نُجِيْبُولُكَ بِنْتُ الْمَرِّ لِي تَفَرِّقَ بَيْنَانَا، وَهَذَا حَدَهَا وَالْحَالُ صَبَحَ.

¹ شيبانية: امرأة مسنة

² دمرها: دفع بها

³ تسوطها: تضربها

25. "سَعِيدٌ وَذِيَابٌ"¹

وَحَدَّ النَّهَارَ كَانَ هَذَا غَانِمٌ عِنْدَهُ زَوْجٌ أَوْلَادٌ، وَبَعَى يَعْرِفُ شَكُونٌ يَفْتَدِرُ يَشُدُّ الْخِلَافَةَ مَنْ بَعْدَهُ، قَالَ أَنَا نُجْرَبُ وَوَلَادِي، قَالَ لَهُمْ: رَانِي بَاغِي نَرَسَلُكُمْ بَرَا الْقَرْيَةَ، وَجَدُوا أَرْوَاحَكُمْ تَرُوحُوا تَحَوَسُوا وَتَرَجَعُوا. كُلُّ وَاحِدٍ رَفَدَ مُكْحَلٌ² أَنْتَاعَهُ وَعَوَلْتَهُ³ وَالْعُودُ أَنْتَاعَهُ وَمِينٌ بَعَاوُ ائِرُوحُوا، رَبَطُ لَهُمْ أَبَاهُمْ الْحَنَ عَلَى أَرْقَابِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ طَرِيقُ السَّلَامِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ رَاخٌ فِي طَرِيقٍ. مِينَ رَجَعُوا، سَفَسَى غَانِمٌ وَوَلَدَهُ سَعِيدٌ، قَالَ لَهُ: شَاشَفْتُ⁴ فِي الطَّرِيقِ؟ قَالَ لَهُ مَا شَفْتُ وَالْوَا، مِينَ جَا يُشُوفُ الْحَنَةَ، صَابَهَا مَرْبُوطَةً كَيْمَا دَارَهَا لَهُ، عَرَفَ بَلِي سَعِيدٌ مَا يُطَبِّقُ⁵ يَخْلَفَهُ.

عَيْطٌ لَذِيَابٌ وَ سَفَسَاهُ، شَاشَافٌ فِي طَرِيقٍ، قَالَ لَهُ: شَفْتُ حَمَارٌ مَعَ صَاحِبِهِ وَفُوقَ ظَهْرِ الْحَمَارِ سَلَّ تَاعَ جِرَاوُ، وَتَتَبَعَ الْحَمَارُ كَلْبَةَ، خَطَرَةَ تَمَشِي عَلَى رَجْلَيْهَا زُوجٌ، وَ خَطَرَةَ عَلَى رَنَعٍ. قَالَ لَهُ غَانِمٌ: وَشَا قَلْتُ فِيهَا؟

قَالَ لَهُ ذِيَابٌ: الْكَلْبَةُ اداوُلَهَا أَوْلَادَهَا فِي سَلَّةِ فُوقَ ظَهْرِ الْحَمَارِ، وَ هِيَ تَتَبَعُهُمْ خَطَرَةَ تَمَشِي عَلَى رَجْلَيْهَا بَاشَ تَشُوفُ ااولَادَهَا وَ يُشُوفُوهَا، وَ مِينَ نَحَسَ بِالْغَيْبِ تَمَشِي عَلَى رَنَعَةٍ. وَمَنْ بَعْدَ قَالَ لَهُ غَانِمٌ: زَيْدٌ وَاشْ شَفْتُ؟ قَالَ ذِيَابٌ: امْرَاةٌ تَمَشِي عَلَى قَدَامِهَا، قَالَ لَهُ غَانِمٌ، وَكِي تَفْسَرَهَا، قَالَ لَهُ ذِيَابٌ: رَاهِي بِالْحَمَلِ.

قَالَ لَهُ غَانِمٌ: وَرَيْبِي الْحَنَةَ لِي رَبَطْتَهَا عَلَى عُنُقِكَ، مَا صَابَهَا شَ، تَمَّ عَرَفَ بَلِي ذِيَابٌ مُمَكِنٌ يُولِي خَلِيفَةَ مُورَاهُ، بَصَحَ غَانِمٌ بَعَى يَزِيدُ يَعْرِفُ وَوَلَدَهُ مَلِيخٌ، وَحَدَّ الْمَرَّةَ كَانَ خَارِجٌ لِلصَّيْدِ آدَا مَعَاهُ وَوَلَدَهُ سَعِيدٌ، وَمِينَ صَيَدُوا وَقَعْدُوا يَشُوفُوا فِي اللَّحْمِ، سَفَسَى وَوَلَدَهُ قَالَ لَهُ: شَاهِي الْمَاكَلَةَ الْمَلِيحَةَ؟ وَشَاهُو اللَّبَّاسِ الْمَلِيخِ؟ وَ شَاهُو الْاِسْمِ الْمَلِيخِ؟

قَالَ لَهُ سَعِيدٌ: الْمَاكَلَةَ الْمَلِيحَةَ: التَّرِيدُ.. وَاللَّبَّاسِ الْمَلِيخِ: الْجَرِيدُ.. وَالْاِسْمِ الْمَلِيخِ: سَعِيدٌ. عَرَفَ غَانِمٌ بَلِي وَوَلَدَهُ مَا هُوشَ تَاعَ مَسْئُولِيَّةً. وَالنَّهَارَ الزَّوْجِ آدَاهُ مَعَاهُ ذِيَابٌ، وَسَفَسَاهُ كَيْمَا سَفَسَى حُوهُ، قَالَ لَهُ ذِيَابٌ: الْمَاكَلَةَ الْمَلِيحَةَ الْمَحْضَرُ... وَاللَّبَّاسِ الْمَلِيخِ الْمَسْتَوْرُ... وَالْاِسْمِ الْمَلِيخِ هُوَ الْبَشِيرُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَرِحَ غَانِمٌ، وَحَصَى⁶ بَلِي ذِيَابٌ يُطَبِّقُ يَتَحَمَلُ الْمَسْئُولِيَّةَ مُورَاهُ.

1 مدونة واضح عائشة غليزان 2005

2 مُكْحَلٌ: بِنْدَفِيَّة

3 عَوَلْتَهُ: مَوُونْتَهُ

4 شَاشَفْتُ: مَاذَا رَأَيْتَ؟

5 مَا يُطَبِّقُ: لَا يَسْتَطِيعُ

6 وَحَصَى: وَتَأَكَّدَ

26. " عَيْنُ الرَّعْفَرَانِ " ¹

كَانَ وَحْدَ الرَّاجِلِ عِنْدَهُ سَبْعُ بَنَاتٍ، الصَّغِيرَةَ فِيهِمْ سَمَّوَهَا " عَيْنُ الرَّعْفَرَانِ " قَالَ أَبَاهُمْ: نُرُوحَ مَكَّةَ نُرُورَ الكَعْبَةِ، بَلَكَ رَبِّي يَزْرُقْنِي بَوْلْدًا، قَاعٌ وَصَاوَهُ بِصَوَالِحِ كَبَارٍ، غَيْرِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي قَالَتْ لَهُ: جِيبْ لِي سَبْعَ حَبَاتٍ دِيَامُونَ ²، نَلْعَبُ بِهِمْ قَرْدًا.

رَاحَ لِلْحَجِّ وَكَمَلَ عَامًا، قَاعٌ جَابَ لَهُمْ صَوَالِحُهُمْ وَدَارَهُمْ فِي النَّاقَةِ، غَيْرِ سَبْعِ حَبَاتٍ دِيَامُونَ الَّتِي دَارَهُمْ فِي جِيبِ العَبَايَةِ، وَرَاحَ فِي الطَّرِيقِ عَطَشًا، صَابَ وَادٌ هَوْدًا، وَقَعْدٌ يَشْرَبُ مِنْهُ طَاحَتْ حَبَةٌ دِيَامُونَ فِي الوَادِ، قَعْدٌ يَحْوَسُ فِي المَاءِ، قَالَ لَهُ " لَسَانُ العَصْفُورِ " : الأَمَانَةُ الَّتِي رَاكَ تَحْوَسُ عَلَيْهَا رَاهِي فِي فَمِي، بَصَحَ يَلَا تَعْطِينِي مُوَلَاتَهَا نَعْطِيهَا لَكَ، قَالَ لَهُ: نَعْطِيكَ وَحْدَةً مِنْ خَوَاتَاتِهَا، قَالَ لَهُ: نَحَبُ نَدِي العَزِيزَةِ الَّتِي رَاكَ دَائِي لَهَا سَبْعَ حَبَاتٍ دِيَامُونَ، قَالَ لَهَا صَحَّ، قَاسَ لَهُ حَبَةً تَاعَ الدِّيَامُونَ، قَالَ لَهُ: بَعْدَ سَبْعِ أَيَّامٍ، مِينُ تَسْمَعُ الرِّيحَ، قُولُ " لَسَانُ العَصْفُورِ " رَاهُ جَائِي مِينُ يَصْرَبُ الرِّعْدَ قُولُ رَاهُ فِي نَصْفِ الطَّرِيقِ، وَمِينُ نَطِيحُ قَطْرَةَ دَمٍ وَ قَطْرَةَ قَبِيحٍ قُولُ وَصَلُ.

مِينُ وَصَلُ أَبَاهُمْ لِقَاوَهُ وَقَرَحُوا بِيهِ، وَأَعْطَاهُمْ صَوَالِحَهُمْ، وَأَعْطَى لَعَيْنِ الرَّعْفَرَانِ أَمَانَتَهَا، وَقَعْدٌ يَبْكِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَرْتَتِهِ، قَالَتْ لَهُ: مَا لَكَ؟ حَكَى لَهَا القِصَّةَ، قَالَتْ لَهُ عَلَى حَبَةٍ دِيَامُونَ، كُونِ خَلِيَّتِي وَجِيتِ، قَالَهَا: بَنَّتِي عَزِيزَةً عَلَيَا، وَمَا بُغِيَّتْهَاش تَرَعَفَ مَنِي، بَعْدَ سَبْعِ أَيَّامٍ سَمِعَ الرِّيحَ، عَرَفَ بَلِي رَاهُ جَائِي، وَمَنْ بَعْدَ أَطْرَطَقَ الرِّعْدَ قَالَ رَاهُ فِي النِّصْفِ، مِينُ صَبَّتْ قَطْرَةَ دَمٍ وَقَطْرَةَ قَبِيحٍ، قَالَ وَصَلُ، وَلَا يَقُولُ لَهَا: عَيْنُ الرَّعْفَرَانِ وَجِدِي النَّارَ، وَخَبَرَهَا بِأَبَاهَا، قَالَتْ لَهُ: عَلَى خَاطِرِكَ مَا عَالِيش، وَقَالَ لَهُمْ مِينُ تَنُوْحَشُوهَا أَرْوَاخُوا تَشُوْفُوهَا، وَدَاهَا وَرَاحَ دَخَلَهُ لُدَارَهُ، وَدَارَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهَا حَائِلٌ، وَ قَالَ لَهَا " عَيْنُ الرَّعْفَرَانِ " طَلْبِي وَاشْ نَحْبِي، وَكَلِي الَّتِي بُغِيَّتِيهَا.

وَحْدَ النُّهَارِ رَسَلَ لَهَا بِأَبَاهَا بَرِيَّةً مَعَ حَمَامَةٍ، بَلِي زَادَ عِنْدَنَا وَلَدٌ بَعْدَ سَبْعِ بَنَاتٍ، وَرَاهُ دَائِرَ الطُّبْلِ وَالْعَايِطَةِ، وَلَاتِ الحَمَامَةُ تَدُورُ وَتَقُولُ لَهَا: سَبْعِينِي وَنَحْبِرَكَ، وَكَلَّتْهَا وَأَعْطَاتَهَا فَرَاتِ البَرِيَّةِ، وَمَنْ بَعْدَ أَعْطَاتَهَا لَلْسَانَ العَصْفُورِ مَنْ تَحْتِ الحَائِلِ فَرَاهَا، قَالَ لَهَا: غَدَوِي رَاهُ يَجِيكَ عُودٌ بِشَوَارِبِهِ، وَ كَبِشُ بَصِيحِ أَرْكَبِي وَرُوجِي مَعَاهُ، وَ مِينُ تَوْصَلِي العُودُ يَقْعُدُ مَعَاكَ، وَيَرْقُدُ مَعَاكَ مَادِيرِيهَش مَعَ العُودِ فِي الزَّرِيَّةِ، رَاحَتْ كَيْمَا قَالَ لَهَا وَصَلَتْ لُدَارَهُمْ وَقَرَحُوا بِيهَا، وَبَعَاوُ يَدُوا العُودَ لِلزَّرِيَّةِ، قَالَتْ لَهُمْ: لَا، هَذَا مَوْصِينِي يَقْعُدُ مَعَايَ، قَالُوا لَهَا كَيْفَاهُ رَاكِي عَايِشَةَ مَلِي تَرُوجِتِ بِيهِ، قَالَتْ لَهُمْ: مَا تَرُوجِشْ بِيهِ، بَصَحَ رَانِي عَايِشَةَ أَمِيرَةَ عِنْدَهُ مَا حَصْنِي وَالْوَا، مِينُ عَارُوا مَنَهَا قَالُوا لَهَا: شَفْتِيهِ؟

¹ مدونة واضح عائشة غليزان 2005

² دِيَامُونَ: لَوْلُو

قَالَتْ لَهُمْ: غَيْرَ مَرَّةٍ اللَّيِّ فُطِنْتُ، شَفَقْتُهُ مَعْطِي وَجْهَهُ بِسَبْعِ فُورَانَاتٍ¹، وَمَنْ شُبُوبِيَّةً² النُّورِ خَارَجَ مِنْهُمْ، قَالَتْ لَهَا: أُخْتُهَا: هَاكَ سَبْعَ شَمَعَاتٍ صَعَارَ، فِي اللَّيْلِ مِثْلَ يَرْقُدُ شَعْلِي وَحَدَّةٌ وَ شُوفِيَّةً، قَالَ لَهُمْ: صَحَّ، فَعَدَّتْ سَبْعَ لِيَالِي، وَرَجَعَتْ فِي الطَّرِيقِ، تَسْمَعُ وَاحِدًا يَقُولُ لَهَا: عَيْنَ الرَّعْفَرَانِ، قَيْسِي وَاحِدَةً مِنَ اللَّيِّ اعْطَاوَهُمْ لَكَ، اللَّيِّ اعْطَاوَهُمْ لَكَ عَرُوكَ، تُدَوِّرُ تَشُوفُ مُورَاهَا، مَا تُصِيبُ حَتَّى أَحَدًا، تُقَيْسُ هَذُوكَ الشَّمَعَاتِ بَقَاتِ غَيْرِ الشَّمَعَةِ النَّالِيَّةِ، حَزْنَتْهَا وَمَا بَعَاثُ تَقَيْسَهَا، فِي اللَّيْلِ شَعْلَتْهَا، وَقَعَدَتْ تُوَحَّرُ الْفُورَانَاتِ، حَتَّى طَاحَتْ عَلَى وَجْهِهِ قَطْرَةٌ تَاعَ شَمَعَةٍ، قَالَ لَهَا: اللَّهُ، كَشَفْتِنِي، كُونَ مَشِي الْعَاهِدَ تَاعَ بِيكَ سَابِقَ، كُونَ كَلِيَّتِكَ، بَصَحَ نَدِيكَ عِنْدَ أَمَا وَأُخْتِي يَأْكُلُوا مَتَكَ اللَّحْمَ، دَارَهَا عَلَى كِتَافِهِ وَ دَاهَا لَهُمْ، قَالَتْ لَهَا أُمُّهُ: مَنَا وَأَنَا نَدْبُو عَلَى يَدِي تَدْفِي شُوكَةَ، تَنْقَرِنِي حَجْرَةَ نَاكَلِكُ وَنَاكُلُ لِسَانَ الْعُصْفُورِ، دَخَلَ صَابِهَا تَبْكِ، قَالَ لَهَا: شَارَاهُ بِيكِيكَ، حَبْرَاتِهِ شَا قَالَتْ لَهَا أُمُّهُ : قَالَ لَهَا، أَنْتِ مَا رُضِيَّتِي، قَالَ: يَا الرِّيحُ أَصْلَحِ الْمَرَاحَ، وَيَا النُّورُ رُشِي هَذَا الْمَرَاحَ³، عِيَاتِ أُمِّهُ نَدْبُو وَ مَا صَرَّالَهَا وَالْوَا.

مَنْ بَعْدَ قَالَتْ لَهَا: مَنَا وَأَنَا نَدْبُو عَلَى لِسَانِي، تَنْقَرِنِي حَجْرَةَ، تَدْفِي شُوكَةَ نَاكَلِكُ وَنَاكُلُ لِسَانَ الْعُصْفُورِ، مِثْلَ عَوَلَتْ عَلَيْهَا أُمُّهُ وَ أُخْتَهُ، حَفَرَ حُفْرَةَ وَأَشَعَلَ فِيهَا النَّارَ، وَقَالَ لَهُمْ: أَنَا نُدِيرُهَا فِي شَكَارَ وَ نَقَيْسَهَا لَكُمْ، وَتَخَاطَفُوا عَلَيْهَا، اللَّيِّ سَبَقَتْ الْأُولَى تَاكُلُهَا. ذُبْحُ نَعْجَةٍ وَدَارَهَا فِي الشُّكَازَةِ، قَاسَهَا لَهُمْ فِي الْحُفْرَةِ تَاعَ النَّارِ، طَاحُوا فِيهَا وَ نَحَرَفُوا. رَاحَ جَابِهَا وَجَابَ أُمُّهَا وَأَبِيهَا، وَفَتَحَ وَتَرَوَجَ بِيهَا، وَ هَذَا حَدَّهَا وَ الْحَالُ أَصْبَحَ.

27. " هَارُونَ الرَّشِيدُ"⁴

كَانَ وَحْدَ السُّلْطَانِ، وَمَا هُوَ سُلْطَانٌ غَيْرَ اللَّهِ، كَانَ يَمْشِي صَابًا جَدَقَ كَسْرَةً وَحَرَهُ بِمَطْرَقَةٍ، نَطَقَ الْجَدَقَ، وَ قَالَهُ: تَسْتَأْفِنِي سَبْعَ سِنِينَ، عَزَمَ السُّلْطَانُ وَقَالَ: نَهَجَرَ مِنَ الْبِلَادِ قَبْلُ مَا يَسْتَشْفَاؤُ فِي الْعَدْيَانِ، دَارَ لِأَفْسَاطِ تَاعَ الذَّهَبِ عَلَى الْبَعْلَةِ، وَ هُوَ زَكَبَ عَلَى الْعُودِ وَرَاحَ، فِي الطَّرِيقِ صَابًا وَحْدَ الْوَادِ، قَوَّتِ الْبَعْلَةُ اللَّيِّ عَلَيْهَا الْأَفْسَاطُ تَاعَ الذَّهَبِ، فِي النِّصْفِ عَثَرَتْ وَعَثَرَ مَعَهَا الذَّهَبَ، عَيَّ يَجِبُدُ الذَّهَبَ بِالسَّنَابِلِ وَمَا قَدَرَشَ، بَعَى يَقْطَعُ هُوَ بِالْعُودِ، عَثَرَ الْعُودَ أَرْجَعَ وَهُوَ قَاتٌ مِنْ طَرِيقِ

1 فُورَانَاتُ : وشاح

2 شُبُوبِيَّةً : جماله

3 المَرَاحُ : الفناء

4 مدونة واضح عائشة غليزان 2005

وَحَدَا أُخْرَى. وَبَدَلَ رُوحَهُ حَتَّى مَا يُبَاشِرُ سُلْطَانَ، يَمْشِي يَمْشِي يَمْشِي، حَتَّى شَافَ وَحَدَّ الْعُجُوزُ قَاعَةَ قُدَامَ بَابِهَا، وَ كَانَتْ تَسْكُنُ حَدَا سُلْطَانَ. جَاهَا، وَقَالَ لَهَا:

ضِيَّافَ رَبِّي، قَالَتْ لَهُ: مَرْحَبًا وَاعْطَاةً كُلَّ شَاعِنْدَهَا، وَمَنْ بَعْدَ قَالَ لَهَا: عَلَاةَ مَا تُدِيرِينَ رَاعِي عِنْدَكَ، قَالَتْ لَهُ: حَوْجِي، أَنْتَ شَبَابٌ كَيْمًا هَكَذَا وَ نُدِيرُكَ رَاعِي، قَالَ لَهَا: مَا عَلِيْشَ، قَالَتْ لَهُ: صَحَّ، وَلَا يَدِي الْعَنَمُ مِنَ الصَّبَاحِ حَتَّى لِلْعَصْرِ، مِينَ يَرْجَعُ، يَدْخُلُهُمْ وَيُرُوحُ لَوْحَدَ الْجَنِيَّةِ حَدَى السُّلْطَانَ اللَّي حَدَى الْعُجُوزُ، يَقْلَعُ فِيهَا صَوَالِحَهُ وَيَقْلَعُ هَذَاكَ الْوَسَخُ وَ يَغْسَلُ، وَ يِعَاوَدُ يَلْبَسُ صَوَالِحَهُ.

وَ حَدَّ النَّهَارَ شَافَتْهُ بِنْتُ السُّلْطَانَ الصَّغِيرَةَ، عَجَبَهَا، وَالسُّلْطَانَ كَانَ عِنْدَهُ سَبَعُ بَنَاتٍ، كَانُوا بَاغِيَيْنَ يَنْزُوجُوا، رَاحُوا لَوْحَدَ الدِّبَارِ، وَ قَالُوا لَهُ: رَانَا بَاغِيَيْنَ نَنْزُوجُوا، دَبَّرَ عَلَيْنَا كَيْفَاشَ نَقُولُوا لِبَابَانَا، قَالَهُمْ: قُولُوا لَهُ: جِيبْ لَنَا قَاعَ حَبَّةِ حَبَّةِ نَفَاحٍ، مِينَ تَدُوهَا حَشُوا فِيهَا قَاعَ خُدْمِي¹ خُدْمِي، وَرَجَعُوا هَالَهُ، دَارُوا كَيْمًا قَالَهُمُ الدِّبَارِ، بَابَاهُمْ السُّلْطَانَ مَا فَهَمَّشَ، رَاحَ عِنْدَ الدِّبَارِ قَالَ لَهُ: مَا فَهَمَّشَ، بِنَاتِي قَالُوا لِي جِيبْ لَنَا النِّفَاحَ، مِينَ جَبْتَهُ لَهُمْ، كُلُّ وَحْدَةٍ دَخَلَتْ خُدْمِي فِي حَبْتِهَا تَاعَ النِّفَاحِ، وَرَجَعُوهُمْ لِي، قَالَ لَهُ: بِنَاتِكَ رَاهُمْ يَحْسُوا يَنْزُوجُوا، قَالَ لَهُ: وَكَيْفَاشَ نُدِيرُ، قَالَ لَهُ:

" أَجْمَعُ قَاعَ لَوْلَادِ تَاعَ الْمَدِينَةِ، وَدِيرُ بَرَاخَ يَقُولُ لَهُمْ بِنَاتِ السُّلْطَانَ بَاغِيَيْنَ يَنْزُوجُوا، وَيَخَاطَرُوا اللَّي يَعْجَبُهُمْ، وَكُلُّ وَاحِدٍ تَقِيْسُ لَهُ نَفَاحَتِهَا فِي الْخُدْمِي، دَارَ السُّلْطَانَ كَيْمًا قَالَ لَهُ الدِّبَارِ، وَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ بِنَاتِهِ قَاسَتْ حَبْتِهَا تَاعَ النِّفَاحِ لِلرَّجُلِ اللَّي عَجَبَهُ، غَيْرَ بِنْتِهِ الصَّغِيرَةَ مَا قَاسَتْشَ، يَقُولُوا لَهَا اخْوَاتَاتِهَا هَايَ اخْتَارِي وَاحِدًا، نَقُولُ لَهُمْ مَا عَجَبَنِي حَتَّى وَاحِدًا، ... وَ هِيَ كَانَتْ تَقَارِعُ فِي رَاعِي الْعُجُوزُ، مِينَ جَاءَ، وَحَطَّ الْعَنَمُ فِي الزَّرِيَّةِ، وَدَخَلَ مَعَ هَدُوكَ النَّاسِ، قَاسَتْ بِنْتُ السُّلْطَانَ الصَّغِيرَةَ نَفَاحَتِهَا لِيهِ، يَقُولُوا لَهَا اخْوَاتَاتِهَا، لَا أُحْتَنَّا رَاهِي غَالِطَةَ، كَيْفَاهُ تَخْتَارَ الرَّاعِي تَاعَ الْعُجُوزُ، قَالَتْ لَهُمْ: مَا نِيْشَ غَالِطَةَ، هُوَ اللَّي اخْتَارِيْنِيهِ، قَعْدُوا يَرْعَفُوا عَلَيْهَا اخْوَاتَاتِهَا، يَاجِي شَا اخْتَارَتْ اخْتَنَّا، رَاعِي الْعَنَمُ، قَالَتْ لَهُمْ:

" مَا عَلِيْشَ، تَنْزُوجُوا قَاعَ بِنَاتِ السُّلْطَانَ، مِينَ فَاتَتْ سَبْعَ سَنِيْنٍ كَانَ قَايَتْ رَاعِي الْعَنَمُ " هَارُونَ الرَّشِيْدُ " عَلَى الْوَادِ اللَّي غَرَقَتْ فِيهِ الْبَعْلَةُ مَعَ الْأَفْسَاطِ² تَاعَ الذَّهَبِ، حَتَّى صَابَ شَعْرَةَ تَاعَ الْبَعْلَةَ نَبَانًا، مِينَ جَبَدَهَا، خَرَجَتْ الْبَعْلَةُ بِيهَا بِالْأَفْسَاطِ تَاعَ الذَّهَبِ، قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ " يَلَا سَهَلَتْ نَقْدَهَا شَعْرَةَ وَيَلَا صَعَبَتْ تَقَطَّعَ السَّنَابِلُ وَدَا الْأَفْسَاطُ تَاعَ الْوَيْزِ لِمَرَّتِهِ، وَ خَبَرَهَا بِقِصَّتِهِ، وَ قَالَ لَهَا خَرْنِي هَذَا الرَّزْقُ وَمَا تُخْبِرِيْشَ بِحِكَايَتِي، فَرَحَتْ، وَقَالَتْ لَهُ:

¹ خُدْمِي: السكين

² الأفساط: صنابير

" صَحَّ، وَحَدَّ النَّهَارَ، السُّلْطَانُ مَرَضٌ وَجَا فِي قَلْبِهِ " حَلِيبُ اللَّبِيَةِ فِي جِلْدِ الشَّبَلِ "، رَاحَ لِلدَّبَارِ، وَقَالَ لَهُ: شَوْفَ شَا رَانِي بَاغِي دَبَّرَ لِي عَلَى اللَّيِّ يُجِيبُهُ لِي، قَالَ لَهُ: دَرُوكْ رَاكْ بَانَسَابِكْ، هُمَا اللَّيِّ يُجِيبُوهُ لَكَ، عَيْطٌ لَانَسَابَهُ قَاعٌ، وَ قَالَ لَهُمْ: رَانِي بَاغِي حَلِيبُ اللَّبِيَةِ اللَّيِّ فِي جِلْدِ الشَّبَلِ، قَالُوا لَهُ: صَحَّ، رَا حُوا، قَالَ هُمْ رَا جَلَّ الصَّغِيرَةَ: رَانِي رَايْحَ نَاكُلْ شُوي فَطِيرَ عِنْدُ أَمَا العُجُوزِ وَنَلْحَقُكُمْ، قَالُوا لَهُ: أَنْتَ يَلَا جِيْتِ وَلَا فَعَدْتِ عِلَاةَ، وَدَارَ لَهُمْ فِي طَرِيقِ وَحَدَّ أَحْرَى، وَكَانَتْ عِنْدَهُ خَاتَمَ سِحْرِيَّةَ، دَوَّرَهَا وَ قَالَ: بُغِيْتِ العُودَ الابْيَضَ وَ اللَّبْسَةَ بَيْضَةَ، شَا فُوهُ فِي طَرِيقَهُمْ مَا عَرَفُوهُشْ، وَلَا وَ يُقُولُوا: هَا مُوَلَايَ عَبْدُ القَادِرِ الجِيلَانِي لُقِينَاهُ يَا بَرَكَتْنَا، قَالَ لَهُمْ: شَا خَصْنُكُمْ، قَالُوا لَهُ: حَلِيبُ اللَّبِيَةِ فِي جِلْدِ الشَّبَلِ، قَالَ لَهُمْ: اعْطُونِي تَفَاحَاتِ نَسَاكُمُ، اعْطَاوَهُ التَّفَاحَاتِ، دَارَهُمْ فِي قُرَابِ وَرَا حَ، صَابَ وَحَدَّ الشَّبَلِ دَبَحَهُ، وَ سَلَخَ لَهُ جِلْدَهُ، وَصَنَعَهُ كِي القَرَبِ، وَصَابَ وَحَدَّ اللَّيِّ فِي جِلْدِ الشَّبَلِ، حَلَبَ مِنْهَا الحَلِيبَ فِي هَذَاكَ الجِلْدِ وَاعْطَاهُ لَهُمْ، وَرَا حُوا اعْطَاوَهُ لِّلسُّلْطَانِ، قَالَ الرَّاعِي: حَمَّ حَمَّ، صَحَابَ السُّلْطَانِ، قَاعَ عَبْنَا وَ قَاعَ جَبْنَا، قَالُوا لِّلسُّلْطَانِ: يَكْذِبُ قَاعُ مَا شَفْنَا هَاشْ مَعَانَا، يُقُولُ لَهُمْ السُّلْطَانُ: مَا عَلِيْهَشْ سَاعْفُوهُ. وَحَدَّ النَّهَارَ السُّلْطَانُ قَالَ لَهُمْ: رَانِي بَاغِي المَاءِ تَاغَ الجِبَالِ المَنْقَارَتِ، قَالُوا لَهُ: صَحَّ، رَا حُوا، الرَّاعِي قَالَ لَهُمْ: نَدَهْمُ العُجُوزِ نَاكُلْ شُويَةً فَطِيرَ وَنَجِي، قَالُوا لَهُ: أَنْتَ وَ يَلَا جِيْتِ وَلَا فَعَدْتِ عِلَاةَ.

دَارَ وَدَوَّرَ خَاتَمَهُ، وَ قَالَ: بُغِيْتِ اللَّبْسَةَ كَحَلَّةَ وَ العُودَ كَحَلَّ، صَابُوهُ فِي الطَّرِيقِ قَالُوا لَهُ: كِي غَايَةَ صَبْنَا مُوَلَايَ عَبْدُ القَادِرِ الجِيلَانِي، قَالَ لَهُمْ، شَابْنِغِيْتُوا؟ قَالُوا لَهُ المَاءِ تَاغَ الجِبَالِ المَنْقَارَتِ قَالَ لَهُمْ: اعْطُونِي زَبَايِبَ وَذَنِيكُمُ، قَصُّوا لَهُ شُويَةً مِّنْ وَذَنِيهِمْ، وَ اعْطَاوَاهَا لَهُ، رَا حَ لَهْدُوكَ الجِبَالِ، وَعَلَّقَ المَرْجَانَ فِي كَعَالَةَ العُودِ وَهُوَ دِيهِ شُويَةً، وَعَمَرَهُ مَاءً وَاعْطَاهُ لَهُمْ، رَجَعُوا وَاعْطَاوَهُ لِّلسُّلْطَانِ، قَالَ الرَّاعِي: حَمَّ حَمَّ صَحَابَ السُّلْطَانِ قَاعَ عَبْنَا وَقَاعَ جَبْنَا، قَالُوا لَهُ: وَاللهِ مَا كَانَ مَعَانَا يَا السُّلْطَانُ، قَالَ لَهُمْ: مَا عَلِيْشْ فُؤَلُوا لَهُ وَاه.

وَحَدَّ النَّهَارَ السُّلْطَانُ قَالَ لَهُمْ: رَانِي بَاغِي تَفَاحَ النَّفُوحِ اللَّيِّ يَزِدُّ الرُّوحَ، قَالُوا لَهُ صَحَّ، رَا حُوا، وَ هُوَ كِي عَوَايِدُهُ قَالَهُمْ: بَاغِي نَدَهْمُ أَمَا العُجُوزِ، نَاكُلْ شُويَةً فَطِيرَةَ، قَالُوا لَهُ: مَا لِحَقَّتْنَاشْ وَمَا نَسْتَحْفُوكُشْ، دَارَ وَدَوَّرَ خَاتَمَهُ، وَقَالَ بُغِيْتِ اللَّبْسَةَ الحَمْرَةَ وَالعُودَ الأَحْمَرَ، صَابُوهُ فِي الطَّرِيقِ، قَالُوا أَحْنَا دَعُوَةَ الخَيْرِ عَلَيْنَا، كُلَّ مَرَّةٍ نَلْقَاوُ مُوَلَايَ عَبْدُ القَادِرِ يَقْضِينَا حَوَايِجْنَا، قَالَ لَهُمْ: " شَا خَصْنُكُمْ، قَالُوا لَهُ: تَفَاحَ النَّفُوحِ اللَّيِّ يَزِدُّ الرُّوحَ، قَالَهُمْ: اعْطُونِي رِيْسَانَ سَبْعِيكُمْ، اعْطَاوَهُمْ لَهُ، رَا حَ اقْطَعْ سَبْعَ بَحُورِ، وَقَلِّعْ شَجَرَةَ تَاغَ النَّفَاحِ بِيهَا بَعْرُوقَهَا، وَجَابَهَا لَهُمْ، دَاوَهَا لِّلسُّلْطَانِ افْرَحَ بِيهِمْ،

¹ كَعَالَةَ: الذليل

الرَاعِي قَالَهُمْ حَمَّ حَمَّ صَحَابَ السُّلْطَانِ قَاعٌ غَبْنَا وَقَاعٌ جَبْنَا، يَقُولُوا لَهُ: رَاعِي وَكَذَابٌ مِنَ الْفُوقِ، السُّلْطَانُ يَقُولُهُمْ: شَاخَالْتَهُ مَسْكِينُ خَلْوَهُ أَيْلًا اهُدَّرَ مَا تَتْرَعُفُوشَ عَلَيْهِ.

وَحَدُّ النَّهَارِ وَحَدُّ السُّلْطَانِ، جَابَ جَيْشَهُ وَبَغَى يَغْزُو هَذِيكَ الْمَدِينَةَ تَاعَ السُّلْطَانِ، خَرَجُوا الْحُرَّاسَ، وَ خَرَجُوا انْسَابَهُ يُوَاجَهُوا الْجَيْشَ، وَالسُّلْطَانُ اَطْلَعُ فُوقَ الْقَلْعَةِ انْتَاعَهُ وَقَعَدَ يَشُوفُ، الرَاعِي لُبْسَ كُلِّ شَيْءٍ بِيضٍ، وَرَكَبَ فُوقَ عُوْدٍ بِيضٍ وَدَارَ كِمَامَةً عَلَى وَجْهَهُ، وَقَعَدَ يَطَارِدُ فِي الْجَيْشِ، انْسَابَ السُّلْطَانُ خَافُوا، وَرَجَعُوا دَخَلُوا لِلْفَصْرِ وَهُوَ قَعَدُ يَطَارِدُ بُوْحَدُ الْفُوقِ حَتَّى قَضَى عَلَيْهِمْ، وَرَجَعُوا الْبَاقِيْنَ لِلْبِلَادِهِمْ، السُّلْطَانُ انْخَلَعَ، وَ قَالَهُمْ:

" اعْرِفُولِي شُكُونُ هَذَا اللَّيِّ لِابْسِ الْاَبْيَضِ، قَالُوا لَهُ: الْخَدَامُ، مَا عَرَفْنَا هَشَ، قَالَ لُوْحَدُ الْعَبْدِ: رُوْحَ اضْرِبَهُ بَسَهْمٍ مَا بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّحْمِ، وَمَا تُضْرَهَشُ، وَقَالَ لَهُمْ: صَحَّ، السُّلْطَانُ مِينَ رُجَعِ الْجَيْشِ لِبِلَادِهِ، جَمَعَ بِنَاتَهُ السَّبْعَ وَقَالَ لَهُمْ: الْيَوْمَ اللَّيِّ يُنُوْضُ رَاجِلَهَا فِي اللَّيْلِ يَكْمَدُ، مِينَ يَرْقُدُوا قَاعَ النَّاسِ تَرَعَرَدُ، خَاطَرَشُ هُوَ اللَّيِّ غَادِي يُوْلِي سُلْطَانُ فِي بِلَاصْتِي، رَاحُوا كُلُّ وَحْدَةٍ تَقَارَعُ¹ فِي رَاجِلَهَا يُنُوْضُ فِي اللَّيْلِ يَكْمَدُ رَعَرَدَتْ مَرَّتَهُ، مَاكَاشَ اللَّيِّ نَاضُ، غَيْرَ الرَاعِي اللَّيِّ رَقَدَ مَرَّتَهُ، وَ نَاضُ فِي اللَّيْلِ يَكْمَدُ رَعَرَدَتْ مَرَّتَهُ، جَاؤُ أَحْوَاتَانَهَا قَالُوا لَهَا: عَلَى حَالَةٍ رَاجِلِكَ وَرَعَرَدْتِي عَلَيْهِ وَ بَهْدَلْتِيهِ، جَاهَا السُّلْطَانُ، قَالَتْ لَهُ: رَاجِلِي هُوَ اللَّيِّ نَاضُ يَكْمَدُ فِي اللَّيْلِ، جَمَعَ قَاعَ نُسَابِهِ، وَقَعَدَ يَسْفَسِي² فِيهِمْ.

شُكُونُ اللَّيِّ جَابِلِي خَلِيْبُ اللَّيْبِيَّةِ، قَالُوا لَهُ أَحْنَا سِيدِي، قَالَ لَهُمْ: أَنَا اللَّيِّ جَبْتَهُ، وَيْنِ رَاهُمْ تَقَاحَاتِ نُسَاكُمُ، نَخْلَعُوا، خَرَجَهُمْ مِّنَ الْفَرَابِ، سَفْسَاهُمْ السُّلْطَانُ: شُكُونُ اللَّيِّ جَابَ الْمَاءَ تَاعَ الْجِبَالِ الْمَتَقَارِنِينَ، قَالُوا لَهُ، أَحْنَا سِيدِي، قَالَ لَهُمُ الرَاعِي: أَنَا اللَّيِّ جَبْتَهُ، وَيْنِ رَاهُمْ رَبَايِبُ وَذَنِيْبُهُمْ، خَرَجَهُمُ الرَاعِي مِّنَ الْفَرَابِ، انْخَلَعُوا انْسَاهُمْ، قَالَ لَهُمُ السُّلْطَانُ: شُكُونُ اللَّيِّ جَابَ التَّفَاحَ النَّفُوْحَ اللَّيِّ يَرُدُّ الرُوْحَ، قَالُوا لَهُ: أَحْنَا سِيدِي، قَالَ لَهُمْ: أَنَا اللَّيِّ جَبْتَهُ، وَيْنِ رَاهُمْ رِيْسَانُ صَبْعِيكُمُ، شَافَ لَهُمُ السُّلْطَانُ فِي صَبْعِيهِمْ، انْخَلَعَ، خَرَجَهُمُ الرَاعِي مِّنَ الْفَرَابِ، قَالَ لَهُمُ شُكُونُ اللَّيِّ طَارِدُ الْجَيْشِ، قَالُوا لَهُ: أَحْنَا، قَالَ لَهُمْ لَا، شُكُونُ اللَّيِّ صَابَ رُوْحَهُ مَجْرُوْحَ فِي الْكِرَاعِ بَيْنَ اللَّحْمِ وَالْجَدِّ، قَالَ لَهُ: الرَاعِي: أَنَا أَنَا، وَوَرَالَهُمْ كِرَاعَهُ، فَرَحَ بِيهِ السُّلْطَانُ، وَدَارَهُ السُّلْطَانُ فِي بِلَاصْتِهِ³. وَ هَذَا حَدُّهَا وَ الْحَالُ أَصْبَحَ.

¹ تَقَارَعُ: تَتَنَظَّرُ

² يَسْفَسِي: يَسْأَلُ

³ بِلَاصْتَهُ: مَكَانَهُ

28. "ملوكة والثعبان"

كَانَتْ فِي بَكْرِي زَمَانٍ أَمْرًا عِنْدَهَا سَبْعُ أَوْلَادٍ، رَنَّهُوْمُ مَلِيحٌ وَ عَلِمْتَهُمُ الصِّيدَ وَ الْفُرُوسِيَّةَ
وَالرِّمَاطِيَّةَ، وَغَيْرَهَا. لَكِنْ بَعْدَ أَيَّامٍ فَكَّرَتْ الْمُرَا فَكَّرَتْ بَاشَ تَحْمَلُ وَ تُجِيبُ أُخْتُ لَوْلَادِهَا السَّبْعَ.
وَ فِي يَوْمِهَا الْأَخِيرِ نَتَاعُ الْحَمَلِ وَ بَيْنَ كَانُوا وَ لَادَهَا رَاجِحِينَ لِلصِّيدِ، وَ صَاوُ أُمَّهُمْ بَاشَ إِذَا جَابَتْ بَنَتْ
تَلْوَحَلُهُمْ¹ بِالرَّايَةِ الْبَيْضَةِ بَاشَ يَرْجِعُوا وَ إِلَى جَابَتْ وَ لَدُ تَلْوَحُ لَهُمْ بِالْمَنْجَلِ بَاشَ يَرْجِعُوا بِلَا رَجْعٍ.
أُمَّهُمْ جَابَتْ بَنَتْ وَ الْخَادِمَةَ غَلَطَتْ وَ لَوَحَتْ لَهُمْ بِالْمَنْجَلِ، هَذَاكَ مَا شَافُوا وَ لَادَهَا وَ هَجَرُوا الْبِلَادَ.
بَعْدَ عَوَامٍ وَ سَنِينَ كَبُرَتْ أُخْتُهُمْ وَ لَاتَ أَمْرًا وَ كِدَائِرًا، زِينَهَا زَيْنَ مَكْمُولٍ، هَذَاكَ الزَيْنَ خَلَّ النَّاسُ تُغَيِّرُ
مَنْهَا وَ تُعَايِرُهَا وَ يَقُولُهَا بِلِي هِيَ سَبَابُ هَجْرٍ أَخَوَاتِهَا، بَكَاتِ الْبِنْتُ وَ تَحَسَّرَتْ عَلَى خُوْتِهَا
السَّبْعَ، وَ عَزَمَتْ بَاشَ تَحْوَسَ عَلَيْهِمْ وَ تَرُدُّهُمْ لِدَارٍ بِأَبَاهُمْ.
دَخَلَتْ بِلَادَ وَ خَرَجَتْ بِلَادَ وَ هِيَ تَحْوَسَ عَلَيْهِمْ وَ عَرَفَتْ بِلِي خُوْتِهَا فِيهِمْ وَ شَامَ فِي دَرَعَتِهِمْ وَ بِهَذَا
الْإِشَارَ تَمَكَّنَتْ مِنْ مَعْرِفَتِهِمْ، غَيْرَ هُوَمَا مَا صَدَفُو هَاشَ وَ دَاوَهَا وَ رَجَعُوا لِأُمَّهُمْ لِخَبْرَتِهِمْ بِالْحَقِيقَةِ وَ
قَالَتْ لَهُمُ الدَايَةَ هِيَ لِعَلَطَتْ وَ لَوَحَتْ بِالْمَنْجَلِ، سَامْحُونِي يَا وَ لَادِي.
فَرَحُوا خُوْتِهَا بِبِيهَا وَ قَعَدُوا قَاعَ مَا يُفَارِقُو هَاشَ، عَلِمُوا الصِّيدَ وَ رُكُوبَ الْخَيْلِ وَ لَكِنْ فَرَحَتْهُمْ
مَا تَمَتَّشَ بَعْدَمَا غَارُوا مِنْهَا زُوجَاتِ خُوْتِهَا وَ دَبَّرُو لَهَا مَكِيدَةَ بَاشَ تَخْرُجُ مِنَ الدَّارِ إِلَّا مَرَّتِ الصَّغِيرُ
لِيَمْبَعَاتِشَ عَلَيْهَا. حَضَرُوا لَهَا عَشَا فِيهِ مَا طَابَ مِنَ الْمَاكَلَةِ وَ دَرُو لَهَا فِيهِ بَيْضُ الثُّعْبَانِ وَ قَلُّو لَهَا
إِلَّا كُنْتَ تَبْغِي خُوْتِنَا كُولِي هَذَا اللَّقْمَةَ بِلَا مَا تَمَضَّغِيهَا، وَ هَاكَ صَارَ صَرَطَتْ² الْبَيْضَةَ، وَ بَعْدَ
شَهُورٍ حَمَلَتْ مِنْ ذِيكَ الْبَيْضَةَ، شَافُوا خُوْتِهَا طَلَبُوا مِنْهُمْ نَسَاهُمْ بَاشَ يَكْتَلُوهَا وَ لَا يَهَجُرُوهَا مِنْ
الدَّارِ قَبْلَ مَا تَوْلَدُ وَ تُجِيبُ لَهُمُ الْفَضِيحَةَ وَ الْعَارَ لِدَارٍ.
نُحَلِّعُوا خُوْتِهَا مِنْ هَذِي الْمُصِيبَةِ لَخَاطَرِشَ الْبِنْتُ مَا كَانَتْشَ قَاعَ تَفَارِقُ خُوْتِهَا لَا فِي لَيْلٍ وَ لَا فِي
النَّهَارِ، وَ بَعْدَ مَا فَرَرُوا يَقْتُلُوهَا دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ زُوجَةُ الصَّغِيرِ وَ عَرَضَتْ عَلَيْهِمْ بَاشَ يُجِيبُوهَا دَجَالَ
يُشُوفُ مَا بِيهَا، جَا الدَّجَالُ وَ شَافَ الْبِنْتُ عَرَفَ حَقِيقَةَ مُوصِيْبَتِهَا وَقَالَ لَهُمْ بِلِي الْبِنْتُ مَرَهِيشَ حَامِلٌ
وَ طَلَبَ مِنْهُمْ بَاشَ يُجِيبُوهُ خُرُوفَ طَايِبٍ وَ فِيهِ الْمَلْحُ بَرَّافٍ وَ طَلَبَ مِنَ الْبِنْتُ بَاشَ تَاكَلَهُ وَ مَنْ
بَعْدَ رِبَطِهَا مَلِيحٌ مِنْ رَجْلِيهَا وَ عَاقَهَا، رَاسَهَا التَّحْتِ وَ رَجْلِيهَا الْفُوقَ وَ حَطَّ لَهَا بِأَسِيْنَةَ نَتَاعِ الْمَاءِ.
عَطَشَتْ الْبِنْتُ مَسْكِينَةَ وَ مَا قَدَّتْشَ تَصْبِرَ لَخَاطَرِشَ الدَّجَالِ مَنَعَهَا مِنْ شُرْبِ الْمَا وَ عَدَّ وَ قَتَّ جَا

¹ تَلْوَحَلُهُمْ: تلوح لهم أو تشير لهم

² صَرَطَتْ: ابتلعت

خَارَجَ الثُّعْبَانَ مَنْ فُجِّمَ الْبِنْتُ وَرَايَحَ يَشْرِبُ نَحْلَعُوا خُوْتَهَا وَ غَاضَتْهُمْ¹ لَشَكُوا فِي خُتْهُمْ بَعْدَ مَا خَبَرْتَهُمْ زُوجَةَ الصَّغِيرِ بِالْحَقِيقَةِ.

كَتَلُوا ذَلِكَ الثُّعْبَانَ وَ زَمَاوَهُ وَ فِي اللَّيْلِ عَاوَدُوا لِقَاوَهُ بِالْقُرْبِ مَنْ أُخْتُهُمْ رَاقِدٌ حَذَاهَا، عَاوَدُوا قَطْعُوهُ وَ زَمَاوَهُ لَكِنْ عَاوَدَ الْتَمَّ² وَ حَيَّ وَوَلَى عِنْدَ خُتْهُمْ. وَبِهَذَا شَيْ رَحَلُوا مَنْ ذِيكَ الْبِلَادَ وَ بَعَدُوا الثُّعْبَانَ وَ عَاقَبُوا زُوجَاتَهُمْ لِسَبُوبِ فِي ضَرَرٍ أُخْتُهُمْ مَعَدَا زُوجَةَ الصَّغِيرِ. وَحَجَابِيَّتِي مَا شَتَّ مَعَ الْوَادِ وَ أَنَا مُشِيَّتٌ مَعَ لَجُودًا.

29. "بَقْرَةُ لَيْتَامَى"³

كَانَتْ فِي وَحْدِ الْبِلَادِ وَحَدَّ الْعَيْلَةَ فِيهَا مَوْلُ الدَّارِ وَ مَرَّتَهُ وَ كَانَ عِنْدَهُمْ زَوْجٌ دَرَارِي: بِنْتُ إِسْمَها عَيْشَةُ وَ وُلِدَ إِسْمَهُ عَلِي. وَاحِدَ النَّهَارِ مَهُمْ مَسْكِينَةٌ مَرَضَتْ مِينَ شَاقَتْ رُوحَهَا قَصْرَتْ، لَعَاثَ رَاجَلَهَا وَقَتْلَهُ: " شَوْفُ، أَنَا مَا بَقَالِيشَ بَرَّافُ وَ نَلَقَ اللهُ. عَاهَدَنِي تَنْهَلِي فِي وِلَادِنَا. مَا تُخْلِيهِمْشَ يَنْعَبْنُوا. عَاهَدَنِي هَذِيكَ الْبَقْرَةَ نَتَاعِنَا مَا تُبَيْعَهَا مَا تَدْبَحَهَا. خَلِيهَا لَهُمْ تَقَوْتَهُمْ بِحَلِيْبَهَا." عَاهَدَهَا وَقَاتُوا لِيَمَاتٍ وَ مَانَتْ وَ خَلَتْهُمْ وَحَدَّهُمْ.

جَا هُوَ قَالَ: " كَيْدِيرِ؟ وَوَلَادَ صَعَارَ، عَطِيَّتْ عَاهَدَ تَنْهَلَ فِيهِمْ. كِي نَدِيرِ يَا رَبِّي لَازِمَ تَنْزَوِّجَ، نُحِيْبَ أَمْرَاةَ تَعَاوَنِي تَرْفُدُهُمْ مَعَايَا."

أَيَّ فَاثُو لِيَامَاتٍ وَ تَزَوِّجَ. زَادَتْ عِنْدَهُمْ بِنْتُ وَ سَمَاوَهَا جُوهرَ. قَعَدُوا يَكْبُرُو مَعَا بَعْضُ. فِي لَوْلَا مَرَّتْ بِيَهُمْ كَانَتْ مَلِيحَةَ مَعَاهُمْ، بَصَحَ أَنْبَعَدَ وَ لَتَّ تَفْضَلُ بِنْتَهَا عَلَي هَذُوكَ لَيْتَامَى تَشْبَعُ بِنْتَهَا غَيْرَ بِالْمِيْمَا وَ هَذُوكَ نَعْطِيهِمُ الْفَضْلَةَ وَ لَا بَقَاتُ!

كَانَتْ تَقُولُهُمْ: " لُوْكَانَ تُخْبِرُوا بُوْكُمْ، نَكْتَلُكُمْ فِي زُوجٍ". ذَلِكَ الصَّعَارَ كَانُوا غِيخَافُوا مَنَّهُ إِيْمُونُوا. هَا مَنْ بَدُوا إِيْجُوْعُو رَاحُو عِنْدَ دِيكَ الْبَقْرَةَ وَ رَضَعُوا حَلِيْبَهَا.

هَا وَوَلَاوُ كُلَّ خَطْرَةَ غِي يَدِيرُو هَكَذَا، أَيَا وَ غَيْرَ إِيْكْمَلُو رِضَاعَةَ عَيْشَةَ تَمْسَحُ مَلِيحَ فُمَهَا وَ فُمَ حُوَهَا وَ تُوْصِيَهُ مَا يُخْبِرُ حَدَّ.

قَعَدُوا هَكَذَاكَ حَتَّى وَاحِدَ النَّهَارِ مَرَّتْ بِأَبَاهُمْ تَحِيْرَتْ وَ قَالَتْ: " كَيْفَاشَ بِنْتِي نُوْكَلَهَا غَيْرَ لَمِيْمَةَ وَ لَبِدَ سَفَرٍ وَمَعْدَهُمْ وَ هَادُو نَعْطِيهِمْ وَالْوَا وَ خُدُوْدُهُمْ حُمْرِيْن؟".

¹ غَاضَتْهُمْ: تَأَلَمُوا، تَحَسَرُوا

² الْتَمَّ: عَادَ إِلَى طَبِيعَتِهِ

³ مَدُونَةُ مَهَاجِي رَحْمُونَةُ وَهَرَانَ 2005

لُعَدُوا مِنْ ذَلِكَ حَكَاتٍ بَنَتْهَا وَقَالَتْهَا: " شُوفِي مَنْ لِيَوْمٍ مَا تَنْقِيهِمْشْ بِخُطْوَةٍ، وَبِنْ إِرُوحُو رُوجِي كِي دِيرُو دِيرِي، لِي يَأْكُلُوهُ كُولِيَه. فَهَمْتِي؟ عَسِيهْمُ مَلِيحٌ دِيرِي كَيْفَهُمْ ".¹

هَا لَسَقَتْ فِيهِمْ جُوهَرٌ. كَاعُ النَّهَارِ وَ هُومَا إِحْوَسُو يَهْرَبُولُهَا وَالْو، هَا بَنِيَةٌ جَاعُوا رَاحُوا يَشْرَبُو شَوِيَةَ حَلِيبٍ. غَيْرَ كَمَلُو جُوهَرَ بَعَاتٍ دِيرُ كَيْفَهُمْ بَصَحَ دِيكَ الْبَقْرَةَ تَتَوَحَّرُ وَ تَتَقَدَّمُ وَ تَعْطِيهَا بَرَكَلَةً، جَانَهَا فِي الْعَيْنِ.

مِنْ دَخَلُوا لِدَارٍ وَ مَرَّتْ بُوهُمُ شَافَتْ بَنَتْهَا لِعَزِيْرَةَ عَمِيَّةٍ مِنْ عَيْنِهَا حَكَمَتْ عَيْشَةَ وَ عَلِيٍّ وَ كَتَلَتْهُمُ بَصَوْتُ¹، قَاتَلَتْهُمُ نُّتُومًا كَبَارًا عَلَيْهَا كُونِ عَسِيئُوهَا. مِنْ جَاءَ بُوهُمُ قَاتَلَتْهَا: " وَالْو غَيْرَ هَاذِي الْبَقْرَةَ لِي تَبِيْعَهَا. شَتَّ شَادَارَتْ فِي بِنْتِنَا؟ هَذِي الْبَقْرَةَ مَا تَكْعُدْشْ فِي الدَّارِ، بِيْعَهَا!".

لُعَدُوا مِنْ ذَلِكَ، دَا هَذِيكَ الْبَقْرَةَ لَسُوقٍ بَاشَ إِيْبِعَهَا. قَعْدَ يَنْمَشَ وَ يَقُولُ: " بَقْرَةَ لِلْبَيْعِ! بَقْرَةَ لِلْبَيْعِ! وَنَاسٌ تَوَاجِبَهُ: " يَا لَطِيْفُ! بَقْرَةَ لِيَتَامَى مَا تَتَّبَاعُ مَا تَنْشَرُ!". قَعْدَ كَاعُ النَّهَارِ هَاكَ وَ دَخَلَ مَسْكِينٌ. قَاتَلَتْهُ مَرَّتَهُ وَالْوَا غَيْرَ هَذِي الْبَقْرَةَ لِنَتْبَاعٍ. بَقَّ يَمْشِي كُلُّ يَوْمٍ لَسُوقٍ وَ كُلُّ يَوْمٍ كَيْفَ كَيْفَ يُولِي هَكَذَاكَ. جَاتِ هِيَ وَاحِدًا النَّهَارَ قَاتَلَتْهَا: " شُوفِ رُوحَ لَسُوقِ نَهَارِ الْجُمُعَةِ، بِيْبَانُ اللهُ مَحْلُولِيْنَ، بَلَكَ رِي إِيْبِبُ الْخَيْرِ".

سَاعَفَهَا وَ رَاحَ الْجُمُعَةَ لَسُوقٍ مَعَ بَقْرَتِهِ. جَاتِ هِيَ لَبَسَتْ جَلَابَةَ حَزَنْتَ رَاسَهَا تَحْتَ الْكَلْمُونَةِ وَ لِحَقَاتِهِ.

مَنْ بَعْدَ يَقُولُ: " بَقْرَةَ لِلْبَيْعِ! بَقْرَةَ لِلْبَيْعِ! جَاتِ هِيَ مَارَ بَدَلَتْ كَرَزِيَهَا وَ قَاتَلَتْهَا: " بَقْرَةَ لِيَتَامَى مَا تَتَّبَاعُ مَا تَنْشَرُ، بَقْرَةَ لِيَتَامَى تَنْدَبِحُ! جَا هُوَ نَخْلَعُ. رَفَدَ بَقْرَتَهُ وَرَجَعَ لِدَارِهِ، مِنْ خَبْرَ مَرَّتَهُ عَلَى شَا سَمِعَ قَاتَلَتْهَا: " شَفْتُ هَذَا رِي سُبْحَانَهُ زِيْفَتْلُكَ إِشَارَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ. مَا تُوقَفَلْهَاشْ. ذُبَحَهَا قَبْلَ مَا يَزِيدُ إِيْعَاقِبْنَا. هَاذِ الْبَقْرَةَ فِيهَا دَعْوَةٌ شَرٌّ. شَفْتُ وَلَدَاكَ؟ تَقُولُ هُوَإِيْشْ² يَرْضَعُوا فِي بَرَزِيلِهَا. ذُبَحَهَا، شَفْتُ شَا دَارَتْ لِبِنْتِنَا الْعَزِيْرَةَ. كِيْرَاهِي هَكَذَا أَشْكُونُ يَدِيهَا بَاشَ يَنْزَوِجُ بِيهَا شَكُونُ يَدِي وَحَدَةَ عَمِيَا مِنْ عَيْنِهَا ذَبَحَ ذِي الْبَقْرَةَ!

لُعَدُوا مِنْ ذَلِكَ ذُبَحَ مَسْكِينُ الْبَقْرَةَ. "عَيْشَةَ وَ عَلِيٍّ" بَكَوْ عَلَى دِيكَ الْبَقْرَةَ كَيْمَا بَكَوْ عَلَى مُهْمِ نَهَارٍ لِي مَاتَتْ أَبَاوُ وَ قَالُوا: " مَا نَكْلُوشْ لَحْمَ الْبَقْرَةَ لِي رَضَعْتْنَا، أَعْطُونَا غَيْرَ لِعَضَمٍ! لُعَدُوهُ مِنْ

¹ بَصَوْتُ: بالضرب المبرح

² هُوَإِيْشْ: كائنات متوحشة

دَاكْ، نَاضُوا فِي بِلَايْسُهُمْ¹ رُوجَ عِرَاشٍ: مَنْ وَاحِدٌ إِسْبِيلُ الْعَسَلِ وَ الْآخَرُ إِسْبِيلُ الدَّهَانِ قَوْتُوَا
أَرْوَاحَهُمْ. وَدَخَلُوا لَدَارَ بِلَا مَا يَهْدُرُو. كَعَدُو إِدِيرُوا كُلُّ يَوْمٍ هَكَذَا وَبَيْنَ مَا يَكْمَلُو أَيْمَصُوا دَاكَ الْعَسَلِ
وَ دُهَانَ، تَمَسَّحَ مَلِيحٌ فَمَهَا وَفَمَ حُوَهَا وَ تَوَصِيَهُ مَا يَحْبِرُ حَدَ.

عَاوَدَ مَرَّتَ بِيَهُمْ قَعَدَتِ نَقُولُ: " كَيْفَاشَ رَاهُمْ إِدِيرُوا هَادُو. مَا زَالَ غَيْرَ يَزِيَانُو وَ يَسْمَانُو وَ خُدُوهُمْ
حُمَرِينَ، وَبَنَّتِي كَاغَ دَاكَ الْحَمِّ لِيكَلَاتَهُ وَمَا زَالَتْ غَيْرَ تَصْفَارُ وَ تَتَعَدَّم. عَاوَدَ حَكَمَتَ بِنْتَهَا وَقَالَتْهَا:
" شَوْفِي رُوجِي مَعَاهُمْ وَ مَا تَتَلْفِيهِمْشَ بَحْطُوةٍ وَبَيْنَ إِرُوحُو رُوجِي، كِيدِيرُو دِيرِي، لِيَاكَلُوهُ كُولِيَهُ.
فَهَمَّتِي؟ عَسِيَهُمْ مَلِيحٌ وَدِيرِي كَيْفَهُمْ بَصَحَ دِي الْخَطْرَةَ عَسِي رُوحَكَ مَلِيحٌ! " هَا بِنِيَةَ لَحَقْتَهُمْ وَ
دَارَتَ كَيْفَهُمْ. مَصَّتَ دَاكَ الدَّهَانَ وَدَاكَ الْعَسَلِ بَصَحَ مِينَ دَخَلُوا لَدَارَ حَكَمَتَهَا وَجَعُ نَتَاغَ الْمَوْتِ،
قَعَدَتِ تَنْقِيَا الدَّمِ. جَاتَ أُمَهَا قَعَدَتِ تَوَعُ²: " عَلَى بِنْتِي! عَلَى بِنْتِي! شَا دَرْتُو فِيهَا. بَغِيْتُو تَقَنَلُوهَا! "
بِنْتَهَا قَالَتْهَا بَلْ مَصِيْتِ الدَّهَانَ وَالْعَسَلِ حَدَ الْبَقْرَةَ أَنْتَعُ أُمَهُمْ.

جَاتَ هِيَ قَالَتْ لَهُمْ: " رَانِي مَاشِي نَشُوفَ وَ لَكَانَ بِنْتِي تَمُوتُ وَاللَّهِ نَكْتَلُكُمْ فِي رُوجِ !

جَاوُ هُمَا خَافُو، غَيْرَ خَرَجَتَ هَرَبُو مِنَ الدَّارِ.

رَاخُوا غَيْرَ هُنَا غَيْرَ إِلَيْهِ مَلْبَلَادَ لَحْنُهَا. وَاحِدَ النَّهَارِ، كَانُوا هَكَذَاكَ فِي الطَّرِيقِ دَاكَ الْوَلِيدِ عَطَشَ،
قَرَبَ وَاحِدَ الْعَيْنِ أَيَا غَيْرَ أَشْرَبَ مِنَ الْمَيِّ أَنْتَاعَهَا، نَصَحَطُ وَلَا غَزَالَ قَعَدَتِ عَيْشَةَ تَبْكِي وَتَعْنَقُ
فِيهِ جَا هُوَ قَالَهَا: " مَا عَلِيَشَ أُخْتِي. مَا تَبْكِيَشَ ! مَلِي مَاتَتْ أُمْنَا رَانِي غَيْرَ هَمَّ عَلَى هَمَّ، بَصَحَ
مَا دَامَكَ مَعَايَا مَا نَخَافُشَ، غَيْرَ مَا تَسْمَحِيَشَ فِيَا !

حَلَقَنَلَهُ وَ قَتَلَهُ مَا غَيْرَ الْمَوْتِ لِي إِفْرَقَ بَيْنَاتْنَا. أَيَا وَ زَادَ غَيْرَ إِهْنَا غَيْرَ إِلَيْهِ مِنَ لَبَلَادَ لَحْنُهَا
كَبُرُوا، هِيَ وَ لَتَ كِي الْعَضْرَةَ وَ مَا زَالُوا غَيْرَ هَايَمِينَ³ مَسَاكِينَ.

وَاحِدَ النَّهَارِ كَانُوا قَاطِعِينَ وَاحِدَ الْعَابَةِ، حَتَّى سَمَعَتْ لَعَوَادَ يَجْرُوا مَوَالِفَ غَيْرَ تَسْمَعَهُمْ تَخَرَّنَ هِيَ
وَ حُوَهَا الْغَزَالَ. كَانَتْ تَخَافَ مِنَ الصِّيَادِينَ تَخَافَ عَلَى حُوَهَا.

دَاكَ النَّهَارِ مَانَجْمَتَشَ، بَصَحَ غَيْرَ شَافُوهُمْ الصِّيَادِينَ كَعَدَتِ تَجْرِي هِيَ وَ حُوَهَا لَحْكُوهُمْ الصِّيَادِينَ
أَوْ مِينَ قَرَبُولُهُمْ قَاسَتْ رُوحَهَا فُوقَ حُوَهَا الْغَزَالَ وَقَعَدَتِ تَبْكِي وَتَقُولُ: " أَكْتَلُونِي وَ خَلُو
حُويَا، أَكْتَلُونِي وَ خَلُوهُ إِعِيَشَ، خَلُو حُويَا "

¹ بِلَايْسُهُمْ: مكانهم

² تَوَعُ: تصرخ

³ هَايَمِينَ: تائهين

جَاوْ هُوَمَا حَبَسُو أَنْخَلَعُوا. مَعَاهُمْ كَانَ وَوَلَدُ السُّلْطَانِ، قَالَهَا: "قَرِيبِي أَنَا وَفَهْمِينِي دِي الْقِصَّةَ أَنْتَا عِ حُوكْ غَزَالٌ" أَيَوَا بَدَاتْ تَحْكِيْلَهُ. أُوْمِينْ حَكَاتْلَهُ قَصَتْهَا شَحَالْ مَنْ عَامْ وَهِي فِي الْهَمِّ مَعَ مَرْتْ بُوَهَا وَشَحَالْ مَنْ عَامْ وَهِي خَائِفَا عَلَى خُوَهَا، وَوَلَدُ السُّلْطَانِ أَنْخَلَعْ، أَنْخَلَعْ فِي زِينْهَا وَأَنْخَلَعْ فِي الرِّزَانَةِ أَنْتَا عَهَا وَقَالَ هَذِي هِي الْمَرْأَةُ لِي تَلِيْقَلْ، أَيَوَا قَالَهَا:

- تَنْزُوْجِي بِيَا وَ نَجِيْبُوَا وَوَلَادْ وَ نَفْرَحُوْهُم !

- أَوْ حُويَا ؟ قَاتْلَهُ

- حُوكْ رَاهْ كَاعَدْ مَعَاكْ كِي تَبْعِي.

هَا بَنِيَّةٌ دَاهُمْ مَعَاهُ لِلْقَصْرِ وَلَعَى لِلطَّالِبِ شَرِبُو لِي عَلِي وَوَلَدُ الْمَاءِ تَمَّ تَمَّ وَلَا عَارِبُ كِيدَايِرْ!
أَيَوَا وَعَيْشَةُ تَزُوْجَتْ مَعَ وَوَلَدُ السُّلْطَانِ وَرَزُوْجَتْ خُوَهَا تَانِي. عَادَ مَسَاكِينُ تَهْتُو وَبَقُو فَرَحَانِينُ حَتَّى لِلْمَمَاتِ. إِيَهْ نُسِيَتْ. وَوَلَدُ النَّهَارِ، عَلَى خَاظَرِ بُوَهَا، بَعَاثَ إِجِيْبُهُمْ كَاعْ إِعِيْشُو حِدَاهُمْ. مِيْنْ مَشُو إِجِيْبُوْهُمُ قَالُوْهُمُ وَوَلَدُ النَّهَارِ جَاتْ نَارَ وَكَلَانْتُهُمْ كِي هُو كِي الدَا

30. "حَدَ الزَيْنِ مَوْلَاتِ الشَّعْرِ دَهَبٌ"¹

أَنْخَرَفَكُمْ قِصَّةَ حَدَ زَيْنِ مَوْلَاتِ الشَّعْرِ دَهْبِي. سَمُوَهَا "حَدَ زَيْنِ" لِأَخْطَرَشَ زَيْنِهَا فُوْقَهُ مَاكَانَشْ. كَانَتْ طَوِيْلَةً، بِيْضَةً، عَيْنِيْهَا كُحْلِيْنِ كِي تَاعُ الْغَزَالِ، أُوْكَانَ عِنْدَهَا وَوَلَدُ سَالْفِ طَوِيْلٌ²، رُطْبٌ وَصَفْرٌ تَحْسَبُوهُ دَهَبٌ. بُوَهَا كَانَ سُلْطَانٌ. أُوْكَانَ عِنْدَهَا خُوَهَا كَبِيْرٌ أَعْلِيْهَا بِسَبْعِ سَنِيْنِ. مِيْنْ قُفْلٌ رِبْعَطَاشْ أَنْعَامٌ، مَشَى مَعَ بُوَهْ مَنْ لِبْلَادَ لِبْلَادَ إِحَارَبُو الْعَدِيَانِ. كَعَدَ عَايِبَ سَبْعِ سَنِيْنِ.
حَدَ الزَيْنِ كَعَدَتْ فِي الْقَصْرِ مَعَ أُمِّهَا كَانَتْ كُلُّ يَوْمٍ تَرْوُحُ تَعُوْمُ فِي وَوَلَدُ الْعَيْنِ نَتَاعُهُمْ أَيَوَا كَبِرَتْ زَيْنِهَا مَا زَالَ يَكْبُرُ مَعَاهَا.

نَهَارٌ لِرِجْعِ بُوَهَا مَعَ وَوَلَدِهِ لِلْقَصْرِ كَانَ عِنْدَهَا رِبْعَطَاشْ أَنْعَامٌ، أَنْهَارٌ لِي وَوَلَدُهَا حَشَمَتْ مَا بَعَاثَشْ حَتَّى نَقَرَبُهُمْ. مِيْنْ جَاتْ أُمُّهَا وَقَالَتْ لَهَا تَتُوْدِي³ تَرْحَبِي بِيَهُمْ، سَنَرْتِ رُوْحَهَا أَيَا وَغِيْرَ سَلَمَتْ عَلَيْهِمْ وَهَرَبْتِ. حَشَمَتْ. هِي وَقَاتْ أَيَامَاتٌ وَهِي غِيْرَ حَشْمَانَةَ، مَا بَعَاثَشْ كَاعْ تَكْرَبُ خُوَهَا .
وَوَلَدُ النَّهَارِ مَعَ الْمَغْرَبِ مَشَى خُوَهَا يَحَوَسُ مِيْنْ جَاءَ مَوْلِي، حَبَسَ⁴ فِي هَذَاكَ الْعِيْبِيْنِ بَاشْ يَشْرِبُ كَانَ عَطْشَانٌ. مِيْنْ بَدَا يَشْرِبُ، شَافَ وَوَلَدُ الْحَاجَا تَبْرُقُ فُوْقَ الْمَاءِ أَوْ دَايِرَ كِي الدَّهَبِ.

¹ مدونة مهاجي رحمونة وهران 2005

² سالف طويل: الشعر الطويل

³ تتوودي: تنهض

⁴ حبس: وقف

كَرَبَ يَدَهُ لِيَمْنَةً، لَمَهُ عَلَى شَهْدٍ وَ كَعَدَ إِيدُورَ فِيهِ: شَعْرٌ، شَعْرٌ طَوِيلٌ، مُسَبِّبٌ وَ دَهْبِيٌّ، عُمْرَهُ مَا شَافَ شَعْرٌ كَيْمَا هَذَاكَ. أَنْخَلَعُ¹ زَفْدَ يَدَهُ وَمَعَ الْقَمَرِ شَافَ سَبْعَهُ دَهْبِيٌّ. تَحَسَّبُوهُ دَهَبٌ ! هَا زَفْدَ شَاهِدٌ أَنْتَاعَهُ قَسَمَ وَ قَالَ: " يَا نَجْمُ اللَّيْلِ ! نَتَاعَمَنَّ هَذَا الشَّعْرَ ؟ مُوَلَاتُهَا مَنَا وَلَا مَن لِحَرْ؟ رَاكُمُ شَاهِدِينَ يَا نُجُومَ اللَّيْلِ ! مَنِينٌ هِيَ، نَحْلَفُ كُدَامَ رَبِّي، مَا نَدِي غَيْرَ مُوَلَاتٍ هَذَا الشَّعْرَ وَلَا نَكْعُدُ² عَارِبَ لَلَابَدِ ! " دَارَ هَذِيكَ الشَّعْرَةَ فِي جِيبِهِ وَ رَاخَ لُدَارَهُمْ. فَاتُوا إِيَامَاتٍ وَجَاتَ أُمُّهُ قَائِلَةً: " يَا وَلِيدِي رَاكَ كَبِيرَ الْيَوْمِ، لِأَزْمَ تَنْزُوجَ وَ دِيرَ وَوَلَادَ وَ بَنَاتٍ . مَا بَقِيَ حَالٌ ! "

جَا هُوَ قَالَهَا: " يَا مَ، رَانِي بَاغِي تَنْزُوجَ بَصَحَ حُلْفَتَ وَ مَدِيَّتَ الْعَهْدِ، مَا نَدِي غَيْرَ وَحْدَةَ وَلَا نَقْعُدُ عَارِبَ لَبْدَى ! " قَائِلَةً: " لِيَشَ عَلَيْكَ! شَكُونُ هَذِي؟ أَنْتَايَا وَوَلَدُ السُّلْطَانِ الْمَرَّةَ لِي تَبْغِيهَا رَاهِي لِيكَ، قُولْ شَكُونُ هِيَ وَنَمَشِي تَنْكَلَمَ مَعَ أُمِّهَا ! ."

جَا هُوَ جَبَدَ هَذِيكَ الشَّعْرَةَ مَن جِيبِهِ وَقَالَهَا: " عُمْرِي مَا شَفْتُهَا مَا نَعْرِفُشُ شَكُونُ هِيَ، مَا نَعْرِفُ مَنَهَا غَيْرَ هَادِي الشَّعْرَةَ وَ مَا نَدِي غَيْرَ مُوَلَاتٍ هَذَا السَّالْفِ ! ."

دَاتَ هَذِيكَ الشَّعْرَةَ وَوَلَعْدُوِي لِيَهْ بَدَاتَ تَجْرِي وَنَحْوَسَ عَلَى مُوَلَاتِهَا. ضَرَبَتْ دَارَ بَدَارَ، كِي الْأَغْنِيَا كِي لَمَسَاكِينِ، وَالْوَحْتَى وَحَدًا مَا تَنْجَمَ تَكْسَبَ شَعُورَ كَيْمَا هَاكَذَا: طُولًا وَمَسْبَسِينِ وَدَهْبِينِ . هَا مَشَاتَ عِنْدَ وَوَلَدَهَا وَ قَائِلَةً: " يَاوَلِيدِي! نَرَبْتِ كَاغَ الْبِلَادَ مَاكَانُشُ وَحْدَةَ لِي مَا شَفْتُشُ شَعْرَهَا. وَمَا كَانُشُ وَحْدَةَ فِي الدُّنْيَا لِعِنْدَهَا هَذَا الشَّعُورَ مَن غَيْرَ وَحْدَةَ! "

قَالَهَا: " شَكُونُ هِيَ ؟ قُولِيلِي يَا مَا نَدِيهَا ! قَائِلَةً: " غَيْرَ خُنْكَ لِعِنْدَهَا هَذَا الشَّعُورَ يَا وَوَلِيدِي . " أَيُّوَا سَكَّتَ شُوِي وَقَالَهَا: " يَا مَ، أَحْلَفْتُ ! إِلَّا مَا نَدِيشُ مُوَلَاتٍ هَذَا الشَّعْرَ نَقْعُدُ عَارِبَ قَائِلَةً: " حَمَمَ شُوِي وَ غَدُوا انْشَاءَ اللهُ بَرِيي نَجْبِرَ حَلْ . "

إِيَهْ، بَصَحَ حَدَ أَرِينِ كَانَتْ غَيْرَ تَمَ مُورَ الْبَابِ. سَمَعَتْ كُلْشِي بُوَدْنِيهَا خَافَتْ مَسْكِينَةَ وَهَرَبَتْ دِيكَ اللَّيْلَةَ. قَعَدَتْ غَيْرَ تَجْرِي بَشَ تَبْعَدَ عَلَى الدَّارِ، مِينِ أَعْيَاتَ جَمَعَتْ تَحْتِ شَجْرَةَ. مَسْكِينَةَ كَانَتْ بَرْدَانَهُ وَ خَائِفَةَ مَن لَعُوَالِ، أَيَا قَعَدَتْ تَبْكِي رَفَدَتْ عَيْنِيهَا لِلْسَّمَاءِ وَقَالَتْ: " يَا خُوِيَا! يَا وَوَلَدَ أَمَّا وَوَلِيدِيَا ! شَا بُغِيَّتَ عِنْدِي؟ شَا دَرْتِ يَا رَبِّ تَحْنُكَ بَاشَ نَسْتَاهَلُ هَذَا الْحَالِ؟ يَا خُوِيَا ! يَاوَلَدَ أَمَّا وَوَلِيدِيَا ! انْشَاءَ اللهُ تَرَشْ³ وَمَا يَدَاوِيكَ لَا طَالِبَ لَا طَبِيبَ ! . "

كَأَغَ اللَّيْلِ وَهِيَ تَبْكِي مَسْكِينَةَ وَمَعَ الصَّبَاحِ بَكْرِي حَكَمَتْ الطَّرِيقَ وَمَشَاتَ قَرِيبَ الْعَامِ وَهِيَ غَيْرَ هَائِمَ حَتَّى سَمَعَتْ وَاحِدَ النَّهَارِ يُقُولُ فَلَانَ، وَوَلَدُ السُّلْطَانِ رَاهَ إِيْمُوتَ حَتَّى طَبِيبَ وَحَتَّى طَالِبَ مَا

1 أَنْخَلَعُ: اندهش

2 نَكْعُدُ: أبقى

3 تَرَشْ: تبال

جَبْرَلَهُ دَوَى. كَانُوا إِيقُولُو سَحْرُوهُ وَلَا دَعَاوُ عَلَيْهِ. مَا عَرَفُوشَ غَيْرَ سَمَعَتُ هَذِي الْهَدْرَةَ عَرَفْتُ بَلِي هِي سَبَابُ هَذَا الْمَرَضِ الْغَرِيبِ لِي بَاغِي يَقْتَلُ خُوَهَا. مَا نُسَانَشْ أَنَهَارُ لِي طَلَبْتُ رَبِّي إِخْلَصُ فِيهِ¹. أَيَا قَلْبَهَا مَا خَلَاهَاشَ عَلَى خُوَهَا، رَفَدَتْ رُوْحَهَا وَوَلَّتْ تَجْرِي لَدَارُ.

مِينْ وَقَفْتُ عِنْدُ رَاسِهِ مَا عَقَلَانْتَهْشْ، كَانَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَوَلَاخِرَةَ قَعَدَتْ تَبْكِي حَتَّى حَلَّ عَيْنِيهِ. مِينْ عَقَلَهَا، فَعَدَّ بِيكِي هُوَ تَانِي وَيَطْلُبُ مِنْهَا فِي السَّمَاحِ. هِي تَانِي قَعَدَتْ تَطْلُبُ مِنْهُ فِي السَّمَاحِ. هَايْ بَكَوْ شَحَالُ وَ نَشْفُوا دُمُوعَهُمْ حَتَّى نَاضَ وَجَمَعَ فِي فِرَاشِهِ وَقَالَهُمْ أَعْطُونِي نَاكُلْ. جَاعُ هُوَ لَشَحَالُ مَنْ شَهْرُ مَا قَدَشْ يَاكُلُ . بَرَى ! مِينْ شَافُوهُ وَلَا لَدُنْيَا وَشَافُوا بِنْتَهُمْ رَجَعَتْ لَدَارُ فَرَحُو وَالِدِيَهُمْ وَكَاعُ الدُّنْيَا فَرَحُو.

أَيَا لَعَدُوا لِيهِ جَا السُّلْطَانُ عَيْطُ لَحْدُ زَيْنُ وَقَالَهَا : " بِنْتِي رَبِّ عَطَاكَ زَيْنُ وَالْعَقْلُ وَالْقَلْبُ. نُورُكَ مَضُوبِينَا² مَا لَارْمَشْ تَبْعِدِي عَلِيْنَا. غَدَوَى أَنْرُوحُ عِنْدُ خُوِيَا وَنَنَقَاهُمُوعَلَى عَرَسِكَ، رَاهُ وَوَلْدُ عَمَّكَ بَعِيكَ هَذَا شَحَالُ مَنْ عَامٌ". هِي تَانِي كَانَتْ بَاغِيَا وَوَلْدُ عَمَّهَا بَصَحَ مَا تَنَجَمَشْ تَقُولُهَا عَيْبُ، عَلِيَهَا مِينْ قَلْهَالَهَا بُوَهَا شَحَالُ فَرَحَتْ. أَيَا وَقَاتُ إِيْمَاتُ وَدَارُو لَهَا لَعَرَسُ مَعُ وَوَلْدُ عَمَّهَا، عَرَسُ سَلَاطِينُ أَنْتَاعُ رَبْعِينُ يَوْمُ.

31. " الْوَلْدُ وَ مَرَّتْ بَابَاهُ"³

رَاجَلُ عِنْدَهُ رُوحُ أَنْسَا، وَالْدُ مَعَاهُمْ طَفْلُ طَفْلُ، وَفِي رُوحُ يَتَشَابَهُو بَرَافُ بَرَافُ، مَاثُ بَابَاهُمْ، وَ مَنْ بَعْدُ مَاثَتْ أُمُ وَحَدَّ مِنْهُمْ، حَتَّى صَبَحَتْ الْمَرْأَةُ مَا تَعْرِفُشْ وَوَلْدَهَا مَنْ وَوَلْدُ ضَرَّتْهَا، رَاحَتْ لُسْتُوْتِهِ؛قَالَتْ لَهَا: خَلِيَهُمْ إِسَافَرُوا وَيَطُولُوا، مِينْ جَاوُ يَقُولُولَهُمْ بَلِي رَانِي مَرِيضَةَ، اللَّي يَرِيْبُ عُوْدَهُ فِي غَرَضَهُ مَاهُوشُ وَوَلْدُكَ، وَ لِي يَجِي يَجْرِي بِلَا مَا يَرِيْبُ عُوْدَهُ هَذَاكَ وَوَلْدُكَ، دَارَتْ كِيْمَا قَالَتْ لَهَا، وَوَلْدَهَا جَا يَجْرِي طَلْسَاتَهُ بِالْحَنَّةِ وَ الْآخَرُ رِيْبُ عُوْدَهُ فِي غَرَضَهُ⁴ طَلْسَاتَهُ بَلْفُطْرَانُ، وَوَلَاتُ فِي الزَّلَافُ⁵ دِيرُ أَطْعَامُ الصَّافِي لُوْلْدَهَا وَالْمَخَلَطُ لُوْلْدُ ضَرَّتْهَا، عَرَفَ الْوَلْدُ الْآخَرُ بِالِي مَاهُوشُ وَوَلْدَهَا وَفَرَزُ بَاشُ يَهَجَرُ .

¹ إِخْلَصُ فِيهِ: يَنْتَقِمُ مِنْهُ

² نُورُكَ مَضُوبِينَا: نُورُكَ يَضِيئُنَا

³ مَدُونَةُ وَاضِحُ عَائِشَةُ غَلِيْزَانُ 2005

⁴ غَرَضُهُ: بِنَائِي

⁵ الزَّلَافُ: الصَّحْنُ

وَاحَدَ النَّهَارَ كَانُوا وَاقِفِينَ عَلَى بَيْرٍ، كُلُّ وَاحِدٍ جُدَقٌ¹ تَاعُ كَسْرَةً فِي الْبَيْرِ، تَاعٌ وَلَدُ الْمَرْأَةِ طُلُعٌ وَتَاعٌ وَلَدُ الضَّرَةِ اعْتَزَّ، قَالَ لُحُوهُ : أَنَا رَانِي قَرِيبٌ نُصَدُّ²، أَنَا عَرَفْتُ بَلِي هَذِي مَاشِي أَمَا، بَاغِي نَهَجَرُ وَهَذَا النُّجَيْلَةَ رَجَعُ لَهَا نَتَّى وَلَا أَنَا، اللَّيْ يَصِيبُ جِهَةَ وَاحِدٍ مَن يَبْسَتُ، يَعْرِفُ بَلِي حُوهَ مَاتُ، وَعَعَقُ حُوهَ وَرَاحُ، فِي الطَّرِيقِ صَابٌ وَاحِدُ الْعُجُورِ، قَالَ لَهَا: ضِيَاْفُ رَبِّي، قَالَتْ لَهُ: مَرَحْبَا وَهَذِيكَ الْعُجُورُ عِنْدَهَا بَنْتُ وَحَدَّةَ، مِينُ جَا رَايْحُ، قَالَتْ لَهُ: رَاكُ رَايْحُ لِأَمَكُ، قَالَ لَهَا: مَا عِنْدِي لِأَ أَمَا لِأَ بُوَيَا لِأَ حَتَّى وَاحِدُ، وَ كَعَدُ يَبِكِي قَالَتْ لَهُ: أَنَا أَمَكُ يَلِي بَغِيْتُ حَتَّى تَدْفَقِي وَلَا نَدْفَقُكَ، بَصَحُ نَزُوجُكَ بَنَّتِي، قَالَ لَهَا : صَحَى، كَانَ كُلُّ يَوْمٍ اِيصَيْدُ، قَالَتْ لَهُ: قَاغُ الْجِبَالُ صَيَدْتُ فِيهِمْ غَيْرُ هَذَا الْجِبَلُ لِأَ .

وَاحَدَ النَّهَارَ الصَّيْدُ هَرَبْلَهُ فِيهِذَاكَ الْجِبَلُ، لَحَقَهُ وَ شَعَلَ النَّارُ، وَ قَعَدُ يَشُوي فِيهِ.

جَاتِ الْعَوْلَةَ قَالَتْ لَهُ: أَعْطِينِي النَّارَ، قَالَ لَهَا قَرِيبِي تَدِي قَالَتْ لَهُ: هَاكَ شَعْرَةَ مَن شَعْرَاتِي رِبَطُ بِهَا سَاقُكَ، رِبَطُهُمْ صَرَطَاتَهُ بِيهِ بَعُودَهُ. رَاخُ حُوهَ لَهَاذِيكَ النُّجَيْلَةَ، صَابٌ جِهَةَ حُوهَ يَبْسَتُ، قَالَ: حُويَا مَاتُ، أَنَا الْبِلَادُ اللَّيْلِي كَلَاتُ حُويَا تَاكُلْنِي، يَدْخُلُ بِلَادٌ وَ يَخْرُجُ بِلَادٌ.

الْبَنْتُ قَالَتْ لِأُمِّهَا: رَاغِلِي مَا جَاشُ، قَالَتْ لَهَا: بِالْأَكُ رَاةَ جَايُ، حَتَّى قَاتُ حُوهَ عَلَى دَارِ الْعُجُورِ، وَهِي قَالَتْ لَهُ: هَا هُوَ جَاءُ، عَرَفُ هُوَ بَلِي عَلَى حُوهَ، قَالَتْ لَهُ الْعُجُورُ: هُوَلْتْنَا وَبِنُ كُنْتُ، قَالَ لَهَا: وَبِنُ مَا كَاتَبُ رَبِّي، قَالَتْ لَهُ: خَفْتُ إِلِي تَرُوحُ لَجِبَلُ اللَّيْ وَصِيَتُكَ عَلَيْهِ، قَالَ لَهَا: مَا تَخَافِيشُ، الْعَدُوي رَاخُ لَجِبَلُ، صَابٌ بِلَاصَةَ النَّارِ وَالْعَضَامُ اللَّيْ أَشُوي حُوهَ، قَالَ: هُنَا أَنْتُكُلُ حُويَا، وَقَعَدُ يَبِكِي يَبِكِي.

جَاتِ الْعَوْلَةَ، قَالَتْ لَهُ: أَعْطِينِي النَّارَ، قَالَ لَهَا: قَرِيبِي تَدِي، قَالَتْ لَهُ: هَاكَ شَعْرَةَ مَن شَعْرَاتِي كَتَفُ بِهَا سَاقُكَ، قَاسَهَا فِي النَّارِ، وَقَالَ لِلْسَاقِ: طِيرُوا لِيهَا مَن الْعَقَارِيبُ، الْعُودُ مَن الظَّهَرُ وَالطَّيُورُ مَن الْعَيْنِيِّنُ، حَطَّهَا قُدَامَهُ وَحَلَّ لَهَا كَرَشَهَا خُرَجُ حُوهَ صَابَهُ مَعْمُومٌ قَعَدُ يَبِكِي عَلَيْهِ، جَاتِ زَرْمُومِيَةَ قُدَامَهُ ضَرَبَتْ أُحْتَهَا تَعَاشَاتُ، قَالَ: لَهَا عَلَاةَ رَاكِي تَضْرِبِي فِي أُحْتِكَ حَلِينِي غَيْرُ أَنَا فِي حُويَا، قَالَتْ لَهُ أَنَا أُحْتِي سَاهَلُ، جَابَتْ حُشِيشَ حَكْتَهَا لَهَا عَلَى نِيْفَهَا فَطُنْتُ، وَرَاخُوا لِلْعُجُورِ أَنْخَلَعْتُ مِينُ شَافْتَهُمْ، حَبَرَهَا بَلِي هُمَا رُوجُ خَاوَا مَن رُوجُ أَنَسَا، يَتَشَابَهُوَا بَرَافُ، قَالَتْ لَهُ الْعُرُوجُ: أَنَا نَزُوجُكَ وَتَعِيشُ مَعَايَا أَنْتَ وَخُوكُ، وَحَطَبْتَلَهُ وَرُوجَاتَهُ وَعَاشُوا مَعَاهَا، هَذَا حَدُّهَا الْحَالُ أَصْبَحُ.

¹ جُدَقُ: قطعة خبز

² نُصَدُّ: أذهب

32. "غانم و ولد الراعي"¹

كَانَ يَامَكَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَسَالِفِ الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ، كَانَ هَذَا غَانِمٌ مَا بَعَّاشٌ يَتَزَوَّجُ كَيْمَا يَتَزَوَّجُوا
كَاعِ النَّاسِ، وَاحِدَ النَّهَارِ أَدَا نَاقَتَهُ الْجَرَبَا لِلْعَيْنِ تَاعَ الْقَرِيَةِ اللَّيِّ حَدَاهُمْ، وَحَلَاهَا وَحَدَاهَا تَشْرَبُ،
وَقَعْدٌ هُوَ بُعِيدٌ يُشُوفُ شَا يَصْرَى²، حَتَّى وَاحِدٌ مَا بَعَى يَشْرَبُهَا قَبْلَ النَّاقَاتِ أَنْتَاعَهُمْ، حَتَّى تَقْدَمَ
وَاحِدَ الرَّاجِلِ شَرَبَهَا وَمَنْ بَعْدَ شَرَبِ النَّاقَةِ أَنْتَاعَهُ وَرَاحَ، سَفْسَى³ عَلَيْهِ ذِيَابٌ وَعَلَى عَائِلَتِهِ، وَمِمَّنْ
أَعْرَفَ بَلِيَّ عِنْدَهُ بَنَتْ قَدْ الزُّوْجِ، تَقْدَمَ يَخْطِبُهَا مَنَّهُ، أَعْطَاهَا لَهُ بَابَاهَا، وَدَاهَا غَانِمٌ لَقَرِيَّتَهُ وَرَاحَ.
جَابَتْ لَهُ وَوَلَدٌ فِي وَقْتِ اللَّيِّ وَوَلَدَتْ مَرَّتَ الرَّاعِي وَوَلَدٌ، مَرَّتَ الرَّاعِي رَاحَتْ لُسْتُوتَةَ قَالَتْ لَهَا، شُوفِي
كِي دِيرِي وَ بَدَلِي وَوَلَدِي بَوْلَدٌ لَالَةَ، بَاشُ يَعْيشُ وَوَلَدِي فِي الْعَرِ.

دَارَتْ لُسْتُوتَةُ اللَّيِّ قَالَتْ لَهَا عَلَيْهِ مَرَّتَ الرَّاعِي، بَلَا مَا يَفِيْقُ غَانِمٌ وَ مَرَّتَهُ.
كَبَّرَ الْوَلَدُ وَ بَدَا غَانِمٌ يَسْفِسِي فِيهِ يَقُولُهُ فِي الْأَلْعَازِ وَتَخْلَعُ غَانِمٌ مِمَّنْ لَقَى وَوَلَدَهُ مَا يَعْرفُشُ
يَجَاوِبُ، حَتَّى وَلى يَعْايِرُهُ بِأَمَةٍ.

وَاحِدَ النَّهَارِ كَانَ فَايَتْ غَانِمٌ مِّنْ جِهَةِ وَوَلَدَ الرَّاعِي وَالْبَلُّ حَدَاهُ، وَبَاكُلُ فِي الْخُبْزِ وَيَقْلِي فِي
الْقَمَلِ، قَالَ لَهُ غَانِمٌ: شَارَاكَ الدِيرِ؟ قَالَ لَهُ وَوَلَدَ الرَّاعِي :

رَانِي نَاكُلُ فِي غَدَايَا.....وَنَقْتُلُ فِي غَدَايَا.....وَبَلِي رَاتَعَةَ حَدَايَا أَنْخَلَعُ غَانِمٌ مِّنْ هَذِي
الْهَدْرَةَ، وَمَنْ بَعْدَ رَاحَ لَمَرَّتَهُ وَقَالَ لَهَا ثَلَاثَةَ تَاعِ الْأَلْعَازِ: مُرْ مَنَاشُ؟ وَحَلَى مَنَاشُ؟ وَكَحَلْ مَنَاشُ؟
وَقَالَ لَهَا تَرُوحُ لِأَهْلِهَا يَعْاوُنُوها.

رَاحَتْ لُدَارُهُمْ، وَمِمَّنْ رَجَعَتْ لَقَاتَ وَوَلَدَ الرَّاعِي، خَبْرَاتَهُ بَشَا قَالَ لَهَا غَانِمٌ وَشَا جَابَتْ الْخُبْرَ مَعَهَا
قَالَتْ لَهُ: أَحَلَّ مِّنَ الْعَسَلِ.....وَمُرْ مِّنَ الدَّفْلَةِ..... وَ كَحَلْ مِّنَ الْقَطْرَانِ.. قَالَ لَهَا: أَلَا، وَخَبْرَهَا
بِالصَّحْ:.....أَحَلَى مِّنَ الصَّبِيَّانِ يَلْعَبُو فُوقَ الْفَرَّاشِ... وَمُرْ مِّنَ الْخَوْفِ فِي لَنْعَاشِ.....وَكَحَلْ
مِّنَ الْبَارُودِ فِي لَحْبَاشِ.

وَقَالَ لَهَا مَا تُخْبِرِيْشُ سِيدِي رَاهُ يَقْتُلْنِي يَلَا عَرَفَ بَلِيَّ أَنَا خَبْرَتِكَ، قَالَتْ لَهُ: صَحْ، مِمَّنْ رَجَعَتْ
لِرَاجِلِهَا خَبْرَاتَهُ بِالْجَوَابِ، شَكَ بَلِيَّ دَارَهُمْ يَعْرفُو يَحْلُوهُمْ قَالَ لَهَا: مَا تَلَاقِيْتِيْشُ بَوْلَدَ الرَّاعِي، قَالَتْ لَهُ
لَا، وَمَنْ بَعْدَ خَرَجَ وَقَعْدٌ يَزْقِي وَيَقُولُ: وَوَلَدَ الرَّاعِي خَطْفُوهُ الْخِيَانِ، خَرَجَتْ مَرَّتَهُ تَجْرِي، وَ قَالَتْ
لَهُ: غِي دَرُوكْ كَانَ مَعَايَا، عَرَفَ ذِيَابَ بَلِيَّ وَوَلَدَ الرَّاعِي هُوَ اللَّيِّ خَبْرَهَا، وَحَلْفَ بَاشُ يَدِيرُهُ فِي

1 مدونة واضح عائشة غليزان 2005

2 شَا يَصْرَى: ما يجري

3 سَفْسَى: سأل

النَّازِ. رَاحَ لَهُ صَابَهُ مَعَ الْإِبِلِ نَتَاعَهُ، عَيْطُ لَهُ¹: يَا لِي قُدَامَ الْإِبِلِ..... يَا لِي مُورِ الْإِبِلِ... يَا لِي عَلَى طَرْفِ الْإِبِلِ..... يَا لِي تَحْتَ الْإِبِلِ..... يَا لِي فَوْقَ الْإِبِلِ مَا بَعَّاشُ إِبْرُدُ عَلَيْهِ، وَ مِينُ قَالَهُ: يَا مُورِ الْإِبِلِ دَارِلَهُ، وَ قَالَ لَهُ: شَابِعِيْتُ سَيِّدِي؟ قَالَ لَهُ: كَيْفَاهُ شَحَالُ وَ أَنَا نَعِيطُ لَكَ مَا رَدِيئِشْ عَلَيَّ، قَالَ لَهُ لَخَاطَرِشْ: الِّي قُدَامَ الْإِبِلِ رَقَابِيهَا²..... وَالِّي مُورِ الْإِبِلِ دَنْبَاهَا... وَالِّي عَلَى طَرْفِ الْإِبِلِ جَنَابَاهَا..... وَالِّي تَحْتَ الْإِبِلِ كُرُوشَاهَا..... وَالِّي فَوْقَ الْإِبِلِ ذُرَاعَاهَا..... وَمُورِ الْبَعْلُ هُوَ أَنَا.

زَادَ تَفَقَّقَ ذِيَابَ وَ عَرَفَ بَلِي هُوَ الِّي خَبَرَ مَرَّتَهُ بِالْجَوَابِ، قَالَ لَهُ بَاغِي نَقِيسِكَ³ فِي النَّازِ، قَالَ لَهُ وَلَدُ الرَّاعِي: رَاكَ رَايِحُ تَقِيسِنِي فِي الْغَابَةِ وَ الْمَغْلُوبَةِ.

قَالَ لَهُ شُكُونُ الْغَالِبَةِ؟

قَالَ لَهُ وَلَدُ الرَّاعِي: النَّازِ

قَالَ لَهُ غَانَمُ شُكُونُ يَغْلِبُهَا؟

قَالَ لَهُ وَلَدُ الرَّاعِي: الْمَاءُ

قَالَ غَانَمُ: وَ الْمَاءُ شُكُونُ يَغْلِبُهُ؟

قَالَ لَهُ وَلَدُ الرَّاعِي: الْعَقَبُ

قَالَ غَانَمُ: وَ الْعَقَبُ شُكُونُ يَغْلِبُهَا؟

قَالَ لَهُ وَلَدُ الرَّاعِي: فُرْسَانُهَا

قَالَ غَانَمُ: وَ فُرْسَانُهَا شُكُونُ يَغْلِبُهُمْ؟

قَالَ لَهُ وَلَدُ الرَّاعِي: نَسَاهُمْ

قَالَ غَانَمُ: وَ نَسَاهُمْ أَشُكُونُ يَغْلِبُهُمْ؟

قَالَ لَهُ وَلَدُ الرَّاعِي: وَوَلَادُهُمْ

تَغْلَعْلُ مِنْهُ غَانَمُ وَ قَاسَهُ فِي النَّازِ، وَ خَرَجَ سَالِمٌ مِنْهَا.

وَمَنْ بَعْدَ غَانَمِ قَالَ أَنَا يَلِيْقُ نَعْرِفُ هَذَا الْوَلْدُ مَلِيْحٌ، عَيْطُ لَمَرَّتِ الرَّاعِي وَقَالَ لَهَا هَذَا مَا هُوشِ وَوَلَدُ الرَّاعِي، خَبَرِيْنِي بِقِصَّتِهِ، مِينُ زِيَرَهَا، حَكَاتُ لَهُ حَكَايَتُهَا وَ قَرَّتْ لَهُ بَلِي هَذَا الْوَلْدُ وَوَلَدَهُ وَهِيَ مَا بَعَّاشُ وَوَلَدُهَا يُعِيْشُ فِي الْغَيْبَةِ، رَاحَ عَنَّقَهُ وَسَامَحَهُ وَحَمَدَ رَبِّي عَلَى سَلَامَتِهِ، وَوَلِي يَمَشِي وَيَنْبَاهِي بِيهِ فِي وَسَطِ قَرِيْنَتِهِ.

¹ عَيْطُ لَهُ: نادى عليه

² رَقَابِيهَا: الرقبة

³ نَقِيسِكَ: أرميك

33. "عشبة خضار"¹

"عشبة" طفلة، ماتت أمها تزوج باباها بمراة ما قبلتهاش، راحت لسوتته قالت لها: دبري عليا قالت لها: شدي كبة تاغ صوف عزليها، وأعطيتهاها تمشي بيها، وبين ما كملت دقي ملزم. راحت قالت لها: باغي تصنع لباباك بزئوس أنتاع صوف قد السماء و الأرض، شدي هذي الكبة نتاع صوف أمشي بيها، وبين ما كملت دقي ملزم، راحت دخلت بلاد و خرجت بلاد، حتى وصلت لبلاد الأغوال و الأهوال، وصابت أعجوز خارجة من بلاد الأغوال و الأهوال، قالت لها وبين راكي رايح، خبراته، قالت لها: رايحة نصيبي غولة كافثة² بززيلها لزول³، بزولة مطلسة بالحنة و بزولة مطلسة بالفطران، روجي أرضي بزولة الحنة، من طاحت عليها ورضعتها، قالت لها:

" والله كون مرضعتيش بزولة عيسى وموسى، إندير دمك في جعمة و لحمك في لقمه و عظامك نقي بيهم سني"، و ذروك أنديريك بنتي، بصح ولادي لا جاو و صابوك أنسي⁴ أهنأ ياكلوه، نخزنك تحت القصعة أنتاع العود⁵، و قالت للقصعة ما تكعديش، مين دخلوا قالوا: "ريحة القصري والبصري ريحة عربي في الدار أنكعدوا يا ماعين بويأ"، نكعدوا كاع المعين غير قصعة القصعة ألي ما تكعدتشن، قالوا لأمهم: العاهد يلي، طفل خونا و لا طفلة أختنا، وراثها لهم فرحوا بيها و داروها أختهم، ولا الحضري أجي نقولها الغولة هاراه الطبق أنتاع الفضة و شري بيه شاراكي باعية، يقدي ربي إروح الحضري لبلاد أمها، و تخرج أمراة باباها تشري عليه، نقاشخ في السلعة، أقول لها: كيتك الديري كي لالأك عشبة خضراء اللي تشري عليا بطبق فضة، قالت له: وين شفتها قال لها: شفتها في بلاد بعيدة، قالت له: يلا بغيت ترجع فولي نرسل معاك واحد الأمانة، قال لها: صح، رسلت لها منقوش و زوج مساييس نتاع فضة فيهم المسكرة، مين وصل خرجت عشبة تشري كي عوايدها، أعطها الأمانة، مين دارتهم طاحت تعاشات .

بذات الغولة تبكي و تسوط في روحها، و خاوتها يبكوا عليها، حسبوها ماتت، قالوا أختنا عزيزة علينا ما ندققوهاش، كانت عندهم واحد البغلة يسموها نعيلة داروا فوقها العطوش⁶ تاغ الجمل، و حطوا فوقها أختهم، و عطاوها، وقال للبغلة أمشي ما تحبسنيش غير مين سمعي حد يفولك نعيلة دبري كيما قاتلك أمك.

1 مدونة واضح عائشة غليزان 2005

2 كافثة: رافعة

3 لزول: الى الوراء

4 أنسي: الانسان

5 القصعة أنتاع العود: انا كبير من الخشب

6 العطوش: الهودج

شَافَتْ هَذِيكَ الْبَعْلَةَ وَ كَانَتْ فَايِنَةَ عَلَى جَمَاعَةٍ فِي الْعَابَةِ، قَالَ وَاحِدٌ: هَازِي بَعْلَةَ نَدِيهَا وَالْآخِرُ قَالَ: أَنَا نَدِي الْعَطُوشُ إِلَي فُوفَهَا، وَ النَّالْتُ قَالَ: أَنَا نَدِي اللَّي فُوقَ الْبَعْلَةَ، حَبَسُوهَا مَا بُغَاتَشْ تَحْبَسْ، مِينْ قَرُبُولَهَا، قَالَ وَاحِدٌ يَا هَدِي نَعِيلَةَ، حَبَسَتْ الْبَعْلَةَ مِينْ حَلُوا صَابُوا فِيهَا أَمْرًا مَيِّنَةً، قَالَ وَاحِدٌ: مَا عَنَدِي مَا نُذِيرُ بَلِي فِي الْبَعْلَةَ بَصَحْ نَدِيلَهَا الْمَنْفُوشُ وَ الْمَسَايِسْ¹، مِينْ كَلَعَهُمْ لَهَا فَطُنْتُ، قَاتَلَهُ: حَطْ رَزْقِي، قَالَتْ لَهُمْ: رَجِعُوا بَعْدُوا وَ نَسَابُوا اللَّي يُوَصِّلُ الْأَوَّلُ نَعْطِيهِ الْمَسَايِسْ وَالْمَنْفُوشْ.

مِينْ رَاحُوا قَالَتْ لِلْبَعْلَةَ مِينْ نَفُولُكَ نَعِيلَةَ دِيرِي كَيْمَا قُلْتُ لَكَ أَرْجِعِي بِيَا عِنْدَ أَمَا وَ خَوَاتِي، مِينْ جَاوْ يَجْرُوا قَالَتْ لَهَا: نَعِيلَةَ دِيرِي كَيْمَا قُلْتُ لَكَ، وَتَنْطَلِقُ بِهَا لَخَاوَانَهَا عَيَاوْ يَجْرُوا وَمَالْحَقُوهَاشْ، دَخَلْتُ عَلَى خَاوَانَهَا وَأَمَهَا فَرَحُوا بِهَا وَعَقُوهَا، وَقَالُوا لَهَا: كَيْفَاشْ جِيْتِي، خَبَرْتُهُمْ بِاللِّي الْحَضْرِي جَابَ لَهَا هَذَا الْأَمَانَةَ، مِينْ دَارَتْ الْمَنْفُوشُ وَالْمَسَايِسْ تَعَاشَاتْ، فَاسُولَهَا هَذُوكَ الْمَسَايِسْ.

وَاحِدٌ النَّهَارُ كَانَتْ عِشْبَةَ قَاعِدَةٍ بَرَا وَ مَعَاهَا وَلَدُ الْعَوْلَةَ الصَّغِيرِ، فَاتَ رَاعِي تَاعَ الْغَنَمِ، قَالَتْ لَهُ: أَعْطِينِي خُرُوفَ لَوْلُذُ الْعَوْلَةَ يَلْعَبُ بِيهِ، قَالَ لَهَا: "مَلِي رَاحَتْ عِشْبَةُ خَضَارٍ مَا صَبِتَ أَمْطَارٌ، مَا جَابَتْ الْغَنَمُ غَيْرَ خُرُوفَ لَوْلُذُ الْعَوْلَةَ يَلْعَبُ بِيهِ". فَاتَ عَلَيْهَا الرَّاعِي الْبَقْرَ قَالَتْ لَهُ: أَعْطِينِي يَارَاعِي مَهْرَ لَوْلُذُ الْعَوْلَةَ يَلْعَبُ بِيهِ، قَالَ لَهَا: "مَلِي رَاحَتْ عِشْبَةُ خَضَارٍ مَا صَبِتَ أَمْطَارٌ، مَا جَابَتْ الْبَقْرَ غَيْرَ الْمَهْرَ اللَّي يَلْعَبُ بِيهِ وَ لَوْلُذُ الْعَوْلَةَ".

حَتَّى فَاتَ رَاعِي الْعَنْزِي وَمَعَاهُ وَ لَوْلُذُ عَمَّ عِشْبَةَ خَضَارٍ عَرَفَهَا رَاحَ عِنْدَهَا عَرَفَاتَهُ، قَالَ لَهَا: كَيْفَاهُ حَتَّى وَصَلْتِي لَهِنَا، حُكَايَلَهُ فَصَنَّتْهَا مَعَ مَرَّتْ بَابَاهَا، حَتَّى لِي وَصَلْتُ لِلْعَوْلَةَ، وَكَيْفَاشْ رَبَّنْهَا مَعَ أَوْلَادِهَا، قَالَ لَهَا: أَنَا بَاغِي نَنْزُوجُ بِيكَ، لِيَقْ نَزُوجِي مَعَايَا، قَالَتْ لَهُ: الْعَوْلَةُ مَا تُخَلِينِيشْ، قَالَ لَهَا:

" مِينْ تَرَقُدُ أَهْرِي، قَالَتْ لَهُ: كَاعَ أَلِي فِي الدَّارِ إِخْبَرُوهَا. قَالَ لَهَا: شُوفِي، نَرْجِعْ لَكَ نَهَارٌ وَاحِدٌ أَخْرُ نَجِيبٌ لَكَ فِيهِ الْحَنَّةُ، دِيرِيهَا كَاعَ أَلِي فِي الدَّارِ بَاشْ مَا يَهْدُرُوشْ، دَارَتْ عِشْبَةُ الْحَنَّةُ لِقَاعِ الْمَاعِينِ² وَ أَنْسَاتِ الْمَهْرَارُ وَالْكَلْبُ مَا دَارْتَلُهُمْشْ، وَ دَارَتْ فِي بِلَاصْنَتِهَا شُكَارَةَ تَاعَ صُوفٍ، وَ رَاحَتْ مَعَ وَ لَوْلُذُ عَمَهَا. وَلَا الْمَهْرَارُ يَفُوقُ لِلْعَوْلَةَ: " دِي ... دِي ... عِشْبَةُ بَنَّتْ الْعَوْلَةَ هَرَبَتْ " وَ الْكَلْبُ يَفُوقُ : هُوَ ... هُوَ ... عِشْبَةُ بَنَّتْ الْعَوْلَةَ هَرَبَتْ ". تَنْلَمْسُ هِيَ الشُّكَارَةُ وَ نَقُولُ لَهُمْ: أَسَكْنُوا هَا هِيَ بِنْتِي عِشْبَةُ رَافِدَةُ حَدَايَا، غَيْرَ هَكَذَا هُمَا يَفُوقُولُهَا، وَ هِيَ تَرُدُّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى فَطُنْتُ مَلِيخِ، مِينْ وَخَرْتُ الْعَطَا³ صَابَتْهَا شُكَارَةُ .

قَالَتْ: غَدَرْتِي الْعُدَارَةَ وَ هَرَبْتُ، قَالَتْ لَهَا: عِشْبَةَ، عَلَاهُ رَحْتِي وَ خَلِيْتِي؟ بَصَحْ شُوفِي رَايِحَ تَنْتَلَقِي نُسْرَ أَرْزَقَ مَجْدَفَ يَعْطِيكُمْ تَاكُلُوا، دِيرِي مَعْرُوفَ فِي فُمْكَ، وَلَا مَا عَطِيْتِيْلَهُشْ الطَّعَامَ يَصْرَتُكَ⁴. عِشْبَةَ مَا

1 الْمَنْفُوشُ وَ الْمَسَايِسْ: الْقُرْطُ وَ الْإِسْوَارُ

2 الْمَاعِينُ: الْأَوَانِي

3 وَخَرْتُ الْعَطَا: أزالَتِ الْغَطَاءَ

4 يَصْرَتُكَ: يبتلعك

قَالَتْش لَوْلَدَ عَمَّهَا حَسْبَاتَهُ أَسْمَعُ، وَصَلُّوا عِنْدَ النَّسْرِ كَلَاؤَ مِينَ قَالَهُمْ: عَقَلُوا مَا كَلَيْتُوا، عَقَلْتَهُ اللَّيِّ فِي كَمَّهَا، وَ وُلْدَ عَمَّهَا مَا عَقَلَهُ وَالْوَأ، قَالَ لَهُ نَصْرَطُكَ، قَالَتْ لَهُ عَشْبَةَ:

"عَلَاهُ جَبْنِي وَ غَدْرْتِي، قَالَ لِلنَّسْرِ: حَلِينِي نُوَصَلْهَا لِدَارِنَا وَ نَزَجَّ لَكَ أَصْرَطْنِي، قَالَ لَهَا رُوحي لِدَارِنَا نَبْجِي كَلْبَةَ وَ لَبْسِي جَلْدَهَا، بَاشَ مَا يَعْرِفُوكَشْ، وَ مَنْ بَعْدَ حَبْرِي ابِي شَاصْرَالِي، وَ قُولِي لَهُ يَدِيرُ الطَّعَامَ، كَاعُ الْهُوَالِيَشْ، مَا يَخْلِيهَاشَ تَأْكُلُ، غَيْرَ نَسْرِ الْأَزْرَقِ الْمَجْدَفِ حَلِيَهُ يَأْكُلُ، مِينَ اِيَكْمَلُ يَقُولُهُ: عَقْ لِي مَا كَلَيْتِ، مِينَ يَقُولُهُ شَا نَعْقَلُكَ، يَقُولُ لَهُ: عَقْلِي وَ لَدِي لِي صَرَطُهُ يَرْجَعْنِي لِيهِ.

رَاحَتْ عِشْبَةُ دَارَتْ كَيْمَا قَالَهَا، وَ لَاتَتْ تَبَاتَتْ مَعَ لَسْلَاقٍ¹ فِي الزَّرِيْبَةِ، وَ فِي الطَّرِيقِ، وَ لَا يَقُولُ لِعِشْبَةَ كِيرَاكِي، تَقُولُ لَهُ: رَافِدَةٌ فِي الزَّرِيْبَةِ، وَ عَائِشَةُ مَعَ لَسْلَاقٍ، سَمِعَهَا عَمَّهَا، حَبْرَاتَهُ بَلِي هِيَ بَنَتْ حُوَهُ، وَ وَ لَدَهُ صَرَطُهُ النَّسْرِ، وَ قَالَتْ لَهُ شَا يَدِيرُ، طَعَمَ عَمَّهَا وَ مَا خَلَّاشَ الْهُوَالِيَشَ تَأْكُلُ، غَيْرَ النَّسْرِ الْأَزْرَقِ الْمَجْدَفِ مِينَ كَلَا قَالَ لَهُ: عَقْ لِي مَا كَلَيْتِ، مِينَ قَالَ لَهُ شَا نَعْلُكَ، قَالَ لَهُ: عَقْلِي وَ لَدِي لِي صَرَطُهُ، مِينَ رَجَعُوا، قَالَ الْوَلَدُ لَمَهُ: أَنَا نَتْرُوجُ مَعَ الْكَلْبَةِ نَتَاعْنَا، قَالُوا لَهُ: شَارَكَ أَتَقُولُ، هَذِي كَاعُ مَا شِي هَدْرَةٌ، تَتْرُوجُ بِيهَا، لُغْدَوِي قَالُوا لِلْخَادِمِ: أَدِي لُسَيْدِكَ الْفَطُورَ، مِينَ دَخَلَتْ أَنْخَلَعَتْ، قَالَتْ لَهُمْ: سَيْدِي قَمَرُ وَ لَا لَا شَمْسُ، أَنْخَلَعُوا، حُوَهُ وَاحِدٌ آخَرَ قَالَ: أَنَا نَتْرُوجُ مَعَ السُّلُوقِيَةِ تَاعِي، قَالُوا لَهُ: يَا حَوْجِي، شَاهِي هَادِي هَدْرَةٌ تَتْرُوجُ بِيهَا، فِي اللَّيْلِ وَ لَا يَقُولُ لَهَا: هَيَا سُلُوقِيَةَ بَدْلِي جَلْدُكَ، وَ لَاتَتْ تَقُولُهُ: ... هُوَ ... هُوَ ... لُغْدَوِي رَسَلُوا الْخَادِمَ قَالُوا لَهَا:

" أَدِي الْفَطُورَ لُسَيْدِكَ، قَالَتْ لَهُمْ: سَيْدِي نَخَلْتُ فِي قَاشُوشَه²، وَ كَلَاتَتْ لَهُ فَحَشُوشَه."

¹ لَسْلَاقُ: نَوْعٌ مِنَ الْكَلَابِ

² قَاشُوشَه: دَاخِلُ جِسْمِهِ

فهرس الحكايات الشعبية

1. بابا قَرَمَازُ 209
2. كِي شِمِيَتْ كِي كَلِيَتْ 213
3. رَاجِيَّة و دِيَاب بَعَالِم 214
4. المَشْحَاخ الكُبَيْر 216
5. لِلْكَبَار والصَغَار 216
6. زِينْب و كَعَالَة السَّبْع 217
7. القُطِيط و لَفْوِير 218
8. رَاجِلْ بَلْ مُخ 220
9. مَزَاخ جَحَا الجَزَائِرِي 221
10. لُونَجَة مُوَلَاة سَبْع سَوَالِف 222
11. عَلَاش و ذَنِينِ البَعْل طَوَال 227
12. خُنَيْفَسَة لآلَة النِّسَا 228
13. كُنْشِي بِيْرَا.. و كَلَام السُّوء مَا بِيْرَا 231
14. المِعْرَة الصَّنْبِيَّة 234
15. الخَيْرِ امْرَأ.. و الشَّرِّ امْرَأ 239
16. العَبْدُ لَكْحَل 240
17. الذَّيْبُ و التَّعْلَب 241
18. جَحَا و السُّلْطَان 242
19. الفَّلَاخ و الخَمَاس 242
20. الجَوْهَرُ فِي خِيُوطِهَا 243
21. الحِيلَ مَعَ النِّي 247
22. الذَّيْبُ و الفَّلَاخ 248
23. بُوْرِيَانِ القَلْعِي 248
24. خُرَيْصُ و بُوْخُرُوصَة 250

252	سَعِيدٌ وَذِيَابٌ	.25
253	عَيْنُ الرَّعْفَرَانِ	.26
254	هَارُونَ الرَّشِيدُ	.27
258	مُلُوكَةٌ وَالتَّعْبَانُ	.28
259	بَقْرَةٌ لَيْتَامَى	.29
262	حَدُّ الزَّيْنِ مُوَلَّاتُ الشُّعْرِ ذَهَبٌ	.30
264	الْوَلْدُ وَمَرَّتْ بِأَبَاهُ	.31
266	غَانِمٌ وَوَلَدُ الرَّاعِي	.32
268	عَشْبَةُ حَضَارُ	.33

قائمة المصادر المراجع:

المصادر والمراجع العربية:

القرآن الكريم

1. ابراهيم، نبيلة: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1981
2. ابراهيم، نبيلة: الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، 1973.
3. ابراهيم، نبيلة: سيرة الأميرة ذات الهمة، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
4. ابراهيم، نبيلة: قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، دار العودة، بيروت، 1974
5. أبو الليل، خالد: المرأة والحدوث، جمع ودراسة، تقديم أحمد مرسي، دار العين للنشر، القاهرة، 2008
6. إسماعيل، يوسف: الرؤيا الشعبية في الخطاب الملحمي عند العرب: سيرة الأميرة ذات الهمة نموذجا، دراسة تطبيقية، من منشورات اتحاد الكتاب العربي دمشق، 2004
7. البردوني، عبد الله: الثقافة الشعبية تجارب وأقويل يمنية، دار المأمون، القاهرة، 1988
8. البستاني، محمود: الاسلام وعلم الاجتماع مجمع البحوث الاسلامية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1994
9. بلعمرى، رابح: الوردة الحمراء "قصص شعبية من شرق الجزائر"، المنشورات الجامعية والعلمية، باريس، 1980
10. بن حمودة، محمد: الأنثروبولوجيا البنيوية أو حق الاختلاف، دار محمد علي الحامي للنشر، تونس، 1978
11. بواريو، عبد الحميد: الحكايات الخرافية للمغرب العربي دراسة تحليلية في معنى المعنى لجموعة من الحكايات، دارالطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1992

12. **بوحبيب، حميد:** مدخل إلى الأدب الشعبي، مقارنة أنثروبولوجيا، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009
13. **بورايو عبد الحميد:** البطل الملحمي والبطلة الضحية، في الأدب الشفوي الجزائري، دراسات حول خطاب المروييات الشفوية (الأداء، الشكل، الدلالة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998
14. **بورايو، عبد الحميد:** القمص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986
15. **بورايو، عبد الحميد:** في الثقافة الشعبية الجزائرية، التاريخ والقضايا والتجليات؟ دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، منشورات رابطة الأدب الشعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2006
16. **بوغازي، الطاهر:** القيم التربوية، مقارنة نسقية، منشورات الحبر، الجزائر، الطبعة الاولى، 2010
17. **جابر، سامية محمد:** علم الإنسان، مدخل إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، لبنان، الطبعة الأولى، 1991
18. **جادو، أميمة منير عبد الحميد:** تربية الطفل في التراث الشعبي المصري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004
19. **جلال، سعد:** علم النفس الاجتماعي، الاتجاهات التطبيقية المعاصرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1984
20. **الجوهري، محمد :** علم الفولكلور، دراسة المعتقدات الشعبية، الجزء الثاني، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، الطبعة الأولى، 1988
21. **الجوهري، محمد:** دراسات في علم الفولكلور، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1992
22. **الحجاج، كاظم:** المرأة والجنس بين الأساطير والأديان، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، الطبعة الأولى، 2002
23. **حرب، طلال:** أولية النص، نظرات في النقد والقصة والأسطورة الأدب الشعبي، لمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1999
24. **حرب، طلال:** بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1999
25. **خورشيد، فاروق - ذهني، محمود:** فن كتابة السيرة الشعبية، دراسة فنية نقدية للسيرة الشعبية، عنتر بن شداد، منشورات اقرأ، الطبعة الثانية، 1980

26. خورشيد، فاروق: أضواء على السيرة الشعبية، منشورات اقرأ بيروت، لبنان، 1980.
27. رشوان، حسين عبد الحميد أحمد: علم الاجتماع بين ابن خلدون وأوجست كونت، الناشر، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، الطبعة الأولى، 2009
28. زكي، أحمد كمال: الأساطير، دراسة حضارية مقارنة، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، 1979
29. السارسي، عمر عبد الرحمان: الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1980
30. سرحان، نمر: الحكاية الشعبية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974
31. شريط، عبد الله: نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984
32. شريف، فاتن محمد - عيد بدر، يحي مرسى: مقدمة في علم اجتماع الأدب، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، الطبعة الأولى، 2008
33. شريف، فاتن محمد: الرؤية المجتمعية للمرأة والأسرة، دراسات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، الطبعة الأولى، 2007
34. شعبو، أحمد ديب: في نقد الفكر الأسطوري الرمزي، أساطير ورموز وفولكلور في الفكر الإنساني، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، الطبعة الأولى، 2006
35. الشماس، عيسى: مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004
36. شيخاني، محمد فيصل: القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة العربية الإسلامية، دراسة تاريخية وتربوية تحليلية، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا
37. صالح، أحمد رشدي: الأدب الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة الطبعة الأولى، 2002
38. الصباغ، مرسى: القصص الشعبي العربي في كتب التراث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2006
39. صمودي، مصطفى: من جلماش إلى نيتشه، بحث في الثقافة العالمية، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الأولى، 2008 .

40. ضيف، شوقي: الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1960
41. عبد الحكيم، شوقي: السيرة والملاح الشعبية العربية، دار الحدائث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1984
42. عبد الحكيم، شوقي: دراسات في التراث الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005
43. عزوي، أحمد: القصة الشعبية الجزائرية في منطقة الأوراس، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الدراسات الشعبية 104، القاهرة، الطبعة الأولى، 2006
44. قريش، روزلين ليلي: القصة الشعبية ذات الأصل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
45. مبارك، زكي: الأخلاق عند الغزالي، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، القاهرة
46. مجموعة من أساتذة علم الاجتماع: دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 1975
47. مرتاض، عبد المالك: الألغاز الشعبية الجزائرية، دراسة في ألغاز الغرب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1983
48. مرتاض، عبد المالك: الأمثال الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، سنة 1982
49. مرسي، أحمد: الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، دار مصر المحروسة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008
50. مويقن، المصطفى: بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الأولى، 2005
51. النصير، ياسين: المساحات المختفية، قراءات في الحكاية الشعبية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1995
52. هلال، هيثم: ملحمة جلجامش، دار النهج للنشر والتوزيع، العراق، الطبعة الأولى، 2007
53. وصفي، عاطف: الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 1975
54. يونس، عبد الحميد: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1995

المراجع المترجمة:

55. بيل، ألفريد: الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم
ترجمة عن الفرنسية بدوى، عبد الرحمان، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة
الثانية، 1981
56. ستروس، كلود ليفي و(بروب، فلاديمير): "مساجلة بصدد: علم تشكل الحكاية"،
ترجمة وتقديم: معنصم، محمد، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى،
1988
57. بونت، بيار و ايزار، ميشال: معجم الانتولوجيا والأنثروبولوجيا، ترجمة وإشراف:
مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2006
58. ديرلاين، فردريش فون: الحكاية الخرافية، نشأتها، مناهج دراستها، فنيته، ترجمة
إبراهيم، نبيلة، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، 1973
59. بروب، فلاديمير: مورفولوجية الحكاية، ترجمة الخطيب، إبراهيم الشركة المغربية
لناشرين المتحدين، الدار البيضاء، 1986
60. بوتارن، قادة: الأمثال الشعبية الجزائرية، ترجمة صالح، حاج، دار الحضارة،
الجزائر
61. تايمز، نويل: علم الاجتماع و دراسة المشكلات الاجتماعية، ترجمة غريب محمد
سيد أحمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987
62. سوكلوف، يوري: الفولكلور، قضاياها وتاريخه، ترجمة شعراوي، حلمي، حواس،
عبد الحميد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الطبعة الثانية، القاهرة، 2000
63. رزفير، جون بول: فلسفة القيم، ترجمة العوا، عادل، عويدات للنشر والطباعة،
بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2001

المراجع الفرنسية:

64. **A. Vaissière**: les Ouled-Rechaich (cycle héroïque des Ouled-hillal), Revue africaine, N°36, année1892
65. **Alfred Bel** : la Djazia ,journal Asiatique ,XIX et XX, année 1902-1903, Alger, 1909
66. **Bruno Bettelheim**: psychanalyse des contes de Fées, Paris, Robert Laffont, 1976
67. **Camille Lacoste–Dujardin** : le Conte Kabyle, étude ethnologique, François Maspero, paris, 1970.
68. **Commandant Malingoud** : Contes, Bédouins, Revue Africaine, N° 65, Année 1925
69. **Edmond Doutté** : Magie et religion dans l'Afrique du Nord
70. **Edmond Destaing** : Lennayer chez les Beni Snous(texte Bèrbère,dialecte des Beni Snous) , Revue Africaine, N° 49. Année 1905
71. **E-Laoust** : Contes Berbères du Maroc : Edition Larose : 1.2T Paris v, 1949,
72. **Lucien Goldman**: pour une sociologie – Romaned – idée Gallimard, paris, 1964.
73. **Mehadji zarior rahmouna** : Les images féminines dans le conte populaire Algérien, these de doctorat, departement de langues latines, section français, Université d' Oran, sept 2005
74. **Nacib Yousef** : Contes Algériens de Djurdjura contes populaire. Ed publisud Paris 1982.
75. **Nora Aceval**: Conte du Maghreb : Site : zauzi Bart. Com / Nora Aceval / accueil. Htm depuis 1997
76. **René Basset** : La légende de Bent el khass, Revue Africaine, N°49 Année 1905

الرسائل الجامعية:

77. **سعيد، محمد:** المثل الشعبي الجزائري، مقارنة بنيوية، رسالة دكتوراة دولة، كلية الآداب و العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2000
78. **عزي، بوخالفة:** الحكاية الشعبية في بيئتها الاجتماعية، رسالة ماجستير، إشراف قريش، روزلين ليلي، معهد اللغة والأدب العربي، الجزائر، 1994
79. **عائشة، واضح:** القص الشعبي في منطقة غليزان، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان 2005
80. **أبو الليل، خالد:** تاريخ السيرة الهلالية في محافظة قنا: دراسة للراوي والرواية، رسالة دكتوراه، جزآن، مكتبة جامعة القاهرة، 2007

المجلات و الدوريات العربية:

81. **رانيلا، أ.ل.:** الماضي المشترك بين العرب والغرب، أصول الآداب الشعبية الغربية، ترجمة: إبراهيم، نبيلة: مراجعة: موسى، فاطمة، عالم المعرفة، سلسلة ثقافية شهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير، 1999
82. **جماعي:** الهياكل العائلية والأدوار الاجتماعية، سلسلة مراجع المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر، تونس.
83. **خالد، محمد:** القداسة والأسطورة في التجربة الطرقية الإسلامية بمنطقة شمال شرق الصحراء، مجلة، الجزائر وأسبورتته، المخيال الاجتماعي وآليات التماهي، العدد الأول، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ، الجزائر، 2003
84. **جرموني، رشيد:** قراءة في التحولات القيمية، دراسة مقارنة بين المغرب وباقي بلدان العالم، مجلة المستقبل العربي، العدد 366، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، أوت 2009
85. **بوزيدة، عبد الرحمان:** قاموس الأساطير الجزائرية، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية و الثقافية، وهران، 2005

86. **خليفة، عبد اللطيف محمد:** ارتقاء القيم، دراسة نفسية، عالم المعرفة، مجلة شهرية ثقافية العدد 160، الكويت، 1992
87. **عبد الحافظ، محمد حسن:** سيرة بني هلال، الشفهية ودرس الاختلاف مجلة الفنون الشعبية، العدد 79، 80، ديسمبر 2008
88. **صبري، مسلم:** الحكاية الشعبية العراقية وجهود الباحثين فيها، مجلة التراث الشعبي، العدد 7، 6، العراق، 1981.
89. **حكيم، ميلود :** الكرامة الصوفية مقارنة أنثروبولوجيا لمدونة ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مجلة القصص والتاريخ، التمثيل الرمزي لحقب من التاريخ الاجتماعي الجزائري، العدد الثاني، أعمال المركز للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان، الجزائر، 2005،
90. **عبد العزيز، هشام:** محمد رجب النجار تحقيق التراث بين الشفاهي والمكتوب، مجلة الفنون الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد 71- سبتمبر 2006ص، 36. منقول عن: احمد بن محمد بن عرب شاه:فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، تقديم وتحقيق وشرح: محمد رجب النجار، سلسلة الذخائر، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2003
91. **يعلى، مصطفى:** الخطاب الأخلاقي في الحكاية الخرافية، ديوان الدراسات المحكمة، مقال 06 فبراير 2010 www.diwanalarab.com

المعاجم العربية:

92. **أبادي، الفيروز:** القاموس المحيط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977
93. **ابن منظور:** لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1992
94. **عمر، أحمد مختار:** معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008
95. **فردينان توتل:** المنجد في الأدب والعلوم، بيروت، 1956
96. **المعجم الوسيط:** الجزء الثاني، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1973
97. **المنجد في اللغة والإعلام:** دار المشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة والعشرون، 1986

الفهرس

1	مقدمة
11	المدخل : المعطيات التاريخية والمكونات الثقافية للمنطقة
11	أ: الخصائص الجغرافية للمنطقة:
12	ب: معطيات تاريخية عن المنطقة:
12	ج: المكونات الثقافية للمنطقة:
19	الباب الأول: أنماط الحكاية وأصناف القص الشعبي
20	الفصل الأول: الأجناس القصصية
20	1. تحاور الأجناس القصصية:
27	2. تواصل الأجناس القصصية :
29	3. حدود الأجناس القصصية:
32	4. مضمون الأجناس القصصية :
36	الفصل الثاني: مفهوم الحكاية الشعبية
36	1. تحديد المفهوم:
41	2. الحكاية الشعبية ومسألة الشفاهية:
46	3. الحكاية الشعبية في المنظور الغربي والدراسات العربية :
51	4. الحكاية الشعبية الجزائرية وامتدادها العربي والعالمي :
55	الفصل الثالث: إشكالية التصنيف
61	1. الحكاية الخرافية:
66	2. حكاية الحيوان:
71	3. حكايات الواقع الاجتماعي:
76	الباب الثاني: السلوك الاجتماعي في الحكاية الشعبية
77	مقدمة: مفهوم السلوك ومكوناته ومظاهره
85	الفصل الأول: الحياة الاجتماعية والأسرية
85	1. الزواج:
93	2. العلاقات الأسرية:
99	3. نظام القرابة :
108	الفصل الثاني: الدينامية الاجتماعية والاقتصادية
108	1. الحياة الاجتماعية :
114	2. التحولات الاجتماعية:

118	3. علاقة الإنتاج وخصائصها:
126	الفصل الثالث: المضامين السياسية
126	1. السلطة الاجتماعية :
134	2. السلطة السياسية:
139	3. التراتب الاجتماعي:
145	الباب الثالث: القيم الأخلاقية في الحكاية الشعبيّة
146	المقدمة: مفهوم القيم ومكوناتها:
155	الفصل الأول: نماذج من القيم الأخلاقية الإيجابية: الأسرة والمجتمع
157	1. قيم التفاهم بين الزوجين:
160	2. قيمة الأمومة:
163	3. قيمة التماسك الأسري:
168	4. قيمة الكرم والضيافة:
170	5. قيمة الصبر والتسامح :
175	الفصل الثاني: نماذج من القيم الأخلاقية الإيجابية: الاقتصاد والسياسة
175	1. قيمة الحث على العمل:
177	2. قيمة التشارك والتكافل:
181	3. قيم بين الحاكم والمحكوم :
187	4. قيمة تحقيق العدالة الاجتماعية:
192	الفصل الثالث : نماذج من القيم السلبية
192	1. قيم ساخرة:
197	2. نقد المجتمع :
200	3. قيم تروبية :
205	خاتمة عامة
208	الملحق
273	قائمة المصادر والمراجع:
281	الفهرس:

الملخص:

عرفت الشعوب منذ العشائر القديمة حتى اليوم أنماطاً مختلفة من القصص الشعبي منها الأساطير والسير والملاحم والحكايات الشعبية هذه الأخيرة التي احتلت مكانة عظيمة بين الأفراد لارتباطها بهم وبمعتقداتهم، ومهما اختلفت وتنوعت إلا أنها تبقى الذاكرة الشعبية الجماعية التي ترصد لنا مجموعة من السلوكيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للأفراد تلك السلوكيات التي تحمل في مضامينها زخماً هائلاً من القيم الأخلاقية التي تسعى الحكاية من ورائها الى تحقيق أهداف إنسانية وأخلاقية متعددة، والملاحظ أن معظمها لا يبتعد عن بث قيمة أو رصد موعظة أو نقد موقف توجه به تلك السلوكيات الاجتماعية وتشجع على التمسك بها.

الكلمات الافتتاحية : الحكاية، الشعب، الفولكلور، التراث، السلوك، المجتمع، الأخلاق، القيم، الأسرة، الإنتاج، السياسة، الاقتصاد،....

Résumé :

Longtemps dans l'histoire de l'humanité, les nations ont connu des genres différents du contes populaires, parmi lesquels des mythes, des épopées, des légendes, des contes populaires...etc., dont la dernière occupait une place importante dans la vie des individus. Mais malgré leur diversité, représentent toujours la mémoire populaire collective, car ils réfèrent à des comportements socio-politiques et économiques des individus et véhiculent un certain nombre de valeurs à travers lesquelles le conte tente d'atteindre des objectifs humains très variés. A noter également que la majorité des objectifs ne s'éloigne guère de transmettre des valeurs, ou d'exprimer une moral ou même de critique ou d'encourager les différentes orientations que prennent ces comportements sociaux.

Les mots clés : conte, peuple, folklore, patrimoine, comportement, société, éthique, Valeur, famille, production, politique, économie,...

Abstract

Long time in the history of humanity, nations have experienced different kinds of folk tales, including myths, epics, legends, folk tales ... etc., Last figured prominently in the lives of individuals. But despite their diversity, are always popular collective memory, as they relate to behaviors and socio-economic policies of individuals and convey a number of values through which the story is trying to achieve human goals varied. Also note that the majority of goals do away much of transmitting values, or to express a moral or even criticism or encourage different orientations assumed by these social behaviors.

The key words : tale, people, folklore, patrimony, behavior, society, ethics, Value, family, production, politics, economics...